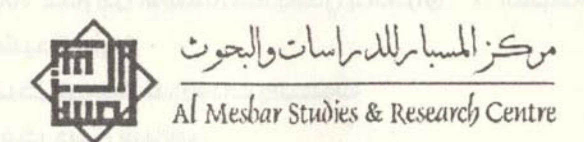
رشيد الخيُّون

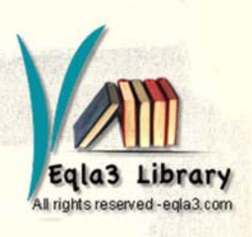
100 عام من

الإسلام السياسي بـ العراق

1 الشِّيعة







رشيد الخيُّون

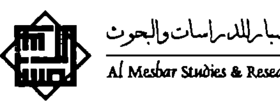
100 عام مِن الإِسلام السِّياسي بـ العِراق

1

الشِّيعة

الكتاب: 100 عام مِن الإسلام السّياسي بـ العِراق 1 الشّيعة
المؤلف: رشيد الخيُّون
الناشر: مركز المسبار للدراسات والبحوث
التصنيف: فكر ديني سياسي
الطبعة الأولى، مايو (أيار) 2011
الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-443-57-5

الكتاب متوفر على الإنترنت: مكتبة نيل وفرات www.nwf.com



www.almesbar.net

ص.ب. 333577
دبي الإمارات العربية المتحدة
هاتـف: 77 151 36 4 971+
فاكس: 78 151 36 4 971+
almesba@rinfo.net

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموما، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضرا في الواقع المعيش.

يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية، ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تنشيط الحوار بين المتخصصين وتدوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.

المحتوى

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السّابع

الفصل الثّامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفهارس

ما بين الدِّين والسِّياسة: (حدثني علي بن إِسماعيل بن صالح بن ميثم، قال: حدثني أَبو كعب، قال: حضرتُ عيسى (ابن موسى) حين قُتل محمد (النَّفس الزَّكية السَّنة 145هـ) فوضع رأَسه بين يديه، فأَقبل عليه أَصحابه، فقال: ما تقولون في هذا؟! فوقعوا فيه، قال: فأَقبل عليهم قائد له، فقال: كذبتم والله وقلتم باطلاً، لِما على هذا قتلناه، ولكنه خالف أَمير المؤمنين، وشّقَ عصا المسلمين، وإن كان لصوَّاماً قوَّاماً. فسكت القوم).

محمد بن جرير الطَّبري (ت 310 هـ)
تاريخ الأُمم والملوك 6 ص 523-524.

المقدمة

يجمع مصطلح (الإسلام السِّياسي) كلَّ الجماعات التي تتخذ مِن الإسلام، كدين، في تحركها السِّياسي أيديولوجيةً؛ وترنو إلى تطبيقه عند الوصول إلى السُّلطة، على أنه منهج للحياة صالح لكلِّ زمان ومكان. بدأ يُطرح هذا المصطلح مع ظهور الإخوان المسلمين (مصر 1928)، وتعاظم دور الحركات الإسلامية، وهو مصطلح غير محبذ، بطبيعة الحال، لدى الإسلاميين أنفسهم، ففيه تمييز بين الإسلام وتلك الحركات.

إنها أيديولوجيا تنطوي (على عدة اعتبارات تحاول إقحام كلِّ شيء في الدِّين؛ لرسم إطار مرجعي نهائي يُسيِّر كلَّ التَّوجهات وفق نظرة ماضوية، وتسعى إلى رسم حياة البشر، وفق معطيات محددة، مِن بداية الخلق حتى قيام السَّاعة، وترفض قبول أي رأي مخالف رفضاً باتاً... وهو ما قد يمثل في كثير مِن الأحيان نظرة شمولية تفرض الكثير مِن القيود، وقد تحجب الانطلاق الفكري وتحدده بسُنن الأولين التي يكتنفها الكثير مِن الغموض والالتباس والتَّناقض في أحيان كثيرة)[1]. نتفق مع هذا الرَّأي مع علمنا أن بعض جماعات الإسلام السِّياسي قد تخلت عن شموليتها في فرض أَيديولوجيته عند استلامها السُّلطة، كما

---

1 إسماعيل، أيديولوجيا الإسلام السِّياسي والشيوعية، ص 21.

في حالة الإسلام السِّياسي التُّركي، المتمثل بحزب (العدالة والتَّنمية) الحاكم حالياً.

هناك مَن يُشير إلى أن الشَّيخ محمد رشيد رضا (ت 1935) قد استخدم هذا المصطلح (في التعبير عن الحكومات الإسلامية التي سماها)[2]. ولا ندري ما صحة ما أُشير إلى استخدامه مِن قِبل أدولف هتلر (قيل انتحر 1945) (حين التقى الشَّيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين آنذاك، إذ قال له: إنني لا أخشى من اليهود ولا من الشِّيوعية، بل إنني أخشى الإسلام السِّياسي)[3]. ففي ذلك الوقت لم يكن الإسلام السِّياسي مؤثراً، والشَّيخ أمين الحسيني (ت 1974) لم يكن يمثله.

ربما يصعب تعيين الواضع لهذا المصطلح، لكنه أصبح سارياً، ففيه ما يميز بالفعل بين الإسلام الدِّين والإسلام السِّياسة، بمفهومها الحزبي الحركي، فكلُّ إسلامي مسلم ولكن ليس كلُّ مسلم إسلامي. ولعلَّ أول مَن ميَّز بين المسلم والإسلامي هو أبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) في تصنيفه لكتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين)، ففي هذا الكتاب تجد جرداً لحراك سياسي وفكري وكلامي. أما الذين

---

2 سليمان بن صالح الخراشي، مصطلح الإسلام السِّياسي، ثقافة التلبيس، الحلقة: 8 على موقع صيد الفوائد: http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/55.htm عن محمد عمارة، الإسلام السِّياسي والتَّعددية السِّياسية مِن منظور إسلامي، ص 2-5.

3 المصدر نفسه، عن عطية الويشي، حوار الحضارات، ص 210.

كتبوا في (الأحكام السُّلطانية) فتحدثوا عن (حراسة الدِّين وسياسة الدُّنيا)[4].

يعتقد الإسلاميون أن الدِّين شامل لكلِّ مناحي الحياة، والسِّياسة في المقدمة، وتطبيق الشَّريعة واجب إلهي، ولم يبق الأمر محصوراً بتطبيق الشَّريعة بل حُدد مسار الدَّولة الإسلامية، التي يعمل مِن أجلها الإسلاميون، باقتصاد إسلامي وآيديولوجيا إسلامية.

يعتقد الإسلام السِّياسي أن هناك نظاماً إلهياً لايجوز إغفاله ويجب على المجتمعات اتباعه، وهو ما عبر عنه البعض بالحاكمية، في مثل حالة سيِّد قطب (أُعدم 1966) وأبي الأعلى المودودي (ت 1979). ويستندون في ذلك إلى نصوص قرآنية ونبوية تشرع للحكم الإسلامي، بل منهم مَن كفَّروا المخالفين لهذا الرأي. لكن بالمقابل يجد المخالفون للفكرة في كتاب القرآن الكريم والأحاديث النَّبوية ما يُشرِّع أن الناس أحرار في شأنهم السياسي الدُّنيوي. وكنا توسعنا في ذلك في كتابنا (رسالة في العلمانية والخلافة)[5]. لذا اكتفينا بالإشارة تجنباً للتكرار.

ما يخص تاريخ الإسلام، والخلافة الإسلامية، يصعب إطلاق هذا المصطلح على حركات الثائرة ضد الخلافة أو الخلافة

---

4 الماوردي، الأحكام السُّلطانية، ص 5.

5 بيروت: دار مدارك 2011.

نفسها، على اعتبار أن الخلفاء وخصومهم يتخذون مِن الدِّين شعاراً وأيديواوجية سياسية، ويتظاهرون بالإخلاص له ويتهم بعضهم بعضاً بالتَّنصل منه، مع أن الصَّراع كان دنيوياً. أقول يصعب استخدام مصطلح الإسلام السِّياسي بأثر رجعي، فليس هناك ما يميز هذه الحركة عن تلك، فكلها حركات دينية، ولا وجود لحراك مدني، أو لما نسميه بالدَّعوة لفصل الدِّين عن الدَّولة، والخليفة وقائد الثَّورة ضد ذلك، فكلاهما إمامان يجمعان بين السُّلطة الدِّينية والدُّنيوية؛ ولا أرى معنى لإطلاق المصطلح، إذا لم يكن هناك ما يخالفه، مثلما يتمايز عصرنا بدعوات مدنية لا إسلامية ودعوات إسلامية سياسية، وهنا يصبح للمصطلح معنىً[6].

حسب التَّعريف السَّالف للإسلام السِّياسي قد يصعب اعتبار كلِّ تحرك لشخصية دينية أو جماعة، قبل العشرينيات مِن القرن الماضي، أو ما بعده- كما سيأتي ذكره في هذا الكتاب- على أنها مِن الإسلام السِّياسي، على اعتبار أن هناك شخصيات وجماعات هبوا للدِّفاع عن الدَّولة العثمانية ضد بريطانيا مثلاً، بسبب الرابط الديني، وكذا الأمر بالنسبة لِمَن انتقد الحكومة وتحرك ضدها مِن أجل مطالب النَّاس؛ مع أن هذه الجماعة أو تلك الشَّخصية لم ترفع شعار الدَّولة

6 نجد مثل هذا الإطلاق لدى الباحث سامح محمد إسماعيل في كتابه (أيديولوجيا الإسلام السِّياسي والشِّيوعية دراسة مقارنة) (بيروت: دار السَّاقي ومؤسسة الدِّراسات الفكرية المعاصرة 2010)، فقد قابل بين ظهور الإسلام والخلافة الإسلامية والحركات التي واجهتها، مثل حركة الشُّراة أو الخوارج وغيرها مع الأحزاب الشِّيوعية في العصر الحاضر.

الدِّينية، ولا تريد لنفسها السُّلطة. فمثلاً أَغلب المرجعيات الدِّينية الشِّيعية لا ترى التَّدخل المباشر في السِّياسة، لكنها في حالات كثيرة قالت كلمتها وفعلت فعلها، مِن موقعها المرجعي الدِّيني لا مِن موقع حزب سياسي.

لا غرو أن ظاهرة الحراك الدِّيني السِّياسي بالبلاد العراقية، التي ظهرت بوادرها في عشرينيات القرن الماضي، غدت بعد عقد السَّبعينيات منه تشكل ظاهرة سياسية خطيرة، حين تبدلت المطاليب مِن الحفاظ على الحالة الدِّينية والالتزام الدِّيني المعقول إلى المناداة باستلام السُّلطة وبقوة السِّلاح، وفرض حالة التَّدين، أو ما يعبر عنه بأسلمة المجتمع عبرها. وذلك بسبب الظروف الداخلية التي تعرضت لها البلاد، حيث الحرب مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية والدِّكتاتورية الخانقة، جمعاً مع الظَّرف الخارجي المتمثل بانفجار الثورة الإيرانية، والأمر ليس بعيداً عن تأثيرات حرب الجهاد الأفغانية، في الحلة الإسلامية الكُردية في الأقل.

إجمالاً، هبت صحوة دينية سياسية عارمة، لم تشهدها العقود، بل ولا القرون الخوالي. وبسبب طبيعة النِّظام السَّابق، ومحاولاته في تكريس الطَّائفية، كردَّة فعل طبيعية ضد انتصار الثَّورة الإيرانية الشِّيعية، وتعاظم المد السِّياسي الشِّيعي داخل العراق، أخذ الفعل السِّياسي أو الحزبي الدِّيني طابعاً شيعياً، مع وجود فعل سُنِّي نشأ واستمر خاملاً إلى حد ما، كان ممثلاً بالحزب الإسلامي

العراقي، ممثل الإخوان المسلمين، وبتنظيمات وشخصيات ليس لها الحضور الفاعل في المعارضة العراقية، التي تعاظم أمرها في عقديّ الثّمانينيات والتّسعينيات من القرن الماضي. مع أن شخصيات منها، ليست بالقليلة، تلقت ضربات موجعة مِن قبل النّظام السَّابق، وكانت البداية بالشَّيخ عبد العزيز البدري (قتل 1969) وشقيقه.

مِن جانب آخر، وعلى الرَّغم مِن المحاولات التي سعت إليها أحزاب وشخصيات، في الإسلام السّياسي العراقي، لم يكن ممكناً لحزب ديني أن يتجاوز طائفته، فللسُّنَّة أحزابها وبالمقابل للشّيعة أحزابها أيضاً، ذلك بسبب طبيعة الخلاف التَّاريخي العقائدي، بما يخص مسألة الإمامة، وما تبعها مِن فروق أُخر في العبادات والمعاملات، والأخيرة أهون مِن الأولى، فهذه فروع والإمامة أصل. بلا ريب أن وجود أحزاب الطَّوائف يهيء إلى انقسامات حادة في المجتمع، وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالحكم وبالتَّنافس على سدته، مع الاعتراف بأنه ليس كلُّ الأحزاب؛ والجماعات الدّينية، على طول الخط، مارست الطَّائفية كحالة تعصب واستحواذ ضد الطَّائفة الأخرى.

بدأ النَّشاط الدّيني في السياسة العراقية كحالة دفاع عن الخلافة العثمانية، على أساس أنها ممثلة للإسلام في عصرها، وكممارسة جهاد في حالة غزو أو اعتداء. لذا يصعب اعتبار تلك الحركات ضمن الأحزاب الدّينية، أو ضربٌ من ضروب الإسلام السّياسي الساعي إلى قيام دولة دينية تحت مبدأ الحاكمية القرآنية أو

الإلهية، سواء كان ذلك متمثلاً بالآية: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[7]، أو الآية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[8]. بمعنى أن تلك الجماعات، وإن دعت إلى الرَّابطة الإسلامية العالمية والخلافة الإسلامية، إلَّا أنها لم تحدد هدفها بالدَّولة الدِّينية، كإيديولوجية شمولية أو كحاكمية، بقدر ما كانت محاولة منها للاحتفاظ بإرث الخلافة الإسلامية[9]، وإن كانت ذات طبع سُنَّي، وهو ما يتعارض مع الرأي الشِّيعي السَّائد باعتبارها خلافة مغتصبة لحق علي بن أبي طالب.

مثلَت هذا النَّمط مِن الحركات، مدينة النَّجف، بمشاركة المرجعية أو تبنيها لها مباشرة: (جمعية النهضة الإسلامية)، و(الجمعية الإسلامية) بالكاظمية التَّابعة لبغداد، وأخرى بكربلاء، وانتهى دور تلك الجمعيات بعد تمكن بريطانيا بالسَّيطرة على العراق، وظهور الحكم الوطني الملكي(1921). أما الجانب السُّنَّي الرَّسمي

---

7 سورة الأنعام، آية: 57، ويوسف، آية 40 و67.

8 سورة الشورى، آية: 38.

9 من المعلوم أن العثمانيين الأتراك ليسوا مِنْ قريش، فكيف تعامل المسلمون أو الفقهاء مع خلافتهم بينما الحديث النبوي يقول: (الأئمة من قريش)(النوبختي، فرق الشِّيعة، ص10. الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 8)؟ ولم يتسع لنا المجال للتحقق من المعلومة التالية، والتي أشارت إلى التبرير العثماني في امتلاك سدة الخلافة: (استولى السُّلطان العثماني سليم الأول على مصر في (1517)، وأجبر المتوكل أمريل حكيم (هكذا وردت) آخر خلفاء العباسيين الذي كان مقيماً هناك، على التَّنازل عن حقوقه بالخلافة، فأصبح سلاطين الإمبراطورية العثمانية منذ ذلك الوقت يحملون لقب خليفة). (آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ص 48 .85). حيث ظلت الخلافة العباسية قائمة بمصر شكلياً، في زمن صلاح الدِّين الأيوبي (ت 589 هـ 1193 ميلادية) وحتى الملك الظاهر بيبرس، الذي حاول استعادة العرش العباسي ببغداد، ممثلاً بأمير عباسي.

الذيكان ممثلاً بنقابة الأشراف ببغداد، فلم يعنه الأمر، بل امتثل لواقع الحال، معتبراً أن الاحتلال هو الاحتلال، عثمانياً كان أو بريطانياً، وكان نقيب الأشراف قد أصبح أول رئيس وزراء للعراق، وكانت البلاد تحت السَّيطرة البريطانية المباشرة، مع وجود نية في الحفاظ على وجه الحكومة السُّنَّي، قابله رفض شيعي قاده مجتهدون، وتمثل بثورة العشرين(حزيران 1920).

ولعلَّ أول نشاط سياسي عقائدي شيعي، نشد قيام دولة إسلامية، بدأ عبر جمعية مثلت الشَّباب المسلم لمنشئها عزَّ الدِّين الجزائري (ت 2006)، في مطلع الأربعينيات مِن القرن المنصرم. وهنا لا بد أن يُشار إلى الجزائري الذي هو نجل مُنشئ أول جمعية إسلامية بالنَّجف والعراق ككل، الشَّيخ محمد جواد الجزائري (ت 1959)، بأنه مؤسس الإسلام السِّياسي العراقي، وكان نشاطه بمعزل عن تنظيم الإخوان المسلمين، الذي كان تأثيره واضحاً على العديد من أحزاب ومنظمات الإسلام السِّياسي.

نشط تنظيم الجزائري عبر المجال الطُّلابي والتَّربوي، فمن جمعية (الشَّباب المسلم) ظهرت تنظيمات، وتمرست فيها شخصيات بالعمل الحزبي والعقائدي، وظل نشاطها قائماً، مِن دون استفزاز السُّلطات، حتى ترك صاحبها العراق إلى لبنان في مطلع السَّبعينيات، مِن القرن الماضي. وكان شعار تلك الجماعة (دولة إسلامية سعادة الدُّنيا ونعيم الآخرة). إضافة إلى ذلك فإن دور الشَّيخ الجزائري كان

تحريك المياه الراكدة في طرق التدريس في الحوزة الدِّينية بالنَّجف، فبادر إلى إنشاء مدرسة على نمط جديد لاقت قبول واعتراف الدَّولة العِراقية.

وإذا كانت منظمة (الشَّباب المسلم) هي بداية العمل العقائدي الإسلامي، ذي الهدف المنادي بمجتمع سعيد في الدُّنيا وسعيد في الآخرة، فإن الحزب (الجعفري)، الذي ظهر بداية عقد الخمسينيات، يُعدَّ المبادر للعمل الحزبي المنظم، وكانت النَّجف هي مكان غرسته الأولى، حيث كان عليه مواجهة ضغطين: الدَّولة كمواجهة سياسية، والتي تمنع العمل الحزبي القائم على الأساس الدِّيني مِن جانب، والمرجعية الدِّينية مِن الجانب الآخر، لأن الأخيرة ترى في العمل الحزبي تجاوزاً للتَّقاليد المرجعية الموروثة. وقد برزت مِن داخل هذا الحزب كوادر تحملت أعباء العمل التَّأسيسي والقيادي في حزب الدَّعوة الإسلامية، في ما بعد.

جرى اختلاف حول نشأة حزب (الدَّعوة)، فليس هناك مِن تعيين تاريخ مؤكد لنشأته. هناك مَنْ جعله في نهاية الخمسينيات (1957) ومَنْ اعتبره في السِّتينيات، بل إن هناك مَنْ أشار إلى ميلاد الحزب في مطلع السَّبعينيات مِن القرنِ الماضي. كذلك برز خلاف حول دور آية الله محمد باقر الصَّدر(أُعدم 1980) في نشأة وقيادة الحزب، الذي يظهر من خلال أدبيات الحزب ونشاطه، أنه هو المؤسس والملهم والقائد الفعلي، وهو حسب ما لدينا مِن المصادر صحيح في الكثير منه.

لكن، في كل الأحوال يصعب تجاوز تأثر ظهور الحزب (الجعفري)، ثم حزب الدَّعوة، بالنَّشاط الإسلامي الخارجي، وعلى وجه الخصوص جماعة الإخوان المسلمين بمصر، ثم ظهور حزب التَّحرير بالقدس وفرعه العراقي، وكان الأخير محاولة لإيجاد حزب إسلامي يجمع الطَّائفتين. بيد أنها كانت مجرد فترة قصيرة، وعاد كل حزبي إلى التَّنظيم الذي يمثل طائفته ويعبر عن منطقها التَّاريخي والعقائدي. ومن هذا المنظور، و بإزاء هذا التَّشابك المذهبي بالعراق، بدا أن شعار تحقيق (الدَّولة الإسلامية) كان صعباً إذا لم يكن ضرباً مِن الخيال.

ونحن نسرد قصص تأسيس ونشاط الإسلام السِّياسي العراقي، تجدر الإشارة إلى أن هناك أحزاباً مغلقة لأهل الأديان مِن غير المسلمين، وعلى وجه الخصوص المسيحية، لكنها لم تبدو أحزاباً دينيةً، بقدر ما هي أحزاب قومية أو إثنية، فليس في شعاراتها ما يشير إلى الدِّين، أو إلى قيام كيان ديني. وإذا بدرت دعوات مِن تلك الأحزاب إلى إقليم ذاتي، حيث وجود مَنْ تمثلهم مِن العراقيين، فإن ذلك لم يكن يعني تحقيق إقليم ديني أو تطبيق شريعة دينية على سكانه. وكذا الحال بالنِّسبة للأيزيديين، مع الإشارة إلى محاولة لشَّباب الصابئة المندائيين لتَّأسيس حزب لهم (2003). لكنهم لم ينجحوا، لقلة عدد المندائيين مِن جهة، ولاعتراض كهنة الدِّين وشيوخه، وهم القوة الرُّوحية في الطَّائفة.

لا تنظر المراجع الدِّينية مِن غير المسلمين، بشكل عام، إلى الأحزاب بعين الرِّضا، وهذا شأن المرجعيات الدِّينية التَّقليدية المسلمة أيضاً. فبالإضافة إلى الخشية مِن إضعاف دور تلك المرجعيات وتأثيرها في المجتع، وهذا شأن العديد من مراجع الشِّيعة أيضاً. تتوجس المرجعيات غير المسلمة من الاحتكاك السِّياسي وما يسببه مِن عصبيات ضد طوائفها.

من الأحزاب المغلقة للمسيحيين، والتي لم تُفهم على أنها أحزاب دينية: الحزب (الوطني الآشوري)، وحزب (بيت نهرين الديمقراطي)، و(اتحاد بيت نهرين الوطني)، والحركة (الدِّيمقراطية الآشورية). وللأيزيديين، من دون أن يكون ممثلاً للطائفة جميعاً: الحزب (الدِّيمقراطي الأيزيدي). أما محاولة الصَّابئة فكانت عبر حزب (التَّجمع الدِّيمقراطي المندائي)، الذي لم يرَ النُّور للأسباب المذكورة أعلاه. ولهذه الأسباب لم يحو كتابنا هذا سوى الأحزاب والمنظمات الدِّينية الإسلامية لغيرها.

قلنا اشتدت ظاهرة الإسلام السِّياسي العراقي بعد انتصار الثورة الإيرانية، التي لم يكن بينها وبين اندلاع الحرب بين الدَّولتين إلا سنة وبضعة شهور (شباط/فبراير - 1979 أيلول/سبتمبر 1980)، هذه الحرب خدمت الظاهرة الدِّينية، وجهزت عمليات التهجير الأحزاب الدِّينية بالكوادر والأتباع والمسلحين، التي طالت الشِّيعة على وجه الخصوص، وفي مقدمتهم طائفة الفيليين الكُرد.

فقد أُعلن عن تأسيس (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) في 17 تشرين الثاني (نوفمر)1982، في مؤتمر صحفي عقده النَّاطق الرسمي باسمه، السيَّد محمد باقر الحكيم الذي أصبح في ما بعد رئيساً لهذا المجلس، كما تشكلت (قوات بدر) ذراعه العسكرية بعد عام مِن تاريخ التَّأسيس، وهناك أعاد حزب (الدَّعوة الإسلامية) بناء نفسه، بعد تعرضه لخسائر فادحة في الهجمات الشَّرسة ضده، مِن إعدامات واعتقالات، وبعد ماحدث فيه من انشقاقات في قياداته وقواعده، حتى عاد إلى العراق (2003) فاقداً الكثير مِن أعضائه.

كذلك برزت في الوسط الشِّيعي السِّياسي شخصيات، مثل الشَّيخ محمد باقر النَّاصري، تحت نشاط (جماعة العلماء المجاهدين في العراق)، وكان له حضوره المستمر في حراك المعارضة منذ الثَّمانينيات مِن القرن الماضي، ونشط أيضاً السَّيد حسين هادي الصَّدر، بنشاط مؤسسة (المعهد الإسلامي في لندن)، وكان له دور في المعارضة الإسلامية العِراقية بإيران، وفي انبثاق المجلس الأعلى، ومن جانبه حاول تأسيس (البيت العراقي) (كانون الثَّاني/ يناير 2003) لكنه لم يتم. وكان السَّيد حسين مِن أشد الشَّخصيات المعارضة للحصار المفروض على العراق إثر غزو الكويت، وكتب على مدى سنوات (كلمة سياسة) في جريدته الشَّهرية (المنبر) بهذا الخصوص.

نشط أيضاً السَّيد عبد المجيد الخوئي(قتل 2003)، عبر مؤسسته (مؤسسة الإمام الخوئي) ومجلتها (النَّور) الشَّهرية،

وفتحت المؤسسة أبوابها للقاءات المعارضة العراقية، وأخيراً قَدم السَّيد عبد المجيد على تأسيس (المجلس الشِّيعي)، وذلك في نهاية العام 2002، كمجلس إسلامي شيعي أعلى بالعراق، على غرار المجلس الإسلامي الشّيعي اللبناني، لكنه لم يتم أيضاً.

بينما وقفت شخصيات، لها حضورها في العمل السِّياسي العراقي المعارض، لكن من خارج الحزبية، مثل السَّيد محمد بحر العلوم ضد مشروع (البيت الشِّيعي)، الذي عُقد بإيران (آذار 2003)، بحضور السَّيد محمد باقر الحكيم (اغتيل 2003)، وأبو بلال الأديب، الاسم الحزبي لعلي الأديب عضو المكتب السّياسي لحزب الدَّعوة الحالي، ورجل الأعمال أحمد عبد الهادي الجلبي، وكان توقيت تأسيس هذا البيت قُبيل سقوط النِّظام بأيام، وعُقد تحت شعار (الشِّيعة والمستقبل). وكان الاعتراض ضده من أجل قرار عراقي ومشروع وطني خارج المؤثر الإيراني[10].

كانت مؤسسة السَّيد بحر العلوم (أهل البيت) محط لقاء ونشاط المعارضة العراقية، اختصت بإحياء المناسبات الدِّينية، مع حضور الفعل المعارض فيها، وهي مِن أوائل المؤسسات التي تبنت المعارضة خارج العراق، وكان أحد أركانها السَّيد محمد مهدي الحكيم (اغتيل 1988)، وظلت مواظبة على إحياء ذكرى اغتياله كل عام

---

10 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 564.

في تظاهرة سياسة وأدبية. لم يأت الكتاب بتفاصيل أكثر عن دور هذه الشَّخصيات، وهي بلا شك ذات فعلٍ عريق في العمل المعارض بهوية إسلامية غير حزبية، لأن المخطط له هو الأحزاب والمنظمات والجماعات الدِّينية.

أما الحركة الكُردية الإسلامية العِراقية فهي الأخرى استفادت مِن الثَّورة الإيرانية، لكن مع الحذر مِن استغلالها طائفياً، وكثيراً ما وقعت وسط تجاذب إيران مِن جهة والحزبين الكُرديين العلمانيين، الديمقراطي والاتحاد، مِن جهة أخرى. وقد خرج من رحم هذه الحركة التَّيار السَّلفي الكُردي، ممثلاً بـ(أنصار الإسلام)، و(جند الإسلام). وهي بدأت بإطار صوفي وإخواني ذي صلة بالإخوان المسلمين العِراقيين وبسبب كثافة الوجود الصُّوفي بالمنطقة الكُردية مِن العِراق.

تشكلت جماعتا الأنصار والجند على غرار ظاهرة الأفغان العرب وحركة طالبان، بعد انخراطهما مع المجاهدين في المقاومة المسلحة داخل العراق عبر الموصل. أما بقية أحزاب الحركة الكُردية فقد انخرطت في الوضع السِّياسي، ومارست الانتخاب الديمقراطي بإقليم كوردستان والعراق كافة.

هناك حركات كان لها دور في تاريخ الإسلام السِّياسي العِراقي، إلا أنها توقفت عن النُّمو، وتحجمت إلى مستوى الشَّخصيات والكيانات المحدودة، ولم يكن لها نشاط ملحوظ خارج الإعلام، مثل: (الجماعة

الخالصية)، و(جماعة البغدادي)، ومنظمة (العمل الإسلامي) (الجماعة الشيرازية). كذلك وجدنا في (هيأة علماء المسلمين) طابعاً سياسياً، وتبنت هذه الجماعة نشاطاً عسكرياً أيضاً، بعد قبول رئيسها الشَّيخ حارث الضاري بتكليف إحدى الجماعات المسلحة في أن يكون مرشداً لها، وبهذا اقتربت مهامه مِن مهام الولي الفقيه، لكن بنسختها السُّنِّية الخالية مِن نيابة أو وكالة الإمام المعصوم، ولا يختلف نشاط الهيأة السِّياسي عن بقية الأحزاب، إلا أنها لم تعلن عن نفسها كحزب أو حركة، بقدر ما عبرت عن نفسها كمرجعية دينية سياسية.

لا تخفى صعوبة البحث في التَّيارات التي تشكلت، وظهرت مباشرة وبقوة بعد سقوط النظام، وما حاولته مِن ملء الفراغ الذي تركته أجهزة النِّظام السَّابق. فمَنْ يتابع التَّيار الصَّدري مثلاً، قبل السُّقوط وبعده، يجد سرعة الأحداث والانشطارات في داخله على مستوى القيادات أو المرجعيات. فإضافة إلى التَّيار الصَّدري المعروف ظهر، من التيار نفسه قبل أن يُعرف بهذا الاسم، حزب (الفضيلة)، الذي يقوى دوره بالجنوب، وبالبصرة على وجه التحديد.

وارتباطاً بالتَّيار الصَّدري ليس هناك أصعب مِن رصد تحرك جيش المهدي، وتعدد أصحاب القرار فيه، وتعبيره المسلح عن التَّيار ككلٍّ، وأوضح مثال على انفلاق وتشظي هذا الجيش ظهور ما يسمَّى بـ (عصائب أهل الحق)، والتي أبرزتها في الإعلام قضية الجنود البريطانيين المخطوفين مِن بناية وزارة المالية ببغداد، وما حصل مِن

مساومة مع هذه الجماعة عليهم. و يرتبط بهذا التَّيار، إضافة إلى جيش المهدي، ما نُعرفه بالحركة المهدوية أو المهديين، فأكثر أولئك تجدهم مِن حاضري دروس السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر (أُغتيل 1999)، أو المصلين وراءه في صلاة الجمعة بالكوفة، مع فك الارتباط بالتيار نفسه، حيث لا يوجد الآن ما يمكن أن يُطلق عليه بالتيار الأم، وخصوصاً بعد اغتيال الصَّدر نفسه.

إلا أن الأصعب مِن هذا، هو رصد الحركات الجهادية التي تعلن عن نفسها مقاومةً إسلاميةً مسلحةً، والتي لا يصح أن يُطلق على الغالب منها تسمية الحزب أو التنظيم، فهي عالم غامض ومتغير وسري للغاية، وتبدو المعلومات حوله متناقضة، وجماعاته سريعة التقلب بين شدِّ تنظيم القاعدة وترغيب الأمريكان. فما أن تتأسس جبهة إلا وتنقض نفسها في جبهة أخرى، لتعلن الجبهة المنشقة عن عمليات عسكرية مستقلة، تحذر من انتحالها ونسبتها للأولى!

تأتي عملية رصد التَّنظيمات السِّياسية الدِّينية بعد سقوط النظام أصعب كثيراً منها قبل السقوط؛ والسبب أن التنظيمات المعارضة كانت تتحرك خارج العراق بكل حرية، وذلك ضمن الظرف الدُّولي المضاد للنِّظام السَّابق. لذا كانت تعبر عن نفسها ببياناتها وعبر شخوصها وإعلامها علناً، مما وفرَّ المعلومات الكافية عن وجودها ونشاطها، ودراسة تاريخها وتسجيل يومياتها. أما بعد السُّقوط فيبدو الغموض والتبدل السَّريع، وربما الوجود الافتراضي لبعضها على الإنترنيت لا على أرض الواقع سمات لها.

إن نظرة عابرة إلى رايات التَّنظيمات، التي في السُّلطة والمقاومة على حد سواء، تجدها كأنها خرجت من قمقم التَّاريخ، بنشر راية الرَّسول ورايات الأئمة والخلفاء الرَّاشدين وصلاح الدِّين الأيوبي كبطل تحرير. فالأحزاب التي في السُّلطة، وإن كانت لا تعترف بخضوعها الكلي لهذا اللاهوت، إلا أنها عملت وتعمل عبر المرجعيات واستخدام الرُّموز الدِّينية بقوة في الانتخابات التي أوصلتها إلى السُّلطة، وهذا ما حقق لها الفوز الكاسح في الانتخابات الأولى، لكن الصُّورة قد تغيرت خلال انتخابات المحافظات (2008)، وينتظر تلك القوى في الانتخابات القادمة عدة مفاجآت. وبطبيعة الحال لا يعدُّ فوز حزب الدَّعوة جماعة المالكي، بالمحافظات، فوزاً لسبب ديني أو مذهبي بقدر ما كان طمعاً بتحقيق الشِّعار المدني (دولة القانون)، وهو اسم قائمة الجماعة المذكورة.

لا يجد الإسلام السِّياسي العراقي عموماً، بلا إقناع النَّاس عبر الرُّموز الدِّينية، مصداقية له، بعد الأداء الفاشل وهو في قمة السُّلطة، وفي المقاومة السِّرية أيضاً، حيث تكشفت الحال عن أرقام مذهلة مِن الفساد بالنسبة للسلطة، ومِن سفك الدِّماء بالنسبة لمَنْ في المقاومة. وتبينت السُّهولة في ركوب الموجة الدِّينية، وتحوُّل الولاءات بسرعة فائقة. بل إن الدِّيمقراطية عموماً تعرضت إلى انتكاسة بسبب ذلك الأداء، وظهر المائز بين الشِّعارات الدِّينية وحقيقة السِّلوك، بين التدين التَّقليدي المبني على الأمانة والخوف من الله واستلهام مثال

الإمام علي بن أبي طالب في خشونة العيش والرّفعة والنَّزاهة، والتدين السِّياسي المكشوف في نفاقه وخيانته للمال العام وفراقه لشّعاراته التي يأخذ بها المؤمنون من على المنبر الحسيني.

دعوني آتِ بمثلٍ حي عايشته مِن نموذج الإسلام السِّياسي وهو في ذروة تحولاته مِن الاعتدال إلى التَّشدد، ومِن التَّدين المعقول إلى الذَّوبان بالحزب الدِّيني والطَّاعة في استلهام توجيهاته. فالتَّرويض على ما يبدو، يبدأ بالتَّشديد على العبادة، والتَّطلع إلى سلطة الله، وحصر الحق في عقيدة الحزب، وهذه قاعدة تشمل الأحزاب الدّينية و سواها، لكن ما يزيده الحزب الدِّيني أن وصاياه هي وصايا الله في أوامره ونواهيه. كان ذلك الشَّاب، قبل الانتماء الدِّيني الحزبي، حزب الدَّعوة تحديداً، ملتزماً إلى حد كبير بالعدالة، وبالصدق، ولا أبالغ إذا قلت إنه لم تبدر منه كذبة أو ممارسة مؤذية ضد أحد، ماعدا شقاوة الصِّبا.

كان يستمع إلى قصة مقتل الإمام الحسين، وهي تُذاع بصوت القارئ الشجي عبد الزهراء الكعبي(ت 1974)، وفي الوقت نفسه يستمع لأغاني أم كلثوم، وأتذكر أنا ومجموعة مِن الأصدقاء تذوقنا تلك الأغاني مِن خلاله، وما زلت أستمع لأغنيته المفضلة (أغداً ألقاك) وكأنه إلى جانبي. وكان يحفظ عن ظهر قلب أغنية (يا بنفسج)، وهي من شعر مظفر النَّواب، الشَّاعر اليساري المعروف، ومن ألحان أبرز الملحنين العراقيين طالب القرغولي، وأداء صاحب الصوت الشَّجي

ياسر خضر النَّجفي، الذي قيل إنه صقله في المواكب الحسينية مِن قبل، وكان للأغنية وقع خاص في نفسه.

اطلعنا بفضله، قبل تدينه السِّياسي، على مكنونات فكرية وثقافية، ككتب سلامة موسى (ت 1957) وروايات عربية وعالمية، ودراسات في علم النَّفس، فكتاب (عقلي وعقلك) قرأته بتوجيهه. كان بشوش الوجه، يساعد الجميع مِن دون التوقف عند الالتزام الدِّيني لهذا أو ذاك، أو أن يسأل عن مذاهب النَّاس واختلافاتهم الدِّينية والمذهبية. نال صداقته شباب مِن مختلف المشارب: الكُتاب والشُّعراء والنَّاس العاديين. وأذكر أنه كان معجباً بتضحية الإمام الحسين ابن علي (قتل 61 هـ) وتشي جيفارا (اغتيل 1967) على حد سواء، وبقريبنا اليساري أمين الخيُّون (اغتيل 1972).

إلا أن الشَّاب المحب للجميع أخذ يتغير بسرعة، وبدأ بالانسحاب مِن حلقة الأصدقاء، فقد انقلبت صلاته الحميمة بهم إلى مناكدات، وبدأ يتقصد إغلاق الرَّاديو والتَّلفزيون عند بث موسيقى أو أغنية لأم كلثوم، وهو الذي جاءنا، في يوم شات، وكان ضابطاً في الانضباط العسكري (الشُّرطة العسكرية)، تاركاً خفارته ليخبرنا أنه الليلة ستذاع أغنية (أغداً ألقاك يا خوف فؤادي من غدِ) (كانون الثَّاني/يناير 1972)، ويعود على وجه السِّرعة إلى واجبه. وفي ذلك دلالة على اهتمامه بهذا الأمر. وهذا ما لا يجيزه الحزب الدِّيني، إذ عندما سُئل أحد زعامات الإسلام السِّياسي، في برنامج تلفزيزني عن

صورة المغني العراقي الشَّهير كاظم السَّاهر تلكأ بالإجابة وقال: أظنه يُغني! أي لا يهمني هذا. وأجاب أيضاً على سؤال حول صورة مؤسس الحزب الشُّيوعي العِراقي فهد يوسف سلمان يوسف (أُعدم 1949) بدا أنه لا يعرفه، معلقاً، بعد توضيح مقدم البرنامج عن صاحب الصُّورة، أن الماركسية انتهت، وكأنها ينتظر الفرصة لتبرير جهله بما حوله، أي أن الأمر لا يهمه أيضاً. وهذه الحالة تعبر عن ثقافة التَّقوقع، مع أن الاثنين، فهد والسَّاهر، كلٌّ في مجاله وزمنه، قد شغلا جمهور الشَّباب العِراقي.

أخذ ذلك الشَّاب بعد انتمائه الدِّيني، غير التَّقليدي، يتوجس مِن طعام أهله وأقربائه، ويسأل، وكأنهم انتسبوا إلى ديانة أخرى غير ديانته، يدقق في طريقة ذبح الدَّجاجة، ويحذر من الاجتماع بين نساء الأقارب ورجالهم، ويحاول منع المصافحة بين النِّساء والرِّجال مِن أولاد العمِّ، بينما المصافحة تراث عائلي عميق الجذور اتسم بالعفوية، لم يمنعه أشد شيوخهم شكيمةً، كما أخذ يطيل الاستماع إلى أناشيد دينية، وبكائيات بمناسبة أو بلا مناسبة.

اشترط هذا الإنسان على زوجته أن تتحجب بحجاب لم تألفه أمهات العباءات العراقيات من قبل؛ وقد تزوجها بعد علاقة حب قصيرة مِن دون النَّظر إليها، ولا أهله نظروا، إلى كونها سُنِّية وهو من الشِّيعة، حتى والده أعطى رأيه السِّلبي في الزَّواج، ذلك لأنه أراد لولده واحدة مِن بنات أعمامه، ممَنْ يمكن التَّعايش معهنَّ مِن دون

منغصات، حيث الفارق في مستوى الحياة بين الرِّيف القصي وبغداد المتمدنة، ولم يطرح والده حينها أو يسأل: أهي شيعية أم سُنِّية! مع أنها سُنِّية وتتحدر مِن النَّاحية الغربية، وهو الشِّيعي ويتحدر مِن الجنوبية. إلا أنه، بعد تدينه السِّياسي وانتمائه الحزبي الدَّعوي، سرعان ما أخذ يفكر في هذا الأمر! أخذ يفكر في القضية المذهبية برمتها، والتَّنصل عن سجاياه مِن بشاشة وسخاء، حيث ربط ذلك بالواجب الدِّيني. أتذكر قيام أصدقاء له بنقل أثاث بيته في عصرية رمضانية، وإذا به ينسل للإفطار مع جماعته المتدينين وتركهم ينتظرون، لأنه اعتقد أنهم ليسوا صائمين!

أخذ يسأل عن نوع الجلود التي يحتذيها ويتمنطق بها، فلما أُهْدِيَّ له حذاء سأل مِن أي جلد أي حيوان مدبوغ ، وأين ذُبح؟! ثم رفض استعماله! ولما حاول أهله شراء جهاز تلفاز، قال: (سأقطع المخصص)! وكان منتظماً بإرساله، ويدفع لخاله المعوز ما يساعده على العيش، لكنه قد لا يتأخر بقطع كلِّ شيء إذا شعر أن هناك خللاً في تدين الأهل أو الخال. وأخذ يكثر الخوض في صراعات تاريخية أكل عليها الزَّمن وشرب، وبات ينتظر انتصار الثورة الإيرانية كي تقوم دولة المهدي! وبالجملة تحول إلى كائن حزين سلبي بعد أن فارقه المرح والتَّفاؤل!

لكن، بالمقابل أرى شخصاً أصيل المعدن، لا يعرف الكذب، سيتراجع عن قناعاته بتلك الثَّورة وبالإسلام السِّياسي عامةً، لو علم أن

مئات العراقيين لم يلاقوا لقمة العيش بإيران، حيث انتظار تطبيق جزء مِن دولة المهدي، أو جزء من إنسانية دول الغرب مع الغرباء ناهيك عن المواطنين. بينما راحوا غرقى في السُّفن قبالة سواحل إندونيسيا! وأن سلوك الجمهورية الإسلامية جعل الإيرانيين ينظرون إلى رجل الدِّين مثلما كنَّا ننظر إلى رجل الأمن أيام دولة البعث! شأنه شأن اليساري أو القومي العقائدي، وقد أخذ منهما تأليه الشَّخصيات وتقديس كل مأخذ ثم يكتشفان أنهما صرفا الكثير خارج الزَّمن العراقي، بل حتى تجاوزا على الوجدان الإنساني.

لم استطع مواصلة ما حل بصاحبنا مِن تغيرات، وقد فسرتها وقتذاك على أنها شأن خاص به وحده! ولكن بعد التَّعامل مع ملتزمين في الأحزاب الإسلامية وجدت الأمر أكثر مِن أن يكون سلوكاً فردياً، بل وجدت مَنْ لا يحاذر مِن إحراج البشر عندما يشير إلى شخص على دين آخر بالنَّجاسة، وأن عليه إذا شاركه في اجتماع أو مناسبة ألا يقترب مِن الطَّعام ماعدا الخضار! وعليَّ القول: إنها السَّلفية الصَّارخة بين الجماعات الشِّيعية! وأراها غريبة على تقاليد الشِّيعة وتعايشهم التَّاريخي مع أهل الأديان الأُخر، وبما لا يتناسب مع تضحيات حزبه.

كان ذلك أحد الدَّوافع في محاولة التَّأريخ للإسلام السِّياسي العراقي عموماً، وهو لاهوت سياسي إسلامي بامتياز، مِن دون بحث الظَّاهرة اجتماعياً، فليس ذلك مِن لدَّني. أقول كم تبدو السياسة كاذبة إذا ما سألنا عن ثمن دماء المقتالين والمقتولين، وما بينها،

والمناصب والثروات التي أطبق عليها الإسلام السِّياسي، وهو ما زال يوظف تلك الدِّماء في طاحونة دعايته، أراهم مثل العمال الَّذين فجروا أخطر الثَّورات ليخرج أبناؤهم وأحفادهم بمعاولهم لإسقاطها، بعد الشُّعور بأنهم مجرد دعاية وهتاف وشعار! إنه لاهوت العقيدة في أوسع أسمائه وتعدداته.

فالسيطرة باسم الدِّين وآل محمد وأصحابه، ومَنْ يمثلهم من فقهاء ومراجع دين، مازالت قوية، فحتى يتنبه النَّاس إلى معاشهم، مقابل الخضوع الأعمى للمقدسات، يحتاجون إلى وعي وثقافة واقعيتين، لم يكن الدِّين الحقيقي والإيمان الصحيح بالله ضدهما بمكان، ففي ما سيأتي في الكتاب الكثير مِن علماء الدِّين الذين قدموا العدل على الإيمان، لأن الله عدل، ولا يعرف الظُّلم ولا الهيمنة باسم المقدس، وهو أكثر الظُّلم إيلاماً، حيث تُمارس الدُّكتاتورية الدِّينية باسمه.

فهذا حفيد أبي لهب بن عبد المطلب، الفضل بن العباس بن عُتبة بن أبي لهب، المعروف باللَّهبي(ت 95 هـ 713 ميلادية) يخاطب الخليفة عبد الملك بن مروان (ت 86 هـ 705 ميلادية)، عندما غاظه مدحه لخصم الخليفة، أبي محمد عليّ بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب(ت 117 هـ 735 ميلادية)، وكان يُلقب بالسَّجَّاد وبذي الثفنات[11] لنُسكه، وورعه، وكثرة سجوده. وما أعمق كشف الفضل

---

11 -ابن خِلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 2 ص 436.

للهيمنة باسم النَّبي، وأحفاده، في الأمس واليوم:

فإن يغضبك قولي في عليٍّ

وتمنع ما لدَيك من النَّوالِ

فإن محمداً منَّا وإنَّا

ذوو المجد المُقدَّم والفعالِ

بنا دان العبادُ لكم فأمسوا

يسوسهم الركيكُ من الرِّجال[12]

يصدر هذا الكتاب بجزأين: الأول باسم الإسلام السِّياسي الشِّيعي، والثَّاني باسم الإسلام السِّياسي السُّنِّي، ومع عدم رغبتنا في تكريس الانقسام الطَّائفي، حتى وإن كان عبر أجزاء كتاب، إلا أن واقع حال الإسلام السِّياسي بالعراق، على وجه الخصوص، لا يكون، مثلما سبقت الإشارة، إلا طائفياً، فإسلام واحد هو تعبير عن مسمى فحسب، وهي مفردة تحمل الكثير من الرِّياء، والحقيقة أنه لا بد للمسلم مِن مذهب يمارس إسلامه عبره، وهذا حال الأحزاب الدِّينية كافة.

والكتاب بجزأيه، رصد للإسلام السِّياسي العراقي على مدَى قرن مِن الزَّمن، وعبر عدة عهود مِن تاريخ الدَّولة العراقية، لا أعتبره كاملاً ومنجزاً للمهمة، لأنه يتصدى لظاهرة مستمرة الانشطار ومتبدلة

---

12 -الأنباري، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس، 1 ص 284. والمعنى في البيت الأخير واضح.

المواقف، وأول ما تواجه الباحث فيه هي شحة المصادر العدول، مع كثرة تناقضات روايات المؤلفين وأغراضهم الفئوية والحزبية، ومنهم شهود عيان، وما نجده مِن اضطراب في معلومات المواقع الإلكترونية، حيث تم اللجوء إليها حين خالجنا اليأس من المصدر الورقي أو الشَّفاهي في أمر قضية مِن القضايا!

إنها محاولة شعرت مِن البداية باضطرابها، حتى عزفت عن المواصلة في أحايين، وجمدت العمل لأتحول إلى عمل آخر أكثر انسجاماً ووضوحاً ومتعةً في البحث، إلا أنني أدعي قد وصلت إلى النِّهاية، بعد أن ألقيت دلْوي بين الدِّلاء، وليس لي إلا إتمام العمل، وأرجو الصَّفح عن تقصير لسهو أو إرباك.

إنه قلق بَرره أحد أبرز شيوخ الكتابة في الأعصر كافة، ابن بحر الجاحظ (ت 255 هـ 868 ميلادية) قائلاً: (ينبغي لمَنْ يكتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن النَّاس كلَّهم له أعداء، وكلَّهم عالم بالأمور، وكلَّهم متفرِّغ له، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غُفْلاً، ولا يرضى بالرأي الفطير، فإنَّ لابتداء الكتاب فتنة وعُجباً، فإذا سكنت الطبيعة، وهدأت الحركة، وتراجعت الأخلاط، وعادت النَّفس وافرة، أعاد النَّظر فيه، فيتوقَّف عند فصوله، توقُّف مَنْ يكون وزن طَمَعِه في السَّلامة أنقص من وزنه خوفه مِن العيب)[13].

---

13 الجاحظ، كتاب الحيوان 1 ص 60 - 61.

في الختام لابد مِن كلمات الشُّكر والامتنان لمَنْ أعانني برواية، أو مشورة، أو مصدر، أو معلومة، أو تأكيد رواية، أو سهّل لي طريق الوصول إليها، عند التَّحضير لهذا الكتاب، وهم الأخوة والأصحاب الأفاضل: الأكاديمي الدكتور إبراهيم العاتي، الباحث الشَّيخ أحمد الكاتب، المربي إبراهيم الأعسم، السَّيد جمال عيدان، السَّيد جعفر محمد باقر الصَّدر، السَّيد حازم السَّامرائي، السَّيد حيدر الحيدري، الأكاديمي الدُّكتور سعود المولى، النَّاشط في حقوق الإنسان الطَّبيب صاحب الحكيم، السِّياسي والصَّحافي عبد الرَّزاق الصَّافي، المربي عبد الهادي ثامر، الكاتب والسِّياسي عزيز قادر صمانجي، المجتهد السَّيد علي الأمين، الكاتب والنَّاشط في حقوق الإنسان غانم جواد، الكاتبة والإعلامية غفران يونس، الكاتب والوراق مازن لطيف، الاقتصادي محمود شكارة، الأكاديمي الدكتور محمد علي النَّاصري، الكاتب والصَّحافي مشاري الذايدي، النَّاشط الإسلامي الشَّيخ مشير مصطفى كلالي، والشَّيخ الخطيب منير الطَّريحي. هذا، والشُّكر موصول لمَنْ فاتني تسجيل الشُّكر له باسمه.

الفصل الأوّل

تمهيد تاريخي

تعدُّ ظاهرة الإسلام السِّياسي ظاهرة قديمة في تاريخ الإسلام، وعلى أرض العراق، فخلا دعوات الفقهاء أو مواقفهم من السُّلطة التي لا تحسب ضرباً من ضروب الفعل السِّياسي والحزبي، بقدر ما كانت موجهة لنصرة الحق والعدل بمفهومهما الدِّيني كوعظ أو احتجاج، هناك التنظيم السِّياسي أو المللي والنِّحلي، مثلما هو شأن الفِرق التي تفرعت عن الحرورية أو الشراة (الخوارج)، الذين ظهروا بعد التحكيم بصفين (37 هـ 657 ميلادية)، والفعل السِّياسي المبني على فكرة الإمامة، أو أصلها حسب ما هي أحد الأُصول عند الشِّيعة والمعتزلة، والأخيرة من ناحية أصل العدل.

وهناك الاختلاف في التحرك الشِّيعي، حسب رؤية هذا الفريق أو ذاك بالنسبة للإمامة، فللزيدية وللإسماعيلية، بشكل عام، رؤيتان مختلفتان عمَّا لدى الإمامية أو الجعفرية، وهدفتا إلى التحرك الثوري المسلح، لذا أكثر المقاتل التي واجهها الشِّيعة في العهد العباسي كانت من الفريقين المذكورين[14].

---

14 أنظر الأصفهاني، مقاتل الطالبيين.

أما الشِّيعة الإمامية فلا يخفى تحركها بالارتباط مع المرجعية الدِّينية، التي نأت عن ممارسة السياسة بفعلها الزَّيدي والإسماعيلي، ووجدت ما تعتزل به السُّلطة وتقنع به الأتباع، ألا وهو فكرة الانتظار، مع الإشارة إلى عدم شرعية أي سلطة دنيوية، حتى ظهور المهدي المنتظر. ويرقى تاريخ وجود المرجعية الدِّينية، المتمثلة بالحوزة العلمية، إلى أكثر من ألف عام، أي يمكن التأرخة لها، حسب معطيات الفكر الشِّيعي الإمامي، بوفاة آخر الأئمة الاثني عشر المعصومين لدَى الشِّيعة، ثم وفاة آخر سفراء المهدي المنتظر (326هـ 937 ميلادية أو 329 هـ 940 ميلادية)، حيث انتهت الغيبة الصغرى، وغاب الإمام غيبته الكبرى، وانتهى دور السفراء وبدأ دور المراجع الدِّينية، نواب الإمام.

لا يفهم من ذلك أن تلك السَّنة هي التَّاريخ المحدد لوجود المرجعية الدِّينية، إنما هناك تدرج في التَّأسيس، حتى حل العلماء محل الأئمة. هذا من غير الحركات المسلحة، التي اتخذت من أرض العراق مسرحاً للثورة ضد الأمويين ثم العباسيين. كل ذلك لا يصح تسميته بالفعل السِّياسي الدِّيني العراقي، لأنه حصل بإطار دولة إسلامية وليس دولة عراقية. والعراق كان إقليماً من أقاليمها، وإن كانت بغداد عاصمة الإمبراطورية العباسية لأكثر من خمسة قرون.

نعم، هناك نشاط سياسي واجتماعي شيعي عبر التَّاريخ، اتخذ من العراق منزلاً منذ مقدمات العهد الأموي، أي من يوم انفلاق المسلمين إلى عراقيين، وهم جيش الخلافة، بزعامة الإمام علي بن

أبي طالب (اغتيل 40 هـ 660 ميلادية) وشاميين، وهم جيش الإمارة، وراء معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ 679 ميلادية).

كانت معركة صفين (37 هـ 657 ميلادية) هي الفاصلة، حيث جرى التحكيم الذي أسفر عن انفلاق آخر في الصف الإسلامي، بظهور تكتل ثالث، وما اصطلح عليه، من قِبل الخصوم، بالخوارج. وبهذا ظل العراق متأثراً بالهوى العلوي، وليكن الشّيعي، على وجه التحديد. فمفردة (الشّيعة) رغم عموميتها إلا أنها أخذت تشير حصراً إلى جماعة أو حزب سياسي معين، وحتى قبل ظهور التمايز الفقهي بين السُّنَّة والشّيعة، وانفصال المسجد إلى مسجد شيعي وآخر سُنَّي، مثلما عليه الحال في الوقت الحاضر.

لكن، يصعب بمكان، اعتبار ذلك الهوى، أو النشاط المعارض أنه شيعي إمامي، بقدر ما كان نشاطاً شيعياً على العموم لا الخصوص، ثم تبلور في الحركة الزَّيدية[15]، والثورتين بزعامة محمد النفس الزَّكية[16]، فأخيه إبراهيم[17]، واللتين تُحسبان على الزَّيدية لا على

---

15 نسبة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل في مواجهة مع جيش الخلافة الأموية، أيام هشام بن عبد الملك، بظاهر الكوفة، السنة 122هـ.

16 محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يُعد من الزيدية. ثار ضد أبي جعفر المنصور بالمدينة، وبايعه أهلها، واتسعت ثورته حتى استولى على مكة واليمن، وقاتله الجيش العباسي بقيادة ولي العهد وعمّ المنصور عيسى بن موسى، وقتل السنة 145هـ(التنوخي، فرق الشّيعة، ص 59 الحاشية).

17 إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثار بعد أخيه محمد بالبصرة، وقيل اشترك المعتزلة بثورته، وقُتل السنة 145هـ 762 ميلادية، على يد عمّ أبي جعفر المنصور عيسى بن موسى، =

الاثني عشرية.

أما التيار الشّيعي الإمامي، أو الجعفري (نسبة إلى الإمام جعفر الصادق المتوفى 148هـ 765 ميلادية) فقد تجنب المواجهة أو الصدام مع السلطات، بعد واقعة كربلاء (61هـ 680 ميلادية). بل حاول التعايش والعمل تحت ظل المرجعيات الدّينية، وقد بان ذلك بوضوح بعد الغيبة الكبرى[18]. حيث الانفصال عن مذهب الدَّولة بشؤون العبادات والمعاملات، واتخذ التقليد رابطاً بين المرجعية والأتباع، وما يتعلق ذلك بالجانب الاقتصادي أو المالي من جباية الخُمس[19]، أو ما يُعرف بالحقوق الشرعية عموماً، وهذا ما وفَّر للمرجعية استقلالاً

=له ضريح يُعرف بضريح إبراهيم أحمر العينين، في منطقة الهاشمية قريباً من الحلة، منطقة الفرات الأوسط، مع أن مقتله كان بين البصرة والكوفة بباخمرى، ويُعتقد أن الضريح لرأسه، حيث أُتي به إلى أبي جعفر المنصور وهو بالهاشمية، العاصمة الأولى، قريباً من الكوفة، لبني العباس قبل الأنبار وبغداد (حرز الدّين، مَراقد المعارف 1 ص 26).

18 يعتقد الشّيعة الإمامية بغيبة صغرى غابها الإمام الثّاني عشر محمد المهدي بن الحسن العسكري (260 هـ)، دامت 69 عاماً، وأخرى كبرى بدأت العام 329هـ، والمستمرة حتى يومنا هذا.

19 ارتبط الخُمس بما ورد في الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأنفال، الآية: 41). ويعدُّ الخُمس في الفقه الشّيعي من العبادات، وهو عندهم يتعدى غنيمة الحرب، كما هو الحال في الفقه السُّنّي على العموم، إلى ملكية الذهب والفضة بما زاد عن نسبة معينة، وما يستخرج من البحر كاللؤلؤ، من غير الصيد، وما يبيعه المسلم إلى الذمي من أرض، الكنز وما وجد في جوف الأرض أو في الجدار من مسكوكات، المال الممتزج بالحرام من دون معرفة قدره وصاحبه، ما زاد مؤونة العام للشخص وعياله، وما يأتي عن طريق المكاسب، والأقسام الثلاثة الأولى هي من حصة الإمام المعصوم، والذي يمثله المرجع المُقلَد: سهم الله، سهم النبي، سهم ذي القربى، حسب ما ورد في الآية (راجع: السّيستاني، منهاج الصالحين 1 قسم العبادات، ص 387-414. القزويني، الشّيعة في عقائدهم وأحكامهم ص 142-144).

مالياً عن الدَّولة، تمكنت من خلاله الاستمرار والتأثير في أتباعها.

هذا، ولم تخل فترة السفارة للإمام المهدي المنتظر من الاضطراب والتنافر في داخلها، على الرغم من افتراض وجود الإمام الذي ترد إليه الصَّغيرة والكبيرة أثناء غيبته الصغرى، فقد أشارت قضية محمد بن علي الشَّلمغاني (أُعدم 322هـ 933 ميلادية) إلى صراعات داخل القيادة الروحية الشِّيعية الإمامية، وكانت الأقرب إلى عصر الأئمة. كان الشَّلمغاني من نواب سفير الإمام الثَّالث أبي القاسم حسين بن روح، وهو واحد من السفراء الأربعة[20] خلال الغيبة

---

20 السفراء الأربعة: -1 عثمان بن سعيد العمري الأسدي(ت 280هـ 893 ميلادية)، والمعروف بالسَّمان، نسبة إلى امتهان تجارة السَّمن، وهو أول مَنْ جُمعت لديه الأموال من الشِّيعة تحت عنوان حصة الإمام، وكانت تأتيه في ظروف السَّمن خشية من السُّلطة، ليوصلها بدوره إلى الإمام الغائب، وهناك مَنْ قرأ على ضريحه ببغداد قريباً من دجلة عبارة: (هذا قبر كناس (منظف) النبي). -2 أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري(ت 305هـ 917 ميلادية) المعروف بالشِّيخ الخلاني قبره بالجامع المعروف برصافة بغداد، على شارع الجمهورية، وقيل عُرف بالخلاني لمهنته في تجارة الخل، يكسب به، وقيل يتستر بها من عيون السُّلطة آنذاك. -3 أبو القاسم حسين بن رَوح النوبختي(ت 326هـ 937 ميلادية)، له ضريح يُزار ببغداد الرصافة، ويُنقل أنه طرد بواباً لديه بسبب شتم معاوية بن أبي سفيان، وقبل سفارته للغائب كان وكيلاً لدى السفير الثالث لسنوات طويلة. -4 أبو الحسن علي بن محمد السيمري(ت 329 هـ 939 ميلادية)، ضريحه ببغداد الرصافة، بسوق هرج المعروف، بمسجد القبلانية، ولعله الذي ورد اسمه وابنته في محاكمة الحلاج (راجع التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة 6، ص 81). هذا وبوفاة الأخير غاب الإمام المهدي غيبته الكبرى، يُنتظر ظهوره حتى هذه الساعة(راجع: حرز الدِّين، مراقد المعارف 2 ص 61، و1 ص 278 و ص 249 و375). وذكر محمد باقر المجلسي في (بحار الأنوار) عدد من السفراء، الملفقين، لدى الشِّيعة، منهم: محمد بن نصير النميري المنافس لعثمان بن سعيد العمري، ثم ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وقد نُعت النميري من قبل السفير الإمامي الثالث ابن روح بالغلو والتحايل بالمحرمات. وتكذيباً للنميري أطلق الشِّيعة على عثمان بن سعيد العمري، اسم الشِّيخ الموثوق به. والنميري أسس فرقة العلويين، واعتمد فكرة البابية بدلاً من الإمامية. لكن أشد المنافسين للإمام الثَّاني عشر كان عمَّه جعفر بن علي الهادي، الذي اتصل بالخليفة العباسي، وطلب الإمامة كخليفة لأخيه الحسن العسكري، وأعطى معلومات عن نساء أخيه وأمواله.

الصغرى المفترضة (260-328 أو 329هـ)، وقيل مقرباً من الوزير ابن الفرات في زمن المقتدر العباسي (قُتل 320 هـ 932 ميلادية)، وحاول الحصول على السفارة لنفسه[21].

بل وهناك مَنْ يحسب أبا المغيث الحسين بن منصور الحلاج (أُعدم 309هـ 921 ميلادية) على الشّيعة الإمامية، مدّعياً السفارة للإمام المهدي، ومنافساً للسفيرين الثّاني والثّالث. لكن، لا أحد يعلم هل أن السفير الرابع، وهو علي بن محمد السَّمُّري، أصبح رفيقاً للحلاج، وأن ابنة السَّمُّري شهدت ضده في المحكمة، التي أقيمت له زمن المقتدر بالله؟!

قال مَنْ كان أقرب إلى زمن الحدث، ألا هو القاضي أبو علي التنوخي (ت 384هـ 994 ميلادية): (كانت بنت السَّمُّري، صاحب الحلاج، قد دخلت إليه، وأقامت عنده في دار السلطان مدة (يوم كان الحلاج يطبب السَّيدة شغب أم المقتدر بالله)، وبُعث بها إلى حامد (الوزير)[22] ليسألها عمَّا وقفت عليه، وشاهدته في أحواله. فدخلت إلى حامد في يوم شاتٍ وبارد، وهذه المرأة بحضرته، وكانت حسنة العبارة، عذبة الألفاظ، مقبولة الصورة. فسألها عن أمره، فذكرت أن أباها السَّمُّري، حملها إليه، وأنها لما دخلت عليه وهب لها أشياء كثيرة، عددت أصنافها)[23].

---

21 راجع جواد علي، المهدي المنتظر عند الشّيعة الاثني عشرية، ص 147 وما بعدها.

22 الوزير حامد بن عباس (ت 311هـ 923 ميلادية)، وقيل مات مسموماً بمنفاه بواسط، بعد أن توزر للمقتدر بالله العباسي (قُتل 320هـ)، لمدة خمس سنوات(راجع الزركلي، الأعلام 2 ص 166).

23 التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة 6 ص 81.

كذلك أورد المؤرخ أحمد بن محمد مسكويه (ت 421هـ 1030 ميلادية) في أمر صلة الحلاج بالسَّمُّري: (وسعى قوم بالسَّمُّري وببعض الكُتاب، وبرجل هاشمي أنه نبي الحلاج، وأن الحلاج إله، عزَّ الله وتعالى عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً)[24].

تفيد الصلة بين الحلاج وهذا السَّمُّري، إذا ما ثبت أن الأخير هو علي بن محمد السَّمُّري سفير الإمام المهدي المنتظر الرابع نفسه، أن نشاطاً سياسياً شيعياً كان يعتمل في تلك الفترة، مع علمنا أن هناك دلائل عديدة تشير إلى صلة الحلاج نفسه بالقرامطة[25]. إلى جانب هذا، لم تكن القيادة الشِّيعية الروحية على خصومة دائمة مع الدَّولة العباسية، فلا أحد نفى وجود صلات بين المؤسستين. بل إن هناك عدداً من الخلفاء العباسيين اتخذوا التشيع مذهباً، أو مالوا إليه بشكل من الأشكال، مثل الخليفة عبد الله المأمون (ت 218هـ 833 ميلادية)[26]، وإسناده ولاية العهد إلى الإمام الشِّيعي الثامن علي بن موسى الرِّضا (ت 203هـ 918 ميلادية). وكان الخليفة النَّاصر لدين الله (ت 622هـ

---

24 مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم 5 ص 43.

25 راجع كتابنا (طروس من تاريخ الإسلام) فصل: (الحلاج وآخرون إباحة إطفاء جهنم) (ص 103) وما بعدها.

26 هناك أحداث عديدة تشير إلى قرب المأمون من التشيع، أو لنقل من العلويين، فإضافة إلى إسداء ولاية العهد للإمام الرضا، حاول إعلان سب معاوية بن أبي سفيان من على المنابر، مثلما كان يسب الأمويون علي بن أبي طالب من على أعواد المنابر، وأنه أراد تشريع زواج المتعة، أو المنقطع، مثلما يشرعه المذهب الشِّيعي الإمامي (راجع: الطبري، تاريخ الأمم والملوك 9 ص 630. ابن طيفور، كتاب بغداد، ص 54. وأبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، السنة 242هـ، وفاة ابن أكثم).

1225 ميلادية) (يرى رأي الإمامية)[27]. وهناك مِنْ الشّيعة مَنْ تبوأ منصب الوزارة مثل آل الفرات[28]، وابن العلقمي، آخر وزير عباسي (ت 656هـ 1258 ميلادية) وغيرهم. وظهر بين المغول حاكم شيعي، هو السلطان أولجياتو (ت716هـ 1316 ميلادية)، بعد إسلامه على المذهب الحنفي مع بقية المغول.

حدث ذلك إثر ما كان من ملاسنات ومشاجرات في بلاط السلطان بين أئمة الشافعية والحنفية[29]. فلقبه الشّيعة بخدابنده، أي

---

27 ابن طقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص 322.

28 آل الفرات: أسرة وزراء وكُتاب ينحدرون من سواد العراق، أبرزهم الوزير أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفُرات (قُتل 312هـ924 ميلادية)، توزر للمقتدر ثلاث مرات، وبعد كل وزارة يتعرض إلى نكبة ثم يعاد إلى الوزارة حتى قُتل هو وولده المُحسن، المطلق اليد في التصرف حتى كان له أن قتل الوزير حامد بن العباس(311هـ 923 ميلادية). وابن الفرات هو صاحب مبادرة المصالحة مع الذين تآمروا ضد المقتدر بالله العباسي، بعد انقلاب ابن عمّه الأمير الشاعر عبد الله بن المعتز (ت 296هـ 908 ميلادية). وكان أخوه أحمد بن محمد بن الفُرات كاتباً من أكتب أهل زمانه (ت 291هـ). ولما رفض أخوه الآخر أبو الخطاب جعفر بن محمد بن الفُرات تقليد الوزارة تقلدها ابن الأخير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفُرات (ت 327هـ) وعُرف أيضاً بابن حنزابة، أمه الجارية الرومية، واستوزر الأخير لعدد من الخلفاء ثم تولى الشام في زمن الراضي بدين الله. وتولى ابنه أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفُرات (ت 391هـ) الوزارة للأخشيديين مدة إمارة كافور بمصر، وفيه قال المتنبي:

وماذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطيٌّ من أهل السواد
يُدرِّس أنساب أهل الفلا

(راجع: ابن خِلّكان، وفيات الأعيان 1 ص 307 ترجمة: 130 و 3 ص -97 105 ترجمة: 460).

29 وجدَ ملوك المغول أنفسهم وسط بحر مسلم. فسمعوا نصيحة الوعاظ المسلمين أن يشهروا إسلامهم، وهم كانوا يمزجون بين البوذية والميل إلى المسيحية. وقد حصل ذلك على درجات: سمى سلطان المغول الثالث، بعد سقوط بغداد، نفسه أحمد، ليصبح أحمد تكودار خان (ت 683هـ 1284 ميلادية)، ابن هولاكو السابع. وقد اختلف المؤرخون في أمر استبدال اسمه، هل إنه أسلم خفيةً، أم إنه مجرد اسم! وقيل: كان=

المعفو عنه، بينما نعتته السُّنَّة بخَرْبنده أي ما معناه سايس الحمار[30].
وكان للمرجع الشِّيعي العلامة الحلي جمال الدِّين الحسن بن يوسف ابن مطهر (ت727هـ 1325 ميلادية) دور في هذا التحول، وهو مصنف كتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة). واعتقد شيخ الإسلام تقي الدِّين المعروف بابن تيمية (ت 728هـ 1327 ميلادية): (صنفه للملك المعروف الذي اسمه خدابنده(ويقصد الجياتو))[31] إلى جانب ذلك

(مايلاً إلى الإسلام، وقيل كان مسلماً) (الغياث، التَّاريخ الغياثي، ص 45). ولم يعلن المغول إسلامهم، بالعراق وإيران، إلا بإسلام السلطان الخامس غازان بن أرغون بن آباقا بن هولاكو (ت 703هـ 1303 ميلادية)، وأشهر إسلامه على المذهب الشافعي (694هـ 1294 ميلادية)، وسمى نفسه محموداً. ولـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد، آية: 11) نقل غازان تشدده في ديانته البوذية (جامع التواريخ) إلى إسلامه، فأظهر التعصب ضد كل الأديان والمذاهب. قال مؤرخ المغول وطبيبهم: (وسبب غلوه في تلك العقيدة (البوذية) أقام معابد عالية للأصنام في خبوشان بخراسان (وبعد إسلامه) نفذ حكم المرسوم، الذي يقضي بتخريب كل معابد البوذيين، ودور الأصنام والكنائس، والبيع في دار المُلك تبريز وبغداد وسائر بلاد الإسلام) (الهمداني، جامع التواريخ، تاريخ غازان، ص 122 و127). إلا أن مناظرةً، تحولت إلى ملاسَنة، بين الشافعية والحنفية في بلاط أخيه وخليفته محمد ألجياتو خدابنده (ت 716 هـ). أغضبت السلطان، ودعت قائد الجيش إلى القول: (ما الذي دهانا حتى تركنا دين آبائنا وأجدادنا وطرحنا قانون جنكيزخان لنعتنق دين المسلمين، الذين ينقسمون عدة أقسام، تكون سبباً في احتدام الخلاف بين علمائهم، وقد يصل ذلك الخلاف إلى درجة لا يتورع معها كبراؤهم عن تناول كل فاحشة ومهاترة. فخير لنا أن نعود إلى دين أسلافنا، وإحياء ياساق جنكيز) (الصياد، الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص 369). وبعد حَيرة في اختيار المذهب تشيع ألجياتو، وأعلن الأذان بـ(حي على خير العمل). ولمؤرخي الشِّيعة قصتهم في تشيع ألجايتو تتعلق بأمر طلاق زوجته وعودته إليها من دون محلل (التنكابني، قصص العلماء، ص 379).

30 الأمين، المغول بين الوثنية والنَّصرانية والإسلام، ص 343. تعني خَرْبندة حارس الحمير، وتطلق على خواص الخدم، ويسمون اليوم باللغة الدارجة بالمجارية، وعُرفت محلة من محلات الكرادة الشرقية بَخَربندة، قد يكون لوجود اصطبلات الحمير قديماً فيها (البزركان، معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة، ص 69)

31 ابن تيمية، منهاج السُّنَّة النَّبوية1 ص 3. وكان كتاب ابن تيمية رداً على كتاب العلامة الحلي المذكور أعلاه، والذي نعته بـ (منهاج الندامة). وجاء في مستهل الكتاب: (فإنه أحضر إليَّ طائفة من أهل السُّنَّة=

هناك حركات شيعية سياسية عديدة لم تكن منسجمة مع القيادة أو المرجعية الشِّيعية الروحية، بل مخالفة لها ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، حركة المشعشعين في القرن التاسع الهجري، التي اتسعت من الأهواز إلى واسط وبغداد والنَّجف، وقد ادعى المشعشع بأنه المهدي الموعود[32].

ومن المعلوم، أنه كان للشيعة تجاذب وصلات مع الدَّولة في أكثر من عصر، إلا أنهم بشكل عام صُنفوا من المعارضة، سواء كان الأمر سياسياً أم فقهياً. فقضية الإمامة ظلت هي الحد الفاصل بين هذا المذهب والمذاهب السُنَّية. وإذا كان الوزير شيعياً أو مالَ الخليفة إلى التشيع فلا يعني هذا تبدل مذهب الدَّولة بالتشيُّع، والسبب أن ذلك يمس وجود الدَّولة العباسية من الأساس، وبالتالي يمس الخليفة نفسه.

ولا ندري، إذا ما كان الخليفة العباسي السابع عبد الله المأمون(ت 218 هـ 833 ميلادية) أراد بإسناد ولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا انقلاباً جذرياً في الخلافة، ونقلها إلى العلويين، وبالتالي التخلي عمَّا سَنَّه معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ 679 ميلادية) بتوريث المُلك! أو لهذا التصرف صلة بصراعه مع أخيه

=والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا منفقاً لهذه البضاعة، يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية مَنْ أمكنه دعوته من ولاة الأمور وغيرهم أهل الجاهلية (يقصد المغول) ممَنْ قلت معرفتهم بالعلم والدِّين، ولم يعرفوا أصل دين المسلمين) (المصدر نفسه).

32 راجع العزاوي، العراق بين احتلالين 3 ص 107 وما بعدها.

محمد الأمين وبقية العباسيين، الذَّين خلعوه وهو لا زال بخراسان، بعد قتل الأمين (198هـ 813 ميلادية)، ليبايعوا مكانه عمَّه إبراهيم بن المهدي (ت 224هـ 838 ميلادية) المشهور بالموسيقى والغناء، ولم يُعدَّ ضمن سلسلة الخلفاء العباسيين السبعة والثلاثين، أولهم أبو العباس السفاح (ت 136 هـ 753 ميلادية) وخاتمهم عبد الله المستعصم(قتل 656 هـ 1258 ميلادية)!

إلا أنه يصعب التوقع، في ما لو تم لعبد الله المأمون ما نوى عليه، هل سيتغير الأمر تماماً، وتتبدل مفاهيم التشيع كمذهب وعقيدة سياسية وفقهية؟! وهل تبقى فكرة المهدوية لدى الشّيعة مثلما هي عليه الآن، وأن تحصر الإمامة في اثني عشر إماماً؟! وهل سيؤثر ذلك الانقلاب في فكرة حصر المعصومية بأربعة عشر، بإضافة النبي محمد وفاطمة الزهراء للاثني عشر من أولادها وعلي بن أبي طالب؟! وهل سيقف الشّيعة عند ذلك الحدث، وتُنسى أم تتخذ أسلوباً آخر، ومنطقاً آخر مفارقاً لما هي عليه الآن، ولا تظهر ولاية فقيه ولا ولاية عامة ولا خاصة؟! أو هل سيظهر مَنْ يثور ضد الخلفاء الأئمة، وحينها سيكون هناك شيعة من نوع آخر؟!

فالمصادر الشّيعية نفسها تتحدث عن حسد قاد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (ت نحو 198 هـ 813 ميلادية) إلى وغر قلب هارون الرشيد (193 هـ 808 ميلادية) ضد عمّه الإمام موسى بن جعفر الكاظم(ت 183 هـ 799 ميلادية) وقد طلب من الأخير الإذن

له بالخروج من المدينة إلى العراق، ولما وصلها دخل على الخليفة، يحرضه ضد عمّه. قال له: (يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض، موسى بن جعفر بالمدينة يجبى له الخراج، وأنت بالعراق يجبى لك الخراج...)[33].

أما الرواية حسب أبي الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ 966 ميلادية) فإن ابن إسماعيل بن جعفر الصادق، ابن أخي موسى بن جعفر، اسمه علي لا محمد، وإنه أخبر الرشيد ضد عمه بدفع من يحيى بن خالد البرمكي (190 هـ 805 ميلادية)، وخرج من المدينة وأُدخل على الخليفة وأخبره: (إن الأموال تحمل إليه (موسى) من المشرق والمغرب، وأن له بيوت أموال، وأنه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسماها اليسيرة...) (مقاتل الطالبيين، ص 44 415-). وقصة اعتقال الإمام الكاظم ووفاته بالسجن مشهورة.

كذلك تكرر الحال مع جعفر بن علي الهادي(ت 271 هـ 884 ميلادية) عندما اتُّهم بالعمل ضد أخيه الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري، لتكون الإمامة له بدلاً من ابن أخيه المهدي المنتظر، وقد عُرف في الكتب الشّيعية بالكذاب، ومالت إليه جماعة، بعد وفاة أبيه وحياة أخيه العسكري، وقالوا: (أوصى إليه أبوه بعد مضي محمد[34]،

---

33 النوبختي، فرق الشّيعة، ص 68 حاشية المحقق: السَّيد محمد صادق بحر العلوم عن رجال الكشي.

34 يعرف بالسَّيد محمد البعاج، أبو جعفر بن علي الهادي(ت نحو 252 هـ 866 ميلادية)، توفي في حياة أبيه، له ضريح مشهور بضواحي مدينة بلد التابعة للدُّجَيل(حرز الدّين، مراقد المعارف 2 ص 262 وما بعدها).

وأوجب إمامته، وأظهر أمره وأنكروا إمامة محمد أخيه)[35].

ما تقدم كان فاتحة الحديث عن اللاهوت الشِّيعي العراقي، الأحزاب والجماعات السِّياسية المعاصرة، المبكرة منها والمتأخرة، وما فيها من إشكاليات مع المرجعية التَّقليدية، حيث الزعامة الشِّيعية التي تحولت بعد وفاة السفير الرابع، أو إعلان الغيبة الكبرى، مثلما تقدم، إلى المرجع المجتهد العادل الأعلم، صاحب أوسع مساحة من المُقلِّدين.

35 النوبختي، فرق الشِّيعة 95 راجع حاشية المحقق أيضاً.

الفصل الثّاني

دور المرجعية الشِّيعية المعاصر

لم يظهر داخل العراق العثماني أي نشاط شيعي سياسي، عبر أحزاب وتنظيمات سياسية إسلامية. ويصعب عدَّ ظهور الشَّيخية، أتباع الشَّيخ أحمد الإحسائي (ت 1826)، التي ظهرت من داخلها البابية ثم البهائية، من تلك التنظيمات، لأنها ليست موجهة بالأساس سياسياً، وضد الدَّولة بل كانت ضمن الحركات داخل المذهب، أي دينية وعقائدية، وهي لا تختلف بمقالات عن الشِّيعة الإمامية، إنما هو اختلاف بين الفقهاء في آراء، لم يتحملها الآخرون من العلماء فاتخذوا مواقف إبعاد الشَّيخ وجماعته. ثم شذَّ البابيون. ومن بعدُ البهائيون بعقيدتهم. كذلك يصعب اعتبار عصيان كربلاء (1842) عملاً سياسياً شيعياً منظماً، في بداية وزارة نجيب باشا على العراق، وكانت الحوادث فيها مستمرة منذ عهد وزير العراق المملوكي داوود باشا (ت1851)[36].

---

36 في أمر هذه الواقعة راجع عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين 7 ص 64 وما بعدها.

لذا يمكن اعتبار بداية النَّشاط السّياسي والتَّنظيمي الحزبي منذ عهد الاحتلال الإنكليزي، بدافع مقارعة المحتل. ومما لا ينكر أن السُّلطة العثمانية لم تستمر عنفية، من الناحية الطَّائفية، خلا ما واجهت به الصَّفويين، وما استحصله السلطان سليم الأول (ت 1520) من فتوى تجيز له قتل الشّيعة. جاء في الخبر: (ثم وضع خطة للقضاء على جميع الشّيعة الساكنين في داخل حدوده)[37]. وكان لقب هذا السلطان (ياوز) (ومعناها الصارم الذي لا يعرف اللين)[38].

كان سلاطين آل عثمان وولاتهم على عداء عميق مع الملوك الصَّفوية، وهذا سبب كافٍ لاعتبار الشّيعة أتباعاً لخصومهم أثناء المواجهات، إلا أنهم كانوا يقدرون المراقد الشّيعية ولا يعبثون بها عند اجتياحاتهم لبغداد، مثلما عبث الصَّفويون بالأمكنة السُّنّية ذات المراقد والأضرحة. يفهم ذلك ضمن الاعتراف السُّنّي بمكانة البيت العلوي، مع عدم الإجبار على التحول من التشيع إلى التَّسنّن مثلما حدث في الدَّولة الصَّفوية، وذلك لتأسيس حكم شيعي مقابل الحكم السُّنّي العثماني. لكنهم سنّوا سُنَّة طائفية في وظائف الدَّولة وخدماتها، ضمن التوجس من الشّيعة.

على سبيل المثال، في الوقت الذي لا تجد فيه موظفاً شيعياً في منطقة سُنّية تجد كثرة من الموظفين السُّنّيين بالنَّجف، ولهم أحد

37 الوردي، لمحات اجتماعية 1 ص 45. عن الحصري، البلاد العربية والدَّولة العثمانية، ص 40.

38 الوردي، المصدر نفسه.

المساجد الرئيسية والتَّاريخية مثل مسجد الحيدري أو الحيدرية، وأن يتولى خطيبه القضاء الشرعي للموظفين، وهو القاضي محمد أفندي بن محسن أفندي بن مصطفى أفندي (ت 1902). (عُين خطيباً ومدرساً وإماماً في جامع الحيدرية بالنَّجف الأشرف، وكثيراً ما كان يتولى القضاء الشرعي هناك بصورة الوكالة، وكثيراً ما كان يتنكب طريق التوظيف في الحكومة... دفن في مشهد حافل في مقبرة الشَّيخ معروف الكرخي)[39]. ومعلوم أن المقبرة تقع بالكرخ من بغداد، وهي خاصة بأهل السُّنَّة.

إن صح ذلك فهو إشارة واضحة إلى أن المناطق المغلقة للشِّيعة، مثل النَّجف وكربلاء، تدار بموظفين سُنِّيين على مذهب الدَّولة، ولإهمال تعليم أبناء هذه الطَّائفة، دور في ذلك التمييز، وهو قد يكون أتى من الجهتين، العثمانيون وعدم اهتمامهم بالتَّعليم بالمناطق الشِّيعية، والشِّيعة ومقاطعة شبة مزمنة آنذاك لمؤسسات الدَّولة التعليمة وغيرها. عموماً، وبعد توفر المتعلمين من أهل تلك المناطق أخذ عدد الموظفين الوافدين من أهل السُّنَّة يقلُّ مقابل زيادة عدد الموظفين من أهالي تلك المنطقة، ولهذا انتفت الحاجة إلى ذلك المسجد وتحول إلى مسجد شيعي[40].

---

39 آل السهروردي، لُب الألباب 2 ص 453-454.

40 جاء في (ماضي النَّجف وحاضرها): (من المساجد العامرة، كان في زمن الحكومة التركية، يُقيم فيه الجماعة بعض أعلام السُّنَّة من موظفي الحكومة المذكورة، وبعد ذهاب حكومة الترك خُرب وسُّد بابه، ثم عهد الحكومة الحاضرة العربية عُمر على نفقة الأوقاف، وبقي معطلاً مسدوداً لا ينتفع به أحد إلى سنة=

ولا أدري، إذا ما كان بشأن هذا المسجد، أو مسجد سُنّي آخر أُنشئ زمن صدام حسين، قَدم، بعد 2003، إلى النّجف جماعة من علماء السُّنَّة، فزاروا أولاً آية الله محمد باقر الحكيم، قبل اغتياله بفترة وجيزة، وطرحوا عليه أمر هذا المسجد، ليكون للقادمين من السُّنَّة فوعدهم خيراً ورحب بهم، لكنهم عندما ذهبوا إلى آية الله محمد سعيد الحكيم، أحد المراجع الأربعة الحاليين، رفض ذلك بعصبية[41].

هذا، ولم تنس منقبة وجيه شيعي، وهو سادن ضريح الإمام الحسين بكربلاء، تجاه مواطنيه السُّنَّة، لما حفظ أرواحهم عند دخول عباس شاه الصَّفوي (ت 1629)، المعروف بعباس الأول، بغداد وقرر إبادة سُنَّتها عن بكرة أبيهم. جاء في حوادث السَّنة (1639) ذكر مقتل هذا السَّادن، المعروف بالسيَّد دراج ونقيب سادات بغداد، التي عابها المؤرخون، السُّنَّة قبل الشّيعة، على والي بغداد العثماني درويش محمد باشا (عُزل عن ولاية بغداد 1642)، كونه تناسى ذلك الفعل العظيم.

(سادن حضرة الإمام الحسين (رض)، وكان من الأعيان المشهورين، وهو صاحب قوة ومكنة، فلما استولى شاه العجم (الشَّاه عباس) على بغداد أحسن الظن به، واعتقد فيه الاعتقاد الجميل،

= 1350 (1931 ميلادية) فُتح بابه بأمر القائمقام جعفر حمندي، وأقام فيه الجماعة بعض أعلام الشّيعة. وهو اليوم حافل بالمصلين، موقعه مقابل باب السور الصَّغير، الذي يخرج منه إلى كربلاء) (محبوبة، ماضي النَّجف وحاضرها 1 ص 107).

41 أخبرني بهذا أحد الشيوخ الموفدين، في لقاء خاص معه، ولم أستأذنه بذكر اسمه.

فرعاه وأكرمه، فكان في مقام الخدمة. يفكر في العواقب فلم يغفل أمر العثمانيين. وكان في ذلك الحين أراد الشاه أن يقتل أهل السُّنَّة قتلاً عاماً، فتوسط السَّيد دراج فقال له سأختار محبي آل علي، وما عداهم فأقتلهم، وبهذه الوسيلة أنقذ خلقاً كثيراً من القتل)[42].

ولعباس العزاوي رأي معتدل، وصحيح في أمر توظيف الدِّين والمذهبين من قبل الدولتين، وهو سُنِّي المذهب. قال: (العراق ابتلي ببلاء عظيم بين ناري حكومتين تتنازعان السُّلطة. هذا مع العلم بأن العثمانيين راعوا عين الطريقة في القتل والطعن بنسل هؤلاء، أو الفتوى بقتلهم، أو حرق موتاهم بعد نبش قبورهم، ماعدا صفي (كان صوفياً سُنِّياً وهو جد السلاطين الصَّفويين)، وما ماثل من الفظائع. فلا يُعذر هؤلاء أيضاً سواء كان بطريقة المقابلة بالمثل أو ابتداء. إلا أن هؤلاء (العثمانيون) كانوا أوسع صدراً من غيرهم في الحرية المذهبية، وأكثر تساهلاً)[43].

وأردف العزاوي قائلاً في الحدث المذكور: (هذا العمل المشكور كله لم يمنع الوالي من الوقيعة به (السَّيد دراج) بعلة أنه كان شيعياً معروفاً بتشيعه، فلم يتحمل شهرته ومكانته، فاتخذ ذلك وسيلة للقضاء عليه (قتله)، واستولى على أمواله الوافرة، في حين يدّعي أنه درويش، فلم تردعه هذه الخدمة النبيلة، ولا المكانة المقبولة. أراد هذا الوالي أن يستقل بنفوذ العراق وحده، أن تكون بغداد والأنحاء العراقية خالصة

---

42 العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين 4 ص 240 241-.

43 المصدر نفسه 3 ص 344.

للدولة العثمانية)[44]. ومع ذلك وُصف هذا الوالي بأنه كان (ذكياً وعادلاً غير أنه لم يكن يعرف العفو والرأفة)[45].

سنقدم ملخصاً للقضايا التي تدخلت فيها المرجعية الدِّينية بشكل مباشر، على مدى تاريخنا المعاصر، وهي: قضية الدُّستور (1906)، وما حصل إبان ثورة النَّجف(1918) وثورة العشرين (1920)، ثم اضطرابات 1934، ثم حركة رشيد عالي الكَيلاني (1941). وبعدها سنأتي وباختصار على أبرز مرجعية في التدخل السِّياسي، أو الاضطرار إلى ذلك بفعل الظروف السِّياسية المحيطة، وهي مرجعية آية الله السَّيد علي السِّيستاني (2003 وما بعدها) بعد مرجعية آية الله السَّيد محسن الحكيم (ت 1970)، وقد أتينا على زيادة في تفاصيل مثول الأخير في الشأن السِّياسي ضمن الحديث عن حزب (الدَّعوة الإسلامية)، و(المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق)، ومرجعية آل الخالصي، التي تبسطنا حولها في الفصل الخاص بها.

الحركة الدُّستورية

كانت أول حركة سياسية معاصرة، دخلت فيها المرجعية الدِّينية الشِّيعية، هي الحركة الدُّستورية (1906)[46]، أو ما عُرف

---

44 المصدر نفسه 4 ص 241.

45 علي، تاريخ العراق في العهد العثماني، ص 85 عن ريجاردكوك، بغداد مدينة السَّلام 2 ص 51.

46 كنا فصلنا في كتابنا المشروطة والمستبدة انبعاث هذه الحركة وتاريخها ورموزها، وما آلت إليه من نجاح وفشل، الصادر بمناسبة مرور مئة عام على الحركة(2006) عن مركز الدراسات الاستراتيجية،=

بالمشروطة والمستبدة. حينها انقسمت المرجعية إلى فريقين بالنَّجف، بعد أن انتقلت إليها الحركة من إيران حيث المطالبة بحكم دستوري، وكان جماعة المستبدة بزعامة المرجع الأكبر محمد كاظم اليزدي (ت 1919)، والمشروطة بزعامة المرجع الملا كاظم الخراساني (ت 1911)، والاثنان مقيمان بالنَّجف.

يرى الفريق الأول: إن مع الدُّستور، أو الحياة البرلمانية، ينفرط النظام وتحل الفوضى، وربما رأوا أنها تتعارض مع إمامة المهدي المنتظر، وتخل بفكرة انتظاره، لذا سُمّوا بالمستبدين، أو المستبدة، لإيمانهم بالحكم المطلق مع مراعاة العدل، أي العادل المستبد، فالفكرة هي أن الحكم يبقى مغتصباً بغياب الإمام المهدي، مهما كان الإمام أو الخليفة أو الملك من العدل والإحسان، فالدَّولة المرجوة هي دولة صاحب الزمان. بينما يرى الفريق الثَّاني: أن حكم الاستبداد غير عادل، ولا بد من دستور يتقيد به الحاكم، ولا مندوحة من إلحاق أمة المسلمين بركب الأمم المتحضرة، التي اتخذت الحياة البرلمانية طريقاً أو أسلوباً في إدارة الدَّولة.

كان ذلك مع عدم إلغاء انتظار الإمام المهدي، من قِبل أصحاب المشروطة، الذي بخروجه، المرتقب والمؤمل، سيقيم العدل والقِسط على الأرض جمعاء. انتصرت المشروطة بإيران وأُعلن الدستور، ومن بعد انتصر طالبو المشروطة باستانبول، وأعلنت الدَّولة العثمانية الدُّستور.

= بيروت من العام نفسه.

إلا أن علماء دين عديدين، من قيادة الحركة الدستورية، تراجعوا، في ما بعد، عن تبني الحياة البرلمانية والدّيمقراطية على العموم، ذلك لما حصل من تعدٍّ باسم الحرية على شخوص الطرف الآخر.

من بين أسباب هذا التراجع، الفوضى في الحياة البرلمانية، وما جرى مِن مظالم من قِبل الدستوريين ضد خصومهم من علماء الدِّين أنفسهم. يضاف إلى ذلك أن الحزب أو الجماعة، التي عُرفت بالمستبدة، كانت تُحرك العامة، بخطابها السهل المُدرَك، الذي لا يحتاج إلى تنظير وتثقيف، وهو ما تعود عليه البشر منذ غابر الأزمنة، وربما أثرت على مستقبل علماء الدِّين في الوصول إلى المرجعية.

وكان في مقدمة المتراجعين، منظِّر الحركة إن صح التَّوصيف، مؤلف كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) الشَّيخ محمد حسين النَّائيني (ت 1936)، ويعدُّ هذا الكتاب الوثيقة الفكرية لدى المشروطيين أو الدُّستوريين[47]، والذي أسميناه في كتابنا (المشروطة والمستبدة) بـ(مانفيستو) الحركة. هذا، وكنا قد فصلنا في كتابنا المشروطة والمستبدة انبعاث هذه الحركة وتاريخها ورموزها، وما آلت إليه من نجاح وفشل، الصادر بمناسبة مرور مئة عام على الحركة(2006) عن مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت من العام نفسه.

---

47 راجع توفيق السَّيف، ضد الاستبداد.. الفقه الشّيعي في عصر الغيبة، قراءة في رسالة (تنبيه الأمة وتنزيه الملة). وكتابنا المشروطة والمستبدة، بيروت 2006. وللإلمام في النزاع حول الدستور، داخل العراق وعلى مستوى الأدباء والشعراء، راجع يوسف عزّ الدّين، الشعر العراقي الحديث، فصل: الدستور العثماني، ص 30 وما بعدها.

ثورة العشرين

كان التّدخل المعاصر الثّاني مِن قبل الزّعامة الروحية لشيعة العراق، في الشأن السّياسي، هو ثورة العشرين (30 حزيران/يونيو 1920)، وقد وصف هذا التدخل بمواجهة الإنكليز بأنه فعل وطني، في حين أن هناك مَنْ يشير إلى أنها كانت حراكاً إسلامياً، وذلك لصبه في مصلحة الخلافة العثمانية، وظهر كأنه دفاع عن وجودها. مع أنها في حسابات الكثيرين كانت دولة محتلة بل من أكثر الدول المحتلة تخلفاً واستحواذاً في العصر الحديث.

حضر علماء الدّين الشّيعة إلى البصرة، حيث النزول الأول للقوات البريطانية، وقد قُتل في تلك المعارك المجتهد والشّاعر المعروف محمد سعيد الحبوبي (1915)، وهناك مَنْ قال إنه مات حتف أنفه، متأثراً بصدمة الهزيمة[48]، ولم يُقتل، وتخليداً له نُصب له تمثال وسط مدينة النّاصرية، محافظة ذي قار، جنوب العراق.

شاعت في الأوساط فتوى الجهاد ضد الإنكليز للمجتهد والمرجع الأعلى آنذاك محمد تقي الشيرازي (ت 1920)، بعد فتاواه الصريحة بعدم القبول بحكم بريطاني قد يأتي عن طريق انتخاب من الجمهور، وهي بمثابة تأييد (الجمعية الإسلامية)، التي أسسها ولده الميرزا محمد رضا: (ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير

48 مَغنية، مع علماء النّجف الأشرف، ص 115 116.

المسلم لإمارة وسلطنة المسلمين)[49]. ثم قيل إنه أفتى بتحريم توظيف المسلمين لدى الإدارة البريطانية[50].

وعلى صعيد آخر، قيل إن المرجع الشيرازي أصدر فتوى أخرى لا يُعرف تاريخها، وعُرفت بالفتوى الدفاعية[51]، لكنها لم تصرح بمباشرة الجهاد، ويفهم من منطوقها أن حمل السلاح إنما يأتي بعد محاولة أخذ الحقوق بالسِّياسية والمطالبة السَّلمية، جاء فيها: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التَّوسل بالقوة الدِّفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطاليبهم)[52].

وعلى العموم، النَّص الأول يعني الاستفتاء لا الثَّورة، والنَّص الثَّاني يعني الدفاع مع الحرص على تحقيق الأمن والسِّلم، لذا عُرفت بالفتوى الدِّفاعية. إلا أن هناك مَنْ يقول: إن المجتهد، أو المرجع الأعلى، لم يصدر فتوى صريحة، وذلك لعدم تكافؤ المقاتلين من علماء الدِّين والعشائر مع قوة الجيش البريطاني[53]. وبهذا تعد فتواه بالجهاد مجرد مغامرة بدماء النَّاس.

---

49 الوردي، لمحات اجتماعية 5 القسم الأول، ص 103. وحسب الوردي كان تاريخها 23 كانون الثَّاني (يناير) 1919.

50 المصدر نفسه، ص 109.

51 الجهاد قسمان أو نوعان: جهاد الدفع وهو الدفاع ضد عدوان، وجهاد الطلب وهو الغزو بعينه.

52 الوردي، لمحات اجتماعية 5 القسم الأول، ص 235. مَغنية، مع علماء النَّجف الأشرف، ص 116.

53 المصدر نفسه، ص 127 128.

ومما ذُكِّر أن الشّيرازي لما أشار بجهاد الدَّفع عاتبه أحد علماء الدِّين بالقول: (كيف تعتمد على النَّاس في الجهاد، وإعلان الثورة ضد الإنكليز؟! أما رأيت الخيانات، والتخاذل، والعجز عن مقاومة الإنكليز في الجهاد؟! أو ما أشبه ذلك. فقال (طاب ثراه) ما محصله: لا يخفى عليَّ ذلك، ولكني أريد أن أوقع بين العراقيين والإنكليز الدَّم، ليبقى الإنكليز مبغوضاً عندهم، فلا يسلبهم دينهم)[54]. ولا أدري، إلى أي مدى يجوِّز وقوع الدم لاحتمال أو تصور!

كذلك، فإن قيادات في ثورة النَّجف (1918) ثم الثورة العامة (1920) حركتها الدوافع الشَّخصية ضد بريطانيا، وهي كانت في بداية الأمر على صلات مع البريطانيين المحتلين. إلى جانب هذا، هناك مَنْ لا يرغب بإقامة دولة حديثة لأنها تأتي على سلطة العشيرة والمرجعية الدِّينية معاً، وكانت الدَّولة العثمانية لا تتدخل كثيراً في الإدارة، إذا اطمأنت على جباية الضرائب من السُّكان.

أما المرجع الأعلى السَّيد محمد كاظم اليزدي (ت 1919)، قبل الشِّيرازي، وكانت له الكلمة العليا، لم يرغب في محاربة البريطانيين، عندما تجهز النَّاس للجهاد بالبصرة، قيل لخلاف سابق مع حزب (الاتحاد والتَّرقي) العثماني في شأن إعلان الدُّستور[55]، ومعلوم أن

54 الحكيم، المرجعية الدِّينية وقضايا أُخرى، ص 109.

55 الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 4ص 128.

اليزدي كان ضد المشروطة أو المشروطية[56]، و(سبق للاتحاديين أن هددوه بالنَّفي وأثاروا سخطه)[57]، لكن بعد الإلحاح صعد المنبر وخطب مؤيداً الجهاد[58]، وبعث ابنه والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد إسماعيل اليزدي وعدد من طلبته ممثلين له[59].

وموقفه الآخر ضد قيام ثورة ضد الإنكليز، فالحوادث تدلُّ لو كان حياً لضعف الميل كثيراً إلى القيام بثورة العشرين، فهو لم يكن معادياً للإنكليز منْ جهة[60]، ومنْ جهة أخرى لم يكن ميالاً للتدخل في السياسة[61]، أو أنه لا يريد مواجهة جيش حديث وقوي برجال عشائر وبسلاح بسيط قياساً بالمدافع والطائرات، وهذا ما جعل خليفته في المرجعية الشيخ محمد تقي الشَّيرازي(1920) يتردد في إعطاء فتوى الجهاد أو الثورة، فحسب رواية أحد المقربين منه، السيد هبة الدِّين الشَّهرستاني(ت 1967)، أنه توفي متأثراً بما شاهده منْ كثرة الجنائز، التي حُملت منْ جبهات القتال، وهو يؤدي الصلاة في الصحن الحسيني بكربلاء[62].

---

56 راجع كتابنا: المشروطة والمستبدة، الفصل السّادس، رموز الحركتين بالنجف، اليزدي فقيه المستبدة، ص 173.

57 الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 4ص 128.

58 المصدر نفسه.

59 الأسدي، ثورة النَّجف، ص 91.

60 أنظر الوردي، لمحات اجتماعية مْ تاريخ العراق الحديث 5 القسم الأول، ص 63 وما بعدها.

61 أنظر فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920، ص 211 الهامش.

62 أنظر الوردي، لمحات اجتماعية مْ تاريخ العراق الحديث 5 القسم الأول، ص 299.

تبقى أحداث هذه الثَّورة بين رأيين متنافرين: الأول، أنها اندلعت كنضال وطني، واُتخذت تراثاً ثورياً ضد الاستعمار، والثَّاني، أنها مجرد مغامرة حركتها العاطفة الدِّينية والروح العشائرية، بل أسست طائفية السُّلطة الجديدة، عندما امتنع علماء الشِّيعة عن التعامل مع الدَّولة، بينما استجاب وجهاء السُّنَّة لها، فعلماء الشِّيعة (كانوا يحتقرون أي رجل منهم يقبل الاشتراك في الوزارة، فإذا تجرأ أحد منهم ودخل الوزارة نبذوه اجتماعياً وربما أهانوه، وإذا كان هذا الرجل منْ رجال الدِّين أطلقوا عليه لقب عالم حفيز، أي صديق للإنكليز أو عملائهم)[63]. وحسب شهادة متصرف (محافظ) كربلاء آنذاك، عبد العزيز القصاب(ت 1965)، أن وجهاء الشِّيعة العلماء، في ما بعد، أي في 31 تشرين الأول (أكتوبر) 1922، أصدروا فتاوى لتحريم الانتخابات لتشكيل المجلس التأسيسي بالعراق[64].

حوادث 1934 - 1935

بعد وفاة الملك فيصل الأول (1933) المفاجئة، تولى عرش العِراق ولي عهده الملك غازي الأول (قُتل 1939)، وكان شاباً لم تعركه الحوادث، واختلفت فيه الأقاويل بين ميوله للألمان ومقته للإنكليز، وهذا ليس موضوعنا إنما سنركز على الحدث نفسه، وهو أن الصراعات

---

63 المصدر نفسه 6 القسم الأول، ص 30 و22.

64 القصاب، من مذكراتي، ص 229.

السياسية بلغت أوجها، حيث الاعتراض على وزارة جميل المدفعي(ت 1958) التي كان الملك سندها ضد خصومها المتمثلين بالشّخصية المعروفة نوري السَّعيد (قتل 1959) والسَّفارة البريطانية وحزب (الإخاء الوطني) الذي يمثله ياسين الهاشمي (ت 1937)، وقيل إنها كانت ضعيفة وتلعب فيها المحسوبيات والمنسوبيات، وتم اللجوء إلى عشائر جنوب ووسط العِراق لتحريكها ضد تلك الوزارة.

وبعد استقالة وزارة المدفعي شكل علي جودت الأيوبي (ت 1969) الوزارة، واعتبرها المعارضون أعلاه أنها امتداد للوزارة السَّابقة، فعمد حزب (الأخاء الوطني) إلى تحريك العشائر الشُّيعية ضد الوزارة، وذلك باستغلال إبعاد الأيوبي لعناصر عشائرية مِن مجلس النُّواب، فثارت العشائر وأيدهم بعض رجال الدِّين، ومنهم الشَّيخ محمد حسين كاشف الغطاء(ت 1954)، وكان آنذاك بمنزلة أحد أبرز المراجع الدِّينية، وتطور الموقف إلى عصيان مسلح في مناطق الفرات الأوسط.

ومن جانبها حشدت الحكومة العشائر الموالية لها، وخاض الجيش المعارك مع العشائر، واضطربت الأحوال، وعاد الملك غازي وكلف جميل المدفعي بتشكيل الوزارة، فزاد اضطراب العشائر وأعلن بعضها العصيان ومواجهة الدولة، وتخريب القناطر والجسور، وعندها تدخل علماء الدين: كاشف الغطاء، والشَّيخ عبد الكريم الجزائري (ت 1962)، والشَّيخ جواد الجواهري وأبرقوا إلى الملك طالبين عدم

استخدام القوة في بسط الأمن، وحل مشاكل العشائر بالإصلاح، وانتهى الأمر بتكليف ياسين الهاشمي، مِن حزب الإخاء الوطني، بتشكيل الوزارة، وهذا ما هدأ العشائر[65].

حاول الإمام كاشف الغطاء عن طريق وكلائه بالمنطقة حث العشائر على الهدوء والسَّكينة، فتسلم رسالة مِن رؤساء العشائر[66]. ثم تسلم كاشف الغطاء رسالة موقعة مِن قبل خمسة عشر زعيم عشيرة، وكلها مِن العشائر الكبيرة والمسلحة يعترضون فيها على الوزارة ويؤكدون على دورهم في السِّياسة العِراقية.

إلا أن دور علماء الدِّين أو المرجعية الدِّينية ممثلة بكاشف الغطاء ظل محصوراً بالنُّصح والإرشاد ومحاولة إبعاد شبح الحرب بين العشائر والجيش العراقي، والوقوف ضد ما يتعرض له النَّاس مِن حيف وقهر، وهذا ما يتضح مِن رسالته التَّالية، بعد أن طلب منه التَّدخل والإسناد مِن قبل رؤساء العشائر: (إنني بمركزي الرُّوحاني

---

65 أنظر: الأزري، مشكلة الحكم في العِراق، ص 72 وما بعدها، ولونكريك، العراق الحديث 2ص 381 وما بعدها، وفرج، الملك غازي، ص 86 97.

66 جاء في إحدى رسائل شيوخ العشائر إلى الإمام كاشف الغطاء: (وبعد، وردنا رسولكم عبد الأمير، وأبلغنا آرائكم وارشاداتكم الثَّمينة، وفي الحقيقة ما لنا غنى كذا- عن ذلك، فالآن كما عرضنا لحضرتكم في غرة شوال في النَّجف الأشرف، إن كانت الأعمال تخص منافع شخصية، وأغراض حزبية في سقوط الوزارة، وتشكيل غيرها، فكلاً منا يعرف طريقته الحزبية التي تستعملها سائر الشُّعوب، وإن كان الغرض مِن ذلك أن هناك أموراً تتطلب الخدمة للبلاد، نرجو إعلامنا بها. وإننا مستعدون للعمل بالطرق المشروعة التي تؤمن سلامة البلاد، تحت ظل العرش الهاشمي، ومن الله التوفيق) (الحسني، تاريخ الوزارات العِراقية 4 ص 83).

ومقامي الدّيني لا يجوز لي أن أتدخل في أي وزارة أو حزب، أو في أي شأن مِن شؤون السِّياسة، وإنما دخلنا مِن أجل الصَّالح العام، وتخفيف الحيف عن هذه الأمة البائسة، ولا نرى ذلك يتم إلا باتفاقكم وتفاهمكم أيها الفراتيون[67] جميعاً (إلى قوله): يجب عليكم الهدوء والسُّكون، ويُحرم عليكم المضاربة بينكم بل وبين غيركم، والسَّلام)[68]. وفي الرِّسالة إشارة إلى انقسام العشائر إلى مؤيدة للوزارة ومعترضة عليها، وهنا يكمن الخطر. والجدير بالذِّكر أن الإمام كاشف الغطاء، وهو مِن المراجع العِراقيين العرب أصلاً ومنشأً، أصدر فتوى تحريم الحرب ضد الدَّولة، على الرَّغم مِن استعداد العشائر و المُقلدين له في تلك المناطق[69].

لعل التدخل في الشأن السّياسي الدَّاخلي، مِن قبل المرجعية، كان في تلك الحوادث فكاشف الغطاء كان أشرف على إبرام ميثاق لوجهاء مِن مناطق شيعية عدة مِن أجل تخفيض الضَّرائب، والعناية بالعمران ونبذ الطَّائفية، لكنه لما (رأى توسع الثَّورة وأنها تعود على الحكومة والشَّعب بالخسارة الفادحة طلب منهم الخلود إلى السَّكينة)[70]، بطلب مِن الحكومة نفسها.

---

67 نسبة إلى العشائر التي تقطن على ضفاف نهر الفرات، والمقصود هنا وسط الفرات.

68 الحسني، تاريخ الوزارات العِراقية 4 ص 84. الخاقاني، شعراء الغري 8 ص 119.

69 -كاشف الغطاء، محاورة السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد ص 36.

70 الخاقاني، شعراء الغري 8 ص 119.

لكاشف الغطاء ومرجعيته أكثر مِن موقف ثبت فيه السِّلم الاجتماعي بين العِراقيين، منه إخماد ما عُرف بفتنة الحصان، وعبد الرزاق الحصان(ت 1964) قومي عربي ألف كتاباً، العام 1933، تحت عنوان (العروبة في الميزان)، اعتبر فيه الشِّيعة فرس ساسانيين، أجانب ويوجب طردهم مِن العِراق، وما أن وصل الكتاب إلى النَّجف أغلقت الأسواق وسرى الإضراب العام، ووصل الاضطراب إلى المدن الشِّيعية الأُخر، واستمر الحال ثلاثة أيام، وكادت المواجهة تحصل بين الشرطة والمدنيين، فطُلب من كاشف الغطاء التَّدخل فصعد المنبر وهدأ الحال[71].

حركة الكيلاني (1941)

قبل الخوض في تدخل مراجع الدِّين الشِّيعة في حركة رشيد عالي الكيلاني، أو حركة مايس (مايو) 1941 لا بد مِن تسليط الضوء ولو باختصار على مقدمات ودوافع هذه الحركة. بعد مقتل الملك غازي (1939) وانفجار الحرب العالمية الثَّانية تحول العِراق إلى ساحة للصراع بين الألمان والحلفاء، وكان رشيد عالي الكيلاني (ت 1965) رئيساً للوزراء، وبعد خلاف مع الوصي عبد الإله(قتل 1958) استقال الكيلاني وشكل طه الهاشمي (ت 1961) الوزارة، لكنه سرعان ما قدم استقالته تحت ضغط الجيش، الممثل بالعقداء الأربعة، وحدث

71 كاشف الغطاء، محاورة السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد ص 36 - 38. الخاقاني، شعراء الغري 8 ص 119.

انقلاب عسكري وأعلنت حالة الطّوارئ، شكل إثرها الكيلاني الوزارة، كل هذا حدث في الشّهور الأولى لعام 1941، بعدها تدخلت بريطانيا وأعلنت الحرب على العِراق، وانتهت الحرب في 2 حزيران (يونيو) 1941، وأدت إلى هروب الكيلاني والفاعل السياسي معه مفتي القدس أمين الحسيني(ت 1975)، وكان يقيم بالعراق وله نشاط سياسي، وعودة الوصي على عرش العِراق عبد الإله، نوري السعيد وكل أركان الحكم السّابق[72].

أغلب الظن، كان لهذه التّدخلات وغيرها، الحركة الدّستورية وثورة العشرين واضطرابات 1935، وحركة رشيد عالي الكيلاني، في السّياسة من قبل المرجعية، صداها لدى شيعة العراق، وأثرها في تأسيس العديد من الكيانات والأحزاب الشّيعية في ما بعد، وإن كان حدوث ذلك التّأثير غير مباشر، فحركة كبرى، امتدت إلى عدة بلدان وتحكمت فيها النّجف، مثل الحركة الدّستورية، وحوادث ثورة العشرين والحماسة فيها، واضطرابات 1935، والانبعاث القومي في حركة الكيلاني، لا بد أنهما تركتا تأثيراً ما على الحياة السّياسية والاجتماعية في البيئة الشّيعية الدّينية في الأقل.

ما يتعلق بموقف المرجعية الدّينية الشّيعية بالنّجف مِن حوادث 1941 أن أفتى العلماء بالجهاد، على أساس أن البلاد تتعرض لحرب

72 السّهروردي، التّاريخ لم يبدأ غداً حقائق وأسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني 41 و58 في العِراق، ص 43 وما بعدها.

مِن قِبل بريطانيا، وكان المرجع الدِّيني الأكبر هو السيَّد أبو الحسن الأصفهاني (ت 1946)، الذي أصدر فتوى الجهاد الآتية، ضد تدخل الجيش البريطاني، جاء فيها: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: السَّلام على كافة إخواننا المسلمين، وأخص العراقيين منهم. إن الواجب الدِّيني يقضي على كلِّ مسلم بحفظ بيضة الإسلام وبلاد الإسلام بقدر استطاعته، وهذه البلاد العِراقية المشتملة على مشاهد الأئمة، ومعاهد الدِّين يجب علينا جميعاً محافظتها مِن تسلط الكافر، والمدافعة عن نواميسها الدِّينية، فعلى هذا أحثكم وأدعوكم. وفقنا الله وإياكم لخدمة الإسلام والمسلمين إن شاء الله تعالى(6 ربيع الثَّاني 1360))[73].

وقبلها بيوم أصدر الشَّيخ محمد حسين كاشف الغطاء فتوى قضت (في وجوب المؤازرة والنُّصرة لهذه الحركة(حركة رشيد عالي الكيلاني) الحافظة لسلامة البلاد وكرامتها(5 ربيع الثاني 1360))[74]. كذلك أفتى العلامة عبد الكريم الجزائري(ت 1962) داعماً حركة رشيد عالي الكيلاني والحرب ضد بريطانيا، جاء فيها: (لا يخفاكم ما قام به فخامة رئيس الوزراء وأبنائنا الجيش العِراقي الباسل في الحال الحاضر، مِن النَّهضة المباركة لحفظ استقلال العِراق... البلاد الإسلامية ... أحثكم وأدعوكم للمساعدة لهذه النَّهضة الدِّفاعية ما استطعتم فإنها نصرة للدِّين وحماية للمسلمين. يرعاكم

---

73 الحسني، تاريخ الوزارات العِراقية 5 ص 268.

74 المصدر نفسه 5 ص 269.

الله(6 ربيع الثَّاني 1360)) [75].

لكن بعد فشل الحركة وهروب زعيمها الكيلاني وسيطرة الجيش البريطاني على بغداد لم يُعرف للعلماء، مِن كلا المذهبين، موقف صريح مضاد، ولعل الحركة وما أسفر عنها مِن فوضى، وما حدث مِن فرهود ضد يهود العِراق، وما تداخل مع الحرب العالمية، حيث أظهرت ما بين الحركة ومعارضيها هو انعكاس لما بين بريطانيا وألمانيا لم تدفع العلماء إلى الإصرار على الموقف نفسه، خصوصاً وأن الجيش العِراقي عاد يسيطر على الوضع داخل العِراق.

مرجعية الحكيم

بدأت مرجعية آية الله محسن الحكيم[76] مشتركة مع

---

75 المصدر نفسه. في هذه الحركة بالذات أفتى علماء الدِّين السُّنَّة أيضاً بفتوى الجهاد، جاء في رسالة السَّيد وشيخ الطَّريقة الرِّفاعية إبراهيم الرَّاوي(ت 1946) رئيس جمعية الهداية الإسلامية وعلماء ببغداد، ومنهم رئيس مجلس التمييز الشرعي حمدي الأعظمي(ت 1971)، ونائبه عبد الرَّزاق الهاشمي(ت 1964) وآخرين: (أيها الشَّعب العِراقي المسلم النَّبيل بادر إلى ميدان الجهاد والكرامة، والفوز بالشهادة، فقد فاح ريح الجنَّة...) (الحسني، تاريخ الوزارات العِراقية 5 ص 270)

76 اللقب الذي اشتهر به السَّيد محسن، إضافة إلى لقب الحكيم، هو الطباطبائي، وهناك مَنْ يلح جهلاً ويعتبر الأسرة، وكل مَنْ لقبه الطباطبائي منحدراً من مدينة طباطبا بإيران، مع أن الحقيقة ليس هناك مدينة بهذا الاسم، لا بإيران ولا غيرها، وإنما اللقب متصل باسم طباطبا (ت 345هـ 946 ميلادية)، وهم أُسرة علوية، منهم: نقيب الطالبيين بمصر أحمد بن محمد بن إبراهيم العلوي (كحالة، معجم المؤلفين 2 ص 61). وأشيع حول جد الأُسرة إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومرقده في الهاشمية قريباً من ناحية القاسم. أنه كان يلثغ بالقاف، فيسمي القبا، وهو نوع من الثياب، طبا، وكان يقول لغلامه: طبا طبا، أي قبا قبا، فذهب لقباً له. وقيل جاء لقب طباطبا من اسم أم ولد (راجع: حرز الدِّين، مراقد المعارف).

عدد من المراجع الكبار، وبدأ يُعرف كمرجع تقليد بين مجموعة من البغداديين والنَّجفيين[77] منذ وفاة أستاذه محمد حسين النَّائيني (ت 1936)، صاحب كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملّة)، مع وجود السَّيد أبي الحسن الأصفهاني (ت 1946)، وبعد وفاة الأخير توسعت دائرة مُقلديه، بعد طبع رسالته (منهاج الصالحين)، وكان في موازاته الشَّيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1954)، والشَّيخ محمد رضا آل ياسين(ت 1950)، والسَّيد حسين الحمامي (ت 1959)، والآغا حسين البروجردي (ت 1961) بإيران. وبعد وفاة هؤلاء جميعاً لم يبق سوى آية الله عبد الهادي الشيرازي(ت 1962) موازياً، إلا أن برقية التعزية بوفاة البروجردي التي بعث بها شاه إيران محمد رضا بهلوي (ت 1980) إلى آية الله الحكيم حسمت الأمر (إلى الاعتراف بمرجعيته رسمياً... في كل الأحوال كان عدد كبير من علماء قُمّ يميلون إلى السَّيد عبد الهادي)[78]. وبوفاة الجميع واعتراف إيران رسمياً (ثنيت له الوسادة)[79]، وظلت له حتى وفاته(1970).

تسلسل السَّيد محمد مهدي الحكيم في مذكراته[80] حول

---

77 السراج، الإمام محسن الحكيم، ص 84.

78 رفسنجاني، حياتي، ص 48.

79 الصَّفير، أساطين المرجعية العليا، ص 95.

80 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 47 وما بعدها. ومهدي الحكيم: اغتيل بالخرطوم إثر حضور مؤتمر إسلامي في 17 كانون الثاني/يناير (يناير) 1988 أثناء إقامته بفندق الهيلتون، واتُهمت بتدبير العملية المخابرات العراقية، بالتنسيق مع الدوائر الرسمية السودانية. لم يبرز اسم السَّيد مهدي كقيادي في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، على الرغم من أن الأخير تأسس 1983 =

مرجعية والده، سارداً ، كشاهد عليها، ما واجهته من ظروف سياسية بداية من العهد الملكي (1921-1958) وانتهاءً بالعهد البعثي الثّاني(1968)، وحتى وفاته. ليست الفترة الملكية هي الأهم في مواجهات مرجعية الحكيم إذا استثنينا مقابلته لثلاثي البلاط في منتصف الأربعينيات: الملك فيصل الثّاني، والوصي عبد الإله، ورئيس الوزراء نوري السعيد(قتلوا 1958 جميعاً)، وهناك صورة تشير إلى هذا اللقاء، ويظهر فيها الشّيخ عبد الكريم الجزائري (ت 1962)، والسّيد علي بحر العلوم (ت 1962)، والد السّيد محمد بحر العلوم.

إلا أن الفتور خيم على الصلات بين المؤسستين: الدّولة والمرجعية، عند وفاة المرجع السّيد أبي الحسن الأصفهاني(1946)، حيث لم تؤد الدّولة واجب العزاء، فسرعان ما حاول الملك تدارك الأمر فأرسل مندوباً عنه في مناسبة الأربعين. ومع ذلك رفض آية الله الحكيم استقبال الملك وهو يزور النّجف العام 1949، وكذلك

= بإيران، وهو أمر يلفت النظر، ولعلّه يتصل بالموقف من الدّولة الإيرانية، التي تركها الحكيم إلى بريطانيا. كذلك لا يظهر للمجلس الأعلى الذي تولى أمره شقيقه السّيد عبد العزيز الحكيم(ت 2009)، ثم ابنه السّيد عمار الحكيم احتفاء في ذكراه كما يستحق، مثلما يحتفى بغيره من الشخصيات، مع أنّه كان أول المعارضين، بما يشير إلى أن هناك خلافاً وموقفاً. يذكر المتعاملون مع السّيد مهدي الحكيم، أنّه اتجه اتجاهاً ليبرالياً، ولم يعد ميالاً إلى تكريس الدّين في السّياسية على الطريقة الإيرانية، كان متعالياً على الطّائفية. وبهذا لا تراه يماشي هوى العديدين من رجال الدّين، بل ولا هوى الثورة الإيرانية نفسها، وقبلها شارك في محاولة لإسقاط سلطة البعث بالتنسيق مع شخصيات سُنّيته، مثل الضابط عبد الغني الراوي، كذلك له صداقات متينة مع رجال دين من أهل السُّنّة مثل الشّيخ طه جابر العلواني، حتى كانا يسخران من الطّائفية وهما يتذكران بيت شعر إيراني ينظر إلى أهل العراق، سُنّة وشيعة، بالمنظار نفسه، والبيت هو: (شيعي بغداد سُنّي است. سُنّي بغداد كافر است) (راجع، العلواني، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات1 ص 31).

بقية المراجع رفضوا الاستقبال، وقد جرت العادة أن يكون الاستقبال بصحن الضريح العلوي، ومعلوم، جرى هذا التقليد منذ أيام المرجع الأكبر محمد حسن الشيرازي (1895)[81].

بيد أن المياه عادت إلى مجاريها، بين البلاط والمرجعية، عندما مرض السَّيد الحكيم وبعث الملك بفريق طبي لمعالجته. بعدها أخذ الحكيم يطرح الشِّيعة كوجود في الحكم، عبر شخصيات شيعية ليبرالية، أو لنقل العلمانية وليس الدِّينية ومن التكنوقراط. وحسب رأي ولده، أن آية الله الحكيم لا يفهم الطائفي بمذهب الحاكمين، بل بممارسة الطَّائفية، فلعلَّ أقطاب الحكم كافة من السُّنَّة ولم يمارسوا طائفية، أفضل لديه من حكم أقطاب شيعة كافة ويمارسون الطَّائفية.

وربما ليس هناك ما يجعل الحكيم في مواجهة العهد الملكي، بعد أن لُبي طلبه في تعطيل أو عدم إعلان قانون الأحوال الشَّخصية،

---

81 يروي السَّيد محسن الأمين، أنه (في سنة 1287هـ (1870 ميلادية) زار ناصر الدِّين شاه العتبات المقدسة بالعراق، وكان الوالي على بغداد مدحت باشا الشهير، فلما قصد الشاه كربلاء خرج لاستقباله علماؤها إلى المسيب، فسلم عليهم وهو راكب... ولما ورد النَّجف الأشرف خرج أيضاً لاستقباله علماؤها، فسلم عليهم وهو راكب أيضاً. ثم زاروه بعد دخولها، ولم يخرج السَّيد محمد حسن الشيرازي لاستقباله، ولم يزره. فأرسل الشاه إلى كل واحد مبلغاً من المال فقبله، وأرسل إلى السَّيد فلم يقبله. فأرسل الشاه وزيره حسن خان يعاتبه، ويطلب منه زيارة الشاه، فأبى، فأصر الوزير وأصر السَّيد)! (وبعد الإلحاح تم الاتفاق على أن يذهب الشاه لزيارة الحضرة الشريفة العلوية في وقت معين، ويذهب السَّيد إليها بهذا القصد، وهناك يتم اللقاء... وأصبحت هذه الطريقة سُنَّة متبعة عند كبار العلماء منذ السَّيد الشيرازي حتى اليوم. فإذا جاء إلى النَّجف ملك من ملوك المسلمين، أو مَنْ هو في منزلته، أحجموا عن استقباله وزيارته. وإذا دعت الضرورة إلى الاجتماع التقوا به في الحضرة المقدسة)(مُغنية، مع علماء النَّجف، ص112).

الذي كُتب في الأربعينيات. جاء في رسالته إلى حكومة البعث الأولى (1963) طالباً إلغاء قانون 188 لعام 1959 بالقول: (أن حكومة العهد الملكي سبق أن شرعت قانوناً للأحوال الشّخصية، خالفت فيه الشّرع الإسلامي، وعرضته على مجلس النواب، فأرسلتُ أحد أولادي للاتصال بالنواب، وإبلاغهم استنكاري لهذا القانون، ووجوب إلغائه. وأصدر رأيي بهذا الشأن. مما حدا بالنواب إلى معارضته، فاضطرت الحكومة إلى إحالته على لجنة مختصة لدراسته وإعادة النظر فيه)[82].

أيدت المرجعية ثورة 14 تموز(يوليو) 1958 بعد يوم أو يومين من اندلاعها، وكان عبد الكريم قاسم حسب حسابه في تعيين شخص له صلات بكربلاء والنّجف متصرفاً هناك[83]. قال فؤاد عارف:

---

82 بحر العلوم، أضواء على قانون الأحوال الشّخصية، ص 10 عن جريدة الجهاد، العدد 8 في 19 آذار (مارس) 1963.

83 قال عارف: (أما اختياري متصرفاً للواء كربلاء، فهو أني كنت على صلة بأهالي كربلاء والنّجف، وعلاقتي تعود إلى ما قبل الثورة، إذ كنت في العام 1947 مديراً لتجنيد كربلاء والنّجف، واني أحببت هاتين المدينتين وأهلهما... لقد كان عبد الكريم قاسم يعرف موقف أهالي المحافظة، لا سيما رجال الدّين الأفاضل مني، لذا فقد فضل أن أكون متصرفاً لها، ولمحاولة كسب رجال الدّين للثورة)(مذكرات فؤاد عارف، الحلقة السابعة، جريدة القدس العربي، العدد: 2924 المؤرخ في 5 تشرين الأول/أكتوبر 1998). لكن تصريح صاحب الشأن فؤاد عارف، بخصوص تعيينه متصرفاً لكربلاء، يتناقض مع ما ذهب إليه الدكتور نوري طالباني، الذي حمله أكثر من واقعه، عندما قال: (إن تعيينه بهذا المنصب الحساس كان خطأ من جانب قيادة ثورة تموز (يوليو) التي يبدو أنها سارت على نهج الحكومات العراقية السّابقة، التي كانت تعين كبار المسؤولين في المنطقة الكردية من العرب وحدهم، بينما كانت تسمي بعض الكرد مسؤولين في وسط أو في جنوب العراق. ولهذا السبب عينت الجنرال فؤاد الكردي متصرفا للواء كربلاء بدلاً من تسميته قائداً للفرقة الثّانية أو متصرفاً للواء كركوك أو لأحد الألوية الكردية الأخرى) (مقال: نوري الطالباني، كركوك مدينة كانت جزءاً من إمارتي أردلان وبابان، الحلقة الرابعة جريدة الاتحاد (http://www.alitthad.com/paper.php).

(لقد استطعت الحصول على تأييدهم للثورة تحريرياً. وأذكر منهم المجتهد الأكبر آية الله السَّيد محسن الحكيم، وآية الله السَّيد عبد الكريم الجزائري، وآية الله السَّيد عبد الحسين كاشف الغطاء، وآية الله السَّيد محمد البغدادي، وكان للسيد تقي القزويني[84]، قائمقام قضاء النَّجف يومئذ، دوره البارز في معاونتي لكسب هذا التأييد)[85].

وقد أذيعت رسائل التأييد من إذاعة بغداد، ثم أذيعت رسائل شكر للعلماء بتوقيع قائد الثورة. وكان شعور الزعيم عبد الكريم قاسم، حسب فؤاد عارف، وهو يخبره برسائل تأييد كربلاء والنَّجف: (ما كان

---

84 السَّيد تقي القزويني(ت 2005) من الإداريين الجديرين بالعراق، تسلم عمله الإداري كمدير ناحية ثم تدرج إلى قائمقام ثم نائب متصرف (محافظ) ثم متصرف، واختير في 1964 متصرفاً لبغداد. وكانت علاقته على ما يرام بمراجع الدِّين، وحاول قدر الإمكان إطفاء النعرات الطَّائفية، ولم يكن السَّيد محمد مهدي الحكيم برتاح له، ومما يأخذه عليه، وهو متصرف بغداد أنه يُعيد مع الحكومة، ومعلوم أن النَّجف والشِّيعة عموماً يحاولون إعلان عيد الفطر بعد يوم من الإعلان الرسمي، وهو كمتصرف حاول تقريب وجهات النظر، كونه شيعياً وموظفاً حكومياً كبيراً. وروي لي أنه ذكر مهدي الحكيم أنه سيأتي يوم يترحم على هذه الأيام. وكان له دور في إخماد المعركة المسلحة، التي حدثت بالكاظمية بين آل الخالصي وآل الصَّدر، كونه كان متصرفاً لبغداد(1964 1968-)، والتي سنأتي على ذكرها في فصل جماعة الخالصية. وكان وكيلاً لمتصرف الكوت (واسط) عندما حصل انقلاب عبد السلام عارف على البعثيين في 18 تشرين الأول (نوفمبر) 1963، وحاول البعثيون المواجهة بالسلاح، من الحرس القومي، فتمكن هو من تهدئة الوضع وتجريد تلك العناصر من السلاح. وقد نبه القزويني مهدي الحكيم، لكثرة معارضة الأخير والتصريح بطائفية السُّلطة، أنه سيأتي يوم يترحم على هذه الأيام، وبالفعل أُتهم الحكيم بالجاسوسية وظل مطارداً لسنوات طويلة حتى اغتيل بالخرطوم في كانون الثَّاني (يناير) 1988 (لقاء مع نجل السَّيد القزويني المحامي عدي تقي القزويني، دبي في 30 تشرين الأول (أكتوبر 2010).

85 مذكرات فؤاد عارف، الحلقة السابعة، جريدة القدس العربي، العدد: 2924 في 5 تشرين الأول(أكتوبر) 1998، حاورته أمل الجبوري.

منه إلا أن قَبلني وشكرني، وشدَّ على يدي، وذكر لي أن هذا التأييد مهم جداً)[86].

إلا أن السَّيد مهدي الحكيم يقلل من شأن هذا التأييد، ويذكر قصة أخرى، وهو يعترف بصلات متصرف كربلاء فؤاد عارف بوالده، وقد زاره بعد يومين من قيام الثورة. قال الحكيم في كيفية الحصول على التأييد: (كان الامتناع في ذلك اليوم يعتبر عملية صعبة جداً، لأن النَّاس كلها، وبدون استثناء كانت منسجمة مع الوضع الجديد، وعلى الرغم من ذلك فقد أصرَّ السَّيد على عدم كتابة البرقية، ولما قُلت له سيدنا لماذا لا تكتب؟ قال: إن لكل شيء حساباً، وهؤلاء لا أعرفهم)[87].

وحسب الحكيم أنه بعد إلقاء القبض على الشَّخصيات السِّياسية، وانتشار حالة العنف، والسَّحل وغيره، ومع ذلك اعتبرها السَّيد حالة طبيعية يدخل في باب أخذ الاحتياطات ضد أي عمل مضاد، وبعدها (أبرق برقية إلى مجلس السيادة وعبد الكريم قاسم، لم تكن تتضمن التأييد بل كانت توصية بالبصر بما مضى)[88]. إلا أن تاريخ إرسال البرقية (6 محرَّم 1378) لا يشير إلى فارق بين رواية فؤاد عارف ومحمد مهدي الحكيم، فهو كان في الأيام الأولى للثورة.

---

86 المصدر نفسه.

87 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم حول التحرك الإسلامي بالعراق، ص 54.

88 المصدر نفسه.

بل إن كربلاء والنَّجف أعفيتا من قرار حظر التجول عَقب الثورة حتى يسمح بالاحتفال بمراسم عاشوراء. يتذكر عارف أيضاً: (عندما حل شهر محرم الحرام، ما كان لي إلا أن أَذعت بياناً عبر مكبرات الصوت، التي أخذت تجول في المدينة: إن كربلاء والنَّجف قد استثنيتا من منع التجوال المعلن من إذاعة بغداد، لمناسبة يوم عاشوراء، وإقامة الطقوس والشعائر المطلوبة). وأردف عارف قائلاً: (واتصل بيَّ عبد الكريم قاسم هاتفياً قائلاً لي: فؤاد شنو (ماذا)! كربلاء مو (ليست) عراق؟! قلت له: كلا هذه مدينة مقدسة، ليس لنا إلا أن نحترم شعائرها. ضحك الرجل ووافق. وفعلاً جرت الاحتفالات الدِّينية كالمعتاد)[89]. أما على مستوى العراق فأخذت، بعد الثورة، إذاعة بغداد تذيع، في العاشر من عاشوراء، قصة مقتل الإمام الحسين، بصوت الخطيب الشجي الشهير عبدِ الزهراء الكعبي(ت 1973).

يجزم السَّيد مهدي الحكيم بأن المواجهة السِّياسية مع نظام عبد الكريم قاسم بدأت كردة فعل، بسبب قضية خطيرة وفاصلة بالنسبة للمدن الدِّينية؛ على وجه الخصوص، ألا وهي مسألة حجاب المرأة، حيث جرت الدعوة إلى السفور، براءة من عباءة نوري السعيد، يوم تلفعها ليختفي عن العيون فيها. وحدث أن توفي أحد كوادر منظمة الحزب الشِّيوعي العراقي بالنَّجف، والذي كما يبدو نظر إليه السَّيد

---

89 مذكرات فؤاد عارف، الحلقة السابعة، جريدة القدس العربي، العدد: 2924 في 5 تشرين الأول (أكتوبر) 1998 حاورته أمل الجبوري.

الحكيم بدونية، عندما سماه ابن السّكافي، في حادث سيارة، وبأجواء غريبة على المدينة ومجتمعها المغلق أن يكون العزاء مختلطاً، وأن طالبات المدارس أخذنَ يأتينَ بعباءات (لكنهنَّ في الواقع كنّ متبرجات، وكانت هذه الخطوة بمثابة تهيئة الأجواء لقبول المرأة في مجتمع الاختلاط، وكان التركيز على النَّجف)[90].

وفي هذا المضمار حصل أن صُنفت رسالة تحت عنوان (العفاف بين السلب والإيجاب) لمحمد أمين زين أحد علماء النَّجف، ولما أرسلته المرجعية، أو شخوص منها، إلى الرقابة من أجل أخذ الموافقة لطباعته، رُفض الطلب بدعوى (أنه يتضمن أفكاراً رجعية). وإثر ذلك كان التحرك الأول: (حدث اجتماع كبير لأول مرة في بيت السَّيد (محسن الحكيم)، وكان العدد يتراوح بين 150 و200 شخص، ومن هناك أعلنوا احتجاجهم ضد الثورة، وبعث السَّيد بدوره إلى القائمقام[91] قائلاً له: على أي أساس تعتبرون هذه الأفكار رجعية، إنها أفكار الإسلام؟ وأظهر احتجاجه على ذلك، وبعد مدة وافقت الرقابة على طبع الكراس)[92].

وبالفورة نفسها، وما يعطي مصداقية لما ورد سلفاً، نقرأ في مذكرات متصرف كربلاء، في وقتها فؤاد عارف، الآتي: (أذكر أن

90 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم حول التحرك الإسلامي بالعراق، ص 57.

91 كان قائمقام النجف حينها السَّيد تقي القزويني.

92 المصدر نفسه، ص 57-58.

الشّيوعيين طلبوا في إحدى المناسبات التظاهر فوافقت على طلبهم، وفي المظاهرة صعدت إحدى النسوة، وهي مُدرسة، على كرسي طارحة عباءتها وألقت كلمة. واعتبر النَّاس، أو بعضهم، أن في هذه العملية خرقاً وإهانة لقدسية المدينة. فاجتمع علماء الدِّين في مرقد الحسين، ثم خرجوا بتظاهرة إسلامية طالبوا فيها برجم هذه المُدرّسة، لأنها أهانت مدينة الحسين، وجاء بعض رجال الدِّين إلى داري).

(وكان مدير الشرطة آنذاك السَّيد عبد الملك الراوي، الذي أخبرني بالحالة، ووصلت الدار لأجد رجال الدِّين جالسين في بيتي والانفعال بادٍ على وجوههم، فقلت لهم لا داعي أساساً لتظاهرتكم هذه، لقد خالفت هذه المدرّسة الأُصول، وأنا بوصفي محافظاً سأقوم بمعاقبتها، أو نقلها إلى خارج المحافظة. علماً أني في قرارة نفسي أريد امتصاص هذا الانفعال، ولكي لا تتفاقم المشكلة، ولكن فوجئت بأن نهض أحد رجال الدِّين، ويبدو أنه كان متزمتاً إلى درجة كبيرة، فقال بلهجة خطابية: إن المرأة شيطان بعينه، إن المرأة أخت الشيطان، إن المرأة عدو الرحمن...الخ)[93].

---

93 مذكرات فؤاد عارف، جريدة القدس، العدد 2924 المؤرخ في 5 تشرين الأول (أكتوبر) 1998 الصفحة 13، أجرت اللقاء ببغداد أمل الجبوري. ويذكر عارف: أنه أسكت رجل الدِّين المذكور قائلاً له بعد أن ذكره بالأمهات والبنات والأخوات والزوجات وفاطمة الزهراء: (إنك أولى بالرجم من هذه المُدرسة التي خطبت وهي سافرة. وسأكتب إلى آية الله العظمى السَّيد محسن الحكيم نص ما ورد على لسانك بحق النسوة، بشهادة الحضور العلماء، حتى يبدي رأيه في الموضوع). وما كان من رجال الدِّين إلا أن فرقوا المتظاهرين، وانتهت المشكلة (المصدر نفسه). وهكذا تبدو قضية السفور في تلك الأجواء صعبة في مدن العتبات المقدسة تحديداً! فمن السهولة بمكان تحريك العوام بالمشاعر الدِّينية! لم تتحدث المرجعية=

بطبيعة الحال، لا يخلو الأمر من المبالغات في أمر الدعوة إلى السفور واتهام الشيوعيين بها، لكن هناك مَنْ يندفع، ولم يقدر الظرف، وعلى وجه الخصوص قاعدة الحزب الشيوعي العراقي وجماهيره، التي فقدت قيادته السيطرة عليها والتحكم في ذلك الهياج العارم. بلاشك مورست سلوكيات غير لائقة ضد علماء الدين، وأشير إليهم بالرجعيين، واعتُرض طريق بعضهم، والذين مارسوها كانوا من شذاذ الطرقات، مثلاً، نقل لي أحد النَّجفيين، من غير الحاقدين على اليسار، بل في عائلته مَنْ كان منهم، أنه شاعت بالنَّجف آنذاك ردةٌ، أو ما يشبه الأهزوجة، ضد شخص يدعى علوان عوصة، وكان عاملاً في المجاري، ومن المتمرين في ذلك الزمن الثوري، وهي: (علوان عوصة لو مات شيشيلَّه (ماذا يحمله) إلا مطي (حمار) سيد جواد ايشيله)! وحمار سيد جواد هذا كان موصوفاً بالضخامة!

كذلك ليس لأحد إغفال استغلال حساسية الظرف لتأجيج الصراع وتصعيده، بانفعالات غير محسوبة، وهذه قصة الشَّيخ والصحفي النَّجفي، وأحد خريجي الحوزة الدينية محمد حسن

=بأمر الحجاب إلا بحدود المدن الدينية، إلا أن الاتجاه السياسي، الذي مثله السيد محمد باقر الصدر، صرح بتحريم الدخول إلى الجامعات من غير حجاب، أو الزي الإسلامي. ومما لا شك فيه أن انطلاق الناس صبيحة 14 تموز (يوليو)، والإعلان عن مفاهيم الحرية ومحاولات كسر الضغط الاجتماعي المتمثل بالعشيرة والعادات والتقليد بفورة جامحة غير موضوعية وغير مسنودة بأساس، فإن الدعوة أخذت تظهر إلى العلن إلى السفور وبوسط النَّجف، وهي من المفروض مدينة دينية لا يجب أن يُخل بتقاليدها الظاهرة، ومع ذلك كانت المظاهر متشددة، فإنها مدينة ذات حراك ثقافي واجتماعي.

الصُّوري[94]، صاحب جريدة (الحضارة)[95] الأسبوعية، واحدة من المفتريات ضد اليسار، وتحشيد علماء الدِّين والعوام ضده. فما شاع آنذاك أن المجلة المذكورة نشرت (1959) ما يشبه الكاركاتير، وكتبت تحته عبارة (حمار الحكيم).

لكن، تبيَّن بعد ذلك أن الأمر لا يخص آية الله محسن الحكيم بأي شكل من الأشكال، وهذا الصوري يحكي القصة كما وردت، تحت عنوان (كيف وقعتُ في الفخ): (أثناء وقوفي أراقب طبع الحضارة إذ

---

94 نجد في شخصية الصوري إحدى التحولات الفكرية والاجتماعية، التي اتصف بها رعيل من طلبة الدِّين. مما كان من بين آل شرارة وآل مروة، القادمين من لبنان، وهو ولد بالعراق وحمل اسم مسقط رأس والده صور اللبنانية. فالرجل بدأ طالباً في الحوزة الدِّينية بالنجف، وهو ابن أحد وكلاء المراجع المعروفين، دخل سلك التدريس، وخلع العمامة وارتدى لباس الأفندية، وهجر الاهتمام الدِّيني إلى الاهتمام بالصحافة والسياسة، وصدر جريدة الحضارة بالنجف، في الثلاثينيات، وكان عرسه عندما حصل على موافقة وزارة الداخلية، ونشر على الصفحة الأولى وفي العدد الأول رسالة أتته من إمام اليمن، ثم غدت جريدته محلاً لأقلام أدباء العراق الكبار، وكانت تُجاز وتغلق حتى تموز 1958 لتعبر عن الثورة واليسار، وما حصل من إشكال له مع المرجعية الدِّينية بسبب كاريكاتير وتعليق، ليشتهر بها شهرة النَّار على العلم، لكن لا أحد يعرف حقيقة الحكاية، ومَنْ وراء اشتهارها. حُسب على أهل اليسار، بل على الحزب الشِّيوعي العراقي، وأشار له بعض المتربصين بالكافر، ثم نجا من انقلاب 8 شباط 1963 وهاجر إلى الصين، ليعلم هناك العربية، وتعلم الصينية، ثم خرج من الصين إلى برلين، فالعراق 1968 أصبح تحت سلطة حزب البعث مرة أخرى. وهناك ببرلين أشرف على برنامج الإذاعة العربية، وعاش حتى انكسار الاشتراكية ببرلين قبل موسكو (1989)، واستمر بالعيش هناك بعد تمكنه من الألمانية، وظل حاملاً العراق بين ضلوعه، معبراً عن ذلك الشعور بشعره، وتُفتح له نافذة جريدة إسلامية لا يسارية ليسكب فيها سطوراً من مذكراته، وقصائده، حتى مات غريباً (1998/7/28)، ولم نقرأ نعياً له في صحافة الحزب الشِّيوعي العراقي، أو بقلم الذين سايرهم أوان الخمسينيات وما بعدها (راجع عن حياته، جودة القزويني، محمد حسن الصوري.. رحلة من النجف إلى برلين، جريدة المنبر، العدد السنة 1998).

95 جريدة أسبوعية، صدرت نصف كل شهر مؤقتاً، أصدرها وترأس تحريرها محمد حسن الصوري ببغداد 1942 (إبراهيم، دليل الجرائد والمجلات العراقية 1869 1978- ص 355)، وصاحب الدليل المذكور عدها مجلة.

جاءني عامل من منضدي الحروف، فقال: نحن بحاجة إلى سطور قليلة لتكملة العمود الأخير، فاستمهلته قليلاً، ثم تناولت كليشة كاريكاتير، فكتبت تحتها كلمات فكاهية بلسان الحمار عن طبيب بعثي – يوم لم يكن للبعث شأن- يتحدث كل يوم بنصائح في تنظيف الفواكه والخضروات، وأردت أن لا أقلد الصحف المصرية، التي تنشر صورة حمار كاريكاتير، وتكتب تحته حمار أفندي، فاستبدلت حمار الحكيم بحمار أفندي... ولم يخطر بتصوري مطلقاً لقب حجة الإسلام السَّيد محسن الحكيم (قُدس سُره)، فأنا – يعلم الله – أحب هذا الرجل العظيم، وأقدس علمه وأخلاقه العالية، وعندي أصدقاء حميميون أوفياء ممَنْ يمتون برحم مع الإمام الحكيم، ومنه ابنه الفقيد يوسف الحكيم)[96].

قال الصوري: (عندما صدرت جريدة الحضارة إلى الأسواق، وفيها الفكاهة التي أصبحت جريمة كبرى، وفرصة سانحة أن تبث في النَّجف وكربلاء، وسائر المدن الجنوبية دعايات لئيمة ضد الصوري وحضارته اشتعلت كهشيم في النَّار. ثم قامت تظاهرات ضخمة، وأخذوا يتجولون في الشوارع ويصرخون عالياً بشتائم منظومة في العامية ... ووقف الجيش العراقي في الجنوب متأهباً للطوارئ بقيادة عبد الحميد الحصونة، وهذا القائد بعث برقية إلى الزعيم عبد الكريم قاسم

---

96 محمد حسن الصوري، مع الإمام المرجع الدِّيني الأول السَّيد محسن الحكيم في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم، جريدة المنبر، العدد: 15 المؤرخ في تشرين الأول (أكتوبر) 1996.

يطلب فيها أن يصدر حكماً بعقاب الصوري سريعاً)[97].

لم ينته الأمر مع الحكومة إلا بمقابلة الصوري لعبد الكريم قاسم، حيث بحثت عنه الشرطة لتخبره بضرورة المقابلة، وقد أخبره الصوري بحقيقة الأمر، بأنه كان مجرد فكاهة، وعرض عليه حينها كتاب توفيق الحكيم المعروف (حمار الحكيم) لا تعني آية الله الحكيم، بأي شكل من الأشكال. اقتنع حينها الزعيم، وأمر الحاكم العسكري قائلاً: (ألغ جميع الإجراءات التي قررنا اتخاذها ضد الصوري). قال الصوري: (ثم صافحنا ومضى)[98].

لكن، مَنْ أجج الموقف، ودس القضية على أنها ضد الإمام الحكيم؟ إنه السَّيد طالب الرِّفاعي، الذي سيرد اسمه ودوره كثيراً في الفصل الخاص بـ(حزب الدعوة الإسلامية) كونه من المؤسسين. فعلها الرِّفاعي كراهة بالشيوعيين واليسار إجمالاً، فعلى حد ما أخبرني به أحد الأصدقاء من الأكاديميين، وممَنْ تربطه وشائج مودة مع السَّيد الرِّفاعي، أن الأخير اعترف له، بعد أن هدأت النفوس وصفت الضمائر من الضغينة، وتبيَّن أن الجميع طوتهم آلة النظام العراقي السابق، من يسار ويمين: أنه كان وراء فبركة تلك القضية، التي كادت تسفر عن ضحايا في معارك محتملة بين عوام من أتباع المرجعية وعوام اليسار،

---

97 المصدر نفسه، وبخصوص الحصونة قال الصوري في حاشية مقاله: (بعد الانقلاب البعثي المجرم هرب القائد الحصونة إلى لندن، وإذ عرف أني أسكن في برلين بعث إليَّ صديقاً له يعتذر بحرارة، وأنه يأسف لما سببه لي من أتعاب).

98 المصدر نفسه.

وربما كان واحدة من دوافع آية الله الحكيم، وبقية المجتهدين، لإصدار الفتاوى المكفرة لمَنْ ينتمي إلى الحزب الشيوعي العراقي، وبثها فتنة قابلة للتصعيد، حيث قام بإيصال الجريدة إلى المرجعية، وبث خبرها بين النَّاس.

وللتأكيد اتصلت بدار السَّيد الرِّفاعي، وأكد لي الخبر أحد المقربين جداً منه، مثلما نقلها لي الأكاديمي الدكتور إبراهيم العاتي، حيث تعذرت محادثة السَّيد الرِّفاعي شخصياً لأنه كان على سفر، وهو حسب ما علمت كان يضحك من تلك الممارسة، بعد فوات نصف قرن عليها. أقول: وكم من قضية أو شحنة بثت ضد اليسار آنذاك، أو بالعكس ضد خصومه، وهي لا أصل لها، مثلها مثل ما فعله شخص يدعى السَّيد حسين، وهو من التيار القومي، عندما رمى بجرو من سور على مجلس حسيني، بمركز مدينة النَّاصرية (محرم 1959)، وصرخ باسم شخص شيوعي على أنه رماه لإهانة مجلس العزاء، ومعلوم ما يعنيه إدخال كلب إلى مسجد أو حسينية لما عليه من نجاسة معروفة في الفقه.

ولعلَّ الشَّيخ محمد حسن الصوري، الذي أضرب سوق الشورجة ووصلت برقيات من الجنوب والوسط، ومن قائد الفرقة الأولى السَّيد الحصونة شجباً لما ظهر في جريدته، كان محسوباً على اليسار، وليس حزبياً، لكن من المؤكد أن من أبنائه، وهو ماجد الصوري، كان معتقلاً بسجن الحلة، بعد شباط (فبراير) 1963، ومنتمياً للتنظيم الشِّيوعي، حسب ما رواه ليَّ المربي إبراهيم الأعسم، السجين معه.

ومثلها ما أشيع أيضاً حول تمزيق أو حرق القرآن، الذي أذاعته الإذاعة في العهد البعثي، وقبله تحدثت إذاعة صوت العرب المصرية فيه، واحتج عليه علماء الأزهر، على أنه من فعل الشّيوعيين، وقد عُلم، في ما بعد، ومن شهود عيّان من الجانب البعثي، بأنه كان عملاً من خصوم الشّيوعيين لتوريطهم به.

كتب حسن العلوي قائلاً: (قيل إنها وقعت في مظاهرة للحزب الشّيوعي أمام وزارة الدفاع، والتي سُجن على إثرها عدد من أنصار الحزب بقرار المحكمة العرفية. فلا ندري، كيف تم ذلك، وما للشيوعيين بقرآن حتى يمزقوه، ولماذا يمزقونه أمام وزارة الدفاع؟ إن أحداً لم يسأل ما دام ثلاثة شهود قد أقسموا أنهم شهدوا: هؤلاء يمزقون القرآن! وأغلب الظن أنهم الشهود الذين مزقوا القرآن)[99]. وبالمقابل كان خصوم القوميين والبعثيين يدسون لإذاعة (صوت العرب) المصرية تلفيقات وحتى فكاهات، سخريةً ونكايةً، لتبثها على أنها حقائق مثبتات[100].

وعودة على بدئه، يغلب على الظن، أنه لم تكن هناك مؤثرات أُخر كان يمكن للمرجعية الدّينية أن تبقى على الحياد إزاء ثورة 14 تموز 1958، لولا الاندفاع اليساري غير المحسوب، فحسب ما ورد في ما

---

99 العلوي، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين، ص 47-48.

100 أمثال ذلك: صحا العراقيون على صوت أحمد سعيد، مذيع صوت العرب الشهير، أنه يُذيع ما أُرسل إليه من بلاغ من بغداد (1959): أن مناضلين قوميين اعتدي عليهم وأودعوا السجن من قبل حكومة عبد الكريم قاسم والفوضويين الشّيوعيين، وهما المناضل عباس بيزة والمناضلة حسنة ملص. فأخذ يهتف بأعلى حماسته عبر الإذاعة: كُلنا حسنة ملص وعباس بيزة. ومعلوم أن الاثنين هما قواد ومومس.

كتب من قبل الأقربين من المرجعية عن حوادث تلك الفترة، أن التفكير بشأن تأسيس (جماعة العلماء) كواجهة لنشاط المرجعية السّياسي، من غير تبني فكرة الحزب، كان رداً مباشراً على ذلك الاندفاع، وما حصل من محاولة إحلال المظاهر الشعبية، من مسيرات عارمة، محل المظاهر الدّينية، وأين؟ بالمدن الدّينية نفسها.

ذكر السَّيد محمد مهدي الحكيم: أن تأسيس جماعة العلماء، وتحديد عنوانها، جاء ردة فعل لتهيؤ الشّيوعيين لزيارة أعضاء مؤتمر الأدباء العرب، المنعقد ببغداد، إلى النَّجف، بُعيد ثورة 14 تموز (يوليو) 1958، وبذلك ستعطي تصوراً لدى الزوار الأدباء أن النَّجف يسارية الطابع، وذلك بتهيئة أتباع الحزب الشّيوعي في التوجه إلى المدينة. وقد عُقد إثر ذلك اجتماع لجماعة من علماء الدّين بالنَّجف بعد الشعور بخطورة الموقف، وما سينقله الأدباء والكتاب العرب في بلدانهم من دعاية لليسار. وكانت الفكرة مقابلة المرجع الدّيني السَّيد محسن الحكيم (ت 1970)، ليناشد المسؤولين بجعل الصحن الحيدري تحت وصاية المرجع الدّيني مباشرة[101].

بعدها كتب آية الله الحكيم رسالة ناشد فيها متصرف كربلاء فؤاد عارف، أن يتدخل في الأمر، وقد ورد في الرّسالة عبارة (جماعة علماء النَّجف)، فأُخذت العبارة عنواناً للجماعة التي تأسست[102].

---

101 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد مهدي الحكيم حول التحرك الإسلامي بالعراق، ص 19-20.

102 المصدر نفسه.

وإثر ذلك تأسست (جماعة العلماء) كـ(حلقة وصل بين المرجعية والأمة)[103]. ثم ظهر بعد ذلك تجمع تحت عنوان (أنصار جماعة العلماء)، وهو الظهير الجماهيري لجماعة العلماء، ومهمته توزيع ما يصدر من منشورات)[104]. وقد وصف الحكيم التحرك الإسلامي السابق أيضاً كردَّة فعل، ما قبل تشكيل جماعة العلماء ثم حزب الدعوة، بالقول: (هذه الممارسات كانت تجري بدون طرح سياسي، فقد كانت بدايات غامضة، نعبر عنها بفترة الإرهاص السِّياسي، وقد جاءت هذه الممارسات عندما تحرك الشّيوعيون في المجتمع فحدثت ردَّة فعل تمثلت بذلك التحرك)[105].

تحدث السَّيد طالب الرِّفاعي عن بدايات تأسيس (جماعة العلماء)، بعد أن حددها، في ما بعد 1958، لمواجهة المدّ اليساري، مثلما تقدم، وهو الذي دفع بالعلماء، وفي مقدمتهم آية الله الحكيم أن يفكروا في المواجهة، وبذلك تشكلت (جماعة العلماء)، ومهامها إصدار منشورات توعية وإثبات حضور في الساحة. كان المنشور الأول موجهاً إلى عبد الكريم قاسم (قُتل 1963).

وقد ضمت تلك الجماعة مِن علماء الدِّين بالنَّجف: آية الله مرتضى آل ياسين، كان من المجتهدين وإمام جماعة، والشَّيخ عباس

103 المصدر نفسه، ص 21.

104 المصدر نفسه، ص 23.

105 المصدر نفسه، ص 27.

الرميثي، وكان، حسب الرِّفاعي، من أبرز المجتهدين في هذه الجماعة، والشَّيخ محمد جواد آل راضي، وآية الله حسين الهمداني، والسَّيد محمد باقر الشخص، الذي كان اجتماع التَّأسيس بداره، والسَّيد إسماعيل الصَّدر (الشقيق الأكبر لمحمد باقر الصَّدر ووالد عالم الدِّين الحالي بالكاظمية حسين الصَّدر)، والسَّيد موسى بحر العلوم، والسَّيد محمد تقي بحر العلوم، وآية الله خضر الدجيلي[106]. ويضيف الشَّيخ عبد الهادي الفضلي لتلك الأسماء، حسب مفكرته اليومية لعام 1959، الأسماء الآتية: السَّيد علي الخلخالي، السَّيد مرتضى الخلخالي، الشَّيخ محمد تقي الإيرواني، محمد حسن الجواهري، والشَّيخ محمد رضا المظفر، والشَّيخ محمد طاهر الشَّيخ راضي[107].

أصدرت جماعة العلماء نشرة باسم (الأضواء)، وكان يكتب افتتاحيتها السَّيد محمد باقر الصَّدر، وتتألف هيأة تحريرها مِن: الشَّيخ عبد الهادي الفضلي، الشَّيخ محمد مهدي شمس الدِّين، والسَّيد محمد حسين فضل الله، والشَّيخ كاظم الحلفي، والشَّيخ محمد رضا الجعفري[108].

106 مذكرات السَّيد طالب الرِّفاعي: www.freewebs.com/alrefaee/alrefaee1.html

107 الفضلي، قراءات في فكر العلامة الدكتور الفضلي، ص 30.

108 المصدر نفسه.

أما بمركز بغداد والكاظيمة، فتأسس فرع جماعة العلماء من التالية أسمائهم: السَّيد أحمد الموسوي، السَّيد إسماعيل الصَّدر، الشَّيخ جعفر الساعدي، السَّيد جعفر شُبَر، الشَّيخ جواد الظالمي، السَّيد حسن الحيدري، السَّيد حسين العلاق، السَّيد صادق الخلخالي، السَّيد صادق جواد الموسوي، السَّيد عباس الحيدري، الشَّيخ عبد الحسين الخالصي، السَّيد عبد الرزاق الموسوي، السَّيد عبد المطلب الحيدري، السَّيد علي الحيدري، الشَّيخ علي الصَّغير، السَّيد علي العلوي، السَّيد علي نقي الحيدري، الشَّيخ كاظم العظيمي، السَّيد محسن الموسوي، السَّيد محمد الحيدري، الشَّيخ محمد حسن آل ياسين، الشَّيخ محمد حيدر، الشَّيخ محمد صادق الخالصي، السَّيد محمد طاهر الحيدري، السَّيد محمد طاهر الموسوي، السَّيد محمد علي الأعرجي، السَّيد محمد هادي الصَّدر، السَّيد مرتضى العسكري، السَّيد مهدي الحكيم، السَّيد مهدي الصَّدر، الشَّيخ محمد النمدي، الشَّيخ موسى السوداني، الشَّيخ نجم الدِّين العسكري، السَّيد هادي الحكيم، الشَّيخ هادي الساعدي، السَّيد هاشم الحيدري[109].

ومن جانبه أكد السَّيد صدر الدِّين القبانجي، إمام الجمعة بالنَّجف حالياً - الروضة الحيدرية، ما ذكره السَّيد الرِّفاعي عن انطلاقة (جماعة العلماء)، وتأسيسها بعد 14 تموز(يوليو)، قال:

---

109 د. صاحب الحكيم، في الذكرى السنوية التاسعة لاستشهاد العلامة المجاهد السَّيد مهدي الحكيم، جريدة المنبر، العدد: 19، المؤرخ: كانون الثَّاني (يناير) 1997.

(المعروف عن هذه الحركة إنها تأسست بعد انقلاب الرابع عشر من تموز (يوليو) لسنة 1958. وفي هذه الفترة بالذات كانت التيارات اللاإسلامية تمتد في جسم الأمة، وتحرف مسيرتها نحو التحرر الكامل من المستعمر الكافر. إن جماعة العلماء بالنَّجف الأشرف أدركت مسؤوليتها في تحصين الأمة المسلمة عن هذه التيارات الضالة، ورفع مستوى الوعي الدِّيني)[110].

وينقل عن الشَّيخ أحمد الوائلي (ت 2003)، المعروف بعميد المنبر الحسيني، في أسباب تشكيل (جماعة العلماء) بالنَّجف: أن (الحرية النسبية التي أعطيت للنَّاس بعد سقوط الملكية بالعراق سنة 1958، أوجدت حالة من جذب الجماهير نحو الأفكار الإلحادية والانحلالية، فكان لا بد من طرح الفكر الإسلامي، وتعبئة الجماهير نحو هذا الهدف، والوقوف بوجه التيارات، التي عصفت بالعراق، ومن جهة أخرى شجعت هذه الحرية النسبية على التطلع فعلاً إلى نظام جديد بالعراق يقوم على أساس الدِّين الإسلامي كنظام حكم)[111].

أصدرت الجماعة منشوراً توجيهياً، نبهت ولفتت الأنظار فيه إلى تعاظم دور الحزب الشّيوعي العراقي في المجتمع، بل أرادت القول لعبد الكريم قاسم نفسه: (لا تجعل نفسك أسيراً لهذه الفئة، فإن هناك فئات ممكن أن تكون ممَنْ تتخذها نصيراً لك، وكان المنشور،

---

110 القبانجي، الجهاد السّياسي للسيد الشهيد الصّدر، ص 19.

111 السراج، الإمام محسن الحكيم، ص 116.

الذي أصدروه فيه تعاطف ومدح للزعيم عبد الكريم قاسم، في المنشور الأول)[112].

اعترض الرّفاعي على مدح عبد الكريم قاسم: (ذهبت إلى المرحوم الشَّيخ مرتضى آل ياسين، وقلت له: سيدي ما هذا الكيل من المدح إلى هذا الرجل، وهل هو يستحق كل ذلك؟! ومَنْ هو حتى تكيلون له بهذا المكيال، وترفعوه إلى هذه الدرجة بالمدح والتقدير؟! فأجابني المرحوم آل ياسين، رضوان الله عليه: ولدي سيد طالب هذا طُعم.. طُعم)[113].

كذلك يروي السَّيد محمد مهدي الحكيم أن والده السَّيد محسن اعترض أيضاً على أسلوب المنشور الأول وبقية المناشير، لورود اسم عبد الكريم قاسم فيها، فأجاب الحكيم والده: (هذا جواز مرور إذا لا يوجد اسمه نفقد الإذاعة)[114]. ولا يمنع أن يكون هناك أكثر من اعتراض، حيث ورد أن اعترض حزب (التحرير)، ويبدو من خلال الصلات مع أصدقاء شيعة، أو ممَنْ كان منتظماً في صفوفه منهم.

مثلما تقدم، بدأ عمل تلك الهيأة أو الجماعة بالتقرب إلى قائد الثورة والدَّولة عبد الكريم قاسم، بما يوازي تقرب الشّيوعيين منه، حيث وصفه بيانها الأول بـ(نصير الإسلام)[115]، وهو ما احتج عليه

---

112 مذكرات السَّيد طالب الرّفاعي:
.www.freewebs.com/alrefaee/alrefaee1.html

113 المصدر نفسه. والطُعم، حسب اللهجة العراقية، طعام يُرمى إلى السمكة في الصنارة، لجذبها ثم صيدها، ويُعرف أيضاً باللكط عندما يرمى للطيور من حبوب لصيدها، أو جذبها إلى الأقفاص.

114 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد مهدي الحكيم، ص 22.

115 المصدر نفسه، ص 21.

السَّيد الرِّفاعي مثلما تقدم، رداً على هتاف الحزب الشّيوعي واليسار بشكل عام بـ (نصير السلام)، فحينها تشكلت منظمة باسم (أنصار السلام)، متصلة بمجلس السلم والتضامن الدولي، الذي يحظى بتأييد الدول الاشتراكية ضد التسلح النووي والبلدان الرأسمالية، ومقره وارسو عاصمة بولونيا.

وأنصار السلام منظمة تأسست بالعراق عقب ثورة 14 تموز (يوليو) 1958، كفرع لمجلس السلم العالمي، وقد دخلها رجال دين عديدون، ولها فرع نشط بالنَّجف نفسها. انتظمت فيها شخصيات دينية، من أصحاب العمائم، وكانت قريبة من الحزب الشّيوعي العراقي نفسه. ففي الوقت الذي كانت المرجعية الدِّينية العليا قريبة من المدِّ القومي، بل ومؤيدة له، وأصدر المرجع الأعلى فتوى مفيدة لهذا التيار ومضرة بمناوئيه، مثل فتوى تحريم الانتماء إلى الحزب الشّيوعي[116]، كان هناك رجال دين نجفيون يشجبون تحركات

116 جاء في نص فتوى السَّيد محسن الحكيم: (بسم الله الرحمن الرحيم، لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشّيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد، أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) (17شعبان 1379هـ) (نشرتها جريدة الشهادة الخاصة بجماعة آل الحكيم في طهران بعد سنوات طويلة من صدورها، العدد: 2 كانون الأول (ديسمبر) 1986)، ويفهم من نشرها صلة بمطاردة الحزب الشّيوعي الإيراني (تودة) من قبل السُّلطة الإيرانية آنذاك. ولا نعلم مدى صحة ما أشار إليه (دان) في كتابه (العراق في عهد عبد الكريم قاسم 1 ص 383) من أن الفضل بإشاعة الفتوى بالجنوب العراقي يعود إلى الضابط عبد الحميد (أو حميد) الحصونة، كونه كان قائد الفرقة الأولى في الجيش العراقي، ومقرها الجنوب حيث الديوانية. والشيء بالشيء يُذكر أن اسم الحصونة، وهو من أهالي الناصرية، قد شاع في وقت مطالبة عبد الكريم قاسم بالكويت، وعدم تنفيذ الأمر، وتداول الناس خبر أنه تردد لجبنه، وهذا مجرد إشاعة لا أكثر، فهو قائد فرقة وضابط معروف لا يؤخذ بهذه التهمة! وقيل إن الحصونة لم يقدم على احتلال الكويت، وتنفيذ أوامر عبد الكريم قاسم، بعد=

القوميين، وجمال عبد النَّاصر، وأحداث الموصل، بما عُرف بحركة أو ثورة الشواف (1959).

وهنا ننتطرق إلى شيء من نشاط تلك الشخصيات، لتأكيد أن المعركة آنذاك لم تكن صرفة بين الجانب الدِّيني كله واليسار، إنما

= مشاورته أو استفتائه من المرجع الدِّيني السَّيد محسن الحكيم، وأن الأخير أفتاه بعدم التنفيذ، على اعتبار أن الحملة العسكرية ليس فيها دفع ضرر، وستؤدي إلى أذى المسلمين! هذا ما سمعه عدنان آل طعمة من الحصونة (العلوي، أسوار الطين، ص 96-97). إلا أن الحصونة، إذا صح عصيانه للأمر العسكري، لم يُعزل من منصبه كقائد فرقة (المصدر نفسه)! وأقول: إذا لم ينفذ الحصونة الأمر يمكن تكليف ضابط آخر. أما ما ورد على لسان عبد الكريم قاسم، عبر مقابلة أجرتها معه اللوموند الفرنسية قُبيل مقتله بأيام، وسأله الصحفي عن سبب عم الإقدام على احتلال الكويت، قال: (لم أرد القيام بضربة مماثلة لضربة هتلر في تشيكوسلوفاكيا، فأنا لستُ فاشستيا، كما أنني لا أريد إعطاء أعدائي فرصة اتهامي بتوظيف القوة لاستعادة قطعة مسلوبة من أرض العراق) (عبد الكريم قاسم في آخر مقابلة صحفية، حاوره ادوارد صعب للومند الفرنسية في 5 شباط 1963، مجلة أصوات العدد 13 نيسان 1993). هذا ويحدد السَّيد محمد مهدي الحكيم في مذكراته صلة المرجعية بالضابط الشُّيعي والعلوي حميد الحصونة: (كان أحد أسباب موقف الدعم لقائد الفرقة الأولى أنه سبق أن أدار قرارات منع بموجبها جريدة (اتحاد الشعب) الشُّيوعية من التوزيع في كل الألوية (المحافظات) التي هي تحت سيطرته، وهي سبعة ألوية عراقية، وفي وقتها كان الشِّيوعيون يشتمونه) (من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم حول التحرك الإسلامي بالعراق، ص 61). وخلافاً لِما أورده حسن العلوي من تنسيق بين مرجعية الحكيم والحصونة في شأن الكويت فإن ذلك لا صحة له، وهو مجرد أقاويل على ما يبدو. ففي العلاقة بين قائد الفرقة والمرجع يقول الحكيم الابن: (السَّيد الحكيم (قده) حاول أن يتعاون مع السَّيد حميد السَّيد حسين، قائد الفرقة الأولى، ويكوِّن علاقات خاصة معه، لكن هذه المحاولة لم تنجح، لأن هذا القائد كانت عنده حالة خوف عجيبة، والسَّيد كان له موقف جيد معه، حيث عندما جاؤوا بجنازة والده ذهب السَّيد للتشييع، وسار خلف الجنازة لمسافة طويلة بالرغم من أن حالته الصحية لم تكن تسمح له بالسير مسافة طويلة، ولكن السَّيد كان غرضه من ذلك إظهار الدعم والتأييد لقائد الفرقة الأولى) (المصدر نفسه، ص 60). كان المقصود بالتأييد هو إيجاد ما يوازي أو يضغط على زعامة عبد الكريم قاسم، لكن ذلك لم يحصل. قال الحكيم: (ما أتذكره أن السَّيد مرتضى القزويني ألقى خطاباً (عند التشييع) مدح فيه قائد الفرقة الأولى ولقبه بالزعيم، هذا الوضع خلق حالة خوف عند قائد الفرقة الأولى، الذي تكلم بالمشيعين وشكرهم، ثم قال: إن زعيمنا عبد الكريم قاسم) (المصدر نفسه). ويبدو أن هذا الاعتراف بعبد الكريم شكَّل القطيعة بين مرجعية الحكيم وقائد الفرقة الأولى المؤمل دوره في عملية الصِّراع!

انتقلت إلى داخل المؤسسة الدِّينية نفسها. ورد في أحد بيانات (أنصار السَّلام) وبإمضاء رجال دين من أعضائها: (بسم الله الرَّحمن الرحيم، إلى الملأ الإسلامي في جميع الأقطار والأمصار، لقد هاجمنا الدجال الوقح رئيس العربية المتحدة... وفي هذا الظرف الدقيق، الذي تمر به الأمة الإسلامية تقع علينا نحن رجال الدِّين مسؤولية تاريخية عظيمة يجب علينا تأديتها بأمانة وإخلاص عملاً بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنعاً لوقوع الفتنة، وإراقة الدماء، والدعوة إلى وحدة الصفوف. لذا نتوجه بندائنا هذا إلى رجال الدِّين في العالم العربي والإسلامي بأن يقفوا إلى جانبنا في دفع هذه الفتنة، وعدم توريط المسلمين في خلافات)[117].

ووقع رجال الدِّين بياناً آخر ضد ما كانت تذيعه إذاعة (صوت العرب) المصرية ضد حكومة العراق أيام عبد الكريم قاسم، وما أفردت له الإذاعة من نبأ كاذب أفاد بأن عراقيين قاموا بتمزيق القرآن أمام وزارة الدفاع. ومن الموقعين على بيان الشجب ضد تلك الإذاعة: الشَّيخ محمد حسين الجواهري، والشَّيخ عبد المهدي مطر، والشَّيخ محسن المظفر، والشَّيخ عبد الحسين الحسيني العاملي، والشَّيخ حسين المبارك، والشَّيخ علي آل محبوبة، والشَّيخ أحمد الدجيلي، والشَّيخ

---

117 جريدة اتحاد الشعب العدد 57 التَّاريخ 3 نيسان (أبريل) 1959. ومن الأسماء الموقعة على البيان أيضاً: الشَّيخ حسن الشَّيخ موسى الإيزرجاوي، والشَّيخ عبد الجبار علي الكعبي، والشَّيخ جعفر الشَّيخ كاظم العتابي، والشَّيخ حميد الشَّيخ أحمد البيضاوي، والشَّيخ حيدر الشَّيخ محمد، والشَّيخ عبد الكريم محمد، والشَّيخ عبد الأمير الحموزي، والشَّيخ جابر عبد الله العفكاوي.

موسى الجواهري، والسَّيد نوري الموسوي، والسَّيد جاسم شبر[118] (عددهم أربعين بين سيد وشيخ). وهؤلاء الفقهاء وطلبة الفقه، على ما يبدو، شكلوا هيأة أو رابطة باسم (رابطة رجال الدِّين الأحرار)، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، لكن أحد المحسوبين على الجناح القومي، ومسؤول الاستخبارات العسكرية في زمن عبد الكريم قاسم، نسب تأسيسها إلى الحزب الشُّيوعي العراقي، وكان يترأسها بالنَّجف الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء، نجل الإمام محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1954)، وما أعضائها الفقيه والمدرس محمد حسن الصُّوري[119]، المار ذكره في قضية جريدة (الحضارة).

حصلت اتصالات بين المرجعية الدِّينية، ممثلة بالسَّيد محسن الحكيم، والحكومة المصرية، تحت هدف التنسيق ضد حكومة عبد الكريم قاسم، وهناك مَنْ أشاع بأن اعتراف الأزهر يومها (1958)، في ظل إمامه الشَّيخ محمود شلتوت(ت 1963)، بالمذهب الشِّيعي هو بتأثير أجواء ذلك التقارب والتنسيق. قال هاني الفكيكي(ت 1996)، وهو قيادي بعثي سابق عاش تلك الفترة مسؤولاً حزبياً ثم عضواً في قيادة السُّلطة: (كان محمد كبول الملحق في سفارتها (مصر) ببغداد يوالي إيصال الرسائل بين عبد النَّاصر والسَّيد الحكيم، وكان من آثار التقارب، الذي صحبه تودد القاهرة لرِّجال الدِّين الشِّيعة المعارضين

---

118 جريدة اتحاد الشعب، العدد 50 المؤرخ في 26 آذار(مارس) 1959.

119 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 69.

لإيران أن الأزهر اعتبر المذهب الجعفري مذهباً إسلامياً خامساً واعتمد دراسته وتدريسه)[120].

لكن، تبدو الحقيقية غير ذلك، أن إصدار فتوى التعبد بالمذهب االشّيعي من قِبل الإمام شلتوت جاء بفعل إيمان الرجل بالتقارب بين المذاهب، وكان على صلة حميمة بمرجع زمانه السَّيد حسين البروجردي (ت 1961)، والفتوى بخطه محفوظة في خزانة ضريح الإمام علي بن موسى الرضا بطوس من بلاد إيران، وكان تاريخها (17 ربيع الأول لعام 1378هـ 1958).

ومع وجودها حاول الشَّيخ الإخواني يوسف القرضاوي نفيها في أكثر من مرة، عبر وسائل الإعلام، بينما نشر نصها الكاتب المصري فهمي هويدي، وهو الأقرب للإخوان، في كتابه (إيران مِنّ الداخل) إذا كان لا يُعتد بكتاب محسوبين على المذهب الشّيعي في نقلها! وهذا نصها: (إن الإسلام لا يوجب على أحد، من أتباعه اتّباع مذهب معين، من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولِمَنْ قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره، ولا حرج عليه في شيء من ذلك... إن مذهب الجعفرية، المعروف بمذهب الشّيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً، كسائر مذاهب أهل السُّنَّة)[121].

---

120 الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص 117-118.

121 أحمدي، سلسلة رواد التقريب 2، الشَّيخ شلتوت، ص 77. للإطلاع على صورة الفتوى ورأي الشَّيخ=

لكن، من غير هذه الفتوى، على وجه التحديد، كثيراً ما استغلت السياسة، والعاطفة الدِّينية بردات فعل، والتضامن ضد خصم، فالحال نفسه يشرح تعاطف جمال عبد النَّاصر مع الثورة الكُردية، عندما أعلن زعماء الكُرد الثورة في التاسع من أيلول (سبتمبر) 1961. بيد أنه في عهد العراق القومي سلم جمال عبد النَّاصر أسلحة لضرب الكُرد. هذا ما سمعته من سفير مصر بالعراق، في تلك الآونة، أمين هويدي، عندما سألته عن رشاشات بور سعيد، التي سلمتها القاهرة لبغداد بعد 8 شباط (فبراير) 1963.

قال هويدي بالحرف الواحد: (أنا الذي جلبتها لبغداد، للقضاء على الأكراد)، ثم استدرك (لا، أعني التمرد الكردي). ولما قلت: لكنها أصبحت بيد شباب الحرس القومي[122] من دون معرفة باستعمالها، وما حصل من قتل بها وتوزيعها على الشبان والمراهقين في الشوارع! قال: (وقتها زِعل عبد النَّاصر (كتير)، وأخبرت حازم جواد وغيره من أركان الحكم بغضبه)[123]!

= شلتوت كاملاً في هذه المسألة راجع: كتاب الوحدة الإسلامية، ص: 17 و21 - 22. وهويدي، إيران من الداخل، ص 327.

122 ميليشيا خاصة بحزب البعث تأسست بالقرار رقم 35 المؤرخ في 28 شباط (فبراير) 1963، وحُلت صبيحة 18 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 1963 أي بعد الانقلاب على قيادة البعث وإفراغ السُّلطة منه من قبل عبد السلام محمد عارف. ويُذكر أنها امتداد لجماعة مسلحة كان حزب البعث شكلها السنة 1962 تحت عنوان (لجان الإنذار)، وأنها ظهرت مباشرة أثناء القيام بالانقلاب، واحتلت مراكز الشرطة، وربط أعضاؤها على أذرعهم قطعة قماش نُقش عليها (ح- ق) أي الحرس القومي(سعيد، عراق 8 شباط/فبراير 1963 من حوار الدم إلى حوار المفاهيم، مراجعات في ذاكرة طالب شبيب، ص 165 الهامش).

123 لقاء على هامش مؤتمر المعارضة اليمنية، بعد حرب صيف 1994 بلندن، نوفمبر/تشرين الثَّاني=

لا يستنكر ذلك التَّضامن والتعاطف، إذا كان من دون قصد جعل القضية الكُردية وسيلة لمأرب آخر، إلا أن النتائج أسفرت عمَّا كان متوقعاً، وهو هدف إسقاط حكم عبد الكريم قاسم. وهذا ما اعترف، بعد مراجعة الحدث بعيداً عن المؤثرات، أحد أبرز القادة الكُرد والعراق عموماً، وصرح بخطأ توقيت اندلاع الثَّورة، السَّنة 1961. قال رئيس إقليم كوردستان مسعود البارزاني: (كنت في قرارة ضميري أتمنى أن لا تنشب ثورة أيلول في عهد عبد الكريم قاسم. وإنه إذا قُدر لها أن تنشب فلتكن قبلَ عهده أو بعده. ولربّما عذرني القارئ عن خيالي هذا حين يدرك أنه نابع عن الإحساس بالفضل العظيم، الذي نُدين به لهذه الشَّخصية التَّاريخية، وأنا أقصد الشعب الكُردي عموماً، والعشيرة البارزانية بنوعٍ خاص)[124].

كذلك أقام رجال الدّين، من الشّيعة والسُّنَّة، بما يوازي نشاط (جماعة العلماء) بالنَّجف، وهو بذرة (حزب الدعوة الإسلامية)، هيأةً مؤسسة لجمعية (رابطة رجال الدّين الأحرار) برئاسة الشَّيخ

=1995. راجع مقالنا: بشأن ما كتبه فلك الدّين كاكائي.. لمصر الناصرية غرض في تأييد الثورة الكردية، جريدة المدى الصَّادرة ببغداد، صفحة آراء وأفكار: 18 حزيران (يونيو) 2009 .

124 البارزاني، البارزاني والحركة التحررية الكُردية 3 ص21. ومما قاله: (فالثورة التي قادها في الرابع عشر من تموز (يوليو) 1958 كانت سبباً لتحرير مولانا الشَّيخ أحمد (البارزاني) من السجن بعد قضائه أحد عشر عاماً فيه... وبإصرار من عبد الكريم قاسم تم وضع المادة الثالثة من الدستور الموقت الصادر في 27 تموز (يوليو)، التي أقرت لأول مرة في تاريخ الدَّولة العراقية بل في تاريخ كردستان بشراكة العرب والكُرد في الوطن الواحد) (المصدر نفسه).

عبد الجبار الأعظمي (قُتل 1971) [125]. وجاء في بيانها لمواجهة فتوى التكفير، التي كان يصدرها شيوخ الأزهر ضد الجمهورية العراقية وحكومتها: (ما زال رجال الدِّين في الجمهورية العراقية على اختلاف مستوياتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم يواصلون الاجتماعات والاتصالات للتداول في الأمور التي تهم المسلمين، وتخدم مصالح الشعب، وخاصة في ما يتعلق بالحملات التي تشنها محطات الإذاعة في دمشق والقاهرة وصوت العراق، ومن التضليل والتهويش والمفتريات (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)[126] ضد جمهوريتنا المسلمة، وقائدها الأمين عبد الكريم قاسم ... ومن المؤسف أن يتخذ عبد النَّاصر الأزهر الشريف وسيلة لتحقيق مآربه ومطامعه وإسناد أكاذيبه بفتاوى دينية، وتقضي بتجريد صفة الإسلام عن المسلمين المخلصين، وإثبات الإسلام لعبد النَّاصر فقط...)[127].

وقد ضم مجلس (أنصار السلام) عدداً من رجال الدِّين، وأسسوا فرعاً بالنَّجف، ومنهم: عميد مدرسة الإمام كاشف الغطاء، الشَّيخ عبد الحليم كاشف الغطاء، والشَّيخ مجيد زاير دهام، والشَّيخ عبد الواحد سميسم، والشَّيخ الخطيب باقر الفخيراني، والسَّيد

---

125 سبق أن ذكرنا أن مدير الاستخبارات العسكرية في زمن عبد الكريم قاسم نسب تأسيسها إلى الحزب الشُّيوعي العراقي، وجعل رئيسها الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء (الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 69)، وربما كان المذكور رئيس فرعها بالنَّجف لا رئيسها العام.

126 سورة النَّحل، آية: 105.

127 جريدة اتحاد الشعب، العدد 49 المؤرخ في 25 آذار (مارس) 1959.

الخطيب عبد الحسن فياض، وخادم الروضة الحيدرية السَّيد محمد الحكيم، وخادم الروضة الحيدرية السَّيد حسين الحكيم[128].

ومثلما كانت تصدر مِن النَّجف تحركات مرجعية ضد الوضع العام، والقوانين التي أصدرتها ثورة 14 تموز بتأييد المدِّ اليساري، فإن علماء دين نجفيين كانوا يصدرون بيانات يستنكرون فيها ما يسمونه بالتَّآمر على سلامة الجمهورية، ومنها هذا البيان: (نحن نخبة من رجال الدِّين بالنَّجف الأشرف ندرك الفرق الواضح والبون الشاسع بين حكومة العهد البائد والعهد السائد... نحذر من حب السُّلطة والإمرة، ومن السعي إليها بالحيل والكذب والبهتان والتشويش... ونرى أن الحرية هي النظام. لأن الإنسان مجبر تارة ومختار تارة أخرى، فالحرية مقيدة بطاعة الله، ومعرفة مصلحة النوع الإنساني)[129]. وكان من الموقعين على البيان الشَّيخ عبد الحليم، نجل الإمام والمرجع المعروف محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1954)، والشَّيخ محمد حسن آل الطالقاني، صاحب مجلة (المعارف)، وغيرهما.

إضافة إلى ذلك، أن الحزب الشِّيوعي دخل النَّجف والمدن الدِّينية بقوة، وكان عليه ألا يفعل ذلك، أو ألا يحوِّل ما حصل عليه من وجود وانتشار إلى مظهر من المظاهر المقلقة للمؤسسة الدِّينية ذات

128 المصدر نفسه، العدد (2) المؤرخ في 26 كانون الثَّاني(يناير) 1959.

129 المصدر نفسه، العدد 26 المؤرخ في 25 شباط (فبراير) 1959.

التأثير الذي يُحسب حسابه. لكن ليس من الحق محاكمة تلك الأيام بوعي ما بعد خمسين عاماً! وأن ذلك الوجود كان حقيقة مغرية لأنصار الحزب الشّيوعي، كيف لا، وتنظيماته دخلت إلى عائلة آل الحكيم نفسها. ففي غضون (1959) كانت مقهى (حسين دوبة) بالنَّجف، على الطريق الذاهب إلى الكوفة، ملتقى شخصيات دينية يسارية، ومن أصحاب العمائم، ومنهم السَّيد كاظم الحكيم(عمَّه السَّيد محسن الحكيم)، والخطيب باقر الفخيراني، والشَّيخ عبدالوهاب شعبان، وآخرون، وبعدها ينتقل الجلساء ليلاً إلى الصحن الحيدري لمواصلة الحوار وتقليب أحوال ذلك الزمان الساخنة، هذا ما أفادني به أحد جلساء تلك الحلقات.

قال السَّيد محمد مهدي الحكيم حول تجاذبات القوى السِّياسية والقناعات في داخله: (الشّيوعيون يمثلهم السَّيد محمد الحكيم، وهو من أرحامنا، وهو الذي أسس الحزب الشّيوعي بالنَّجف، وقد ورط معه الأخوين جعفر وجواد أولاد الشَّيخ حسين مشكور، وكان هو وصالح بحر العلوم على اتصال مباشر مع فهد، وصالح بحر العلوم كان يقف ويهتف بسقوط فيصل. وبما أنني من أرحام السَّيد محمد الحكيم فقد حاول أن يركز جهده عليَّ، لكن أنا شخصياً كانت عندي مناعة من قبول الفكر الشّيوعي ولا أحبهم. وفي أحد الأيام تخاصمت معه في الصحن الشريف، وأخذت أتحدث بصوت عالٍ أن هؤلاء الشّيوعية كفرة وملحدون، فألح عليَّ بالسكوت، وقال لي: أسكت هنا

رجال أمن، وبعد هذه الحادثة تركني)[130].

من علماء الدِّين الكبار مَنْ اعتبرهم السَّيد مهدي الحكيم متعاطفين مع الشِّيوعيين، الجماعة التي تحيط بالمرجع حسين الحمامي (ت 1959)، وبالتالي الحمامي نفسه، وهو أحد العازفين عن إصدار فتوى تحرم الانتساب إلى الحزب الشّيوعي، على غرار ما أصدره السَّيد محسن الحكيم[131]. ويُذكر أن السَّيد يوسف الحلو، من جماعة الحمامي، ويعتبر أحد أقطاب (أنصار السلام) بالنَّجف، وابنه فلاح الحلو كان شيوعياً.

وحسب مذكرات الحكيم أن الحلو الأب قام بتزوير رسالة على لسان المرجع محسن الحكيم، موجهة إلى رئيس الوزراء نوري السعيد لإطلاق سراح ولده فلاح؛ حتى اكتشف الأمر الشَّيخ علي الشرقي(ت 1964)[132]. ولما رفض السَّيد الحمامي إصدار فتوى مؤيدة لفتوى الحكيم بتكفير الحزب الشّيوعي العراقي، قال الحكيم حول موقف آية الله الحمامي: (لم يصدر فتوى التكفير، ولذلك استغل الشّيوعيون ذلك وأخذوا يعلقون صوره في أماكنهم ومحلاتهم)[133].

---

130 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 28- 29.

131 المصدر نفسه، ص 62.

132 المصدر نفسه، ص 61.

133 المصدر نفسه، ص 62.

أتينا على تلك التفاصيل كي يُدرك أن الصّراع ليس من خارج النَّجف بل من داخله، وبين أوساط العائلات الدِّينية نفسها. كذلك لم تكن المرجعية على وفاق مع آل كاشف الغطاء، وهي أسرة دينية شهيرة، صفت لها المرجعية لزمنٍ ليس بالقصير، فالشَّيخ عبد الحليم نجل الإمام محمد حسين كاشف الغطاء كان مع أنصار السلام، والشَّيخ علي كاشف الغطاء، وهو من كبار العلماء، كان مخالفاً لموقف مرجعية الحكيم أيضاً[134]. وكذلك آخرون، فحسب ما أبلغني به القاضي أبي بيان حميد الحكيم(ت 1997) أن والده السَّيد سعيد الحكيم، وكان أحد علماء الدِّين المعروفين بالبصرة حينها، عرض تعميم نصَّ فتوى التكفير بالبصرة، بعذر أن البصرة ذات كثافة عمالية، وبالتالي وجود كثافة للحزب الشّيوعي العراقي فيها.

على خلاف ما أصدرته مرجعية السَّيد محسن الحكيم ضد الحزب الشّيوعي، كان للإمام محمد حسين كاشف الغطاء(ت 1954) رأي منطقي، لا يؤذي أحد ولا يوظف لافتة لحزب ضد حزب أو جماعة ضد جماعة، مثلما وظفت تلك الفتوى، وحدث تحت ظلها ما حدث، بل كان رأيه أن تُحارب الشّيوعية بشعاراتها لا بالعنف والتكفير ضدها. ذلك عندما طُلب من كاشف الغطاء موقف ضد انتشار الأفكار الشّيوعية، من قبيل فتوى مثلاً، وقد زاره لهذا الغرض، على ما يبدو، السفير البريطاني بالعراق، العام 1953.

---

134 المصدر نفسه، ص 71.

قال كاشف الغطاء للسفير: (إعلم أن الشّيوعية لا يجدي في قمعها ومقاومتها بالقوة، والشنق والإعدام، فضلاً عن السجون والتبعيد، والتعقيب الشديد، بل هي كحشايش الأرض، والزرع كلما حصدته تنمو جذوره وتزداد مهما تكرر الحصاد. الشّيوعية مبدأ ونظام، وإن كان مبدأً فاسداً ونظاماً معوجاً، لا يقضي عليه إلا المبدأ الصحيح، والنظام الصالح. أما مقابلته بمبدأ فاسد مثله، ونظام فاشل من شكله فلا يقضي عليه، ولا يقطع جذوره بل تبقى الحرب بينهما سجالاً... وقد تفشت وانتشرت أوكار الشّيوعية في العراق، حتى دخلت في بيوت أهل الدِّين، والزعماء الروحانيين، بل دخلت في السجون، واستهوت المدرسين والتلاميذ، ويُخشى أن يصبح العراق كإيران معتركاً لأهل اليمين واليسار...).

وأضاف: (الشّيوعية وليدة المهلكات الثلاث: الجهل، والفقر والمرض. هذه الأمراض التي يعانيها الشعب العراقي، وهي التي دفعته إلى ذلك الشذوذ والانقلاب الأعمى. كافحوا هذه الأدواء، وعالجوها لتموت جرثومة ذلك الداء قهراً، عاملوا النَّاس بالصدق والرفق، واغرسوا جذور المحبة في قلوبهم بالإحسان إليهم والعطف تكسبون مودتهم، وتأمنون عداوتهم، عالجوا سرطان الإقطاع الخبيث في جسم هذه الأمة، الذي هو أحد أسباب بل أقوى أسباب جوع الشعب وفقره، الغراف والكحلاء والمجر[135] تجري كلها ذهباً أحمرَ، ويتكدس في

135 مناطق تقع على مجاري الأنهار، خصبة التربة، بالناصرية والعمارة.

خزائن أفراد لا يتجاوزون عدد الأصابع والألوف، بل الملايين من الفلاحين وأهل الريِّف في أتعس حال، بل المتسولين والسائلين بالأكف أحسن حالاً منهم، قولوا لهؤلاء الإقطاعيين العشرة أو العشرين في العراق: تشكو صناديقكم ضيقاً بثروتكم.. والنَّاس من جوع ومن ضيق .. تودُّ أموالكم لو كنت خازنها .. حتى تحرر من أسر الصناديق)[136].

لقد أثرت فتوى السَّيد محسن الحكيم، وبقية علماء الدِّين ممَنْ نهجوا نهجه، على العلاقات بين النَّاس، ومجمل ما يتعلق في المعاملات اليومية، وهذا ما حدث مع آل الشبيبي، وكان الشَّيخ محمد الشبيبي(ت 1958)، وهو والد عضو المكتب السِّياسي للحزب الشِّيوعي العراقي حسين الشبيبي (أُعدم 1949)، ليس على وئام حتى من قبل ثورة 14 تموز، وهو لم يعش بعدها سوى ما يقارب الشهرين، فعندما تقدموا لبيع دار الشَّيخ محمد الشبيبي وقفت الفتوى حاجزاً أمام عملية البيع، وهبط سعر الدار كثيراً، بل ولم يتقدم أحد لشرائها لأنها دار كفر، حسب الفتوى المذكورة. وقد حدثني حفيد الشبيبي، محمد علي الشبيبي، بعد الاستفسار منه، حول موقف جده آنذاك، عندما أُعدم ولده.

جاء في رسالته نصاً: (لم تكن علاقة جدي جيدة مع محسن الحكيم. وأقص عليك هذه الرواية: عندما قررنا بيع بيت جدي في

---

136 محاورة الإمام المصلح كاشف الغطاء مع السفيرين، ص 21 22-.

عام 1960 أخبرنا الدلال بعدم رغبة الأهالي بشرائه بسبب شبه فتوى أو جواب على استشارة، لأن ساكنه شيوعي ملحد أو كافر، وقد أثرت هذه الفتوى على رغبة النَّاس لشراء البيت، وأدى هذا إلى انخفاض كبير في سعره فاشتراه الحكيم لابنه محمد باقر، ولكي يبرر معنوياً ما أدلى به والده من استشارة أو فتوى قام السَّيد الحكيم بطلب من البلدية أعارته سيارات رش الماء لغسل أرضية البيت وتطهيرها، وفعلا أسعفته البلدية بالسيارات)[137]!

كان الشَّيخ محمد الشّبيبي خطيب مجلس عزاء محلة البراق وسط النَّجف، ومجلسه يغص بالحاضرين، فهو من الخطباء القدماء المفوهين، ويتحرش بالسُّلطة كثيراً ثأراً لولده، وكان يلتبس على الحاضرين الأمر عندما يقول: (يا حسين يا بني.. يا حسين يا عزّي وكفيلي)! هل كان يقصد الإمام الحسين أم ولده حسين المعدوم من قبل العهد الملكي[138]. وأفادني حفيده محمد علي الشّبيبي أيضاً بأن جده كان يرد على هذا الالتباس قائلاً: (إني ارتقيت المنبر الحسيني وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، وسميت ابني حسيناً حباً واستذكارا بالحسين (ع)، وإني لفخور أن يكون ابني شهيداً). ثم يردد البيت التالي:

إن الأُلى بالطَّفّ من آل هاشم   تأسوا فسنوا للكرام التأسيّا[139].

---

137 رسالة شخصية مؤرخة في 30 أيلول (سبتمبر) 2009.

138 الرفيعي، النَّجف الأشرف.. ذكريات ورؤى وانطباعات ومشاهد، ص 177.

139 رسالة شخصية مؤرخة في 30 أيلول (سبتمبر) 2009. قيل: البيت لمصعب بن الزبير (قتل 71 هـ 691

ومن قسوة الصِّراعات آنذاك لم يسلم الطاعن بالسن، والمفجوع بولده من إيذاء من أتباع حزب الاستقلال القومي، على وجه التحديد، فكانوا يرددون ضد الشَّيخ الطاعن بالسن الشِّبيبي عندما يرونه وسط الصحن الحيدري: (طاح حظك يالشبيبي! وسط فرح الشرطة ومسؤولي النظام آنذاك)[140].

ولعل أخطر ما تورطت به المرجعية الدِّينية، بشخص آية الله محسن الحكيم، وكذلك الشَّيخ محمد مهدي الخالصي(ت 1963) ومفتي بغداد الشَّيخ نجم الدِّين الواعظ(ت 1975)، وحسب الاستفسار من الدكتور محسن الشَّيخ راضي كان أيضاً الشَّيخ أمجد الزهاوي(ت 1967) من أهل السُّنَّة، بإعطاء فتاوى قتل، وهو ما نقله عبد الغني الراوي، الضباط الذي كُلف بتطبيق الشريعة بقتل الشِّيوعيين(1963)، وما عُرف ببيان رقم (13) لسنة 1963 الذي أصدره الحاكم العسكري العام رشيد مصلح، وما نقله الشَّيخ طه جابر العلواني في كتابه (الرِّدَّة والمرتدون)، وما أشار إليه السِّياسي هاني الفكيكي[141].

=الحسين بن علي(قتل 61 هـ 680 ميلادية)، وكيف فعل بإبائه(الطبري، تاريخ الأمم والملوك 5 ص 259). ميلادية)، استشهد به عندما تواجه مع جيش عبد الملك بن مروان بالدُّجيل، شمال بغداد، وسأل عن=

140 الرفيعي، النَّجف الأشرف.. ذكريات ورؤى وانطباعات ومشاهد، ص 177.

141 راجع: العلواني، لا إكراه في الدِّين.. إشكالية الرِّدَّة والمرتدين، ص40-45. مذكرات عبد الغني الراوي، جريدة الزمان الصَّادرة بلندن، العدد 292 في نيسان (أبريل) 1999. الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص 279. اسم رجل الدِّين كان نجم الدِّين الواعظ، حسب الشَّيخ العلواني الذي أبلغه به عبد الغني

ولما سألت السِّياسي الدكتور محسن الشَّيخ راضي، وعضو مجلس قيادة الثورة والقيادي في حزب البعث حتى 1964، عن القضية أكد لي أنه رأى وريقات كانت بيد الرئيس عبد السلام عارف (قتل 1966) أدخلها له عبد الغني الراوي، وقال: هذه فتاوى من علماء الدِّين بقتل الشِّيوعيين، وورد اسم السَّيد الحكيم وأمجد الزَّهاوي. لكن الراضي لم ير الفتاوى كنصوص إنما سمعها بوجودها من عبد السلام عارف، وكان مجتمعاً عنده مع هاني الفكيكي وآخرين[142]. واجمالاً، أن الفقهاء الذين أُخذت منهم الفتاوى كانوا مناصفة من الشِّيعة والسُّنَّة، والسَّبب على ما أظن كون الحزب الشِّيوعي العراقي كان يجمع ما بين المذهبين وأهل الأديان الأخر، وهم: الشَّيخ أمجد الزَّهاوي والمفتي نجم الدِّين الواعظ من أهل السُّنَّة، والسَّيد محسن الحكيم والشَّيخ محمد مهدي الخالصي من أهل الشِّيعة.

وذكر عبد الغني الرَّواي فتوتي علماء الشِّيعة فقط، ونص التي أخذها من الشَّيخ الخالصي وهو بالكاظمية: (الشِّيوعيون مرتدون وحكم المرتد القتل، وإن تاب، وإن كان متزوجاً وحكم الزوجة والأولاد، وإن كان لديه أموال منقولة أو غير منقولة وحصة الإمام)[143]. وهي ذاتها أخذها من السَّيد الحكيم بعد زيارته النجف، ونصها:

الرَّاوي، وليس أمجد الزَّهاوي.

142 لقاء خاص مع الدكتور محسن الشَّيخ راضي، لندن 10 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 2010.

143 عبد الغني الراوي، مذكرات، جريدة الزمان، العدد 292 في 9 نيسان 1999.

(الشّيوعيون مرتدون وحكم المرتد القتل وإن تاب (قال عبد الغني الراوي: ثم أمر ولده بالتوقف، وقال يخاطبني: سيد عبد الغني الشّيوعيون نوعان. أجبته: سماحة الإمام أنا ألتزم بما تكتبه بالضبط، فقال مخاطباً ولده) الشّيوعيون نوعان، الأول مَنْ آمن بها وحمد بها ولم يرجع عنها فحكمه كما جاء أعلاه. والنوع الثّاني من اعتبرها تقدمية ومعاونة للمحتاجين، وهؤلاء يحجزون، ويفهمون ويعلمون الصح من الخطأ، فإن تابوا يطلق سراحهم، وإن أصروا عليها فحكمهم كما جاء أعلاه، وبين حكم الزّوجة والأولاد والأموال المنقولة. وغير المنقولة وحصة الإمام)[144]. كنت توسعت في هذه القضية في كتابيَّ: (الأديان والمذاهب بالعراق)، و(طروس من تراث الإسلام)، و(لا إسلام بلا مذاهب.. وطروس أُخر) (الطرس الثامن).

جاء رد الحزب الشّيوعي العراقي على فتوى التكفير والتحريض ضده من قبل المرجعية متأخراً، بتأييد اتهام الحكيم الابن بالجاسوسية، جاء في بيان اللجنة المركزية، والحزب لا زال تحت الظرف السري، مع وجود غزل لتشكيل جبهة وطنية، جاء الرد في بلاغ اللجنة المركزية: (كشفت الحكومة أيضاً بجرأة عن بعض شركات التجسس الأمريكية وأقطابها، ومنهم رشيد مصلح، ومدحت

---

144 المصدر نفسه.

الحاج سري، وسيد مهدي سيد محسن الحكيم أحد أقطاب الرجعية بالعراق، وأحد المحرضين البارزين على إقامة المذابح ضد الشّيوعيين والديمقراطيين لصالح الاستعمار والرجعية) (تقرير اللجنة المركزية، كانون الأول/ديسمبر 1969) [145].

وبالاتهام نفسه كان ينظر السَّيد مهدي الحكيم، من قبل، إلى أعضاء الحزب الشّيوعي العراقي، فهو لا يرى بينهم مَنْ هو وطني أو هواه عراقي، وإنما في عقيدته أنهم فئتان، معتمداً في ذلك على مذكرات المنشق عن الحزب الشّيوعي مالك سيف، والمتهم من قبل الحزب في التعامل مع الجهات الأمنية، والتي نشرها في أيام نوري السعيد (قُتل 1958): (لا إشكال في أن الشّيوعيين يوجد ضمن قياداتهم عناصر غير روسية، وإنما هي ترتبط ببريطانيا... والأكثر من هذا بأنه قُبيل ثورة 14 تموز (يوليو) عُقد اجتماع من ثلاثة أشخاص فقط من اللجنة المركزية، واتخذوا خلاله بعض القرارات الحزبية، ولما حدثت الثورة وجدوا تقريراً مفصلاً في دائرة الأمن حول هذا الاجتماع، وهذا يعني أن واحداً أو أكثر كانوا عملاء. كما يُدلل على أن الشّيوعيين كانوا مخترقين، وكان معروفاً عندنا يومذاك تسمية الشّيوعيين بفجل كركوك، وفجل كركوك ظاهره أحمر أما واقعه فغير ذلك) [146].

145 راجع تفاصيل أخرى، مقالنا المنشور باسم مرتضى أحمد، في تاريخ العلاقة بين الحزب الشّيوعي العراقي والقوى الإسلامية (حلقتان)، جريدة الحياة، العدد 12108 و12109 تاريخ: 19-20 نيسان (أبريل) 1996.

146 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 59.

لا نبحث في أدلة اللجنة المركزية للحزب الشّيوعي العراقي ضد السَّيد الحكيم، ولا في أدلة الأخير ضد الحزب الشّيوعي، فكلاهما يشيران إلى كيف تُقيم الأمور بردات الفعل العنيفة، حتى تصبح الأقاويل حقائق مفروغاً منها، لكن العبرة أن الطرفين: المرجعية، التي سنرى كم بلغ عدد قتلاها ومن آل الحكيم أنفسهم، وما بلغ من قتلى الحزب الشّيوعي، كلاهما جمعاً في الطريق، حيث أول مؤتمرات المعارضة (بيروت 1991)، وحيث شوهد في الصورة تجاور مقعدي أمين عام الحزب الشّيوعي العراقي عزيز محمد ورئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وعميد أسرة آل الحكيم محمد باقر الحكيم!

وإن اعتبر مهدي الحكيم هوى الشّيوعيين العراقيين سوفياتي وبريطاني إلا أنه شهد لحليفهم، آنذاك، الزعيم عبد الكريم قاسم بأصالته العراقية، قائلاً: (لم يكن يملك حساسية طائفية، ولا حتى دينية، وكان يجلس مع المسيحيين وكأنه أحدهم، فلم يكن عنده إحساس ديني أو مذهبي، فهو ليس بشيعي، وليس بسُنّي، وليس بمسلم، وليس بيهودي، فهو عراقي، وهذا الأمر جعله لا يملك تحيزاً لجهة شيعية أو سُنّية)[147]. لكن، هذا هو ما قرب بين الشّيوعيين والزعيم.

ويعترف الحكيم أيضاً لذلك الزمن، الذي غالت المرجعية

---

147 المصدر نفسه، ص 62.

بعدائه، حتى بعد انسحاب الحزب الشيوعي العراقي من الساحة بشكل كامل بعد شهور معدودة من قيام الثورة، وما حصل من خلاف مع الحكومة: (كما أن الشيعة كانوا الأكثرية في الشعب، وهذا سيجعلهم تدريجياً سيحصلون على المناصب، كما حصلوا بالفعل، فقد أصبح السَّيد حميد السَّيد حسين (الحصونة) قائداً لفرقة، وهي أول مرة بالعراق يصبح أحد الشيعة قائداً لفرقة)[148].

إجمالاً، تعقدت الأمور بين السُّلطة والمرجعية، فإضافة إلى ما حصل تشددت الأخيرة ضد القوانين التي أصدرها عبد الكريم قاسم: قانون الأحوال الشَّخصية، وقانون الإصلاح الزراعي، وإلغاء قانون العشائر، أو السواني مثلما كان يعرف، وليس من رجعة عن العداء، حتى أنها خرجت عن نطاق علاقة الزعيم بالحزب الشيوعي، فسرعان ما تحول الموقف إلى موقف سياسي عام، وفسح المجال للمتعاطفين ضد الثورة من كل حدب وصوب، وأصبح الوضع لا يقبل الترميم، انتهت تلك الحقبة وأتت حقبة أخرى ليست أفضل للمرجعية من سابقتها.

أبرز ما واجه الحكيم في زمن عبد السلام عارف (قُتل 1966) هو الموقف من القضية الكُردية، حيث عُقد مؤتمر حضره ممثل من الأزهر لإسناد الحكومة بالقتال ضد الكُرد، على أنهم (جماعة باغية)، ولما طُلب منه تأييد ذلك رفض الطلب، وأن رسالة أو برقية زورت على لسان الحكيم أشارت إلى تأييد الحرب، وعندها نشرت

148 المصدر نفسه، ص 63.

المرجعية تكذيباً[149].

وملخص القول: ليس هناك فتوى بتحريم قتال الكُرد، بقدر ما كان موقفاً من تزوير برقية أذاعها التوجيه المعنوي لوزارة الدفاع العراقية عن لسان المرجع محسن الحكيم. وبطبيعة الحال هذا ليس بالقليل، إلا أن مفهوم الفتوى كنص شرعي يختلف عن الموقف أو التوضيح. ومع ذلك تعاملت القوى الكُردية مع التوضيح كفتوى، وأشاعتها على هذا الأساس، ويبدو لحاجتها لمثل هذا الموقف. ومن جانب آخر رفضت المرجعية الوساطة، التي طُلبت منها، بين الحكومة والكُرد، خشية من عدم الاستجابة[150].

كانت الصِّلات مع حكومة عبد السلام عارف متدهورة، إلى حدٍّ رفض السَّيد محسن الحكيم استقبال الرئيس، على أساس أنه طائفي، ولم يهتم بطلبات المرجعية[151]. أكد ذلك العقيد المتقاعد محسن الرُّفيعي(ت 2003)، مدير الاستخبارات في عهد عبد الكريم قاسم ومحافظ الكوت في عهد عبد السَّلام عارف، عندما كُلف بالتَّوسط لدى السيد محسن الحكيم في موافقته على استقبال الرئيس عبد السَّلام ومقابلته له بالنَّجف، بعد أن رفض الحكيم الطلب الذي تقدم به أكثر مِن شخصية ومنهم مرافق عبد السَّلام عارف عبد الله مجيد، قال

---

149 المصدر نفسه، ص 70-73.

150 المصدر نفسه، ص 76.

151 المصدر نفسه، ص 66 67.

الرُّفيعي: (التقينا المرحوم السيِّد محسن الحكيم، أنا والأستاذ باقر الدُّجيلي في داره في الكوفة، وعرضنا عليه الفكرة، إلا أنه أصر على الرَّفض، ووصل في اليوم التَّالي المرحوم عبد الله مجيد إلى الكوفة، وأطلعناه على نتائج محاولتنا وفشلنا في إقناع السيِّد الحكيم)[152].

حزب التَّضامن الوطني

شاعت بين الأوساط العِراقية مذكرة، تجمع بين النُّصح والاحتجاج، قدمها الشَّيخ محمد رضا الشّبيبي، في 28 تشرين الأول (أكتوبر) 1965، أي قُبيل وفاته بحوالى الشهر (26 تشرين الثاني 1965) إلى رئيس الوزراء عبد الرَّحمن البزاز (ت 1973)، أيام عبد السَّلام عارف، وعُرفت بمذكرة الشّبيبي، لكن القلة القليلة تعرف أنها صادر مِن حزب تأسس آنذاك بعنوان (التَّضامن الوطني)، وفيه مغزى الرَّد على الطَّائفية التي يُعتقد أن عبد السَّلام عارف كان ينهجها، وعلى ما يبدو كان علنياً، تزعمه الشَّيخ الشّبيبي، ومِن أعضائه: السيِّد مرتضى العسكري (ت 2007)، ومحمد مهدي الحكيم (اُغتيل 1988)، واللواء المتقاعد عبد الحميد الحصونة، المار ذكره عند الحديث عن علاقة المرجعية بالحكم زمن عبد الكريم قاسم، ومدير الاستخبارات أيام قاسم العقيد المتقاعد محسن الرُّفيعي (ت 2003)، وباقر الدُّجيلي، وباقر عبد الغني البلداوي (ت 1973)، وضياء سبتي،

---

152 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 117 118-.

وأنور جوهر، وعلى ما يبدو أنهم كانوا مِن الشّيعة، ومنهم تكنوقراط ومثقفون وفقهاء دين.

ومِن المعلوم أن مرتضى العسكري ومحمد مهدي الحكيم كانا مِن الأوائل الدّاعين لتشكيل حزب الدّعوة، مثلما سيأتي الحديث. ومِن اللافت للنّظر، أن نجل السيد محسن الحكيم الآخر السيّد محمد رضا الحكيم، وما يُشاع عنه بأنه ذو ميول قومية، كان ضد هذا الحزب، حتى وصف دوره بالدور العنيف لتخريب التّنظم[153]. لكن الحزب انتهى بوفاة منشئه الشّيخ الشّبيبي، ولم يتفق أعضائه على رئاسته بين أن تكون للرُّفيعي بدعم مِن العسكري والحكيم أو عبد الحميد الحصونة[154].

أهم ما تمكن منه الحزب، خلال فترة وجوده القصيرة، هو تقديم مذكرة لإصلاح الوضع السياسي، والعودة إلى الحياة الدُّستورية البرلمانية، مثلما كان الحال في العهد الملكي (1921 - 1958)، وإنهاء الأحكام العرفية، وهو ما يشبه حالة الطّوارئ، وإنهاء الحقبة الانتقالية، التي بدأت مع ثورة 14 تموز 1958، وقد اتخذت المذكرة مِن المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء عبد الرَّحمن البزاز، الذي أذاع فيه عزم الحكومة على الإصلاح السّياسي والاقتصادي والإشارة إلى الانتخابات الحرة، ومِن أهم النقاط الواردة في المذكرة:

---

153 المصدر نفسه، ص 121.

154 المصدر نفسه.

- تذكير الحكومة على الالتزام بما تفوه به رئيسها في المؤتمر المذكور، والإسراع بإعادة الحياة البرلمانية إلى البلاد بإجراء انتخابات حرة.

- العمل مِن أجل الوحدة العربية، حيث كثر الحديث الرسمي حولها، عبر الاستفتاء الشعبي لا عبر قرارات حكومية.

- محاربة الطَّائفية في الأفعال لا في الأقوال، وهي إشارة إلى تصرفات الرئيس عبد السَّلام عارف شخصياً، حيث أصبح الطَّائفية أسلوباً في الحكم، على الرَّغم مِن تجريم القانون لمَن يُشجع عليها، وجاء في هذا البند: (لا نذيع سراً إذا قلنا: إن كثرة الشَّعب ساخطة جداً مِن جراء ذلك، وإنها تعتبر كرامتها مهانة، وحقوقها مهضومة لاسيما وقد رافق ذلك سوء اختيار بعض مَن يمثلونها في جهاز الحكم).

- الدعوة إلى بسط السَّلم بشمال العِراق، والحفاظ على الوحدة الوطنية، حيث الحرب كانت ضد الحركة الكُردية، وتحقيق مبدأ الشَّراكة في الوطن. ولما عُرضت المذكرة على الشخصيات الكردية ارتأت زيادة المطالب الخاصة بالكُرد.

- تحرير النَّقابات مِن الهيمنة السِّياسية الرَّسمية والتعامل معها على أساس مهنيتها.

- لفت الانتباه إلى سوء تطبيق القرارات الاشتراكية، التي سار العراق بها على هدى التجربة الاشتراكية النَّاصرية بمصر، وطبقتها

الحكومة في 14 تموز 1964، فقد أدت إلى زيادة البطالة، وقلة الإنتاج، والتبذير بالأموال، وتشجيع تهريب رؤوس الأموال إلى خارج العِراق.

- تدارك السياسة المرتجلة في مكافحة البطالة، وتدارك تطبيقات قانون الإصلاح الزِّراعي التي أدت إلى تخلف الزِّراعة بالعِراق، وإعادة النَّظر في قانون الضرائب، وعلى وجه الخصوص ضريبة الدَّخل وضريبة التَّركات.

-إعلان مفاوضات النِّفط بين الحكومة والشركات الأجنبية العاملة داخل البلاد، ويرى مقدم المذكرة أن قانون 80 لسنة 1960 والخاص بتأميم 99 بالمائة مِن الأراضي النفطية غير المستثمرة مِن قبل الشَّركات، واعتبار هذا القانون، وشركة النِّفط الوطنية، مكسباً للشعب العِراقي، مِن الضروري الحفاظ عليه، وعرض نتائج المفاوضات على ممثلي الشعب قبل إعلانها والقبول بها.

- معارضة احتكار العمل السِّياسي عبر الاتحاد الاشتراكي العربي، الذي أسسته السُّلطة تيمناً بالتَّجربة النَّاصرية بمصر، ولا بد أن يضم النَّقابات ومختلف الفئات العاملة، وأوضحت المذكرة بأن هذا الاتحاد أخذت تتنازعه الأهواء منذ تأسيسه[155].

ما يتعلق بمرجعية السيَّد الحكيم، وعلى الرَّغم مِن أن نجله كان أحد أعضاء حزب (التَّضامن) والموافقين على صياغة وتقديم

---

155 المصدر نفسه، راجع نص المذكرة: ص 106 110-.

المذكرة، إلا أن نصها وصل إلى السيَّد الحكيم عن طريق أحد المتعاونين مع رئيس الوزراء البزاز، وإظهار الشيخ الشّبيبي بأنه متعاون مع الحزب الشّيوعي العراقي، كذلك قام نجل السيَّد الحكيم محمد رضا الحكيم، وهو مثلما تقدم، كان ضد حزب (التَّضامن) مِن الأساس، بإشاعة أن والده لا علاقة له بالشّبيبي والحزب الذي يقوده[156]. وبالتالي لا يهمه أمر المذكرة. وما يسترعي الالتفات أن أهم مطلب دأبت مرجعية الحكيم على دفع الحكومة لتنفيذه وهو إلغاء قانون الأحوال الشخصية، لم تتضمنه المذكرة، مع وجود نجل الحكيم والسيَّد العسكري كأعضاء في حزب التَّضامن.

الحكيم ما بعد عبد السَّلام

على خلاف ما كان عليه الحال مع عبد السَّلام عارف لم تواجه المرجعية أي موقف حرج مع رئاسة أخيه عبد الرحمن عارف (ت 2007)، سوى اعتراضها أثناء لقاء تم بين الرئيس ونجل السَّيد الحكيم على التدخل المصري في شؤون العراق، وأن الحكيم الابن قال لرئيس الجمهورية عندما استقبله الأخير في القصرِ الجمهوري ببغداد: (إننا لا نعيش الآن في دولة مستقلة، وإنما نحن أُناس تابعون لعبد النَّاصر، أو نحن جزء منه)[157]. وهذا ما كان يحاذر منه عبد الكريم قاسم، والقوى التي لا تريد الوحدة الفورية مع مصر. وهنا

---

156 المصدر نفسه، ص 112.

157 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 76.

نجد تبدلاً في الموقف إزاء مصر وجمال عبد النَّاصر، بعد أن انتهى ما كان يجمعهما إلا وهو الموقف ضد حكومة عبد الكريم قاسم، مثلما تقدم الحديث.

ومما يُذكر أنه في مرض السيَّد الحكيم، خلال رئاسة طاهر يحيى للحكومة في العهد العارفي، لعله عهد عبد الرَّحمن عارف، تبارى تجار سوق الشورجة، وهو يشبه بالبازار الإيراني، على استئجار طائرة خاصة لنقل الحكيم إلى لندن، لكن نجله محمد رضا الحكيم اقترح على الحكومة أن تحمل أمر نفقة النقل، فعندها خصص رئيس الوزراء طائرة له، وحضر لتوديعه شخصياً، واندفع نحو الحكيم وحمله بين يديه حتى مصعد الطائرة[158].

أما أعنف مواجهات مرجعية السَّيد الحكيم السِّياسية فكانت مع دولة البعث الثَّانية (17 تموز/يوليو 1968)، والبداية أن تم اتصال بالمرجعية من قبل البعثيين قبل الانقلاب، والسؤال: (ماذا تريدون)؟! وبهذا كانت المرجعية تهيأت للحدث، وكان لديها تصور بأن عبد الرحمن لن يبقى! وكان الموقف لا محاربة ولا مسالمة. وتمت لقاءات بين نجل الحكيم وكيله ببغداد من جهة، ورئيس النظام الجديد أحمد حسن البكر (ت 1982) من جهة ثانية، وجرت مطالبة بعدم إلغاء مشروع جامعة الكوفة[159]. تلك الجامعة التي أسسها فريق من الأكاديميين

---

158 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 132.

159 ليست جامعة الكوفة القائمة الآن، إنما كان مشروع حضاري أكبر بكثير من كونه أكاديمية، أو جامعة

العراقيين الشِّيعة، وترأس لجنتها التَّأسيسية المعمار محمد مكية. ثم في مقابلة أخرى جرت المطالبة فيها بإلغاء شمل طلبة الحوزة الدِّينية بقانون التجنيد الإجباري، وكان جواب البكر أنهم يعدونهم للجهاد!

وفي هذه الأثناء، حسب مذكرات الحكيم، كان صدام حسين (أُعدم 2006) يطلب المقابلة، التي اشترطها في داره، وقد جرى الرفض بحجة عدم وجود موقع رسمي له، بل موقعه كان حزبياً، ولا تريد المرجعية التماس مع الحزب، إنما مع الدَّولة لأنها جهة مسؤولة. ومع ذلك وافق الحكيم الابن على استقبال صدام بداره هو، لكن صدام أصرَّ أن يكون اللقاء بداره بعذر مقتضيات الأمن، وبعد المحاولات ورفضها قيل: توعد صدام السَّيد مهدي الحكيم!

وبعدها جاءت زيارة السَّيد محسن الحكيم الاحتجاجية إلى بغداد، حزيران (يونيو) 1969 واللقاء بعلماء الدِّين هناك، من الشِّيعة طبعاً، وإعلان الزِّيارة بما يفهم أنها احتجاجية. ويُنقل عن السيَّد مرتضى العسكري (ت 2007)، وهو أحد قياديي حزب الدَّعوة آنذاك بأنه حضر لتعبئة جماهيرية تتزامن مع زيارة الحكيم، مِن دون علم الأخير[160]، ترفع شعارات مندِّدة بالسُّلطة وتدعو إلى إسقاطها، على اعتقاد أن سلطة

كيفية الجامعات. للاستزادة في شأن مشروع هذه الجامعة راجع: محمد مكية، خواطر السنين، الفصل الرابع: مشروع جامعة الكوفة، ص 215 وما بعدها (بيروت: دار الساقي 2005).

160 لقاء مع سليم الحسني، أحد الكوادر الإعلامية السابقة في حزب الدعوة، ومن الملتصقين بمرتضى العسكري، لندن 20 شباط (نوفمبر) 2011.

البعث كانت ضعيفة آنذاك، وليس بمقدورها أن ترد بقوة[161].

وفي الموضوع نفسه يُذكر أن حزب الدَّعوة الإسلامية قرر تشكيل وفود جماهيرية لزيارة الحكيم ببغداد، خلال رحلته تلك، (وإظهار قوة المرجعية أمام السُّلطة)[162]. وأن وفداً من قيادة الحزب نفسه زار الحكيم، قبل توجهه إلى بغداد، وأبلغه أن السُّلطة عازمة على القيام بحملة ضد المرجعية، ولابد مِن عمل مضاد سريع، واقترح الوفد تنظيم تعبئة جماهيرية شاملة: إغلاق الأسواق، وتسيير تظاهرات، وإعلان الإضراب العام ضد الحكومة، لكن الحكيم رفض هذا العرض، لأنه يخشى مِن انتقام السُّلطة[163]. وبالفعل لو أخذ الحكيم بمقترح حزب الدَّعوة، أو نفذ العسكري ما نوى فعله لهاجت السُّلطة، وسالت الدِّماء، ففي صيف 1969 بدت قوية، وتحظى بتأييد دولي وإقليمي. إلا أنه مِن الواضح أن قيادة حزب الدَّعوة، وحينها لم يكن السيَّد محمد باقر الصَّدر مِن ضمنها، أرادت للحزب الظهور جماهيرياً، وتحت عباءة المرجعية، فلو برز الحزب مِن دون المرجعية لم يكن مؤثراً.

إلا أن المفاجأة كانت بإذاعة بيان اتهام نجله ووكيله ببغداد محمد مهدي الحكيم بالجاسوسية، مع تعميم أمر إلقاء القبض عليه،

---

161 ليست جامعة الكوفة القائمة الآن، إنما كان مشروع حضاري أكبر بكثير من كونه أكاديمية، أو جامعة كبقية الجامعات. للاستزادة في شأن مشروع هذه الجامعة راجع: محمد مكية، خواطر السنين، الفصل الرابع: مشروع جامعة الكوفة، ص 215 وما بعدها (بيروت: دار الساقي 2005).

162 الشَّامي، المرجعية الدِّينية مِن الذَّات إلى المؤسسة، ص 187.

163 المصدر نفسه.

كان ذلك في 7 حزيران (يونيو) 1969. يقول الحكيم رداً على مَنْ أشاع بأن الحكومة سهلت أمر هروبه إلى الخارج بالقول: (كنت قد حصلت على إجازة للسفر يوم 2 حزيران، وحادث الاتهام كان يوم 7 حزيران، فالفاصلة (5) أيام. (وأردف) ولعلَّهم كانوا يتوقعون أنني سوف أسافر باعتبار وجود إجازة السفر، وبعدها يعملون هذا العمل)[164].

كانت النتيجة واحدة، وهي أن الحكومة لا تريد التورط باعتقال ثم إعدام ابن السَّيد الحكيم، وما يسببه من تداعيات محلية وإقليمية. ويبدو بعد اتهام نجل الحكيم بالخيانة العظمى عن طريق اعترافات زائفة أُخذت من مدحت الحاج سري (1969)، وأذيعت علناً، انتهت المواجهات، وتسلل الابن إلى الخارج، ثم ذهب الأب في رحلة علاج إلى لندن، وبعد عودته توفي وأُغلق ملف صراع ساخن بين المرجعية والدَّولة. وروي أنه عند مشاركة أحمد حسن البكر (ت 1982) في تشييع جثمان الحكيم الأب، هتف المشيعون: (سيد مهدي مو جاسوس اسمع يالريس)[165]. ودولياً قَدِم وفد الفاتيكان إلى النَّجف بالتعزية (وأُجلس في قاعة المكتبة المطلة على الفاتحة في المسجد)[166].

بعد وفاة آية الله محسن الحكيم لم تنتقل المرجعية إلى نجله الأكبر آية الله يوسف الحكيم (ت 1990)، مثلما أُشيع أن جماعة

---

164 المصدر نفسه، ص 88.

165 الصَّغير، أساطين المرجعية الدِّينية، ص 163.

166 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 165.

أرادوها له، ذلك لزهده وتركه الدنيا أولاً وثانياً لوجود الأعلم والأقدم وهو آية الله أبي القاسم الخوئي. ولما (هتف النَّاس... بمرجعيته وتقليده طالبين منه إصدار كتاب يحتوي على فتاواه في المسائل العلمية، ولكنه أبى ورفض، واقتصر على إمامة الجماعة فقط)[167]. وقيل أغلق باب داره، اعترافاً بمرجعية الخوئي[168].

وعلى الرَّغم مِنْ نقل السُّلطة الدِّينية من آل الحكيم ظل اسم ونشاط الأسرة في مقدمة الأحداث؛ لما لها من علاقة بتأسيس العمل الحزبي الشِّيعي، ووجود السَّيد محمد مهدي الحكيم محرضاً من خارج العراق ضد نظام البعث، بعد هروبه من حكم الإعدام لاتهامه بالتجسس.

بعدها تحول آل الحكيم إلى العمل المعارض، وأُعدم منهم العديد، واغتيل السَّيد محمد مهدي بالخرطوم (17 كانون الثَّاني/ يناير 1988)[169]. وتدور الدوائر ويعود الولدان الباقيان على وجه

---

167 الغروي، مع علماء النَّجف الأشرف 2 ص 581.

168 الصَّغير، أساطين المرجعية الدِّينية، ص 277.

169 معلوم أن السَّيد مهدي الحكيم كان محكوماً غيابياً بالإعدام (1969) بتهمة الجاسوسية، ثم إن الحركة الإسلامية، ومنها حركة المجاهدين العراقيين، التي كان يشرف عليها شقيقه السَّيد عبد العزيز الحكيم (ت 2009) قامت بعمليات مسلحة ضد النِّظام (المؤمن، سنوات الجمر، ص 355 356-). ونقل لي أحد الأشخاص المطلعين، مِن المقيمين ببغداد يومها، ورفض ذكر اسمه، اختطاف طائرات العراقية جرى أكثر مِن مرة، وواحدة منها كان ثلاثة أشخاص من المعارضة الإسلامية كلفوا باختطافها، وقد تمكن أمن الطائرة من السيطرة وقتل أولئك الثلاثة، وقد ظهرت الطائرة ونزل منها عنصر الأمن حاملاً مسدسه إشارة للنصر على شاشة تلفزيون بغداد، وكان باستقبال طاقمها على أرض المطار علي حسن المجيد والضباط عبد الجبار آل روفة الأسدي، الذي شغل مِن قبل منصب نائب رئيس أركان الجيش، وقبلها كان قائد الحركات العسكرية في وزارة الدفاع في عهد البعث، وهو شيعي مِن عشيرة بني أسد. لكن

الحياة من أولاد السَّيد محسن الحكيم، من الأشقاء والأخوة[170]، إلى العراق ليصبح تنظيمهم المجلس الأعلى في سدة السُّلطة، ويُغتال أبرزهم وعميد أسرتهم آية الله السَّيد محمد باقر الحكيم (27 آب/ أغسطس 2003)، في تفجير هائل، وقتل معه ما يربو على المائة شخص، وهو خارج من ضريح الإمام علي بن أبي طالب، بعد أدى فريضة الصَّلاة. و توفي الثَّاني وهو الأخير والأصغر بين كل الأبناء السَّيد عبد العزيز الحكيم(سبتمبر 2009)، ليحمل عبء المسؤولية الحفيد السَّيد عمار الحكيم، الذي ترك العراق وعمره تسعة أعوام.

إذا كان الأمر رداً على تلك العمليات أو اختطاف الطائرات فمهدي الحكيم لم يكن مسؤولاً، بل ليس له علاقة بمنظمة المجاهدين وبالمجلس الأعلى عامةً. أما كيف ذهب إلى السودان فقيل كان بترتيب من أحد البحارنة الشّيعة النشطاء سياسياً والمقيم بلندن، مع الجبهة الإسلامية بالسودان، لكن لم يفهم الأمر بهدف الغدر به.

170 المعدومون والمغتالون من آل الحكيم: إضافة إلى السَّيد مهدي الحكيم، الذي اغتيل بالخرطوم 1988، محمد رضا محمد حسين الحكيم أعدم بمديرية الأمن العام، وهو أستاذ الحوزة العلمية 1985 النَّجف. السَّيد د. عبد الهادي محسن الحكيم أعدم 1985 بمديرية الأمن العام. حجة الإسلام السَّيد عبد الصاحب محمد حسين الحكيم أعدم 1985 بمديرية الأمن العام، وهو أستاذ الحوزة العلمية. السَّيد محمد حسن محمد علي الحكيم زرق بحقنة سامة، أستاذ في الحوزة العلمية 1985. السَّيد حسن عبد الهادي الحكيم أعدم 1985 بمديرية الأمن العام طالب في الحوزة العلمية. آية الله السَّيد عبد المجيد محمود الحكيم، أعدم 1985 بمديرية الأمن العام أستاذ في الحوزة العلمية. آية الله السَّيد عبد الصاحب محسن الحكيم، أعدم 1983 بمديرية الأمن العام مجتهد وأستاذ في الحوزة العلمية. السَّيد كمال الدِّين يوسف الحكيم أعدم 1983 بمديرية الأمن العام أستاذ في الحوزة العلمية. السَّيد علاء الدِّين محسن الحكيم اعدم 1983 بمديرية الأمن العامة أستاذ في الحوزة العلمية. السَّيد عبد الوهاب يوسف الحكيم أعدم 1983 بمديرية الأمن العام أستاذ في الحوزة العلمية. حجة الإسلام والمسلمين السَّيد محمد حسين محسن الحكيم أعدم 1983 بمديرية الأمن العام، أستاذ في الحوزة العلمية. موقع:
http://www.alnajafnews.net/najafnews/news.php

مرجعية السِّيستاني

كان الظرف دقيقاً، وأحداث جسام مرت على العراق، ولعلَّه لم تواجه مرجعية دينية ظرفاً حرجاً مثل مرجعية آية الله علي السِّيستاني. فأول مرة في تاريخ النَّجف، مقر المرجعية، يُختطف مرجع ديني لمقابلة رئيس الدَّولة، مثلما حدث مع أستاذ السِّيستاني آية الله أبي القاسم الخوئي (ت 1992)، مع تعالي الأخير على السياسة وتضييقه على كل عمل معارض أو حزبي، وما يهمه سوى الحفاظ على الحوزة الدِّينية وبقاء النَّجف مركزاً لها. وفي تلك اللحظات اعتُقل مجموعة من علماء الدِّين، ومن بينهم المرجع الحالي آية الله السِّيستاني، وذلك إثر انتفاضة آذار (مارس) 1991، ثم قمعها من قبل القوات الحكومية.

حينها صرح السَّيد الخوئي، مضطراً عبر الإعلام، وهو في مواجهة صدام حسين، بما معناه كانت الانتفاضة فتنة! وما زال هناك مَنْ يؤاخذ الخوئي على كلماته تلك، وأنه أحجم عن إصدار فتوى جهاد، وغيره من الكلام السائر هنا وهناك. إلا أن شهود عيان أكدوا لي، وطلبوا عدم ذكر أسمائهم، أن المعتقلين، من علماء الدِّين كافة، أدلوا بمثل ذلك التصريح، وبُث مِنْ على شاشة التلفزيون نفسها، كشرط في إطلاق سراحهم، إلا أن التركيز كان على الخوئي كونه المرجع الأعلى، بينما لم تحتفظ ذاكرة النَّاس ببقية الوجوه، كونها كانت ثانوية، وغير معروفة مثل الخوئي، ولم تذكرها روايات مَنْ كتبوا عنها، ربما اغفل تسجيل ذلك للفوضى وزحمة الحوادث (ربيع 1991)، أو لعدم أهمية

شخصوها آنذاك.

خلال الانتفاضة (آذار 1991)، عقِب تحرير الكويت، أَمر الخوئي حينها بتشكيل مجلس أو لجنة لإدارة مدينة النَّجف، بعد خلوها من السلطات، إثر انتفاضة ربيع 1991 ومواجهة الفوضى وحماية النَّاس، حيث وفدت إليه وفود المدينة تطلب منه التدخل لبسط الأمن بالمدينة. ففي تلك الحوادث قُتل العديد، من المحسوبين على أجهزة النِّظام، الذي كان لا يزال قوياً ببغداد، ذكر ليَّ أكثر من شخص قُتل بطريقة بشعة، ومَنْ عُذب وأُنقذ في آخر لحظة، كل هذا كان السِّيستاني شاهداً عليه، يملأ ذاكرته، وكيف يتعامل معه لو تكرر ذلك المشهد في التاسع من نيسان (أبريل) 2003!

وبالفعل كان الحدث الأهم، الذي واجهته مرجعية تلميذ الخوئي هو سقوط النظام، لكن من دون رجعة، وفراغ البلاد بكاملها، لا النَّجف وحدها، من السُّلطة (نيسان/أبريل 2003)! وكيف تتعامل المرجعية وهي ترى جيوشاً غازية تنقض على البلاد والسُّلطة، وهي الراغبة بسقوطها، لكن بما لا يعرضها إلى مثل هذا الحرج. بعد وفاة أبي القاسم الخوئي(1992) أخذ اسم السِّيستاني يَهلُّ على الأتباع عبر الوكلاء المعنيين بالشؤون الدِّينية ، وكانت السُّلطة تجري مناوراتها من أجل إحلال المرجعية التي تراها، وأن تكون من خارج العلماء المتحدرين من أُصول إيرانية. وكم كان ظرف المرجعية في عهد الإمام الخوئي دقيقاً والدَّولة العراقية تخوض حرباً مع إيران، ويُضغط عليها

لإصدار فتاوى تأييد، أو تواجه إجراءات التسفير ضد المقربين منها، وضد أساتذة وطلاب حوزتها العلمية!

ففي تلك الفترة عاش السّيستاني العزلة واقتصر دوره على إصدار الأحكام الفقهية ليس إلا (فهو لم يصدر بياناً واحداً يمكن تأويله على أنه سياسي الفحوى، بيد أنه أصدر تصريحاً قوي اللهجة في نيسان 2002 مستنكراً ما قامت به إسرائيل ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، ومندداً بما سماه الدعم الأمريكي له، ومطالباً برد إسلامي موحد)[171]. وهذا ما لا يعترض بل يرحب به النّظام العراقي السابق.

فما ذُكر عن المرجع الأعلى بأنه يميل إلى الحياة العلمية والفقهية، ويبتعد قدر الإمكان عن الحياة الاجتماعية، وما تتطلبه من مجاملات. هذا ما شهد به شخص قريب من السّيستاني وعمل معه، وهو الأكاديمي والشاعر محمد حسين الصَّغير. قال: (عاش منعزلاً حتى لا يعرفه أكثر طلابه وعلية القوم، وهو معهم وخارج عنهم، لا يتصل إلا لماماً، ولا يتعايش مع الآخرين إلا لواذاً، فالعلم فوق كل شيء، وهو أكبر من كل شيء، ويضحي من أجله بكل شيء)[172]. وهذا ما يتنافى مع ما نقله علي علاوي عن تقرير الإيراني عبد العزيز ساشيدينا، الذي لخص به لقاءاته بالسَّيد السّيستاني تحت عنوان (ما حدث في النَّجف)، حيث أظهره أنه (أبعد ما يكون عن الشَّخص

---

171 علاوي، احتلال العراق.. ربح الحرب وخسارة السَّلام، ص 312.

172 الصَّغير، أساطين المرجعية العليا، ص 347-348.

المستقل والسَّماوي مِن شخصيات مذهب السُّكون)[173]. مع أن الآخرين أشاروا إليه بالمرجعية الصامتة أو السلبية[174].

وخلاف ما عُرف عن السّيستاني أنه سلك طريق أستاذه أبي القاسم الخوئي في رفض ولاية الفقيه، نجد علي علاوي يجعله وسطاً بين رفض الخوئي لتلك الولاية وتبني الخميني المطلق لها، حيث (وسع السّيستاني الفكرة كثيراً (عما حصرها الخوئي في الوصايا على القاصرين)، ورأى أن ولاية الفقيه بشأن جميع الأمور التي تؤثر في النّظام الاجتماعي الإسلامي)[175]. يرى ذلك (مِن دون المخاطرة بالانخراط المباشر في العملية السّياسية)[176]. صحيح أن السّيستاني تدخل لتأسيس الائتلاف الشّيعي في الانتخابات الأولى (2004) والثَّانية (2005)، لكن الدافع لم يظهر على أنه لتثبيت حكم بشروط تلك الولاية، إنما لتثبيت، حسب الرؤية الطَّائفية، حقوق الشّيعة. ولا ندري بخفايا الأمور.

بعد التاسع من نيسان(أبريل) 2003 تبدل الأمر والتفت الساسة، من الداخل والخارج وجمهور الشّيعة، إلى المرجعية، كذلك ظهر لها أن لا مسوغ لسكوتها وعدم تدخلها المباشر في السياسة.

---

173 علاوي، احتلال العراق.. ربح الحرب وخسارة السَّلام، ص 313 عن موقع ساشيدينا.

174 المصدر نفسه، ص 312 313-.

175 المصدر نفسه، ص 310.

176 المصدر نفسه، ص 310. نقلاً عن آخرين.

ولعل ذلك أبرز إشكالية تبدو صعبة، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالمرجعية الشيعية بالعراق، وهي التداخل بين الوطنية والمذهبية، فهناك ببساطة مَنْ يحتج على تدخل مرجع من جنسية أخرى في الشأن العراقي! لكن، إذا أخذنا أممية الدِّين فهمنا بيسر ما تعنيه أممية المذاهب. فليس هناك مَنْ تصده أو تحجبه عروبة الإمامين مالك بن أنس (ت 179هـ 795 ميلادية)، ومحمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ 819 ميلادية)، عن باكستانيين أو هنود أو شعوب ما وراء النهر.

وكما الحال في سطوة علماء عرب لبنانيين داخل إيران في العهد الصفوي، مثل الشَّيخ نور الدِّين علي عبد العال الكركي (ت941هـ 1534 ميلادية)، حتى أعلن الشاه الصفوي طهماسب الأول (ت 983 هـ 1576) ابن مؤسس ذلك العهد الشاه إسماعيل (ت 931هـ 1524): (إن معزول الشَّيخ لا يُستخدم، ومنصوبه لا يُعزل)[177]. بل إن سلاطين وعلماء دين الدَّولة الصَّفوية بمجملها هم ليسوا من الفرس، بل أتراك وعرب! استطاع الفرس في ما بعد تكريس القومية عبر المذهب!

لكن، السُّؤال الاعتراضي على استخدام سطوة التقليد الدِّينية سياسياً هو كيف لمرجع ديني، ومَنْ حوله، لم يسبروا غور الحياة العامة، ويتعاملون إلا عبر الروايات والمسائل الفقهية، لهم القُدرة وفيهم الثقة على توجيه سياسة البلاد، بمفهوم ولاية الفقيه؟! مع العلم

---

177 مروة، التشيع بين جبل عامل وإيران، ص 44.

أن التعامل في الشأن السِّياسي بين المرجع والمقلدين يتم عبر التقليد، مثله مثل الشأن العِبادي! مع ما فيه من خطورة في الشأن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، أي سيصل ممثلو الشعب إلى البرلمان عبر الفتوى أو الرأي الدِّيني!

أما من ناحية الوطنية فالمرجعيات الدِّينية عادة، تذوب في المذهب، والمكان الذي تنطلق منه مرجعيتها، لتصل إلى مُقلديها في أنحاء العالم. وآية الله السِّيستاني، المولود العام 1930 بخراسان، وصل النَّجف العام 1951، ولم يبرحها حتى هذه الساعة. أَمَّها وعمره 21 عاماً وهو الآن في متناول الثمانين. ومعلوم أن المواطنة لدى العديد من الدول تكتسب بخمس سنوات أو أقل!

ويبدو أنه كان رافضاً لاكتساب الجنسية العراقية رسمياً، حسب ما أشيع من تقديمها له من قِبل شخوص في السُّلطة الجديدة، ليبقى معبراً عن أممية الدِّين والمذهب، وألا يعطي تصوراً بأن فعله في الأحداث يرتبط بالمواطنة لا بالدِّين! ومن جانب آخر، إن كسبه للجنسية العراقية يحجم كثيراً من أممية سطوته، عبر انتشار المذهب في الآفاق، وقد يفتح على نفسه باب الهجوم من قبل مراجع المذهب بإيران.

كان جده الأعلى محمد السِّيستاني ذا مركز ديني رسمي، شيخ الإسلام بسيستان في عهد الشَّاه حسين بن سليمان الصفوي (ت 1722)، وكان جده الأدنى السَّيد علي السِّيستاني أستاذاً في الفقه

والأُصول بالنَّجف نفسها، بعد أن درَس بها وبسامراء على يد محمد حسن الشيرازي(ت 1895)، صاحب فتوى التنباك الشهيرة، بعد اجتهاده تَصدر للتدريس بكربلاء والكاظمية، حتى درس على يده مراجع كبار، مثل: السَّيد إسماعيل الصَّدر (ت 1919)، وأحد المراجع المشهورين العرب، من قبيلة الخزرج، الشَّيخ محمد رضا آل ياسين (ت 1951)، وكان مرجعاً في زمانه بعد وفاة السَّيد أبي الحسن الأصفهاني (ت 1946)[178].

إن وجود آل ياسين، الشَّيخ رضا وجده محمد الحسن (ت 1890)، وآل كاشف الغطاء من العرب، يدلُّ على أن المرجعية لم تحتكر للعنصر الإيراني، بقدر ما يرتبط الأمر بالاجتهاد وسعة رقعة المُقلدين. لكن هذا لا يمنع من وجود تكتلات أو عصبيات إيرانية تحاول تقديم مراجعها. وبالنِّسبة لآل كاشف الغطاء، كان أولهم جعفر الكبير (ت 1812)، ثم أولاده: موسى كاشف الغطاء(ت 1826)، وعلي كاشف الغطاء (ت 1837)، وحسن كاشف الغطاء (ت 1846)، كانوا مراجع من قبل، لعقود من القرن التاسع عشر، ولم يتصدروا ذلك المركز عن وراثة إنما عن أعلمية واجتهاد.

وما يخص خلافة السَّيد أبي القائم الخوئي (ت 1992)، قبل تسلم مقاليد المرجعية من قبل آية الله السِّيستاني، فإن هناك

178 - الصَّغير، أساطين المرجعية العليا، ص 12، 17.

مَنْ أشار، من المطلعين على أوضاع المرجعية الدّينية بالنَّجف، إلى آية الله السَّيد نصر الله المستنبط (ت 1985)، فهو من العلماء الكبار، ومن أساتذة الحوزة في العقائد، ومن الذين درسوا على يد الشَّيخ محمد حسين النائيني (ت 1936) أستاذ الخوئي والحكيم معاً، إلا أنه توفي في حياة السَّيد الخوئي[179]. كذلك كان بين الإمام الخوئي ومرجعية السِّيستاني مجتهد آخر كبير، وهو أبو الأعلى السبزواري (ت 1993)، ولم تدم مرجعيته سوى شهور، درس على يد محمد حسين النائيني أيضاً، بمعنى كان زميلاً للمرجعين: آية الله الخوئي وآية الله محسن الحكيم، ودرس على السَّيد أبي الحسن الأصفهاني (ت 1946) وغيرهما من المجتهدين الكبار، قيل: كانت السُّلطة تُضيِّق كثيراً على مرجعيته، حتى هُجِّر بعض أولاده إلى خارج العراق[180].

بعد وفاة الأخير تولى آية الله علي السِّيستاني المرجعية العليا، وكانت الظروف صعبة للغاية، فعندما اغتيل المجتهدان: الشَّيخ مرتضى البروجردي (1998)، والميرزا علي الغروي (1998)[181] بعد شهرين من اغتيال الأول، وهما من المراجع الموازين، احتجب السِّيستاني بما

---

179 الغروي، مع علماء النَّجف 2 ص 579..

180 المصدر نفسه 2 ص 531 532-.

181 عُدَّ الغروي من مراجع التقليد بالنَّجف، حيث رسالته العلمية بعد وفاة أستاذه أبي القاسم الخوئي، اغتيل في 19 حزيران (يونيو) 1998 مع صهره ومرافقيه، بعد زيارة ضريح الحسين بكربلاء ليلة الجمعة، وعند العودة إلى النَّجف أُوقفت سيارته وقتل مَنْ فيها. أما البروجردي، المولود بالنَّجف، أصبح أيضاً من مراجع التقليد، الموازي لآية الله السِّيستاني، أطلقت عليه النَّار بعد أداء صلاة الفجر، عند خروجه من الصحن العلوي عائداً إلى داره، في 16 نيسان (أبريل) 1998 أي بعد اغتيال المرجع الغروي بشهرين فقط (الغروي، مع علماء النَّجف 2 ص 536 و 576).

يشبه الاعتكاف، ممتنعاً عن المقابلات والاستقبالات غالقاً ديوانه (العلمي والإفتائي). ولما استفسر منه قال: (مالي وللمرجعية، ليتني قد بقيت كأحد رجال الدِّين، ذلك أستاذنا حسين الحلي عاش بعيداً عن الأضواء، ومات سعيداً لم يتحمل أية مسؤولية. ما هذه المشاكل؟ وما هذه الابتلاءات؟)[182].

إلا أن الظرف تبدل والموقف، بطبيعة الحال، تبدل، وجاء زلزال أبريل 2003، وسقط الحاجز بين المرجعية والأتباع، فنودي به زعيماً، وهُتف له كقائد. وهنا أخذت الآراء تتباين حول موقف آية الله السِّيستاني من توظيف هذه الزعامة المعنوية، بين القائلين برفضه للولاية، الشبيهة بولاية الفقيه أو هي بعينها، أسوة بأسلافه من المراجع، وعلى وجه الخصوص أستاذه المباشر آية الله الخوئي، بينما يرى آخرون، ومنهم أهل العمائم، أنه ينفذ مبدأ تلك الولاية، وذلك من خلال ما يُنقل عن دعمه اللامحدود لتشكيل الائتلاف الشِّيعي، في الانتخابات العراقية العامة (2004-2005)، وإعطاء الموافقات على تعيين الوزراء، وما تعلق بالدستور، والعلاقة مع الأمريكان في عقد الاتفاقية أو رفضها، وأن عند كل معضلة سياسية تنشأ في إدارة الدَّولة تجده مستقبلاً المسؤولين، بطلبهم، وأن كلمته هي القول الفصل في أدق الحوادث وأخطرها!

مثلاً، ينقل عن قريبين من المرجعية أن المبعوث الدولي

---

182 الصَّفير، أساطين المرجعية العليا، ص 393.

الأخضر الإبراهيمي، عند تشكيل الحكومة المؤقتة برئاسة أياد علاوي، زار مجلس السّيستاني، وأراد رأيه في أربعة أشخاص لرئاسة الوزارة، وهم: إبراهيم الجعفري، وعادل عبد المهدي، وأياد علاوي، وحسين الشهرستاني، فوافقه السّيستاني على أي من الثلاثة، ولم يوافقه على الشهرستاني. وإذا صحت الرواية فهي حكمة من المرجع السّيستاني، أن جعل موافقته ضمنية على مَنْ كان يرغب فيه كثيراً الإبراهيمي والأمريكان، وهو أياد علاوي، ورفض الشّهرستاني لأنه غير محبذ، وغير مؤهل لمثل هذا المنصب بين السّياسيين العراقيين، فالرجل ظهر فجأة مؤيداً للأمريكان. لكن تبينت الحقيقة، من ممارسات السّيستاني أنه ظل ثابتاً على موقفه السلبي من فكرة أو نظرية ولاية الفقيه، مثلما تبناها آية الله الخميني.

بدأ تدخل مرجعية السّيستاني بعد سقوط النظام السابق مباشرة، وما نلاحظه، وفي فتاوى وبيانات أغلب المراجع، أنها تصدر كأجوبة على أسئلة يتقدم بها المُقَلّدون. فكانت الفتوى الأولى رداً على سؤال كيفية التعامل مع ممتلكات الدّولة بعد الفراغ الحكومي وخلو الدوائر من الموظفين، فجاء الجواب: (لا يجوز أخذ شيء منها، ويُحرم التعامل به...)[183].

ونقرأ من اللقاءات الصحفية مع مكتب المرجعية، ومن الرّسالة الرّسالة عنها، التي هي بمثابة فتوى، أن السّيستاني ينأى بنفسه أن يكون طرفاً: (سماحته فوق المنازعات وليس طرفاً فيها، ورعايته

---

183 الخفاف، النّصوص الصّادرة عن سماحة السّيد السّيستاني في المسألة العراقية، ص 9.

الأبوية لجميع المؤمنين من مُقلّديه وغيرهم بل للعراقيين كافة)[184].
لكن المفاجأة كانت في دعم قائمة الائتلاف الشّيعي، وغض الطرف عن رفع صوره واسمه في الدعاية الانتخابية (انتخابات 2005)، وكذلك ما بثه الوكلاء بمناطق الجنوب عن الرأي بتأييد تلك القائمة، وذلك لتثبيت حقوق الشّيعة على ما ورد في حينها.

أعطت مسألة تشكيل الائتلاف الشّيعي مبرراً لتشكيل التَّوافق السُنّي، ودخول الكُرد، من قبل الائتلاف، بالتحالف الكُردستاني، وبذلك شيدت الدَّولة على أساس المحاصصة الطَّائفية، التي أعاقت تنفيذ القوانين وتحقيق العدالة، وإعادة الأعمار، وأصبحت حجر عثرة أمام تنفيذ القانون بحق المسيئين والمفسدين، بسبب الحماية الطَّائفية. ونفهم مما سيأتي أن المرجعية أرادت أن يحكم العراق بالمحاصصة الطَّائفية، فائتلاف شيعي لا بد أن يقابله ائتلاف سُني، وبدعم الائتلاف الكردي.

فحسب ما نُقل عن نجل آية الله السّيستاني محمد رضا السّيستاني أن فكرة الائتلاف الشّيعي (قد نشأت في ذهن المرجعية منذ أشهر، وقد تبين السّيستاني المبدأ القائل بأن الائتلاف العراقي الموحد ينبغي أن يكون هو الأداة الانتخابية للشيعة، وأن يستمر كذلك في أية حكومة تؤلف بعد الانتخابات باعتباره تجمعاً متحداً سيحكم

184 المصدر نفسه، ص 10.

البلاد)[185].لكن المرجعية، مِن جانب آخر لا تريد إعطاء الفرصة الكاملة للأحزاب الإسلامية في الائتلاف (الدعوة والمجلس والفضيلة وغيرها) فقررت بشخص السّيستاني وجود المستقلين، واعطاء حصة للمجلس الشّيعي[186]، الذي أسسه أحمد الجلبي، ولم يكتب له البقاء. وكان الائتلاف قد أعلن قائمته في 8 كانون الأول (ديسمبر) 2004 برئاسة السَّيد عبد العزيز الحكيم(ت 2009).

وصف الحاكم الأمريكي المدني على العراق موقف مرجعية السَّيد السّيستاني بالغامض (الذي يتقلب بين العزلة الروحية والمشاركة المباشرة في العملية السّياسية، فقد كان آية الله بعمامته السوداء، وعباءته الدّينية الداكنة، ولحيته البيضاء، صاحب النفوذ العظيم في مدينة النَّجف)[187]. وفي غير مكان من كتابه (عام قضيته في العراق) أشار بول بريمر إلى مراسلات مباشرة بالمرجعية، مع تكذيب مكتب المرجعية، أو المقربين منها، لأي اتصال لها بالأمريكان.

لكن، عندما تحدث بريمر عن رسائل متبادلة بينه وبين مكتب السَّيد السيساني جاء تكذيب الرسائل، مع الاعتراف بصحة استقبال أعضاء في مجلس الحكم، وعراقيين آخرين، وهم بدورهم ينقلون

---

185 علاوي، احتلال العراق.. ربح الحرب وخسارة السَّلام، ص 512. عن لقاءات أجراها المؤلف مع شخصيات من الائتلاف الشّيعي.

186 المصدر نفسه، ص 513.

187 بريمر، عام قضيته في العراق، ص 212.

الآراء بين سلطة الائتلاف والمرجعية[188]. فلا بد من قناة بين حكومة الائتلاف الدولي والمرجعية. فالأخيرة تعلم أنه لا شيء يتحقق بدون موافقة الأمريكان، والأمريكان يعلمون مدى صعوبة العمل في حالة معارضتها، وبالتالي أحدهما لا يأنف من الاتصال بالآخر، ولابد أن يستكشف أحدهما رأي الآخر.

إن تكذيب الاتصال مع الأمريكان يعني أن المرجعية خارج الحدث، وخارج الزمن العراقي برمته، بينما هي تعيش يومياته. ولعلّ بريمر عندما تحدث أو كشف عن وجود مراسلات[189] بينه وبين آية الله السّيستاني لا يعني بالضرورة أنها رسائل خطية، حتى يُطالب بريمر بنشرها أو تثبيتها[190] بل رسائل شفاهية عبر الوسطاء، الذي يترددون، حتى أمام الإعلام، على مكتب المرجعية.

يمكن متابعة وكشف دور مرجعية آية الله السّيستاني عن طريق ما صدر عنها، ونُشر على موقعها الإلكتروني الرسمي، وما نشره الشَّيخ حامد الخفاف، الذي يصفه الإعلام بمدير مكتب السّيستاني ببيروت، والناطق الرسمي باسم المرجعية، في كتابه (النُّصوص الصَّادرة عن سماحة السَّيد السّيستاني في المسألة العراقية). وكان سبب إصدار الكتاب، حسب مقدمة الخفاف، هو: (تقديم آراء المرجعية الدّينية

---

188 الخفاف، النُّصوص الصَّادرة عن سماحة السَّيد السّيستاني في المسألة العراقية، ص 424-425.

189 بريمر، عام قضيته بالعراق، ص 214.

190 الخفاف، النُّصوص الصَّادرة عن سماحة السَّيد السّيستاني في المسألة العراقية، ص 425.

العليا في العملية السّياسية، وفق ما صدر عنها مباشرة، في محاولة لتوثيقها منهجياً من جهة، ولتطويق حملة الافتراءات والتقوّلات على المرجعية الدّينية من جهة أخرى، التي تُنسب لها من وقت إلى آخر تصريحات وبيانات كاذبة وظالمة، تستهدف تشويه سمعتها)[191].

ويبدو أن غرض كتاب الخفاف كان دفاعياً، بسبب اللغط الذي كثر حول موقف المرجعية في العملية السياسة، وعلى وجه التحديد دورها في التّأسيس لإدارة الدّولة عن طريق المحاصصة، ودعم جماعات في الانتخابات أكثرت من الفساد ولم تعكس صورة جيدة في أذهان النّاس، ومنهم بطبيعة الحال أتباع المرجعية. لذا يأتي التعرض إلى المرجعية ليس على الظاهر من البيانات بل على ممارسة الحكم بمباركتها، وهذا ما يُخشى أن يتكرر في الانتخابات القادمة.

بغض النظر عمّا لحق المرجعية من تبعات إدارة الدّولة، والتعدي على المال العام، وتأخير الإعمار، وممارسة العنف.. الخ، يبقى لها دورها الواضح في قمع الحرب الطّائفية، أو الأهلية، وحثها على عدم التجاوز في عمليات الانتقام من البعثيين، إلا ما حدث بحدود، من اغتيالات متبادلة. كذلك كان ردّها على تصريحات وممارسات قوى الإرهاب، مثل جماعة الزّرقاوي، موقفاً دفاعياً عقلانياً إلى أبعد حدود

191 المصدر نفسه، ص 5.

المسؤولية، فلو تبنت موقف الهجوم باسمها لحصلت الكارثة الشاملة. مثلاً، كان رد السِّيستاني على استفتائه من قِبل التيار الصَّدري حول تصريحات أبي مصعب الزَّرقاوي ضد الشِّيعة: أن تأخذ الحكومة دورها في حماية المواطنين، وأن يتفعل دور القضاء العراقي، والتحذير من الانتماء إلى تلك الجماعة، والحث على مراقبتها منعاً للتسلل، ولم يفتِ بتشكيل ميليشيا أو تسليح لجماعة خارج إطار السُّلطة[192].

هناك عدِّة بيانات أصدرتها مرجعية السِّيستاني استهجنت فيها العنف، وأشارت إلى عدم جواز التعدي على مساجد أهل السُّنَّة، واعتبرت (هذا العمل مرفوض تماماً، ولا بدَّ من رفع التجاوز، وتوفير الحماية لإمام الجماعة، وإعادته إلى جامعه معززاً مكرَّماً)[193]. ولبياناتها أيضاً دور في التهدئة عِقب تفجير القبة العسكرية بسامراء (الأربعاء 22 شباط/ فبراير2006)، والتي بها بدأ فصل خطير من فصول القتل على الهوية الطَّائفية، لكنها لم تسفر عن حرب شاملة، وإنما ظلت محصورة بجماعات من الطائفتين. كذلك شجبت بيانات المرجعية الاعتداءات على الكنائس، والعنف ضد أهل الأديان الأُخر. أما أجوبتها عن القضايا السِّياسية فأتت عامة بما يخص نوع الحكم، والفيدرالية، وهوية الحكومة، وإلى آخره من الشؤون.

عموماً، لولا هذا الظرف الحرج، الذي جعل المرجعية الدِّينية

---

192 المصدر نفسه، ص 142 – 143.

193 المصدر نفسه، ص 11.

بهذا الموقف، لما كان لها التدخل في الشأن السّياسي إلى هذا الحدّ، الذي تعترض فيه على قضية أو تعلّن تأييدها لأخرى، وما كان لها النزول إلى مستوى النقد المباشر، الذي عادة يوجه إلى السّياسيين في أجواء الدّيمقراطية، وما فيه من التقليل من مكانتها والمسّ بقدسيتها.

وليس لنا أن نورد مرجعية آية الله السّيستاني دون غيرها من المرجعيات، لولا حضورها في مفاصل السّياسية العراقية بقوة حسب مقتضيات الظرف الذي تواجهه، من دون تبني حزب أو منظمة من المنظمات. أما وجودها كدعاية انتخابية فيبدو أنه حُمل أكثر مما يجب، واستغلته الأحزاب والكيانات، على الرغم من نصائحها المستمرة في تجنيبها مثل هذا الموقف.

هذا، وتجدر الإشارة إلى دور مَنْ يحسبون كمستشارين أو كأبواب لمقام آية الله السّيستاني؛ في نقل الصورة السّياسية وتقريبها وتقييمها للمرجع. فكثيراً ما يُشار إلى نجله السَّيد محمد رضا السّيستاني، وهو يعدُّ من المجتهدين أيضاً[194]، وفي خضم الإعصار السّياسي داخل العراق، بالتدخل وحسابه حساب الولاءات، ومحاولة المحافظة على مركز أو دور إشرافي، على غرار ولاية الفقيه.

وهناك مَنْ أشار إلى منافع مالية، وليس بالضرورة أن يكون ذلك صحيحاً، ولربما نبع من حزازات شخصية وغيرها. لكن، لا بد

---

194 الصَّغير، أساطين المرجعية العليا، ص 347.

لذلك من انعكاس على سمعة المرجعية بأسرها، تلك التي من تقاليدها ألا يظهر المرجع خطيباً، ولا يُرى عبر مشهد إعلامي أو دعائي، ذلك للمحافظة على هيبة المرجعية، وإبقائها في أذهان النَّاس قوة روحية عليا، تؤثر فيهم، لكن من وراء حجاب!

الفصل الثَّالث

أوائل التنظيمات

كانت البداية بـ (جمعية النهضة الإسلامية)، وهي جمعية سياسية تشكلت في أواخر الدَّولة العثمانية، وقُبيل تأسيس الدَّولة العراقية الحديثة (1921). تنادى إلى تشكيلها جماعة من علماء الدِّين الشِّيعة أواخر 1917 بالنَّجف، كان في مقدمتهم الشَّيخ محمد جواد الجزائري[195]. نشأت إسلامية التوجه، بعيدة عن الميول القومية العربية، التي كان لها حضورها آنذاك، حيث وهج الثورة العربية بالحجاز(1916)، بزعامة الشريف الحسين بن علي (ت 1931) شريف الحجاز.

تركز نشاط الجمعية في التحريض ضد الإنكليز، و(لها جناح عسكري وآخر سياسي وفروع في المناطق المحاذية للنجف)[196]. فقد تألفت مِن جناحين سياسي وعسكري، الأول يمثله العلماء والسياسيين،

---

195 عالم دين ولد ومات بالنَّجف (1881-1959)، يرجع نسبه إلى عشيرة بني أسد، شاعر درس الفقه والفلسفة بالحوزة الدِّينية، أسس المدرسة الأحمدية، عاش منفياً لدى أمير المحمرة الشَّيخ خزعل، بعد أن قرر الإنكليز نفيه إلى الهند. حاول تفنيد طلاسم إيليا أبو ماضي الشَّهيرة، من مؤلفاته: نقد الاقتراحات المصرية في تيسير القواعد العربية، وفلسفة الإمام الصادق (المطبعي، موسوعة أعلام العراق 3 ص 185).

196 شُبَّر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 36 عن الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب.

ومنهم الشَّخصية المدنية الوطنية وزير الدَّاخلية الأسبق سعد صالح (ت 1950)، والعسكري يمثله المقاتلون مِن حملة السَّلاح[197]. دعت الجمعية إلى وحدة المسلمين، بما يجنبها الميل أو التَّكتل الطَّائفي، وجاء في منهاجها: (أجمع رأي علماء الإسلام، وقادتهم الأفاضل الأعلام على لزوم تفهيم الأمة الإسلامية، ووجوب تحكيم ارتباط أفراد المسلمين بعضهم ببعض تحت عنوان الجامعة الإسلامية، للتكاتف والتعاضد، والاعتصام بحبل الله، ليكون الإسلام كتلة واحدة على مَنْ سواهم)[198].

رنت الجمعية إلى ما هو أوسع من المذهب، وأبعد من النَّجف والعراق، وهو إنشاء (جامعة إسلامية). حددت عدد أعضائها باثني عشر عضواً، (من أهل الفضل والأدب، ويرأسها المرجع الأعلى للمسلمين... ومركزها إحدى المدن المقدسة)[199].

بيد أن ما يشير إلى إعاقة أممية تلك الجامعة، وانفتاحها على المسلمين كافة، هو اعتمادها العدد (12) المقدس، عدد الأئمة الاثني

---

197 كاشف الغطاء، سعد صالح في مواقفه الوطنية 1920 1950- ص 53 - 54. كان سعد صالح مِن أفاضل وزراء الدَّاخلية بالعراق(1946)، وصفه مير بصري قائلاً: (شهاب تألق في سماء السِّياسة العراقية لحظة قصيرة ثم هوى... كان سعد صالح مؤمناً بالوحدة الوطنية، مناوئاً للطائفية، داعياً إلى العدل الاجتماعي) (أعلام الأدب في العراق الحديث 3 ص 155 156).

198 المصدر نفسه، ص 22، عن محمد علي كمال الدِّين، الثورة العراقية الكبرى، ص22.

199 المصدر نفسه 1 ص 39 عن منهاج الجمعية، المادة السابعة.

عشر، كما هو معروف لدى الشّيعة[200]. كذلك حُددت رئاستها بالمرجع الأعلى، ومعلوم أن هذه الرتبة رتبة شيعية غير مشهورة بين المذاهب السُّنّية، على اعتبار أن مركز الخليفة يجمع بين الرئاستين الدنيوية والدّينية. وهنا، لا تفسر ولاية المرجع الأعلى السّياسية إلا بولاية الفقيه بعينها، وقبل أن يظهرها آية الله الخميني بعشرات السنين. أما المدن المقدسة، فمنها المفتوحة، التي تجمع بين السُّنَّة والشّيعة مثل: مكة والمدينة والقدس، ومنها المغلقة للمذهب مثل: النَّجف، وكربلاء، وقم وغيرها.

ولا شك بدوافع مؤسسي الجمعية الإسلامية الأممية، والمتجاوزة للمذهبية كتعصب وتباعد، إلا أن المنحدرين من النَّجف لم يمتلكوا آلية أخرى غير الآلية الشّيعية، ومجالاً آخر سوى مجال المذهب، الذي تقيدت به جمعيتهم. وكذا الحال، إذا انطلقت جمعية مماثلة من مدينة سُنّية فليس لها آلية غير آلية مذهبها.

---

200 الأئمة هم: علي بن أبي طالب (اغتيل 40 هـ 660 ميلادية)، الحسن بن علي (قيل اغتيل مسموماً 50هـ 670 ميلادية)، الحسين بن علي (قُتل 61هـ 680 ميلادية)، علي بن الحسين (ت 94هـ 712 ميلادية)، محمد بن علي الباقر(ت 117هـ 735 ميلادية)، وجعفر بن محمد الصادق (ت 148هـ 765 ميلادية)، وموسى بن جعفر الكاظم (ت 183هـ 799 ميلادية)، وعلي بن موسى الرضا (ت 203هـ 818 ميلادية)، ومحمد بن علي الجواد (ت 222هـ839 ميلادية)، وعلي بن محمد الهادي (ت 254هـ868 ميلادية)، والحسن بن علي العسكري (ت 260هـ873 ميلادية) ثم المهدي المنتظر (غاب 260هـ). ويُراد لكل الأئمة ما عدا مَنْ قُتل اغتيالاً أو قتلاً بالسّيف يموتون مسمومين، أي لا بد أن يكونوا شهداءً، ليبقوا أحياءً ويعودوا ثانية، بما يسمى بالرجعة. فالآية تقول في الشهيد: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 169). حسب ما نقل المجلسي عن الإمام جعفر الصادق (ت 148 هـ): (والله ما منّا إلا مقتول شهيد) (بحار الأنوار 50 ص 238).

وتحسباً أو ضرباً من ضروب التحريض ضد الإنكليز، جاء في أهداف الجمعية الآتي: (السعي لإعلاء كلمة الإسلام وسعادته وترقيته، ومراعاة القانون الأعظم في ذلك، ألا وهو الشرع المحمدي، والعمل به طبقاً لقوله تعالى: (وما جعل الله للكافرين على المسلمين من سبيل)[201]. ونبذ التقاليد الإفرنجية الذميمة ورفضها، مع مباراة الأمم المتمدنة ومجاراتها في المزايا الجميلة، ودرس الأحوال السِّياسية، والعمل بما ينتفع به المسلمون، ويعلو به الإسلام)[202].

نسب إلى الجمعية، ضمن تحركها ضد المحتل البريطاني، عملية عسكرية كانت وابلاً على النَّجف، وذلك عندما اتهم شخص يدعى الحاج نجم البقال بقتل الحاكم البريطاني بالنَّجف الكابتن مارشال، وعدد من جنوده. وقد لمح السَّيد حسن شُبر، وهو أحد مؤرخي الإسلام السِّياسي بالعراق، ومن كوادر حزب الدعوة الأوائل، إلى عدم اتفاق أعضاء الجمعية على قرار إطلاق الثورة بالنَّجف.

قال: (لم تأت العملية، التي كانت الفتيل المباشر في إشعال ثورة النَّجف، بقرار مركزي من الجمعية! وإنما جاءت بقرار من الحاج نجم البقال، الذي عقد ليلة التنفيذ اجتماعاً لمجموعته. حدد فيه موعد الهجوم، ليكون الخطوة الأولى لعمل الجمعية على طريق الثورة. ويبدو أن الحاج نجم انطلق في عمله من تقييمه الخاص للمرحلة، وتصوَّر

201 المقصود الآية: (وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) (سورة النساء، 141)

202 الوردي، لمحات اجتماعية 5 القسم الثاني، ص 214.

أنها تتطلب إعلان الثورة. لكنه أعرض عن أخذ رأي الجمعية خوفاً من الرفض)[203].

وكتب علي الوردي (ت 1995) من أن ما حدث في 20 آذار(مارس) 1918، وما عُرف بـ(ثورة النَّجف)، كانت شرارته دوافع أخرى، وليست سياسية إلا أن جمعية النهضة الإسلامية تبنتها، وتفاعلت معها واستغلتها ضد البريطانيين، بعد الاتصال بالأتراك، وانتساب شيوخ عشائر ووجهاء من الفرات الأوسط إليها. وحسب الوردي، نقلاً عن المتنفذة البريطانية بالعراق المس بل: (كان أحد شخصيات شرارة الثورة، وهو عطية أبو كلل، اشترك في القوة العثمانية ضد القوات البريطانية بالبصرة مقابل إطلاقه من السجن بقضية جنائية عادية، ثم انسحب من المعركة واتصل بالبريطانيين، وعمل معهم). ونقلاً عن مذكرات الشَّيخ محمد رضا الشبيبي، ذكر الوردي: (أن أبا كلل ذهب إلى بغداد لتهنئة البريطانيين على الانتصار، بسقوط العاصمة بأيديهم) (11 آذار/ مارس 1917).

وقد اكتشف البريطانيون أن عميلهم يقوم بتهريب المواد الممنوعة إلى الأتراك، وإثر خلاف حول الأتاوة التي كان يأخذها أبو كلل من القوافل التجارية، التي تشتري الحبوب من النَّجف، امتنعت إحدى القوافل عن دفعها، وقد هاجم القافلة نفر من جماعة أبي كلل

---

203 شبَّر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 40.

فنهبوها، فصادر البريطانيون ممتلكاته وأقامت قوتهم بخان له، بعد أن أثرى من صلاته بالبريطانيين. وقد تفاقم الوضع إلى الهجوم على الخان وقتل الكابتن مارشال[204]. ومعلوم، أن قاتل الكابتن، وهو نجم البقال، كان عضواً في الجمعية، وأن ولده عباس، وهو الآخر عضو في الجمعية، حمل رسائل الجمعية إلى الأتراك.

كانت خسارة النَّجف كبيرة في تلك المواجهة، غير المحسوبة، فالقوة لم تكن متكافئة، وموقف المرجعية الدِّينية، الممثلة بالمرجع الأعلى محمد كاظم اليزدي (ت 1919)، لم يكن مشجعاً، حتى يمكن للحركة أن تجذب مناطق عراقية أخرى، أو يقف النَّجفيون كافة معها. والخسارة تمثلت بحصار مؤلم لمدة أربعين يوماً، (هلك في أثناء الحصار أكثر الطيور والقطط، كما مات بعض الفقراء من المرض، واضطر بعض النَّاس إلى ذبح الحمير... وقد بيع لحم الحمير في السوق علانية)[205]. إلى جانب انقطاع الماء والاضطرار إلى الشرب من مياه الآبار المالحة.

انتهت الثورة في السابع من نيسان(أبريل) 1918، وتبرأ العديد من حملة السلاح الثوار من الثورة، وألقي القبض على الرؤساء، وسلم عميد الجمعية الشَّيخ جواد الجزائري نفسه، وحوكم الثوار وتم تنفيذ حكم الإعدام بأحد عشر رجلاً منهم، في الثلاثين من أيار(مايو)

---

204 راجع الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 6 القسم الثَّاني، ص 206- 213.

205 المصدر نفسه، ص 228.

مِنَ السَّنة نفسها، بينما نفي البقية إلى الهند. وبهذا أُسدل الستار على أول جمعية إسلامية حاولت إعادة الروح إلى الخلافة الإسلامية.

لم يكن للجمعية تصور واضح في ما لو اندحر البريطانيون، كيف يكون شكل السُّلطة! سوى الأمل أو السعي إلى عودة العثمانيين، وذلك تحت مبرر أنهم مسلمون. كذلك لم يتضح من الجمعية أي موقف سياسي تجاه العراق ككل، مثلما كان الحال في نشاط المشتركين في ثورة العشرين. بل إن دعوتها إلى قيام الجامعة الإسلامية دلّت على أنها مع الخلافة لا مع الدَّولة الوطنية. وبطبيعة الحال، لا يعزى الأمر إلى وطنية أعضاء الجمعية أو عدم وطنيتهم، فهذا الأمر لم يكن مبحوثاً فيه آنذاك.

إنما كان الدافع في تأييد العثمانيين ضد الإنكليز هو الرابطة الدّينية الإسلامية، ظهر ذلك جلياً في التحرك السّياسي والعسكري، حيث تم إعلان الجهاد وتحرك علماء الدّين من الشّيعة على وجه الخصوص إلى البصرة، وما ظهر من الأدب والشعر دفاعاً عن السلطان خليفة المسلمين، ولا يعد مثل هذا النشاط إسلامياً حزبياً سياسياً بل شأنه شأن تأثير الرابطة القومية أو القبلية[206]. حتى أن علماء الشّيعة وشعراءهم نسوا التمايز الطائفي الملحوظ الذي كانت تمارسه ضدهم الدَّولة العثمانية[207].

---

206 راجع عز الدّين، الشعر العراقي الحديث والتيارات السّياسية والاجتماعية، ص 44 وما بعدها.

207 راجع في التقارب الطائفي: البصير، تاريخ القضية العراقية، ص 104 وما بعدها. والوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 5 القسم الأول، ص 172 176- وص 191-194.

بعد جمعية (النهضة الإسلامية النَّجفية)، أو على أثرها، تشكلت جمعيات شيعية أُخر: الجمعية الإسلامية بالكاظمية، أسسها آية الله السَّيد أبو القاسم الكاشاني(ت 1961)، كانت مؤيدة من المرجع آنذاك شيخ الشريعة فتح الله بن محمد الأصفهاني (ت 1920)، وتركز نشاطها عن طريق توظيف مواكب العزاء الحسيني ضد الإنكليز، مثل إحياء زيارة الأربعين، أو العشرين من صفر سنوياً[208].

---

208 تُعد زيارة ضريح الإمام الحسين بكربلاء، حيث قُتل ووري جسده الثرى، تقليداً دينياً، أخذ منحى الواجبات لدَى الشِّيعة. وتُعرف الزيارة، التي تُقام عادة في العشرين من شهر صفر، بين العراقيين: الأربعين، أو صفر، أو ردّ الرؤوس، أي عودتها ودفنها مع الأجساد بعد أربعين يوماً من حادثة الطَّف. وهناك مَنْ يعزو هذا التقليد إلى عروج الأسرة المنكوبة على كربلاء بعد أربعين يوماً من عاشوراء، وهي في طريقها من الشام إلى الحجاز. بينما عزتها روايات أُخر إلى مناسبة عودة رؤوس القتلى لتدفن مع أبدانها بالمكان المعروف. ولا يُغيب عن البال أن التأبين بعد أربعين يوماً على الوفاة تقليد سائر لدى الشعوب والقبائل. ومع رسوخ الاعتقاد بفضل الزيارة، وارتباطها برد رأس الإمام إلى بدنه بكربلاء، إلا أن تعدد أمكنة مدفن رأس الحسين تبعث الحَيرة والفضول. لذا وجدت نفسي، وأنا أقلب النظر في فضاء ضريح الحسين بالقاهرة (تشرين الأول/أكتوبر 2005)، مستفسراً من السادن المصري الشافعي المذهب: (هل يضم الضريح الرأس الشريف فقط)؟ أجاب بنفرة: (لا تقول هذا! فيه الجسد والرأس معاً)! قلت: (أنا من العراق، ومن العشيرة التي دفنت جسد الإمام هناك بلا رأس) (بني أسد)! قال: (كذبتم)! وأردف مفسراً وجوده بالقاهرة: (لما دُفن الرأس هنا بمصر، رغبة من شقيقة صاحبه السَّيدة زينب، حملت الملائكة البدن وألحقته به)! عندها رددت على السادن: (وهل تريد القول إن الضريح الذي نزوره بكربلاء خالٍ من الرأس والجسد)؟ قال: (ما قلت لك هو الصحيح)! وأشار إلى زاوية مقفلة في داخل الضريح قائلاً: (هذه فيها أسرار لا يعرفها إلا صاحبها)! ولم يدلني مَنْ هو صاحبها! ومثلما تعددت أضرحة رأس الحسين، تعددت أضرحة السَّيدة زينب، فهي بدمشق والقاهرة أيضاً. حقيقة، دفعتني حكايات سادن الضريح بحي الحسين الشعبي وسط القاهرة، اليقظ ليل نهار، إلى مراجعة سيرة الرأس لدى المرجع الشِّيعي محسن الأمين (ت 1952)، والمبثوثة في كتابه (لواعج الأشجان)، ثم (أعيان الشِّيعة). إلا أنه بدوره أدخلني في حَيرة بين سبعة احتمالات، ليست تأكيدات السادن المصري واحدة منها. الأول: أن الرأس دفن عند ضريح والده الإمام علي بن أبي طالب بالنَّجف. والثَّاني: دفن مع الجسد بكربلاء، ورواية ترى أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (101هـ 719 ميلادية) تصرف به بعد أكثر من ثلاثين سنةً، ولا يُعلم ما فعل. إلا أن الأخير يُعتقد أنه ألحقه بكربلاء. والثالث: إنه مدفون في تربة ما بظهر الكوفة. والرابع: إنه دفن=

وساهم فيها الشَّيخ محمد مهدي الخالصي الأب (ت 1922). إلا أن عملها ونشاطها توقف، على الرغم من عدم وجود اهتمامات سياسية لها، بعد اندلاع ثورة العشرين في حزيران (يونيو) 1920 [209].

أما عن مؤسسها آية الله الكاشاني، لما صدر أمر إلقاء القبض عليه، من قبل البريطانيين، هرب إلى إيران السَّنة (1922)، وكتب السَّيد أبو الحسن الأصفهاني إلى هناك معرفاً به وواصفه (بركن الملَّة والدِّين وعمدة المجتهدين) [210]. وهناك واصل حربه على البريطانيين، فشارك في حركة الدكتور محمد مصدق، ضد شاه إيران محمد رضا بهلوي (ت 1980)، والتي أسفرت عن تأميم النِّفط الإيراني، العام 1953، ولم يستمر موافقاً لمصدق، وبعدها نفي إلى لبنان لفترة طويلة، ثم عاد إلى إيران، حتى أدركه الحمام فيها [211].

ومما يذكر، في سيرة الكاشاني، أنه اقترح، وقد أصبح من

= بالمدينة عند قبر والدته فاطمة الزهراء. والخامس: إنه بدمشق، دفنه هناك سليمان بن عبد الملك (ت 99 هـ 717 ميلادية)، بعد أن طيبه ووضعه بخمسة أثواب من الديباج، حيث مشهده الآن عند الجامع الأموي. والسادس: إنه دفن في تربة مسجد بالرقة على الفرات. والسابع: نقله الخلفاء الفاطميون من دمشق إلى مصر، وقيل أمر الخليفة الفاطمي أن يستخرج الرأس، فاستخرجوا رأساً قالوا: إنه رأس الحسين، حيث الضريح المعروف بالقاهرة. وما أظنه أن الاحتمال الخامس هو الأرجح. ولابن تيمية (ت 728 هـ 1327 ميلادية) رسالة تحت عنوان: (رأس الحسين)، يشكك فيها بوجود الرأس بالقاهرة، وأن دعوى نقل الفاطميين للرأس من عسقلان فلسطين لا أساس له من الصحة، حسب ما يَخبر عن مشايخ (ص 31-32).

209 شُبَّر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 76 – 77.

210 الفروي، مع علماء النَّجف الأشرف 2 ص 73.

211 المصدر نفسه.

الآيات المسموعة بإيران، على رئيس الوزراء مصدق(ت 1967)، في حينه، أن يمنع المشروبات الكحولية، قائلاً له: (اقبل اقتراحي، وأنا أجعل النَّاس يتقبلون إضافة قران على ثمن كيلو السكر)[212]. وبهذا يبطل عذر الحكومة في اعتمادها على ما يردها من أموال، لسدِّ ما تعانيه بسبب مشكلة النِّفط، الذي أممه مصدق، لكن الأخير لم يوافقه.

كذلك تأسست جمعية مشابهة بكربلاء، ذات منحى سياسي ظاهر، وهي (الجمعية الإسلامية)، تأسست بجهود الشَّيخ محمد رضا[213]، نجل المرجع الأعلى في زمانه محمد تقي الشيرازي (ت 1920). وكان هدف الجمعية مقارعة الاحتلال البريطاني، عبر (المطالبة بالاستقلال، واختيار ملك مسلم)[214]. وكان السَّيد هبة الدِّين محمد علي الشهرستاني(ت 1967)[215] من المساهمين

---

212 رفسنجاني، حياتي، ص 33.

213 يُعتقد أن له دوراً في أحداث ثورة العشرين، ومعاداة الإنكليز، وقد نفي إلى إيران فيما بعد. ويُذكر أنه كان متحمساً للثورة على خلاف رأي والده، ولما اجتمع وجهاء ورؤساء عشائر بوالده امتنع الأخير من إعطاء فتوى بتفجير الثورة، وقال لهم: (أخشى أن يختل النظام ويُفقد الأمن، فتكون البلاد في فوضى، وأنتم تعلمون أن حفظ الأمن أهم من الثورة بل أوجب منها). إلا أن ولده المشار إليه أقنعهم بعد خروجهم بأن ما قاله المرجع أنه (إفتاء بالثورة ضد الإنكليز) (الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 5 القسم الأول ص -128 129، عن عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص 99-100). ومعلوم أن أولاد المراجع يمثلون أبواباً لآبائهم، فمن طريقهم تتم اللقاءات، وعنهم تسرب الفتاوى الخطيرة، وتُقدم الآراء، وتنسج العلاقات.

214 شُبر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 76 – 77.

215 عالم دين متنور، ويعد من رجال الإصلاح الدِّيني ولد بسامراء (1884)، وتوفى بالكاظمية (1967)، أسس مجلة (العلم) بالنَّجف 1910، وساهم في معركة المشروطة والمستبدة، وتبوأ منصب وزير المعارف في العشرينيات من القرن المنصرم، وترأس مجلس التمييز الشرعي الجعفري. وله رأي متحضر=

النشيطين في الجمعية، والسَّيد حسن القزويني، ومحمد علي أبو الحَب وغيرهم. وقد توقف عملها نهائياً بعد نفي نجل المرجع الشيرازي محمد رضا إلى إيران.

أفلَ نشاط هذه الجمعيات تماماً بعد اندحار ثورة العشرين، وقيام الدَّولة الحديثة. وبطبيعة الحال لم تكن تلك الجمعيات مؤيدة من قِبل المرجعية الشِّيعية، وإن وجود نجل المرجع الشيرازي، على رأس أحدها، لا يكفي أن يؤخذ دليلاً على تأييد مرجعي قوي لها. وكان أكبر مرجع في زمانه السَّيد محمد كاظم اليزدي (ت 1919) ضد أي عمل مناهض لبريطانيا، وعذره في ذلك أنها معركة غير متكافئة، مثلما أشار المرجع الذي خلفه للوجهاء بعدم المغامرة، عندما طلبوا منه فتوى الجهاد. مع أن الشيرازي معروف بعدم انسجامه مع الإنكليز، وأنه أصدر فتوى، أُولت عدة تأويلات، مثلما سبقت الإشارة.

الشَّباب المسلم

بعد تلك الجمعيات، أو ما تأسس بفعل مقاومة الاحتلال البريطاني، ومنها الدفاع عن الخلافة الإسلامية العثمانية، ظهر النشاط الشِّيعي السِّياسي مرة أخرى، على الرغم من أن عناصر شيعية دينية شاركت في أغلب الأحزاب الوطنية، التي نشأت في

=في أداء مراسم عاشوراء، وقد حاول تبديل الحالة السائدة باحتفالات أدبية وشعرية (راجع مير بصري، أعلام الأدب بالعراق الحديث 3 ص 402 وما بعدها. وعلي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق 3 ص 9-10. وعلي الخاقاني، شعراء الغري 10 ص 65 وما بعدها).

العشرينيات والثلاثينيات، من القرن المنصرم، لكنها بالتأكيد لم تكن أحزاباً إسلامية أو دينية.

تعد منظمة (الشباب المسلم) من بواكير العمل السِّياسي الدِّيني المنظم، ذات نشاط ديني وسياسي مزدوج، أسسها الشَّيخ عزَّ الدِّين الجزائري العام 1940 بالنَّجف. وهي وإن كانت أهدافها إسلامية عامة، إلا أنها ظلت ذات صبغة وهيكلية شيعية صرفة. وعزَّ الدِّين الجزائري أحد أبرز الناشطين الإسلاميين الأوائل، ولدعام 1924 بالنَّجف، وهو نجل مؤسس جمعية (النهضة الإسلامية) الشَّيخ محمد جواد الجزائري (ت 1959)، المار ذِكره. حاول الجزائري الابن ترسيخ الثقافة الدِّينية عبر اعتماد أسلوب الدراسة الحديثة، والذي لا يتفق بأي شكل مع أسلوب الدراسة الحوزوية التَّقليدية، ومن المؤكد أن أي محاولة تجديد ستلاقي معارضة ورفضاً شديدين من قبل التقليديين المهيمنين في الحوزة الدِّينية، حيث الدراسة لا تعتمد على مناهج حديثه والتزامات مركزية، بقدر ما هي تنسيق بين المدرس الشَّيخ والطلبة، يتحلقون حوله بفناء مسجد أو وسط صحن الضريح العلوي. وبهذا المعنى عُرف الجزائري بـ (رائد العلم المنظم)[216].

ويروي السَّيد محمد مهدي الحكيم (اغتيل 1988) أن النشاط الإسلامي الأول بدأ كإرهاص على يد السَّيد محمد علي المرعبي، الذي

216 القزويني، عزَّ الدِّين الجزائري رائد الحركة الإسلامية بالعراق، ص 17.

أخذ يُلقي محاضرات لها شأن سياسي بمسجد الهندي، ومسجد الترك، والصحن الحيدري بالنَّجف، مع أنه كان محدود الثقافة، ثم تدرج ذلك النشاط إلى أنضج من ذلك على يد الشَّيخ عزِّ الدِّين الجزائري[217].

ويرى الحكيم في تحرك الجزائري: (فيما تطور أكثر نستطيع أن نعتبره تحركاً إسلامياً، جاء نتيجة لردِّ فعل على التحرك الشِّيوعي، الذي لم يكن مطروحاً بهذا الشكل. بل كان الشِّيوعيون يطرحون أفكارهم في عالم التشكيك في العقيدة، لذلك فقد كان المفروض أن تنبثق دعوة للإيمان بالدوافع البريئة الطبيعية لا دواعٍ أخرى)[218]. بمعنى أن حركة الجزائري كانت في هذا الإطار، وظهرت تلبية لتلك الدواعي في المواجهة الفكرية لا الحركية السِّياسية، وأن دعوة الجزائري إلى قيام الدَّولة الإسلامية أتت بلا كيفية، ولم يتمكن من تشكيل ثقافة إسلامية على حد قول الحكيم[219].

ويتحدث الحكيم عن تجربته مع الجزائري بالقول: بأنه كان عمره 16-17 عاماً عندما اتصل بالجزائري بفضول المعرفة، يوم كانت تتنازع في دواخله ثلاثة اتجاهات: الشِّيوعية، وكان قريبه السَّيد محمد الحكيم مؤسساً لفرع الحزب الشِّيوعي بالنَّجف، والقومية،

217 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد مهدي الحكيم، ص 27-28.

218 المصدر نفسه، ص 28.

219 المصدر نفسه.

والإسلامية، وقد مثل الأخيرة الجزائري. لكن أشيع حينها عن الجزائري، وسط المجتمع النَّجفي الملائي، بأنه ناقص العقل (من قبيل البلاهة). لذا أمر السَّيد محسن الحكيم ولده مهدي بالابتعاد عنه، إلا أنه ظل متعاطفاً معه، بل أقنع والده أن ما يشاع عن الجزائري ليس صحيحاً، وأنه معدم الحال غير متزوج، فأخذ آية الله الحكيم يتعاطف معه، ويساعده بدينار أو دينارين آنذاك، كانت تُقدم له بشكل لائق[220].

إلا أن السَّيد محمد مهدي الحكيم أومأ إلى تورط عزّ الدّين الجزائري بأمر ما، من قبيل العمل مع جهاز الدَّولة الأمني، وذلك عندما كان بكربلاء العام 1953؛ وقصة ذلك أنه عندما التقى على نهر الحسينية بمجموعة من الشباب يناقشون الشّيوعية، وكان معهم أحد المعممين من الشّيعة السعوديين يدعى محمد الهجري، وعرف الحكيم أن الأخير كان بعثياً، ومعه شخص من جهاز الأمن يدعى محسن معين، وقد أُعجب الأخير بحوار الحكيم ضد العقيدة الشّيوعية، حتى أبلغه، هو نفسه، بأنه يعمل في الأمن لمحاربة الشّيوعية، وأنه يحضر مجلساً يحضره عز الدّين الجزائري.

حضر الحكيم هذا المجلس، وإذا بالشَّيخ الجزائري يدخل، ولما أخبره بكيفية وصوله إلى هذا المجلس، وأن المدعو محسن يعمل في جهاز الأمن، نفى الجزائري ذلك، بل ونفى وجود مثل هذا المجلس،

---

220 المصدر نفسه، ص 28-30.

ونفى معرفته بمحسن! قال الحكيم: (بالرغم من أني أعرف أن الشَّيخ الجزائري عنده عمل سري، وكانوا يشترون السلاح كالمسدسات ويخفونها في القبور)[221]. وهنا قطع الحكيم علاقته بجماعة أو منظمة (الشباب المسلم).

حينها شارك الحكيم في نشاط، على ما يبدو، موازٍ لنشاط الجزائري ومختلف في النوعية والأداء، من داخل (منتدى النشر) وهي جمعية أدبية وثقافية كما هو ظاهرها، مع السَّيد محمد بحر العلوم، وعبد الصاحب الدخيل (أُعدم 1974)، ورؤوف الدخيل، والشَّيخ محمد رضا العامري، والسَّيد جواد العاملي، وقد حدد الحكيم طبيعة النشاط (تكوين حركة أكثر وعياً في مقابل الشُّيوعية، ونطرح من خلالها الإسلام وفكرة الدَّولة الإسلامية، وهذا العمل كان قبل تأسيس الدعوة الإسلامية)[222]. وقد دُعي الشَّيخ عزُّ الدِّين الجزائري لحضور ندوات تلك الجماعة إلا أنه انقطع بعد اجتماع أو اجتماعين.

كان للجزائري أيضاً مشروعه الموازي عندما فَكر (بإنشاء حركة منظمة تساهم باتساع الثقافة الدِّينية للمجتمع، والوقوف أمام أفكار التيارات الفكرية الجارفة)[223]. ويأتي في مقدمتها الفكر اليساري، وعلى الأخص نشاط الحزب الشُّيوعي العراقي الثقافي

---

221 المصدر نفسه، ص 33-35..

222 المصدر نفسه، ص 30-31.

223 القزويني، عزُّ الدِّين الجزائري رائد الحركة الإسلامية بالعراق، ص 17.

والتنظيمي. ومن تطبيقاته، التي كانت يومها جديدة على واقع النَّجف، هي أنه (أسس 1957 مدرسة النَّجف الدِّينية لتدريس علوم الشريعة والعلوم العربية)[224].

أما عن تأسيسه، وهو الأهم، لمنظمة (الشباب المسلم) فقد (بقي في دور التشكيل والإعداد والتهيؤ لمرحلة المواجهة، التي اشتعل أوارُها في عقد الخمسينيات الميلادية، من القرن المنصرم، بظهور الأحزاب العلمانية والقومية، متزامناً مع سقوط الملكية عام 1958، وإحلال النظام الجمهوري في العراق)[225].

شرع بتأسيس المنظمة بشكل فعلي، العام 1941، وكانت البداية بخلايا تنظيمية بالنَّجف، امتدت إلى ما حولها من الحيرة (بالقرب من الكوفة) وكربلاء، ثم انتقلت إلى بغداد حيث العاصمة. وكان شعاره (دولة إسلامية سعادة الدنيا ونعيم الآخرة)[226]. وإذا توخينا الدقة يُعدُّ عزُّ الدِّين الجزائري مؤسساً للعمل الإسلامي الحركي العقائدي، ولم ينشأ الحزب (الجعفري)، ولا حزب (الدعوة الإسلامية) من بعده، إلا بأثره، فهو الذي فتح الطريق أمام ذلك النشاط، وربما ساهم في إزالة الوجل من اعتراض وممانعة المرجعية الدِّينية من تبني العمل الحزبي الدِّيني.

---

224 المصدر نفسه، ص 72.

225 المصدر نفسه، ص 82.

226 المصدر نفسه.

ومن جانبه اقترح أحد أعضائها، السَّيد أحمد البغدادي، حفيد آية الله البغدادي المعروف، بالقيام بالنشاطات الرياضية والسفرات الترفيهية، والزيارات الجماعية مثلاً إلى العتبات المقدسة، وأن يبقى المنتمي الجديد عاماً كاملاً كصديق[227]. ويذكر البغدادي، قبل خروجه من المنظمة: (كان أمام هذه المنظمة فرصة تاريخية لأن تكون سيدة الساحة في عموم محافظات العراق، بوصفها أول حركة سياسية إمامية إسلامية، وتقديمها مفهوماً للإسلام مغايراً للاتجاه الذي حاولت العلمانية ترسيخه)[228]. وأشار البغدادي إلى سلبيات منظمته السَّابقة، وهو ختن مؤسسها الجزائري بالقول: (لولا قيادتها الإصلاحية، غير الثورية، فمع الشَّخصية النزيهة لهذه القيادة المتمثلة بالشَّيخ عزّ الدِّين الجزائري، وأطروحاتها النظرية والسِّياسية تجاه مشاكل المجتمع، مع التقصير في تبني هموم المواطن اليومية)[229]. كذلك يُشار إلى ضعفها لعدم (طرح نظامها الداخلي وبياناتها علانية، حتى لأقرب المقربين، لأسباب لا يمكن فهمها)[230].

ومع هذا التَّأسيس والعمل الحزبي المتقدم على بقية الجماعات والتنظيمات الدِّينية السِّياسية، إلا أنه ليس هناك مَنْ يَذكر فضلاً للجزائري، أو حتى إشارة من بعيد، عندما يجري الحديث حول

---

227 القرشي، حوار صريح مع سماحة آية الله أحمد الحسني البغدادي، ص 6 - 7.

228 المصدر نفسه، ص 7.

229 المصدر نفسه.

230 المصدر نفسه، ص 9.

تاريخ حزب الدعوة مثلاً أو الحزب الجعفري من قبل. وينقل أن قوام التنظيم هم طلبة المدارس الدّينية، والمدارس الحكومية، والحرفيين، والمزارعين، وأصحاب المهن الحرة. وهؤلاء متفاوتون من حيث درجة التنظيم (بين مؤيد للمنظمة، وداعم لتوجهاتها، وبين عامل في صفوفها، أو عضو منتم لها)[231].

كان الجزائري طموحاً في نشاطه السّياسي الدّيني، حيث أوجد لمنظمة الشباب المسلم واجهة أخرى (أطلق عليها اسم المسلمين العقائديين). وهو تنظيم (امتد بصفوف طلبة الجامعات العراقية ببغداد امتداداً بيّناً)[232]. وله (خطان تنظيميان في كل من جامعة بغداد والبصرة)[233]. جعل الجزائري (تنتهي إليه جميع الخيوط التنظيمية بشكل دقيق)[234]. ولسرية التنظيم وخطورة التحرك (كان الأفراد المنظمون من الطبقة الأولى يدينون بالولاء للمؤسس، وهم وحدهم يعرفون اسمه ولقبه. أما حلقات أفرادهم، وما تنتج من خلايا تنظيمية فلم يكن أحد يعرف سوى مسؤوله الأعلى)[235].

لقد نجح الجزائري، الذي أشرف على التنظيم وقاده قيادة محكمة، في إبراز واجهته الثقافية والتعبدية، التي يتوارى خلفها

---

231 القزويني، عزّ الدّين الجزائري رائد الحركة الإسلامية بالعراق، ص 83.

232 المصدر نفسه، ص 83.

233 الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق، ص 38.

234 القزويني، عزّ الدّين الجزائري، ص 84.

235 المصدر نفسه.

نشاطه السِّياسي. لهذا اعتمد أسلوب أو تكتيك (البعد عن الاصطدام بأي تنظيم آخر، إسلامياً كان أو علمانياً)[236]. كذلك اعتمد، كأي تنظيم إسلامي سياسي، النشاط عبر نشر التدين في أوساط الشباب، حتى أنه أوجد (مصليات بالمدارس الثانوية)[237].

ومما يُذكر أن حركةً، عُرفت باسم (الطلائع الإسلامية)، اندست داخل تنظيم الجزائري (الإسلاميون العقائديون)، كاختراق أمني حكومي (كانت مهمتها الكشف عن العناصر المبثوثة داخل منظمة العقائديين، والوصول إليها، وإحداث تيار جديد داخل التحرك الإسلامي)[238]. أما البغدادي فيحصر سبب الاختراق الأمني لأنها (تعتمد العمل الخلوي الخيطي... لا تؤمن من حيث المبدأ بالميدان والعمليات الجهادية النوعية عبر آليات دقيقة ومحكمة ضد المؤسسات الأمنية والمخابراتية)[239].

ونجد السَّيد البغدادي بتنويهه هذا، لم يُقدر طبيعة عمل المنظمة، والظروف التي تحيط بها، وهو نفسه قد جرب العمل السِّياسي وادعى القيام بعمليات جهادية، وآخرون مارسوا التَّفجيرات وحمل السلاح، لكن ما نتيجة ذلك كله؟! سوى شدة الملاحقة وتكثيف

---

236 المصدر نفسه، ص 85.

237 المصدر نفسه، ص 86.

238 المصدر نفسه، ص 111.

239 القرشي، حوار صريح مع سماحة آية الله أحمد الحسني البغدادي، ص 6-7.

الإرهاب، ولولا الغزو الأمريكي لم يسقط العمل الإسلامي السّياسي، على طريقة البغدادي، سلطة بغداد. عموماً، انتهت منظمة (الشباب المسلم)، و(الإسلاميون العقائديون) في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، بعد ملاحقة السُّلطة الشديدة لأعضائه، إضافة إلى الدخول في منافسة مع أحزاب وتنظيمات إسلامية شيعية أخرى، مثل حزب الدعوة الإسلامية.

تأتي أهمية حركة الشباب المسلم (لا من طبيعة فكرها الحركي بقدر ما تنبع من سبقها التفكير في ضرورة العمل الحركي) الإسلامي. وكان لها منهاج أُطلق عليه اسم الدستور والنظام الداخلي. كذلك أصدرت نشرات داخلية على شكل بيانات، منها الأسبوعي ومنها الشهري، تحمل شعار المنظمة (مجتمع مسلم ودولة إسلامية، سعادة الدنيا والآخرة)[240].

توفى الجزائري بلبنان (2005) بعد هجرته من العراق مطلع السبعينيات، من القرن الماضي، هاجراً العمل السّياسي الإسلامي ومشتغلاً بالتجارة، وترك عضوها الآخر محمد صالح الحسيني، يتحول إلى العمل المُقاوم الفلسطيني بلبنان[241]. ومعلوم أن ابتعاد مؤسس التنظيم وقائده عن وطنه، بفعل شدة السُّلطة ضده، كان سبباً مباشراً وراء اضمحلال التنظيمات التي أقامها. هذا، وقد أُغلق باب مدرسته

240 الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، ص 35.

241 القرشي، حوار صريح مع سماحة آية الله أحمد الحسيني البغدادي، ص 6- 7.

بالنَّجف، بعد اعتراف الدَّولة العراقية رسمياً بها، وإعفاء طلبتها من تأدية الخدمة العسكرية، أسوة بطلبة الحوزة الدِّينية سابقاً.

لم تكن مؤسسة الإمام الخوئي بلندن مجانبة للحقيقة، عندما وصفت راعي المنظمة عزَّ الدِّين الجزائري بأنه (أكبر واضعي لبنات العمل الإسلامي بالعراق)، وردَّ ذلك في بيان تأبينه بمقرها العام، وبالمجلس المؤرخ: 27 تشرين الأول(أكتوبر) 2005. وربما هي المؤسسة الوحيدة التي تذكرت هذا الرجل، ودوره في العمل الإسلامي، مع أنها مؤسسة غير سياسية، بل تتقاطع مرجعيتها مع زج الدِّين بالسياسة وإدارة الدَّولة. فعلى حدِّ إطلاعي- وباستثناء ذلك المجلس- لم يذكر حزب من الأحزاب الإسلامية الجزائري بشيء.

الحزب الجعفري

تأسس العام 1952 وقيل 1951 بالنَّجف ما عُرف بالحزب (الجعفري)، بهيأة كانت النواة، في ما بعد، لتأسيس حزب الدعوة الإسلامية. من أعضائها: عبد الصاحب الدَّخيل، ومحمد صادق القاموسي، وحسن شُبَر. قال الأخير: (لم نضع تسمية الحزب الجعفري إلا بعد تعرضنا لمضايقات كثيرة، واتهامات مختلفة)[242]. قال أحد المؤسسين السَّيد حسن شُبر في دوافع التَّأسيس: (جاءني عبد الصَّاحب دخيل وتحدث معي عن المكانة المقدسة للنَّجف الأشرف،

242 شبَّر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 255.

التي يسكنها علماء الإسلام ومراجع المسلمين، وإنها لابد أن تُحكم مِن قِبل العلماء، فهم اللذين يشكلون الحكومة المحلية، وهم الذين يقيمون الحدود، وينزلون العِقاب بالمعتدين، وهم الذين يحافظون على الأمن...) [243]. وبهذا المعنى أُريد للنَّجف أن تكون على غرار الفاتيكان وسط روما.

تأسس الحزب (الجعفري) بين ضغطين أو رفضين، تمثل الأول بالسُّلطة الملكية، القائمة آنذاك وتحريمها للعمل الحزبي المتمثل بالدِّين مِن الأساس، من دون اعتبار كونه شيعياً أو سُنيَّاً، حيث حَرمت تنظيم الإخوان المسلمين أيضاً. بينما تمثل الضغط الثَّاني، وهو الأقوى والأمضى، بالمرجعية الدِّينية الشِّيعية بالنَّجف. وخلافاً للجمعيات السَّابقة، التي تأسست قبل قيام الدَّولة، كان نشاط الحزب (الجعفري) نشاطاً سرياً (يكتب الأعضاء أفكارهم بأقلام الكوبيا، أو على ورق الكاربون، لتوزع على المتميزين بالتدين والسرية)[244].

ويذكر السَّيد شُبر أنه مؤسسي هذا الحزب اتصلوا بمراجع الدِّين وباركوا الفكرة (لكن شيئاً لم يحدث)[245]. والعلماء الذين اتصلوا بهم هم: السَّيد محسن الحكيم (ت 1970)، والشَّيخ محمد حسين كاشف الغطاء(ت 1954)، والشيخ عبد الكريم الجزائري(ت

243 شبَّر، تاريخ العمل السِّياسي المعاصر التحرك الإسلامي –1900 1957 الجزء 1 ص 255.

244 شبَّر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 255.

245 شبَّر، تاريخ العمل السِّياسي المعاصر التحرك الإسلامي 1 ص 367.

1962)، والشَّيخ محمد جواد الجزائري(ت 1962). لكن الثلاثة: صاحب دخيل وصادق القاموسي وحسن شُبر شكلوا الحزب، وأخذوا يعقدون اجتماعاتهم ببيوتهم أو في زاوية مِن زوايا مدرسة منتدى النشر بالنجف[246].

كان الحزب (الجعفري) هو بداية التحزب الدِّيني الفكري الشِّيعي، حيث اعتمد بالأساس على المتدينين، وكان همه هماً سياسياً صِرفاً، ولم يظهر مثل هذا الاتجاه في الجمعيات السَّابقة، بقدر ما كان يبرز فيها المنحى الوطني، أو الدفاع عن الإسلام تحت راية العثمانيين، أو ما يتعلق بالثقافة والتدين مثل منظمة الشباب المسلم السالفة الذِكر. ولا يغيب عن البال أن وجود التنظيم الحزبي الإسلامي بالعراق كان بمثابة ردَّة فعل على اتساع تأثير اليسار فكرياً وثقافياً، حتى قبل ثورة 14 تموز (يوليو) 1958، حيث المدُّ اليساري ممثلاً بالحزب الشِّيوعي العراقي، بل واقتحامه معقل القوى الدِّينية مدينة النَّجف.

ويروي أحد المؤسسين أن الحزب عقد مجلساً حسينياً بالصحن الحيدري بالنَّجف، إلا أنه أُوقف بسبب ضغوط من داخل النَّجف[247]. ومعلوم، أنه ضغط المرجعية الدِّينية، التي كانت لا تحبذ العمل الحزبي، لأسباب عدة، منها أن يحل الحزب محلها في التأثير والقيادة الروحية، ومنها طبيعة العمل الحزبي التي تسفر عادة عن

246 المصدر نفسه.

247 شبَّر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 255.

الانشقاقات والتكتلات. ناهيك من الفكرة الأساسية لدى المرجعية في أن قيادة الدَّولة الصحيحة من حق الإمام المهدي المنتظر، فماذا تريد الأحزاب من عملها السِّياسي سوى قيام دولة إسلامية بقيادتها!

جاءت تسمية الحزب بالجعفري، لا بالإسلامي أو أي اسم آخر، حسب رأي أحد الباحثين، لدفع المؤسسين تهمة الوهابية عنهم[248]، وهي تهمة خطيرة داخل الوسط الشِّيعي، وإشاعتها سلاح فعَّال ضد عمل الحزب، لما تحتفظ به ذاكرة المجتمع النَّجفي على الخصوص من آثار في الهجمات المتكررة ضد مدن العتبات المقدسة، التي كان يقوم بها الإخوان من نجد، قبل القضاء عليهم من قبل الملك عبد العزيز بن سعود (ت 1953) في معركة فاصلة، هي معركة السَّبلة الشهيرة (آذار/مارس 1929)، وكان أحد أسبابها نية الإخوان بقيادة: سلطان بن بجاد، وفيصل الدويش (قُتلا عِقب المعركة من العام نفسه) يجدان بمهاجمة العراق، تحت عذر محاربة الكفار الإنكليز، ومهاجمة العتبات المقدسة الشِّيعية بكربلاء والنَّجف.

إضافة إلى ما ينظر به المجتمع النَّجفي المتديِّن إلى الموقف السلفي من القبور والمراقد، وعلى وجه الخصوص ما حصل للقبب والمراقد بالمدينة، أو بالحجاز عموماً. لذا يأتي عنوان الحزب بالجعفري تكذيباً لأي اتهام يصدر ضده من داخل الشِّيعة، ومن العناصر غير

---

248 الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، ص 37.

البعيدة عن المؤسسة الدِّينية بالذات. ولهذل ظل نشاط الحزب محصوراً في التَّربية الرُّوحية الدينية، والإلتزام بالشَّعائر الإسلامية، وصلاة الليل مع التحرك على (أبناء الأمة)[249].

أكذوبة الحزب الفاطمي

يجري الحديث عن وجود حزب باسم الحزب الفاطمي، حسب ما تردد على الألسن بأنه أحد وجوه حزب الدعوة، أو بدايات ظهور الحزب. نُقل عن التقارير الأجنبية، عن معلومات سرية عراقية، أن خلية حزبية تأسست بالنجف تحت اسم الحزب الفاطمي، وأُشير إلى تمويلها ودعمها منْ قِبل عائلة عُرفت بعائلة الجعفري وعائلات أُخر، وأنه يشبه مِن النَّاحية التنظيمية بتنظيم حزب البعث. وأن منسبي هذا الحزب ظلوا يعملون سرياً حتى أيلول (سبتمبر) 1963، حيث قُبضت السلطات الأمنية على جماعة مِنْ أعضاء هذا الحزب في إثناء اجتمع سري لهم بمدينة الكاظمية، وهذا ما أفادت به مصادر السفارة الأمريكية ببغداد[250].

كذلك أن تهماً وجهت ضد الحزب الفاطمي في محاولة انقلاب ضد حكومة البعث في 19 تشرين الأول (أكتوبر) 1963[251].

---

249 شبَّر، تاريخ العمل السِّياسي المعاصر التحرك الإسلامي 1 ص 367.

250 العقيلي، بريطانيا ولعبة السُّلطة في العراق، ص 306 307 عن وثيقة بريطانية عبارة عن رسالة من السفارة البريطانية إلى وزارة الخارجية بلندن: F.O.371 170445/15711 Letter No/4/180 مؤرخة في 4 تشرين أول (أكتوبر) 1963.

251 المصدر نفسه، ص 308 309-.

وما يشكك في تلك الرواية أن بيان الحاكم العسكري العام، في حينها، رشيد مصلح (أُعدم بعد انقلاب 17 تموز 1968 مِن البعثيين أنفسهم) لم يشر إلى اسم الحزب الفاطمي إنما اتهم ضباط متقاعدين وشخصيات محسوبة على العهد الملكي وشيوخ عشائر[252].

أكد ما جاء في البيان أحد الذين سمعوه مِن الإذاعة وهو القاضي المعروف محمود خالص، قال في يومياته، التي كانت يدونها يوماً بيوم: أنه في يوم الأربعاء 23 تشرين الأول 1963 (سمعتُ أن الحكومة اكتشفت مؤامرة - حسب زعمها- يُراد بها انقلاب في الحكم، قام بها بعض رجال العهد الملكي من إقطاعيين، وغيرهم، وأنها أوقفت قسماً منهم، وحجزت أموالهم)[253].

وقيل صدر بيان للحزب الفاطمي عقب المؤتمر عقب انعقاد المؤتمر الإسلامي ببغداد في 30 حزيران 1965، وصف البيان عبد السلام عارف بـ(المتعصب الطائفي) و (العدو رقم واحد للشعب العراقي)[254]. وعندما قدم الشَّيخ محمد رضا الشّبيبي (ت 1965) مذكرته لرئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز (ت 1973) في حينها الذي نبه فيها إلى ما يمارس مِن طائفية في 28 تشرين (أكتوبر) 1965 ثم وفاته بعد شهر من هذا التَّاريخ (26 تشرين الثَّاني 1965) أصدر

---

252 المصدر نفسه عن جريدة الجماهير، العدد 240 والمؤرخ في 20 تشرين الأول (أكتوبر) 1963.

253 خالص، ذاكرة الورق 1 ص 763.

254 المصدر نفسه، ص 342 عن وثيقة بريطانية، مع ملاحظة المؤلف العقيلي: لا يوجد نص عربي لهذا البيان.

الحزب الفاطمي بياناً يتهم فيه حكومة عبد السلام عارف بتسميمه (لإزالته عن طريقها)[255].

لكن السَّيد حسن شبر، وهو أحد مؤسسي حزب الدعوة ومِن أهم المؤرخين للحركة الإسلامية بالعراق نفى وجود هذا الحزب، أو أي تنظيم معتبره مِن مختلقات البعثيين والسفارتين البريطانية والأمريكية[256]. كذلك نفى السَّيد محمد بحر العلوم، وهو مِنْ الشَّخصيات الإسلامية المستقلة، والذَّي عاش تلك الأجواء وعن احتكاك بشخوصها مِن الحركيين الإسلاميين وجود مثل هذا الحزب[257]. ونفى مِن السَّيد محمد باقر الحكيم(اغتيل 2003)، وهو مِن قادة التحرك الإسلامي، أي وجود لهذا الحزب، وأن تلك المنشورات من المختلقات[258].

تنظيمات متفرقة

بعد منظمة (الشباب المسلم)، والحزب (الجعفري)، وعدم وجود حزب باسم الحزب الفاطمي، هناك تنظيمات أُخر لعبنَ دوراً ما في الوسط الشِّيعي السِّياسي والاجتماعي، مثل: (الجمعية الشِّيعية السرية)[259]، قيل: ظهرت العام 1934 في وزارة جميل المدفعي(ت

255 المصدر نفسه، ص 348 عن وثيقة بريطانية.

256 المصدر نفسه، ص 311 عن مقابلة المؤلف العقيلي مع السَّيد حسن شبر.

257 المصدر نفسه، ص 312 عن مقابلة المؤلف العقيلي مع السَّيد محمد بحر العلوم.

258 المصدر نفسه، ص 313 عن حامد البياتي، شيعة العراق في الوثائق البريطانية، ص 229-230..

259 أحاذر من أن يكون هناك تصحيف في المفردة، مثلاً القصد الشعبية، لذا جرى التنويه.

1958)، وأخذت تنشط عبر إرسال الرسائل بواسطة البريد العام، تطالب بإصلاحات بالبلاد[260]، هذا ولعلّها كانت مختصرة على شخص أو شخصين، وأن مهامها ليست دينية، مثلما هو عنوان رسائلها. و(شباب العقيدة والإيمان)، التي تأسست 1957، ومنظمة (التعبئة الإسلامية)، التي انشطرت عن منظمة الطلائع الإسلامية. ثم اندست داخل منظمة أو حركة (الإسلاميين العقائديين).

وقيل بتوجيه من آية الله السَّيد محسن الحكيم (ت 1970)، المرجع الأعلى للشيعة، تأسست منظمة أو جماعة (أنصار ثورة العشرين) من قبل السَّيد مرتضى العسكري (ت 2007)، وبإسهام من قِبل الوجيه والأديب الشّيعي المعروف الشّيخ محمد رضا الشبيبي (ت 1965)[261].

أما (جمعية المؤتمر الإسلامي العام في العراق) فهي فرع للمؤتمر الإسلامي الذي عُقد بالقدس 1931، ليست جمعية سياسية بقدر ما كانت تعمل على التقارب بين المسلمين، وربما هي الوحيدة، من الجمعيات ذات المنحى الدّيني، آنذاك، جمعت في داخلها علماء المذهبين، من الشّيعة على سبيل المثال: الإمام محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1954)، ومن أهل السُّنَّة: الحاج نعمان الأعظمي(ت 1936)[262].

---

260 الجبوري، الأحزاب والجمعيات السّياسية في القطر العراق، ص 105.

261 القزويني، عزّ الدّين الجزائري، ص 101.

262 الجبوري، الأحزاب والجمعيات السّياسية في القطر العراقي، ص 144.

الفصل الرَّابع

حزب الدَّعوة الإِسلامية

يعدُّ حزب الدعوة الإسلامية من أبرز الأحزاب الشِّيعية العراقية، التي أمتدَّ تأثيرها إلى بقاع أُخر[263]، عن طريق الدارسين بمدارس الحوزة الدِّينية بالنَّجف. وإن كل ما نشأ من تنظيمات حزبية شيعية، في ما بعد، لا يخلو من تأثير هذا الحزب! بل ومن كوادره، الذين اختلفوا مع قياداتهم وشكلوا تنظيماتهم الخاصة بهم، أو توزعوا على التنظيمات الأُخر، وحزب الدعوة، بالنسبة للعمل السِّياسي الإسلامي، يقترب دوره، إلى حد بعيد، من دور الحزب الشِّيوعي العراقي بالنسبة للأحزاب والتنظيمات اليسارية العراقية الناشئة من داخله، والتي أعلنت موقفاً مناوئاً إزاءه، وفي فترات مختلفة.

---

263 مثلاً : حزب الدعوة فرع البحرين، لوجود الكثافة الشِّيعية هناك والاتصال المتواصل بالنجف حيث مزار علي بن أبي طالب والحوزة الدِّينية الشيعية، ويُنقل أن أول المنتمين إلى حزب الدعوة بالعراق من البحارنة هو الشَّيخ سليمان المدني (ت 2003)، وهو أول الداعين إلى تأسيس الفرع بالبحرين، وتشكلت أول نواة للحزب 1968 ونشط فرع البحرين بعد إعلان استقلال البحرين 1971 وتشكيل المجلس التأسيسي 1972، ونشط الحزب مِن داخل المجلس ممثلاً بأحد الشخصيات، وهو الشيخ عيسى أحمد قاسم، مع نشاط الحزب خارج المجلس ممثلاً بالشيخ سليمان المدني، وبعدها حصل الشيخ عبد الله المدني (أعدم 1976) على إجازة لإصدار مجلة (المواقف)، وقد وصفت بأنها كانت متنفساً صحافياً للحزب والتَّيار الديني السياسي الذي يمثله، وبعد حل المجلس، واغتيال الشيخ المدني وابتعاد أخيه لسيمان عن النشاط خفت دور الحزب وانتهى السنة 1984 (منصور الجمري، صفحات من تاريخ الحركة الإسلامية في البحرين، مبتقى البحرين عن الوسط البحرانية، على الموقع:
http://bahrainonline.no-ip.org/showthread.php?t=126963

في تحديد تاريخ التأسيس هناك رأي لأحد مؤسسي حزب الدعوة، أو أحد أصحاب فكرة التأسيس، يؤكد أن حزب الدعوة ما كان فكرةً مطروحة قبل ثورة تموز (يوليو) 1958، أي أنه جاء رداً أو مواجهة لما أسموه بالمدّ الشّيوعي في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي. هذا ما ورد في مذكرات أحد المؤسسين والمهيئين لوجود هذا الحزب، ولم يعدّ منه، وهو السّيد طالب الرّفاعي[264].

قال: (الدعوة الإسلامية كفكرة ما كانت تدور في فكر الذين تأسست وقامت عليهم، لولا الأحداث التي صاحبت الانقلاب العسكري في الرابع عشر من تموز (يوليو) سنه 1958، لأنه بعد هذا الانقلاب حدثت أحداث ما كانت متوقعه أن تكون بذلك الحجم وبتلك الاندفاعة والقوة. وأهم حدث صاحب هذا الانقلاب هو ظهور الحزب الشّيوعي في الساحة، وكانت له أكبر مساحة في الشارع العراقي آنذاك. وأستطيع القول إن السلطات، وعلى رأسها الزعيم عبد الكريم قاسم، كانت

264 رجل دين عراقي، يتحدر من بلدة الرّفاعي من توابع محافظة ذي قار، درس وأقام بالنّجف، ثم غادر إلى القاهرة، ويقيم حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية، حضر جنازة شاه إيران وصلى عليها، وذلك عند وفاة الأخير بالقاهرة في 27 تموز (يوليو) 1980، ومن الأصول الشرعية أن يُصلي فقيه شيعي على جنازة الشّيعي، لما يتعلق بالاختلاف حول عدد التكبيرات. فالثابت عند الشّيعة أن الصلاة على الجنازة خمس تكبيرات (السّيستاني، منهاج الصالحين 1 ص 107). واختلفت الروايات لدى أهل السُّنَّة في عدد تكبيراتها، إلا أن الأكثر ثباتاً هو أربع تكبيرات (القرطبي، ابن رُشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد 1 ص 226-227). والسَّيد الرّفاعي لم يتعدَّ حدود الفقه لدى مذهبه، في صلاته هذه على جنازة شاه إيران، إذا أخذنا الأمر مجرداً من الموقف السّياسي، الذي اتخذته إيران، أو الإسلام السّياسي الشّيعي بمجمله، ضده آنذاك. فقد جاء في حكم الصلاة على الميت: (تجب الصلاة على كل ميت مسلم، ذكراً كان أم أنثى، مؤمناً أم مخالفاً، عادلاً أم فاسقاً) (السّيستاني، منهاج الصالحين، المصدر أعلاه).

أسيرة لتلك الحركة أو لهذا الحزب، الذي انطلقت شعاراته وانطلقت جماهيره من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب) [265].

هذا ما يؤكده أيضاً أحد نشطاء الحزب، وأمينه العام في ما بعد، الشَّيخ محمد مهدي الآصفي، وهو يتحدث عن رفيقه في الحزب آنذاك الشَّيخ عبد الهادي الفضلي، الذي ستأتي الإشارة إلى دوره في حزب الدعوة الإسلامية.

قال: (يومئذ كانت الساحة الإسلامية في العراق تموج بالفتن. وكان من أبرز هذه الفتن التحدي الصارخ للمدّ الأحمر الماركسي في العراق. وبسبب الفراغات الثقافية والسّياسية والتنظيمية الكبيرة الواسعة في ساحتنا في العراق، تمكّن المدّ الأحمر الماركسي من التمدّد في أوساط الشباب والعمال والفلاحين في العراق. وكان هذا التمدد وما ارتكبه الحزب الشّيوعي من حماقات وطيش في العراق سبباً لأن تقوم المرجعية والحوزة العلمية وعلماء العراق وخطباء المنبر الحسيني والمثقفون الإسلاميون بإعادة النظر في مواطن الضعف في عملنا وساحتنا. وربَّ ضارة نافعة، فهبَّت المرجعية والحوزة العلمية ومَنْ يحمل معهم هموم العمل والساحة، لمواجهة هذه الحالة الجديدة، وملء الفراغات في العمل وفي الساحة، فكانت جماعة العلماء، وكانت الحركة الإسلامية، وكانت مكتبات الإمام الحكيم، والأضواء،

---

265 مذكرات السّيد الرّفاعي، تحرير عقيل الرّفاعي، على موقع: www.freewebs.com/alrefaee/alrefaee1.html

والإصدارات الإسلامية العديدة، واللقاءات والاحتفالات الحاشدة بالجماهير)[266].

ونجد عبد الهادي الفضلي(من المنطقة الشّرقية السعودية) نفسه، في ما أملاه نجله، وهو مازال على قيد الحياة، يرى أن التحرك صار بعد العام 1958 وبتأثير المد الشّيوعي حسب عبارته: (إن أحد الأسباب المهمة في انطلاق الحركة الإسلامية النّجفية بجميع أبعادها، الفكرية والثقافية والسّياسية والأدبية، كان الطّغيان الشّيوعي في العراق، والتّحدي الذي خلقه الفكر الشّيوعي الجديد، بما يملكه مِن فكر أيديولوجي قائم على مبادئ ونظريات وغايات، وله تجارب ناجحة في ثورات الشّعوب، والأهم مِن ذلك حركته السّياسية والفكرية متمثلة بالحزب الشّيوعي تمتلك تنظيماً عالمياً عالياً)[267]. ثم يقول: (وكانت الانطلاقة الأولى في النّجف عبر تأسيس جماعة العلماء، التي يشرف عليها السّيد الحكيم في عام 1959)[268].

وأشار الشّيخ الفضلي إلى أن الاجتماع التّأسيسي كان بكربلاء، وأُطلق عليه في بداية الأمر اسم (الحزب الإسلامي)، وبعد عام واحد تقريباً تبدل إلى اسم (حزب الدعوة الإسلامية) (حيث قامت جماعة

---

266 موقع الشّيخ الآصفي الرّسمي، حوارات ولقاءات: http://www.alasefi.net/asefi/index.php

267 الفضلي، قراءات في فكر العلامة الدكتور الفضلي، ص 29

268 المصدر نفسه، ص 29 30-.

الإخوان المسلمين بتقديم طلب رسمي لتأسيس حزب باسم الحزب الإسلامي، وتمت الموافقة مِن الحكومة العراقية، وهو ما دعا الصَّدر، ومؤسسي الحزب الإسلامي الشّيعي إلى تغيير اسمه)[269]. ومعنى هذا أن تاريخ تأسيس الحزب الإسلامي(سلف حزب الدعوة) يعود إلى العام 1959 ذلك إذا علمنا أن الإخوان المسلمين حصلوا على إجازة حزبهم العام 1960.

كذلك يحدد السَّيد محمد مهدي الحكيم، وهو المعني بالتَّأسيس أيضاً، أنه يرجع الشروع بالتَّأسيس إلى ما بعد 14 تموز 1958. قال: (فبعد 14 تموز كانت الاتصالات والجلسات تجري مع السَّيد الشهيد الصَّدر حول تأسيس حزب)[270]. إن القول بتأسيس الحزب بردة فعل قد لا تعجب الكثيرين، لذا لعلَّهم جعلوا من رأي أو فكرة كتاريخ لتأسيس الحزب، بينما ما حدث بعد تموز(يوليو) كان كافياً أن يؤسس أحزاباً لا حزباً إسلامياً واحداً.

وعندما سُئل مسؤول منظمة العمل الإسلامية (جماعة الشّيرازي) السيَّد محمد تقي المُدرسي عن أُصول الحركة الإسلامية بالعراق، نجده يحيل وجودها إلى العهد الملكي، في حالة الإخوان المسلمين وحزب التحرير، ثم حركة جماعة العلماء بالنَّجف[271]،

---

269 المصدر نفسه، ص 32.

270 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد مهدي الحكيم، ص 39.

271 لكن ثبت أن هذه الجماعة أو الحركة ظهرت بعد الثورة كاعتراض على النشاط الشيوعي، مثلما=

وحركة المبلغين بكربلاء، أما وجود الأحزاب فحصل بعد ثورة 14 تموز 1958، و(بشكل أكبر بعد صعود حزب البعث اليميني إلى سدة الحكم) (17 تموز 1968)، وهو تأكيد آخر أن تاريخ تأسيس حزب الدّعوة بعد الثورة[272].

جاء ما تقدم به السَّيد الرِّفاعي وآية الله الآصفي والسيَّد الحكيم، والفضلي ثم المدرسي وهم من المقدمين في العمل الحزبي الإسلامي الدعوي تأسيساً وقيادةً، والأخيرة في حالة الآصفي، وهذا يناقض مَن أراد للحظة تأسيس حزب الدَّعوة بأنها في العهد الملكي، أو على وجه التحديد في 12 تشرين الأول (أكتوبر) 1957.

مثل هذا الرأي أورده السَّيد حسن شُبر، وكان الاجتماع التَّأسيسي في 17 ربيع الأول 1377 للهجرة[273]، أي أن تأسيسه كان في ذكرى ولادة الرَّسول، المصادف 12 أكتوبر 1957. وقد تبنى الحزب في أدبياته هذه الرواية (جاء في أدبيات حزب الدَّعوة الإسلامية أن تأسيسه تم في عام 1957، في اليوم السَّابع عشر من شهر ربيع الأول

=تقدم الحديث (الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد مهدي الحكيم حول التحرك الإسلامي بالعراق، ص 19-20).

272 المدرسي، الانتفاضة الشَّعبية في العراق، ص 94.

273 شُبر، العمل الحزبي في العراق 1 ص 255 256-. وقد وعد السَّيد شُبر في الجزء الأول من كتابه (العمل الحزبي في العِراق) (ص 256) أن يخص تاريخ حزب الدعوة في أجزاء أُخر مِن الكتاب لكن الجزء الثَّاني والذي صدر تحت عنوان: (تاريخ العراق السِّياسي المعاصر 1900 1957-) جاء خالياً تماماً مِن ذكر لحزب الدعوة، مع أنه على حد أدبيات الحزب ورواية السَّيد نفسه كان ضمن الأحزاب التي تأسست العام 1957.

1377 للهجرة، أي أن تأسيسه كان في ذكرى ولادة الرَّسول)[274]. وأبعد من ذلك هناك مَنْ قال: إن فكرة تأسيس الحزب تمتد إلى 1956[275]. وهذا مخالف لما أورده المؤسسان الرِّفاعي والحكيم، ثم أحد قياداته، في ما بعد، الشَّيخ الآصفي.

وأكثر من هذا أشار السَّيد الشامي إلى تاريخ مفتوح الأفق لتأسيس حزب الدعوة عندما يقول: (لم ينشأ حزب الدعوة كردة فعل ارتجالية لظروف طارئة، إنما نشأ نتيجة تفاعل وتراكم جهود حركية وتجارب عديدة من قبل رموز العمل الإسلامي)[276]. وتجد الشامي يحتج لتاريخ الحزب قبل تموز(يوليو) 1958 بالقول: (إن تأسيس حزب الدعوة الإسلامية- ومن وجهة نظر شمولية- لا يختص بالمؤسسين، بل هو مشروع التحرك الإسلامي بشكل عام)[277]. ومعنى ذلك يبقى تاريخ تأسيس الحزب مفتوحاً حتى يمتد إلى أول التنظيمات التي ظهرت خلال الحرب العالمية الأولى مثلاً!

لكن حزب الدعوة رسمياً، وهذا ما ورد في موقعه الرَّسمي، أهمل كل آراء وروايات المؤسسين والشُّهود المعاصرين، التي سبق ذكرها، وحدد التَّأسيس: (في يوم السابع عشر من ربيع الأول سنة

---

274 الشامي، المرجعية الدّينية من الذات إلى المؤسسة، ص 119.

275 المؤمن، سنوات الجمر، ص 32.

276 الشامي، المرجعية الدّينية من الذات إلى المؤسسة، ص 121.

277 المصدر نفسه.

1377 هـ الموافق الثّاني عشر من تشرين الأول عام 1957 عقد اجتماع تأسيسي لحزب الدَّعوة الإسلامية في منزل المرجع الدِّيني الأعلى الإمام السَّيد محسن الحكيم و بإدارة الشهيد آية الله العظمى السَّيد محمد باقر الصَّدر وبحضور المرحوم الأستاذ محمد صالح الأديب وآية الله السَّيد مرتضى العسكري وحجة الإسلام والمسلمين الشهيد السَّيد مهدي الحكيم والأستاذ الشهيد عبد الصاحب دخيل وآخرين، وبعد مناقشات مطولة تم تثبيت المبادئ العامة لتأسيس الحزب وبعض أساليب العمل. تم اختيار اسم (حزب الدعوة الإسلامية) من قبل الشهيد السَّيد محمد باقر الصَّدر)[278].

وفي إرهاصات التَّأسيس، لعلَّ أكثر ما استفز القوى الدِّينية آنذاك هو وصول تأثير الحزب الشِّيوعي العراقي إلى النَّجف وبقوة، وبالتالي سحب من القيادة الدِّينية جماهير المواكب الحسينية، إلى المظاهرات الجماهيرية والثورية، بل تحرك من وسطها وبشعاراته بعد إضافة مسحة حُسينية عليها، مثلاً مناشدة الإمام الحسين بُعيد الثورة مباشرةً: (سيدي صرنه أحرار موش بحكم استعمار.. حي ابن قاسم صار). أو: (اتحاد فدرالي .. صداقة سوفيتية وي الصين الشعبية.. أيزنهاور ينهار يا حيدر يا كرار (الإمام علي).

278- http://www.al-daawa.org/main/index.php?option=com_ catid=10:daawa&15-50-08-23-09-content&view=article&id=123:2010

وتحوَّر الأخيرة، على لسان السَّيد الرِّفاعي، الذي كان بطل قضية ما فسر خطأً ضد جريدة (الحضارة) وصاحبها الشَّيخ الصوري، إلى ما يتمناه القوميون من وحدة فورية مع مصر: (وحدتنا وي مصر تأييد إنا ونصر). ولما وجدَّ الرِّفاعي التفاف القوميين حوله، حتى اعتبروه جندياً مجهولاً صارحهم بما في نفسه: (هذه العملية لم أقم بها لوجه القومية بل نكاية بالشِّيوعية)[279].

قال الرِّفاعي وهو شاهد عيَّان، ومن أشد الغاضبين من سريان اليسار وهيمنته، مثلما تقدم، وبالنَّجف القلعة الدِّينية بالذات: (كانت النَّجف وهي المعقل للحوزة العلمية والمنطلق للمرجعية الشِّيعية في العالم، كان لهذه الانطلاقة الشِّيوعية فيها أثر بارز وظهور متميز. بل أستطيع أن أقول: إنه كان ظهوراً متميزاً، وما كان أحدٌ يستطيع أن يواجه هذه الانطلاقة وهذا التيار مواجهة علنية. وللأسف الشديد أن يمتد أثر وتأثير هذا الحزب إلى أوساط بيوت العلماء، لأن بعض العلماء كان لهم أبناء وأقرباء لهم نفوذهم ومكانتهم وأثرهم وتأثيرهم بهذا الحزب، وامتد حتى إلى خدم الحضرة الشريفة (مرقد الإمام علي بن أبي طالب)[280].

يُذكر أن الإرهاصات الأولى لتشكيل حزب الدعوة الإسلامية كانت بجهود السَّيد طالب الرِّفاعي نفسه، والسَّيد مهدي الحكيم

---

279 موقع السَّيد طالب الرِّفاعي: http://www.freewebs.com/alrefaee/alrefaee2.html

280 المصدر نفسه.

(اغتيل 1988)، وعبد الصاحب الدخيل (أُعدم 1974) ومحمد صادق القاموسي، وآخرين، والبداية كانت عبر ندوات دينية إسلامية تثقيفية. قال السَّيد محمد مهدي الحكيم في الشروع بالتَّأسيس: (حول فكرة الحزب تكلمت في وقتها مع السَّيد طالب الرِّفاعي، وعبد الصاحب الدخيل (وآخرين لم يذكرهم) على أساس أن نعمل حزباً. وعقدنا عدة اجتماعات وجلسات حول الموضوع. وكان السَّيد طالب الرِّفاعي أفضلنا من الناحية السِّياسية، باعتبار اتصاله بحزب التحرير والإخوان المسلمين، ومن خلاله تعرفنا على الشَّيخ عارف البصري)[281].

أما عن صلة السَّيد الرِّفاعي بحزب التحرير والإخوان المسلمين، المشار إليها، وهما من التنظيمات السُّنَّية، فلا تتجاوز، حسب مذكراته، الصلات الصداقية أو المعرفية. جاء ذلك عندما سأله السَّيد مهدي الحكيم، من أنه تأثر بكتاب قرأه حول الثورة المصرية، وكيفية تأسيس تنظيم الضباط الأحرار، وعن إمكانية أن يُصار إلى تنظيم على غرار ذلك التنظيم، إلا أنه إسلامي. مع تأكيد أكثر مِن طرف في انتماء الرِّفاعي إلى حزب التحرير، فقده عدَّه معاصره الشَّيخ عبد الهادي الفضلي مِن جملة أسماء الحركيين الإسلاميين الشِّيعة الذين انتموا لذلك الحزب[282]. هذا، وسيأتي ذكر الأسماء في الفصل الخاص بحزب التحرير من هذا الكتاب.

---

281 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 36.

282 الفضلي، قراءات في فكر العلامة الدُكتور الفضلي، ص 31.

قال الرِّفاعي للحكيم: (هذا قائم، وقائم لدى الإخوان المسلمين، واليوم هو ظاهرة إسلامية يتبناها حزب جديد اسمه حزب التحرير الإسلامي، واسم مؤسسه تقي الدِّين النبهان(النبهاني)، وأنا لي اتصال بالاثنين: لي اتصال بالإخوان المسلمين قيادات وتنظيم الشَّيخ الصَّواف ونظرائه، وعندي اتصال وثيق بقيادة حزب التحرير، منهم مَنْ يمثل الشَّيخ تقي الدِّين النبهان. قلت له لي علاقة بهم وثيقة، وأنا أفكر بنفس هذا الذي يدور بخلدك الآن. لكن، لا أستطيع أن أنطلق وأكون عضواً فاعلاً بحزب يقوم على غير الفكر الذي أنا أعتقده وأتبناه (الفكر السِّياسي الإمامي). ويا حبذا لو يكون لدينا حركة تحمل الطابع الفكري المتبنى لنا، وتكون إضافة بالنسبة للحركات المطروحة نتعارض ونتلاقى، وأينا يسبق الآخر لقيام الدَّولة الإسلامية فأهلاً وسهلاً به، ويبقى لنا طابعنا وفكرنا المنطلق من تراث أهل البيت عليهم السلام)[283].

ويصحح الرِّفاعي ما كتبه السَّيد حسن شُبَّر في كتابه (العمل الحزبي في العراق 1908-1958)، وما كان يبثه حوله آخرون من أنه أصبح سُنِّياً، لصلاته بالإخوان المسلمين وبحزب التحرير، ومعلوم أنه يترتب على هذا الاتهام ردة عن المذهب، قد لا تقل خطورة، لدى المتعصبين، عن الارتداد عن الدِّين.

---

283 مذكرات السَّيد طالب الرِّفاعي: http://www.freewebs.com/alrefaee/alsaid-4.html.

قال: (أنا كانت عندي علاقة مع الإخوان، وكان يشار لي فيقال هذا سُنّي كذا وكذا. وكذلك الجماعات يحذرون مني: يقولون هذا داعية سُنّي! وكان صديقي العزيز عزّ الدِّين الجزائري يقول لجماعته الشباب الإسلامي: سيد طالب الرِّفاعي رجل خطير داعية سُنّي! وكذلك للأسف الشديد هذا سُجل من قبل إخوان قرأت عنه في كتاب للسيد حسن شُبَر. كتب عني أني كنت منتمياً لحزب التحرير! وأنا لم أنتم لهذه الأحزاب، وحتى حزب الدعوة لم أنتم له لأني أعتبر نفسي مؤسِّساً)[284].

ما يتعلق بالمرجعية

وقفت المرجعية الدِّينية، ممثلةً بآية الله السَّيد محسن الحكيم، من تأسيس حزب الدعوة الإسلامية على حذر، لا مؤيدة ولا مانعة، غير أنها على العموم كانت رافضة لفكرة تشكيل أحزاب سياسية محسوبة عليها. ففي ما يتعلق بحزب الدعوة، حسب ما تقدم، كان هناك حاجة واضطرار لمواجهة اجتياح اليسار لجمهورها وقلاعها من المدن المقدسة. قال أحد قياديي حزب الدعوة محمد صالح الأديب: (كنا في بعض الأحيان نذهب إليه (المرجع الأعلى السَّيد محسن الحكيم) على شكل وفود مكونة من (20-30) شخصاً، وكان يقول:

284 المصدر نفسه.

إن عليكم أن تعملوا على نشر التدين، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يظهر الحجة(الإمام المهدي))[285].

وبشكل عام كان السَّيد الحكيم (لا يؤمن بالسياسة من حيث الظاهر، ولا يعمل على إقامة دولة إسلامية، ولا يرى إقامة صلاة الجمعة إلا عند ظهور الإمام الحجة (المهدي المنتظر)، ولا يؤمن بولاية الفقيه المطلقة، ولا بالجهاد الابتدائي في رؤاه النظرية الفقهية- الفكرية)[286].

فهناك نوعان من الجهاد: الجهاد الابتدائي وهو أن يبدأ المسلم به، لأي غرض ومنها لمهام الفتح والغزو، أو لقيام السُّلطة، وهو لدى معظم علماء الشِّيعة من اختصاص الإمام المعصوم الغائب. والآخر هو الجهاد الدفعي أي الدفاع عن النفس والعرض والمال، مثل الفتوى التي قيل أصدرها المرجع محمد تقي الشيرازي(ت 1920) إبان ثورة العشرين. ومعلوم أن نضال حزب الدعوة، وأي حزب إسلامي باستخدام السلاح، لقيام دولة إسلامية، قد لا يفهم بسوى الجهاد الابتدائي.

وحسب أحد المختصين والمطلعين في شأن المرجعية، فإن ولاية الفقيه لدى الشِّيعة على ثلاث درجات:

---

285 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق بين المرجعية والحزبية، هامش ص 32 عن صفحات من حياة الأديب، ص 56.

286 المصدر نفسه، ص 32- 33.

1 - الولاية الخاصة، وهي في زمن الغيبة على أموال القاصرين، وإدارة شؤون الأوقاف، والنظر في أمور الحلال والحرام من العبادات والمعاملات.

2 - الولاية العامة: الولاية في كل الشؤون والصلاحيات التي هي من حق الإمام الغائب: الإفتاء، والقضاء، وإدارة الأوقاف، والجهاد، وإعلان الحرب والسلم، وشؤون الدَّولة عامة. بمعنى أنها الولاية السِّياسية.

3 - الولاية الوسطى: وهي منزلة بين الولايتين، وتختص بشؤون الإفتاء، والقضاء، وإدارة الأوقاف، وأموال القاصرين، أي الإشراف بحدود تلك الشؤون[287].

ويصل الكاتب إلى استنتاج مفاده: (يبدو أن الحكيم من القائلين بالولاية الوسطى بحسب تطلعاته الاجتماعية التي كان يخوضها، فلا هي ولاية مطلقة عامة، ولا هي بولاية مقتصرة على الأمور الحسبية، ولكنها أمر بين أمرين من دون تسلّم الحكم السِّياسي)[288]. وليس خافياً أيضاً أن حزب الدعوة الإسلامية يسعى إلى الولاية العامة، أي تسلم السُّلطة وإدارة الدَّولة وتسلم السُّلطة، وهذا ما يُبحث في أمر انتماء السَّيد محمد باقر الصَّدر إليه.

---

287 الصَّغير، أساطين المرجعية العليا، ص 117-118.

288 المصدر نفسه، ص 118.

هناك لقاء مسجل عُقد بين آية الله الحكيم وآية الله الخميني بالنَّجف، في 19 تشرين الأول (أكتوبر) 1965، أي عام وصول الأخير إلى النّجف، حيث قام بزيارة مراجع الدِّين وهم مِن غير الحكيم، أبو القاسم الخوئي، ومحمود الشَّارودي، للبحث في شؤون الحوزة والوضع بإيران. وقد سُجل لقاء البحث مع الحكيم بحضور الشَّيخ محمد الغروي(مقيم بصور - لبنان)، الذي سجل المحضر، وسلم نسخة منه إلى أحد مراجع الدِّين بإيران، وقيل النسخة الأصلية موجودة لدى الجهات الرَّسمية الإيرانية. أما هذه النَّسخة فقام حزب الدَّعوة الإسلامية بطباعتها وتوزيعها بقمَّ الإيرانية عند احتدام الصِّراع مع آل الحكيم، وعِقب مقتل محمد محمد صادق الصَّدر وولديه، ووزعت ببيروت على علماء الدِّين الشيعة وحزب الله.

تؤكد هذه الوثيقة أن آية الله محسن الحكيم لا يميل إلى الثَّورة، ولا يشجع على التحرك السِّياسي. وبدأ الحديث بطلب الخميني، المبعد إلى النَّجف، مِن الحكيم السَّفر إلى إيران للإطلاع على حقيقة الأحداث (انتفاضة 15 خرداد). فأجاب الحكيم: وما الذي يمكننا عمله، وما تأثير ذلك؟! فقال الخميني: (له أثر قطعاً، فنحن بهذه الانتفاضة أوقفنا المخططات الخطيرة للحكومة؛ كيف لا أثر له! إذا اتحد العلماء فسيكون ذلك مؤثراً). فرد الحكيم: (إن كان فيه احتمال عقلائي، ولا بأس بالتحرك بطريقة عقلائية). كانت حجة الحكيم أن النَّاس لا يطيعون العلماء لو تحكوا بعنف، على أنهم طلاب

شهوات وأمور مادية. أما الخميني فكان يؤكد للحكيم تضحيات الناس وملاقاة الرصاص بصدورهم. وكانت خشية الحكيم أنه إذا سال الدم سينظر النَّاس للعلماء بمنظار غير لائق. أما الخميني فيؤكد أنه بعد التحرك يزيد الاحترام للعلماء.

ونجد زبدة الحوار عندما يستشهد المرجعان بأسلوب الإمام الحسين وهو الثورة وبإسلوب الإمام الحسن وهو السِّلم. قال الخميني: (ألم تُقدم ثورة الحسين بن علي عليه السَّلام خدمة مؤثرة للتاريخ؟! فرد الحكيم: (وماذا تقولون عن الإمام الحسن إنه لم ينهض)! والإمامين الحسن والحسين هما الإمام الثاني والثالث لدى الشيعة الإمامية. وعندما احتج الخميني بأن الحسن لم يجد الأنصار فترك النهوض بالثورة، فقال الحكيم: وأنا لا أرى عندي مَن يطيعني[289]! لخصت تلك الوثيقة رأي السيَّد الحكيم في العمل الحزبي الثوري، أو القيام بعمل ما ضد السُّلطة، خارج الاحتجاج أو النَّصيحة.

---

289 وثيقة 15 من محفوظات أرشيف الأكاديمي اللبناني سعود المولى، حصل عليها عندما كان في زيارة لقمَّ الإيرانية برفقة آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدِّين، صيف 1999. نفعني بنسخة منها ببيروت 21 شباط (فبراير) 2011. قص لي أحد الحضور التالي: كانت المناسبة أن مجلس عزاء على روح السيَّد محمد محمد صادق الصَّدر برعاية مرشد الجمهورية علي خامنئي، حضره محمد باقر الحكيم وكبار الشخصيات الإيرانية والمعارضة الإسلامية العراقية، حينها اقتحمت المجلس تظاهرة تهتف: عاش عاش عاش الصَّدر وآل الحكيم أهل الغدر)، وأحدهم رمى حذاءً صوب السيد الحكيم، فقفز السيَّد جعفر الصَّدر، وكان مايزال يعتمر العِمامة وحديثاً وصل إلى إيران سراً، وأخذ المايكرفون وقال: هذه فاتحة آل الحكيم وآل الصَّدر والسيَّد خامنئي. طالباً الهدوء واحترام المناسبة، وفي هذه الاثناء أُخرج الحكيم بواسطة حمايته مِن باب آخر، وتحشدت قوات الحرس الثَّوري، واخذت تعتقل الخارجين، وجرى التحقيق معهم، ظناً أن هناك أيدي عراقية بعثية وراء الحادث، لكن وجد الأمر مرتبط بموقف السيَّد الحكيم مِن محمد محمد صادق الصَّدر، وما كان يبث بإيران مِن أنه كان عميلاً للنظام العِراقي.

تأكيداً لما تقدم مِن موقف السيِّد الحكيم السّلبي مِن الثورة باسم المرجعية أو الدّين ما نقله العقيد محسن الرُّفيعي، كشاهد عيان، يوم طالبه مُقلدوه الفتوى بالثَّورة ضد حكم عبد السَّلام عارف، وكان الأخير موصوفاً بالطَّائفية (كان طائفياً عنيفاً)[290]، قال: (في أحد الأيام كنت جالساً في مجلس السيِّد محسن الحكيم والوفود تتقاطر عليه شاكية له تصرفات السُّلطة، وطالبة منه السَّماح لهم بالثَّورة، وهو يرفض موضحاً لهم عواقب ذلك العمل ستكون وخيمة على البلد، داعياً المولى أن يُهدي الحُكام لما فيه مصلحة الأمة)[291].

من جانب آخر لعلَّ المرجعية أدركت مسبقاً أن العمل الحزبي عرضة للانشقاقات، وما تعرض له حزب الدعوة الإسلامية نفسه من انشقاقات من بداية تأسيسه أوضح مثال، كل ذلك يدعم موقف المرجعيات غير المؤيدة أو المساندة لتأسيس حزب ديني تحت ظلها. فما بالك لو خضعت المرجعية لآراء مَنْ حاول تحويلها إلى حزب سياسي، تتدخل في تفاصيل السياسة والدَّولة؟ وبالتالي تحسب عليها الصَّغيرة والكبيرة. لذا كانت مرجعية النَّجف أكثر محاذرة من اختلاف الأهواء، وما يهز وجودها، ويقلص من هيمنتها الروحية على الأتباع، وهي المحققة تلقائياً خارج الأطر التنظيمية.

---

290 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 117.

291 المصدر نفسه.

إنه لو تسلل علماء الدِّين، ومنهم مشاريع مراجع في المستقبل القريب، إلى الأحزاب لربما ابتعدت المرجعية عن النظام السائرة عليه منذ القِدم، وهو الذي سماه المرجع الأعلى في حينه أبو الحسن الأصفهاني (ت 1946): (النظام في اللانظام)[292]. ولما انتُقد الأصفهاني لعبارته المذكورة، والتي هي بالأساس ضد المرجعية المؤسساتية التي يدعو إليها عدد من علماء الدِّين أو المتدينين، رد بالقول: (أقصد نجاحنا (أي الهيأة الدِّينية) في اللانظام)[293].

ونقل آية الله محمد سعيد الحكيم (أحد المراجع الأربعة الحاليين بالنَّجف)، أن الأصفهاني شرح عبارته بمثال: (إن البلدة إذا كانت أبنيتها متصلة مصطفة، فإذا أُحرقت دار سرت النَّار إلى بقية الدور، وإن كانت الدور مبعثرة هاهنا وهاهنا فإن أُحرقت دار سلمت البقية)[294]. بمعنى أن المرجعية متعددة لا رأس لها كرئيس مؤسسة أو تنظيم، وهذا لا يكون في الحزب، فإذا لم يُقَد من قِبل شخص، هو أمينه العام، لا بد أن يُقاد من قِبل هيأة، مكتب سياسي مثلاً وبتشريع من المؤتمر العام. وبهذا لا يحبذ بل يرفض المراجع أن يُنتخب المرجع من قِبل مؤسسة كما يُنتخب أمين عام الحزب، أو المرشد الأعلى للثورة على الطَّريقة الإيرانية، أو على الطريقة البابوية، حيث ينتخب مجمع الكرادلة البابا في اجتماع سري.

---

292 الحكيم، المرجعية الدِّينية وقضايا أُخرى، ص 64.

293 المصدر نفسه، ص 65.

294 المصدر نفسه، ص 65 عن مجلة الدليل، العدد الثالث، السنة الرابعة 1947.

ويلخص السَّيد محمد مهدي الحكيم موقف مرجعية والده من انتماء علماء الدِّين للحزب بالآتي: (إذا كان جماعة من الحزبيين في حاشيته أو أولاده أو جماعته المقربين فسوف يفقد النَّاس ثقتهم به أو تقل به هذه الثقة كمرجع، ومن أجل الحفاظ على الصفة العامة للمرجعية، وكان هذا عنواناً ثانوياً بالنسبة لي وللسيد محمد باقر لكي نخرج من الحزب)[295].

دور باقر الصَّدر

يتحدر السيَّد الصَّدر مِن عائلة شيعية نزحت مِن جبل عامل إلى النَّجف، وصلها جده الثَّالث صالح العاملي(1197 هـ 1782 ميلادية) هروباً مِن الحاكم العثماني أحمد الجزار، وكان معه ولده صدر الدِّين محمد، وهو أصل التسمَّية بالصَّدر، وتزوج الأخير مِن ابنة الشيخ جعفر كاشف الغطاء الكبير (ت 1812)، ورحل صدر الدِّين إلى أصفهان ثم عاد إلى النَّجف (1264 هـ 1847 ميلادية)، وكان ولد له إسماعيل الصَّدر بأصفهان، وهاجر إلى النَّجف للدراسة في حوزتها على يد الشيخ مرتضى الأنصاري (ت 1864)، لكنه لم يدرك الأخير لوفاته قبل وصوله، وبعد الدراسة انتقل إلى سامراء وحاز على مرجعيتها بعد وفاة المرجع محمد حسن الشَّيرازي (ت 1894) صاحب فتوى التنباك الشهيرة، وبعد الإقامة بكربلاء انتقل إلى الكاظمية حتى

---

295 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 40.

توفى فيها (ت 1919 ميلادية)، وهو أول الصَّدريين بالكاظمية، وخلف عدة أولاد أحدهم حيدر الصَّدر(ت 1940)، وخلف حيدر إسماعيل الصَّدر(ت 1969) ومحمد باقر الصَّدر(أُعدم 1980)، والمذكورون كانوا مِن علماء الدِّين كافة[296].

ولم يفت كاتبو سيرته جعل يوم ولاته يوماً خاصاً، مثلما سيأتي ذكر ولادات آخرين مثل محمد حامد الصَّواف ومحمد محمد صادق الصَّدر، بأنه ولد يوم دحت الأرض، ويوم ولادة إبراهيم وعيسى ابن مريم، إنه يوم الخامس والعشرين مِن ذي القعدة 1353 هـ. وبينما أراد له قريبه محمد الصّدر(ت 1956)، رئيس الوزراء ورئيس مجلس الأعيان التعليم في المدارس الحكومية كي يصبح ذا شأن في الدَّولة اختار الصَّدر الطَّريق الذي إرادته والدته له، وهو الدِّراسة في الحوزة الدِّينية[297].

بعد هذه السِّيرة الموجزة للسيَّد محمد باقر الصَّدر نأتي على دوره في حزب الدَّعوة الإسلامية، فمن خلال ما تقدم من روايات تأسيس (جماعة العلماء)، ثم الحزب، كان للصَّدر دور في التأسيس، لكن ليس هو الدور الأساس مثلما اشتهر عنه كمؤسس وحيد[298]،

---

296 أنظر: النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 27 44-.

297 المصدر نفسه، ص 44.

298 مثلاً نُذكر بقول الشامي: (إن حزب الدعوة الإسلامية ولد في أحضان الحوزة العلمية والمرجعية الدِّينية، فمؤسسه هو الإمام الشهيد السَّيد الصَّدر) (المرجعية الدِّينية من الذات إلى المؤسسة، ص 78). بينما يذكر أحد أبرز المؤسسين، وهو السَّيد محمد مهدي الحكيم، فضل التَّأسيس بالقول: (لا يمكن تحديد=

وقائد إلى درجة لم يُذكر غيره، حتى عُرف الحزب به. مع عدم إغفال تتوقه إلى حراك سياسي، وكتابته للمناشير الخمسة، التي أصدرتها (جماعة العلماء)، بعد ثورة 14 تموز (يوليو) 1958، من دون أن يكون عضواً في الجماعة (نظراً لصغر سنَّه)[299]، ولا يشير هذا العمل بمكان إلى مركز قيادي بقدر ما يؤكد أنه الأنشط ثقافةً والأعمق فكراً، لذا لجأ إليه الرِّفاعي بطلب تأليف كتاب ينتقد به الفلسفة الماركسية، فكان كتاب (فلسفتنا) مثلما سيأتي الحديث في حينه.

فعندما اقترح السَّيد طالب الرِّفاعي طرح فكرة الانضمام إلى التَّنظيم على السَّيد محمد باقر الصَّدر؛ أبدى محمد مهدي الحكيم الخشية من مفاتحته كونه مجتهداً، وذلك خشية من موقف المرجعية، إلا أن الرِّفاعي، انبرى بالقول: (السَّيد الصَّدر ليس من ذلك النمط)[300]. ويعني ليس على خط المرجعية في معارضة العمل الحزبي، وخوض النشاط السِّياسي.

تذهب الرواية إلى موافقة الصَّدر، بعد مفاتحته مباشرة، قال محمد مهدي الحكيم: (التقيت بالسَّيد الصَّدر في بيته، وعرضت عليه الموضوع فوافق عليه من دون ممانعة أو تردد، وكتب في ذلك الوقت

=شخص معين أسس الحزب، ولكن القضية أن واحداً قال: تعالوا نعمل حزباً فجاء الجميع) (الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم حول التحرك الإسلامي بالعراق، ص 43).

299 المؤمن، سنوات الجمر، ص 45 الهامش.

300 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد مهدي الحكيم، ص 37.

رسالة يبرهن فيها على جواز بل وجوب قيام الحكومة الإسلامية في زمن الغيبة[301]، وذلك من خلال آية الشورى)[302]. والآية هي: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[303].

وخلافاً لما ذكره السَّيد طالب الرِّفاعي، وهو الأقرب إلى الحدث، حول تاريخ تأسيس الحزب، يأتي أن الصَّدر، وبعد لقاء التَّأسيس بدار مهدي الحكيم، وبمشاركة شقيقه محمد باقر الحكيم (قُتل 2003)، أفصح عن شبهة شرعية في تفسير الآية المذكورة (الشورى)، من أنها لا تجيز قيام دولة أو حكومة إسلامية في زمن غيبة الإمام المهدي المنتظر (يؤرخ لغيبته في 260هـ). لذا (انسحب ذلك الشك بالنتيجة على العمل الحزبي، الذي يعمل في قيادته، والذي لم يعد بالنسبة إليه معنىً لاستمراره)[304].

وحسب محمد باقر الحكيم، كتب إليه الصَّدر قائلاً: (وقعتُ منذ أسبوعين أو قريب من ذلك في مشكلة، وذلك أثناء مراجعتي أسس الأحكام الشرعية وبعدها. وحاصل المشكلة الوقف في آية:)وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ(التي هي أهم تلك الأسس، وبدونها لا يمكن العمل في

---

301 غيبة الإمام الثَّاني عشر في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وهو المهدي المنتظر.

302 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 37.

303 سورة الشورى، الآية: 38.

304 الخرسان، حزب الدَّعوة الإسلامية حقائق ووثائق، ص 114 عن محمد باقر الحكيم، النظرية السِّياسية عند الشهيد الصَّدر، ص 21-22.

سبيل تلك الأسس مطلقاً، كما كنت أكرر ذلك بالنَّجف مرراً... وإذا تم الإشكال فإن الموقف الشرعي لنا سوف يتغير بصورة أساسية. وإن لحظات تمر عليَّ في هذه الأثناء، وأنا أشعر بمدى ضرورة ظهور الفرج، وقيام المهدي المنتظر (صلوات الله عليه)، ولا زلت أتوسل إلى الله تعالى أن يعرفني على حقيقة الموضوع، ويوفقني على حل الإشكال)[305].

وبعد أن تعذر على الصَّدر حل الإشكال الفقهي، (الذي اعتراه حول دلالة آية الشُّورى إلى قطع الشَّك باليقين، وقرر الانسحاب مِن الحزب)[306]، سأله مرتضى العسكري (ت 2007)، وهو أحد مؤسسي الحزب، عن سبب خروجه فأجابه لعدم تمكنه من إيجاد أدلة (على النظام الذي نتبناه، وأني أُريد في يوم أن يدخل في الدعوة مليون شخص)[307]. ويصعب أخذ تلك المعلومة على محمل الجد، سواء كانت صادرة عن الصَّدر بالفعل أو نُقلت عنه بتصرف، وذلك لسرعة تبدل الرأي في تفسير تلك الآية، والتي هي من الواضح أنها تسند رأي أهل السُّنَّة بالإمامة، أي أنها شورى بين أهل الحلِّ والعقد، ولعلَّ الحزب يقوم مقامهم، حتى ظهور الغائب.

وبهذا تسقط حجة الوصية في الولاية أو الإمامة لعلي بن أبي طالب، ومن بعده الأحد عشر إماماً، وتسقط حجة ولاية الفقيه ونيابة

---

305 المصدر نفسه، ص 115 عن النظرية السِّياسية عند الشهيد الصَّدر، ص 21.

306 المصدر نفسه، ص 116.

307 المصدر نفسه، ص 115.

الإمام بمجملها. وقد قالها النبي محمد بعد عودته من حجة الوداع (السَّنة العاشرة من الهجرة) بين مكة والمدينة، حيث غدير خُم[308]. هذا من جانب ومن جانب آخر أن آية (الشورى) لا تعني السُّلطة السِّياسية بقدر عنايتها بأمر اجتماعي أو شرعي، وما يستوجب التفكير به أن الصَّدر قدم الاستشكال عذراً للخروج من الحزب، وكان الدَّافع الحقيقي هو رغبته في التصدي للمرجعية الدِّينية، وهو ما يتعارض مع وجوده على رأس حزب سياسي أو عضواً فيه.

لكن، هناك قصة معقولة في ترك الصَّدر لتنظيم حزب

308 وردت الخطبة لدى ابن واضح اليعقوبي (ت 292هـ): أنها قيلت على مراحل في الطريق بين مكة والمدينة، ورد فيها العديد من الوصايا، ومنها الوصية أو الحديث المشهور: (لا فُضل عربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى). ومنها (كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي، وأول دم أضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب). ليضع حداً للثارات التي تذهب بوحدة الصف. وقال أيضاً: (كل رِبا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي، وأول رِبا أضعه رِبا العباس بن عبد المطلب ألا هل بلغت)! وورد فيها التأكيد على الشهور الحُرم، التي يحرم فيها القتال وأخذ الثأر وما إليها: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة والمُحرم. وأوصى بترك النسيء. وأوصى بالنساء خيراً، وأكد على أنهن إن فعلنَّ شيئاً (فأهجروهنَّ في المضاجع واضربوهنَّ ضرباً غير مبرح). وحسب اليعقوبي أن النبي قال: (إني قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي). ثم أتى على القول: (فمَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، أللهم والِ مَنْ والاه وعاد مَنْ عاداه) (تاريخ اليعقوبي 2 ص 110 - 112). أما الطبري فسماها إضافة إلى حجة الوداع بحجة البلاغ، وأورد فيها ما تقدم، ومن دون ذكر للوصية الإمامة (تاريخ الأمم والملوك 3 ص 24-26). والشِّيعة جعلوا من (18 ذي الحجة) من كل عام عيداً ، سموه بعيد الغدير، أو عيد الولاية، وهو ذكرى خطبة الوداع (10 هـ) على جرف غدير خُمَّ، بين مكة والمدينة. والشيء بالشيء يُذكر، أنه في زمن التناحر بين الديلم والأتراك (السنة 389هـ) ببغداد، والطائفتان ليستا من أهل العراق وشأنهما شأن العثمانيين والصفويين، حدث أن (جرت عادة الشِّيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب، وتعليق الثياب، وإظهار الزينة في يوم الغدير... فأرادت الطَّائفة الأخرى من السُّنَّة أن تعمل لنفسها، وفي محالها وأسواقها ما يكون بإزاء ذلك، فادعت أن اليوم الثامن (عشر) من يوم الغدير، كان اليوم الذي حصل فيه النبي (ص) وأبو بكر (رض) في الغار، وعملت مثلما تعمله الشِّيعة في يوم الغدير) (مسكويه، تجارب الأمم، الذيل: تاريخ الصابي 7 ص 6).

الدَّعوة يرويها أكثر مِن واحد، وهي بعد أن كثر الكلام لدى المرجع محسن الحكيم حول نشاط الصَّدر في العمل الحزبي، ولما أخبر حسين الصَّافي، وهو أحد البعثيين المعروفين بالنَّجف، الحكيم بوجود حزب الدَّعوة الإسلامية، وأن وجوده يُسيء إلى المرجعية والحوزة العلمية، فنهره الحكيم قائلاً: (أأنت أحرص على مصالح الحوزة العلمية مِن السَّيد الصَّدر)!

لكن الحكيم بعث أحد أولاده إلى صَّدر ليخبره: (يجب أن يكون دعامة لكلّ الأعمال الإسلامية مِن دون التَّأطير بإطار خاص)[309]. وعندها ترك الحزب وأرسل رسالة إلى الحزب، منها: (أن آية الله الحكيم طلب مني أن لا أكون في التَّنظيم، وأنا أفهم أن هذا رأي ألزامي لي، وعليه فأتوقف الآن عن الانتماء إلى التَّنظيم طالباً منكم الاستمرار بجدٍّ في هذا العمل، وأنا أدعمكم في عملكم الإسلامي المبارك)[310]. وحسب الشَّامي أن ذلك كان العام[311] 1961، لكن ما هي سلطة حسين الصَّافي(ت 1987) في تلك الفترة حتى يأتي إلى الحكيم كأنه مدافعاً عن حكم عبد القاسم وهو عدو للأخير كونه بعثياً، وأول منصب تسلمه كان محافظ الدِّيوانية بعد سقوط عبد الكريم قاسم، ثم وزير العدل العام[312] 1971؟ لذا لابد أن ذلك حدث أثناء سلطة البعث وليس قبلها.

309 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 146 147-. الشَّامي، المرجعية الدِّينية مِن الذات إلى المؤسسة، ص 182.

310 الشامي، المصدر نفسه.

311 المصدر نفسه، ص 147.

312 المطبعي، موسوعة أعلام العِراق في القرن العشرين 3 ص 59.

كذلك يتضح لك من حوار العسكري والصَّدر أن فكرة شكل الدَّولة الإسلامية المزمع تأسيسها، عن طريق الحزب، غير واضحة المعالم. بمعنى آخر أنه لا توجد تجربة لهذه الدَّولة يمكن الإقتداء بها. أما الفترة النبوية، والتي تذرع فيها الإسلام السِّياسي عامةً على أنها نموذج الدَّولة الإسلامية، أو فترة حكم الإمام علي، فلو سُئل المعارضون لقيامها قالوا: إنها كانت تدار من قِبل معصومَين، هما النَّبي، مثلما هو الحال لدَى المسلمين كافة، ويضاف عند الشِّيعة عصمة علي بن أبي طالب، فيا تُرى مَنْ هو المعصوم الذي يحل محلهما!

هذا من جانب، ومن جانب آخر تطور الحياة واختلاف متطلباتها ومستجداتها، فالسياسة والاقتصاد والاجتماع في تبدل من عصر إلى عصر. هذا، ناهيك من عدم الاعتراف الشِّيعي بدولة ما، بعد اجتماع السقيفة عِقب وفاة النَّبي، حيث يعتقد مؤرخو الشِّيعة أن الخلافة أو الإمامة حُرفت عن مجراها الإلهي، وسُلمت لأبي بكر الصديِّق (ت 13هـ، 634 ميلادية)، وبعده لعمر بن الخطاب (اغتيل 23هـ643 ميلادية)، وبعدهما لعثمان بن عفان (قُتل 35هـ 655 ميلادية).

لا بد من ذكر دور السَّيد محمد باقر الصَّدر الفكري على الإسلاميين عموماً، حتى أن أحد المحسوبين على التيار القومي الإسلامي، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري (ت 1988)، وزير أوقاف وتربية بعد انقلاب 8 شباط 1963، أثنى على كتابه (فلسفتنا)، فحسب ما أورده السَّيد طالب الرِّفاعي: (أتذكر كلمة أيضاً نشرت بالثقافة الإسلامية أو

بعض المجلات ببغداد بقلم الأستاذ أحمد عبد الستار الجواري، وكان يقول عن مؤلف فلسفتنا: إنه ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، وأعد منهم ابن رشد، ومحمد إقبال والسَّيد الشهيد محمد باقر الصَّدر)[313]. ومع ذلك لعلَّ مثل هذا الإطراء، الذي يستحقه الصَّدر، لكنه كان إطراء مناسبة وتضامن ضد عدو مشترك هو اليسار العراقي.

وحول سبب تأليف كتاب (فلسفتنا) يتذكر الرِّفاعي بأنه كان وراء دفع الصَّدر إلى مثل هذا التأليف، للردِّ على انتشار الأفكار الشِّيوعية، التي أخذت كتبها تغزو مكتبات النَّجف، وتدخل إلى بيوت العلماء. فبينما هو يسمع الشِّعارات الثورية بدلاً من الرثاءات الحسينية في المواكب وجد كتباً ماركسية كثيرة معروضة بمكتبات السوق الكبير بالنَّجف، فأخذ كتاب الديالكتيكة ورماه، حسب قوله، بيد السَّيد الصَّدر، وهو داخل السرداب بداره، وطلب منه أن يكف عن الكتابة في الفقه ويتجه إلى كتابة ردٍّ على الماركسية، وقد تعذر الصَّدر بقلة المصادر، إلا أن الرِّفاعي جلب له ما يريد منها، وما هي إلا تسعة أشهر حتى أُنجز كتاب (فلسفتنا)[314].

أما الحكيم فينسب دفع الصَّدر إلى تأليف كتابه إلى والده. قال: (موضوع كتاب فلسفتنا كان تأليفه بإيعاز من المرحوم السَّيد

---

313 مذكرات السَّيد طالب الرِّفاعي: www.freewebs.com/alrefaee/alrefaee2.htm

314 المصدر نفسه.

الحكيم (قده) لأنه قال لي: إني أرى الكثير من النَّاس أصبحوا شيوعيين، وهؤلاء الشّيوعيون مجرمون، وقد ضللوا النَّاس بحجة أن الإسلام يدعو إلى المساواة بين الفقير والغني، وأن الشّيوعية تعمل كذلك... نحن بحاجة إلى كتاب يطرح الشّيوعية والإسلام، ويقارن بينهما من أجل إيضاح الحقيقة للنَّاس، فإذا كان ممكناً قل للسيد الصَّدر أن يكتب هذا الكتاب)[315].

في البداية وباقتراح من مهدي الحكيم أخذ السَّيد الصَّدر يلقي كلما تم جزء من كتابه كمحاضرة على طلبة من الحوزة الدّينية بالنَّجف، من على منبر الجامع الهندي، وكان من بين الحضور الحكيم والرِّفاعي. حتى اكتمل الكتاب ونُشر أولاً في جريدة (الحرية)[316] لصاحبها القومي قاسم حمودي، ثم نشر بين دفتين في عدَّة طبعات. قال الرِّفاعي: (صار لهذا الفكر بروز وظهور في الساحة العراقية، وكان صداهُ عند المسلمين السُّنَّة أكثر، أو لا يقل عن صداه عند الشّيعة)[317].

وما لم يذكره الرِّفاعي والحكيم، قال آية الله كاظم الحائري: إن الصَّدر أخبره (حينما كتب كتاب فلسفتنا أراد طبعه باسم جماعة

---

315 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 60.

316 جريدة قومية صدرت ببغداد 1953، وتوقفت 1956، ثم أُعيد صدورها 1958 وظلت تصدر حتى ألغي امتيازها 1961، ثم صدرت بعد 8 شباط(فبراير) 1963 باسم الطليعة(إبراهيم، دليل الجرائد والمجلات العراقية 1869-1978، ص 89).

317 مذكرات السَّيد طالب الرِّفاعي: www.freewebs.com/alrefaee/alrefaee2.htm

العلماء بالنَّجف الأشرف، بعد عرضه عليهم متنازلاً عن حقه في وضع اسمه الشَّريف على هذا الكتاب، إلا أن الذي منعه أن جماعة العلماء أرادت إجراء بعض التعديلات في الكتاب، وكانت تلك التعديلات غير صحيحة في رأي أستاذنا الشَّهيد، ولم يكن يقبل بإطرائها فيه، فاضطر أن يطبعه باسمه)[318].

اُستغل كتاب فلسفتنا مِن قبل سلطة البعث، منتصف السبعينيات، ضد الحزب الشيوعي العِراقي، وقصة ذلك أن البعثيين ضاقوا بالثَّقافة التي بيثها الحزب الشيوعي عبر صحافته ونشاطه شبه العلني (الجبهة مع البعث 1973 - 1979)، ونقول شبه العلني لأن هناك مضايقات وإعدامات واعتقالات كانت تقع على التَّنظيم الحزب الشُّيوعي، وكان كتاب (فلسفتنا) ضد الفكر الماركسي والاشتراكي، الذي يؤمن به حزب البعث، ولغرض إعادة طبع الكتاب علناً، بعد أن كان مِن الممنوعات، قام مدير الأمن العام فاضل البراك بزيارة خاصة للصَّدر، عارضاً عليه إجراء تعديلات أو حذف نصوص، ولما أحس الصَّدر أن السُّلطة مصرة على إعادة طباعة الكتاب، بموافقته أو دونها، لذا وافق وطلب هو يقوم بما يجب حذفه بنفسه، وبالفعل صدر الكتاب عن طريق السُّلطة وصدر مطبوعاً في مطبعة الميناء ببغداد[319].

---

318 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 72 عن الحائري، مباحث الأُصول 1 ص 45. إبراهيم الأشيقر الجعفري، الإمام الصَّدر، تأملات في فكره وسيرته، مجلة الفكر الجديد، العدد السادس، تموز (يوليو) 1993 ص 276.

319 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 74 - 75.

أتذكر كنت اطلعت على نسخة مِن الكتاب العام 1974، وكان فيها عبارة تشير إلى عدم الاعتراف بوجود فكر لدى حزب البعث، لذا لا يُناقش ما يخصه إنما يناقش النظرية الماركسية كونها نظرية فلسفية ونهج اقتصادي. لذا أن طبعة دار (التَّعارف للمطبوعات) ببيروت 1982 تكون هي النسخة الحكومية. كان كلاماً محرجاً للبعثيين أكثر مما ورد في كتابه (اقتصادنا)، ومنه: (إن القومية ليست إلا رابطة تاريخية ولغوية وليست فلسفة ذات مبادئ، ولا عقيدة ذات أسس، بل حيادية بطبيعتها تجاه الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والعقائدية والدينية...)[320].

بطبيعة الحال يمكن اعتبار الموافقة على الاستعانة بكتاب (فلسفتنا) مِن وجهة نظر المتضررين أو المقصودين بها نوعاً مِن التَّعاون أو التواطؤ، فالإسلاميون مازالوا يضمرون النَّقد للحزب الشيوعي العِراقي كونه تعاون مع البعث في الجبهة الوطنية، وظلوا يقفون منه موقفاً سلبياً إلى فترة طويلة، لكنه مِن وجهة نظر الصَّدر نفسه أنه استعانة لمواجهة خصم مشترك هو الماركسية.

على العموم، إن للسيد محمد باقر الصَّدر دوراً لا يغفل في دعم تأسيس، ثم تطوير، حزب الدعوة نحو المواجهة مع النظام السابق، لكن ليس مثلما يقدمه إعلام الحزب، إلى درجة احتكار الصَّدر له، ولا

320 الصَّدر، اقتصادنا، ص 14.

يعرف الحزب إلا به، ولا يعرف السَّيد إلا بالحزب! هناك في الأمر شيء من محاولة الإبكاء على هذه الشَّخصية، وخصوصاً بعد إعدامه، وما حكي عن موقفه الصَّلب بوجه النِّظام السابق، وكل جماعة تحتاج إلى مؤسس ملهم تستمد منه شرعيتها[321].

عمل الحزب

كانت المرحلية أساساً في عمل حزب الدَّعوة وتوجهه، وهي الإيمان بأربع مراحل: 1 - تكوين الحزب والتغيير الفكري. 2 - العمل السياسي، وما عُبر عنه بجلب أنظار الأمة إلى الأُطروحة الإسلامية ومواقف الحزب السياسية. 3 - استلام الحكم. 4 - رعاية مصالح الإسلام والأُمة الإسلامية بعد استلام الحكم[322]. حسب رفيق الصَّدر وملازمه بداره الشيخ محمد رضا النَّعماني أن الصَّدر لم يتعرض للمرحلة الرَّابعة، وهي إدارة الدَّولة عندما كان يُناقش المراحل

---

321 أبلغني أحد الأصدقاء المحسوبين على حزب الدعوة، بحادثة تختصر الكلام على استغلال شخصية السَّيد محمد باقر الصَّدر، من قِبل أحزاب وأفراد على حد سواء، وهو الذي عاش حالة تشبه حالة الكفاف ليس لديه ثلاجة في عزِّ صيف النَّجف، أن أحد المشاركين، وهو أبو محمد، في حفل تذكار مناسبة إعدام الصَّدر، قال بيتاً من الشعر الشعبي العراقي، الأبوذية، من على منبر الحفل، الذي تقيمه عادة قيادة حزب الدعوة بدمشق، أواخر الثمانينيات، قال مناشداً الصَّدر: (يمَنْ دمك لجل دينك تجارا (جرى) .. الباغي طفى بقتلك تجارا (أثرى) .. قضيتنا غدت بعدك تجارة .. تدر على الربع عملات أجنبية)، فأُنزل الرجل من على المنبر، وكانت مفاجئة غير محسوبة من قبل منظمي الحفل. كان هذا في زمن المعارضة، فكيف الحال في زمن السُّلطة، حيث أخذت صورة الصَّدر تستخدم كجواز مرور لأفعال غير لائقة.

322 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 148 - 149. الشَّامي، المرجعية الدِّينية مِن الذَّات إلى المؤسسة، ص 151 وما بعدها. العبد الله، حزب الدعوة الإسلامية، ص 36 — 38 عن كتاب الدعوة الإسلامية 3 ص 221.

الثلاث مع طلابه في الجلسات الأسبوعية[323]. أو بعبارة أخرى هي: المرحلة التغييرية[324] عبر التثقيف. أما المرحلة السِّياسية ومهمتها إعلان العمل باسم الدَّعوة والتهيئة لتحقيق المرحلة التالية، وهي المرحلة الثَّورية وفيها يتم التهيؤ لاستلام السُّلطة، والمرحلة الحكمية أي ممارسة السُّلطة[325]. ومِن الطبيعي ألا يتحقق هذا الأمر إلا باستلام السُّلطة وبناء الدَّولة الإسلامية. ويتحدد سلم الدرجات التنظيمية للأعضاء بالآتي: الدَّاعية، الدَّاعية المشرف، والدَّاعية المسؤول[326].

أما العمل التَّثقيفي للحزب فكان يعتمد بالدرجة الأولى على مؤلفات محمد باقر الصَّدر، وحسب السيِّد المجتهد اللبناني علي الأمين، الذي كان منتمياً لحزب الدَّعوة بالنجف، ورشحه الصَّدر ليكون وكيله بمدينة الشَّطرة من محافظة النَّاصرية، أن جانب كبير مِن التثقيف الحزبي كان يجري بمطالعة كتب سيِّد قطب: (في معالم الطَّريق)، و(في ظلال القرآن)[327]، ومؤلفات أبي الأعلى المودودي (ت 1979)[328]، وهو من أعلام المسلمين الهنود المعروفين، بمعنى حضور الحاكمية في أهداف الحزب، مثلما سيأتي الحديث عنها في المحل المناسب.

---

323 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 149.

324 الشَّامي، المرجعية الدِّينية مِن الذَّات إلى المؤسسة، ص 154.

325 الشَّامي، المصدر نفسه، ص 155-156.

326 الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، ص 588.

327 لقاء خاص مع السيِّد الأمين بداره ببيروت، 23 يناير (كانون الثاني) 2011.

328 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 193.

وحسب ما ورد في وثائق الحزب أن هناك تداخلاً بين تلك المراحل، حسب ما تقتضيه ظروف المواجهة والمبادرة، ففي المرحلة الأولى، وهي المحددة بالمهام الفكرية، يمكن رفع السلاح (ليس المانع هو أنها في مرحلة فكرية، وأنها لا تتبنى استعمال القوة في هذه المرحلة، فليست لدينا مرحلة لا نتبنى فيها مواجهة الظلمة بكل قوة متيسرة لدينا)[329].

أسس الدّعوة الفكرية

قيل وضع السيِّد محمد باقر الصَّدر تسعة أُسس يقوم عليها الحزب الإسلامي، وهو حزب الدَّعوة، عُرفت بالأُسس[330]، تدور حول الإسلام والإيمان والدَّولة الإسلامية المفترض بالحزب إقامتها، وصفت بالمرتكزات النَّظرية[331]. تشعر فيها الدَّعوة الدِّينية أولاً، وما يتوجب على العضو الحزبي فهمه والتَّقيد به ثم بعد ذلك تأتي السِّياسة، يتضح ذلك مِن تسلسل الأُسس نفسه، وهي كالآتي:

1. الإسلام وهو العقيدة والشَّريعة، والأولى مجموعة المفاهيم التي جاء بها الرَّسول أما الثَّانية فهي مجموعة القوانين التي جاء بها الرَّسول، وبتلازم العقيدة والشَّريعة

---

329 الشامي، المرجعية الدِّينية من الذات إلى المؤسسة، ص 159.

330 المصدر نفسه، ص 129.

331 المصدر نفسه.

يظهر التَّكامل في الإسلام، عقيدة في وجود الكون ونظام اجتماعي شامل لأوجه الحياة.

2. المسلم وهو على نوعين: واقعي وهو المؤمن عن يقين بالله ورسالة النَّبي، ويبدو هو المقصود في عضوية الحزب، ومسلم ظاهري يشهد الشهادتين ولا ينكر ضروريات الدِّين، وهو مسلماً في عُرف الدَّولة الإسلامية مساوياً في الحقوق والواجبات. لكن ما يميز على ما يبدو بين الواقعي والظَّاهري هو الإيمان، ويغلب على الظَّن أن عضو حزب الدَّعوة مِن صنف الواقعي وسواه مِن المسلمين مِن صنف الظَّاهري.

3. الوطن الإسلامي وهو ما يسكنه المسلمون، لكن هناك استحقاق سياسي للدولة الإسلامية، فالإسلام المتمثل فيها هو صاحب حق في الأرض كلها، وهنا يحق للدولة الإسلامية إخضاع جميع العالم سياسياً لها على أساس الآية (الأرض يرثها عبادي الصَّالحين)، مع حفظ حقوق غير المسلمين، وهؤلاء يُعملون حسب الأحكام الشَّرعية. لكن مشكلة هذه الأحكام ليست واحدة، تختلف باختلاف المذاهب.

4. الدَّولة الإسلامية، وهنا كل دولة لا تقوم على عقيدة

أو قاعدة الإسلام هي دولة كافرة، كالدولة الشُّعبية والرأسمالية، والحكم على المسلمين هو القضاء عليها بالطرق التبشيرية السلمية أو الجهادية المسلحة. كذلك على المسلمين هدم الدول اللائي بلا عقيدة، قامت على أهواء الحُكام، فهي دولة كافرة أيضاً. أما الدَّولة المرضية فهي القائمة على عقيدة الإسلام. ويغلب على الظن أنها الحاكمية نفسها. لكن الصَّدر لا يتحدث عن نوع تلك الدولة، هل التي قامت على الشُّورى أم ولاية الفقيه! وكيف سيكون التجاذب فيها بين المذاهب، فبدون النَّظر في هذا الأمر تبقى الدَّولة الإسلامية غير محققة.

5. الدَّولة الإسلامية دولة فكرية، وحدتها عاطفية وفكرية، الأولى تعبر عن اشتراك المسلمين كجماعة فيها، والثَّانية، وهي الأهم لكيان الدَّولة، لأنها تعبر عن الموقف السِّياسي والنَّظرة للحياة، كحكم وكنظام. والدُّولة ثلاث: إقليمية، وقومية، وفكرية، والدَّولة الإسلامية هي الثَّالثة.

6. شكل الحكم في الإسلام، الحاكم هو الرَّاعي والمحكومون هم الرَّعية، ولا بد أن يكون الرِّعاية أو الحاكمية شرعية تكتسب مِن رعاية الأمة والتقيد بنظم الإسلام، ويحدد الصَّدر نوعين مِن الحكم، وهو ما يمكن أن يُطلق عليه الشيعي والسُّنَّي، فالشكل الإلهي هو حكم الإمام المعصوم،

ولا دخل للناس في اختياره، والشكل الشُّوري هو اختيار الأُمة للحاكم مع مراعاة الشَّريعة، وعنده جائز في غياب المهدي المنتظر.

7. تطبيق الشَّكل الشُّوري في ظروف الأمة الحاضرة، ومِن شروط تحقيق الشُّورى اختيار الحاكم وشكل الحكم ضمن الشَّريعة، وأكثر اتفاقاً مع مصلحة الإسلام والمسلمين، وهذا يتوقف على وعي الأمة، وبطبيعة الحال يبقى هذا محصوراً بين المسلمين بل والملتزمين فقط بالشَّريعة، والشَّريعة شريعة الله، وهي الحاكمية بعينها.

8. الفرق بين أحكام الشريعة والتَّعاليم، الأولى هي الثَّابتة التي بُينت في الشَّريعة مِن الأدلة الأربعة: القرآن والسُّنَّة والإجماع والعقل. أما الثَّانية فهي أنظمة الدَّولة التفصيلية، وهي قوانين متطورة حسب ظروف وتطور الدَّولة، وهي تستنبط مِن الشَّريعة.

9. مهمة بيان أحكام الشَّريعة وتعيين القضاة ليستا مِن مهام الحكم، فتلك مِن مهام المجتهدين، المجتهد العادل هو صاحب الحق في تبيين الأحكام الشَّرعية عن طريق الإفتاء، وليس مِن حق الدَّولة منح وظيفة القضاء لغير المجتهدين، وعليها التَّقيد بقضاء المجتهد وأن لا تمنع

مجتهداً مِن مزاولة القضاء. أليس في هذا الأساس فصل، إلى حد ما، بين مزاولة سلطة السِّياسة وسلطة الدِّين[332]!

مما لاشك فيه أنه ليس للأحزاب الدِّينية، شيعية وسُنَّية، فكرة أو طريقة أو آلية في تدبير شؤون بناء التنظيم الحزبي وقيادته؛ لذا تجدها استفادت من آليات الأحزاب العلمانية في بناء هياكلها الحزبية، وليس في هذا من ضير ما دام يخدم عملها، وعلى العموم، إن التجارب التنظيمية والسِّياسية شأنها شأن التجارب الإنسانية في المجالات الأُخر، ليست حكراً للبادئين فيها أو مكتشفيها.

فمما يُذكر في هذا المجال أن (السَّيد الصَّدر قد طلب أن تُجمع له المناهج والأنظمة الدَّاخلية للأحزاب العلمانية والإسلامية في الساحة، للاستفادة منها في إرساء أُسس التحرك بصيغة الحزبية المثلى. فتولى محمد صالح الأديب القيام بجمع الأنظمة الداخلية للحزب الشِّيوعي العراقي، وحزب البعث العربي الاشتراكي، وكُتيبات حركة القوميين العرب من زملائه الطلاب)[333].

وبهذا الصدد كتب السَّيد هاني فحص، وهو صاحب عِمامة ومن الدارسين في حوزات النَّجف: (لا أصل إسلامياً لنماذجنا الحزبية

332 ذكرنا الأسس الفكرية بتصرف عن ملحق (6) الشّامي، المرجعية الدِّينية مِن الذات إلى المؤسسة، ص 494 الملاحق.

333 الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، ص 52.

الإسلامية. أما النسبة العالية من التماثل بينها وبين الأحزاب الأخرى المغايرة، فهي تأتي من شيء من التعرف على تاريخ الأحزاب، التي كان لها دور كبير في التَّاريخ الحديث، وظروفها وشروطها (الحزب الشِّيوعي مثلاً) خصوصاً إذا لاحظنا أن كثيراً من قيادات وسطية وكوادر شيوعية عربية غادرت مواقعها لتنتظم في إطار الأحزاب الإسلامية، وتتحول إلى مصادر رؤية في العمل الإسلامي الحزبي. ولكن التماثل في أساسه إنما يأتي في الدرجة الأولى من ضرورات تكوينية طبيعية في البناء الحزبي، لا دخل فيها للوعي أو الإيمان أو عدمه)[334]. وبالفعل، عندما تنظر في أدبيات الأحزاب الإسلامية تجدها تقليداً لبناء غيرها من الأحزاب السِّياسية العلمانية، وأن العمل الحزبي لم يكن متأصلاً بينها.

هذا، ومفردات التنظيم في حزب الدعوة، الذي يُبنى بالأساس على الدعاة، وحسب التدرج من الفروع إلى المركز: لجنة محلية، ولجنة منطقة، وقيادة إقليم، وقيادة عامة، ومؤتمر عام. ويتألف هيكل الحزب التنظيمي من: مجلس الفقهاء، ومهمته الإشراف على الشؤون المتعلقة بالفكر والعمل من الناحية الفقهية. والقيادة العامة: وتتولى النظر في سير الحزب وإدارة شؤونه. والقيادة التنفيذية، ومهمتها تولي الشؤون

---

334 فحص، كل الأحزاب العربية لبنينية، مجلة النور، عن مؤسسة الإمام الخوئي، العدد 88 المؤرخ في أيلول (سبتمبر) 1998.

التنفيذية داخل الحزب[335]. وفي فترة من فترات عمل الحزب أُخذ بمبدأ تعدد المراكز؛ فحتى العام 2000، أو بعد خروج الشَّيخ الآصفي من الحزب، لا يوجد (اتجاه بأن يكون هناك أمين عام واحد، أو قائد واحد أو ناطق رسمي واحد باسمها... مع التعدد في كل ساحة. وهناك تنسيق بين المتحدثين، الذين يرتبطون بخط واحد وقيادة مركزية واحدة)[336].

هذا، ولا يخلو تشكيل حزب الدعوة، وقبله الحزب الجعفري، من انعكاسات الأحزاب والتنظيمات السُّنَّية، التي بدأت 1928 بالإخوان المسلمين في مصر(مع أن الإخوان يتشبثون بعدم إيمانهم بالتنظيم الحزبي)، ثم حزب التحرير بالأردن. وكان قد نشأ فرع الإخوان منذ الأربعينيات بالعراق، وحزب التحرير في بداية الخمسينيات. بل إن هناك أعضاء في قيادة حزب الدعوة كانوا من منتسبي حزب التحرير، وهذا عارف البصري يستفتي المرجع الأعلى السَّيد محسن الحكيم قائلاً ما مضمونه حسب رواية مهدي الحكيم: (إنني شاب مسلم، تبنيت الإسلام وأحببته، ولكن مع الأسف كنت أعيش في ظل الإسلام الذي لا يمثل فكر أهل البيت، وعليه فأنا أحب الآن أن آتي إلى النَّجف

---

335 العبد الله، حزب الدعوة الإسلامية، ظروف النشأة والفكر الحركي، ص 26 –30 عن لمحات من مسيرة حزب الدعوة، ص 11 – 12.

336 حوار مع إبراهيم الجعفري، جريدة الزمان، العدد 538 المؤرخ في 2 شباط (فبراير) 2000، حاوره نضال الليثي.

للدراسة في حوزتها العلمية، ولعلَّ الله يوفقني لخدمة أهل البيت)[337]

وفي هذه الرِّسالة أكثر من إشارة، أولها ربط تبني الإسلام بالعمل السِّياسي، والثَّانية الاضطراب من العمل في حزب سُنِّي، وهو حزب التحرير، وكأنه أراد القول: إنه كان يعمل في ظل إسلام آخر! بدا انشطار الإسلام السِّياسي المعاصر، الشِّيعي والسُّنِّي، بائناً من داخل حزب (التحرير) ثم تنظيم (الإخوان المسلمون)، حيث سرعان ما انتهت تجربة (التحرير) في محاولة إيجاد إسلام واحد داخله.

فقبل الانتماء إلى حزب الدعوة، حاول البصري فتح فرع لحزب التحرير بالنَّجف، وتم تعارفه على مهدي الحكيم بواسطة السَّيد طالب الرِّفاعي، ويصرح الحكيم بأنه أثناه عن الاستمرار في العمل داخل حزب (التحرير) السُّنِّي، عندما قال له: (نحن إما نكون عاملين للإسلام وهذا يحتم علينا أن نعمل من أجل الإسلام، الذي يريده الله سبحانه وتعالى؛ وليس الإسلام الذي نضعه نحن، وأعتقد أن الإسلام الذي يريده الله هو إسلام أهل البيت عليهم السلام لأنه الإسلام الحقيقي)[338]. ويقصد الحكيم في قوله هذا الولاية الإلهية والمعصومية لعلي بن أبي طالب وأولاده.

---

337 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد مهدي الحكيم، ص 38. راجع أيضاً: الفضلي، قراءات في فكر العلامة الدُّكتور الفضلي، ص 31. وما سيمر بك في الفصل الخاص بحزب التحرير.

338 المصدر نفسه.

بعدها خرج هادي عبد الله السُّبيتي من حزب (التحرير)، ومن قبلها من تنظيم الإخوان المسلمين ليجد مكانه الطبيعي داخل حزب الدعوة الإسلامية. ويبدو أن انضمام شيعة إلى أحزاب سُنيَّة دينية كان فيه نوع من المكابرة، أو تجاوز على الواقع إلى الأخذ بالدعاية الحزبية، وإلا فالاختلاف الدِّيني السِّياسي بين الشِّيعة والسُّنَّة أكبر بكثير من تلك المحاولات الفردية، ألا وهو اختلاف الإمامة، وبالتالي الاختلاف في العقيدة السِّياسية.

نعم، هناك إسلام شعائري عبادي وإيماني واحد حيث الأُصول الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، إلا أن الأصلين الآخرين هما ما يميزا الشِّيعة عن السُّنَّة: الإمامة والعدل. وهما الأصلان السِّياسيان، اللذان تُبنى عليهما فكرة الدَّولة، ويرتبط لدى المرجعية التَّقليدية تطبيقهما بصاحبهما وهو الإمام المهدي المنتظر، صاحب الأمر، أي الحكم والدَّولة، وهو باعث العدل والقِسط.

من جانبه أشار السَّيد الرِّفاعي، الذي اعترف بصلات له بالحزبين السُنِّيين من دون انتماء، إلى انضمام شيعة لهما، وذكر ممَنْ له صلة به قال: (الدكتور جابر العطا، على اتصال بي، والأستاذ المهندس أبو حسن محمد هادي السُّبيتي، على اتصال بي، وهما بدءا مع حزب الإخوان المسلمين، وإن كانوا هم من بيوت شيعية، محمد هادي ابن شيخ عبد الله السُّبيتي و جدُّه لأمه هو السَّيد عبد الحسين شرف الدِّين صاحب المراجعات، ولكنه انتمى للإخوان المسلمين، لأنه

كان شاباً يتطلع تطلعا شديداً إلى إقامة الدَّولة الإسلامية، وما كان يرى في قومه مؤهلات في ذلك الوقت. ثم لما رأى في حزب التحرير ضالته لأنه كان أنشط حركة إسلامية في الساحة في ذلك الوقت، وصار في عداد قياداته الأولى بالعراق، وإن لم يكن هو أبرز قياداته فهو من أبرزهم على الأقل، ولعلَّ أبا حسين الأعرجي من أبرزهم أيضاً)[339].

ويثور السؤال، أو التَّساؤل، حول اسم الحزب: (الدعوة الإسلامية)! فهل النَّاس في ضلالة وجاهلية، حسب اعتقاد أحد أئمة الإخوان المسلمين سيد قطب (أُعدم 1966)، حتى يكون اسم الحزب (الدعوة ...)! وهنا نقرأ في نظام الحزب الداخلي ما يؤكد مشروعية هذا التساؤل: (اسم حزبنا هو: حزب الدعوة الإسلامية. فطبيعة عملنا، والتعبير الشرعي عن واجبنا في دعوة النَّاس إلى الإسلام هو: الدعوة الإسلامية. ذلك لأننا دعاة إلى الله، وأنصار للإسلام. قل هذا سبيلي أدعو[340].

وبما أن دعوتنا حركة في المجتمع، وتنظيم للعمل، وتحزب لله لذلك فقد أطلقنا على كياننا حزب الدعوة...)[341]. وربما يزداد هذا

---

339 مذكرات السَّيد طالب الرِّفاعي: http://www.freewebs.com/alrefaee/alsaid-4.html

340 المقصود الآية: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (سورة يوسف، آية 108).

341 العبد الله، حزب الدعوة الإسلامية، ظروف النشأة والفكر الحركي، ص 26 –30 عن لمحات من مسيرة حزب الدعوة، ص 67، عن ملحق النظام الداخلي للحزب.

التساؤل في الوضع الراهن، والحزب يعمل في أجواء الحرية، ومن موقع السُّلطة! ويعلن عن نفسه أنه حزب الأمة العراقية جمعاء! بينما هو مازال مفتوحاً للشيعة حسب، وهذا التساؤل ينسحب أيضاً على الحزب (الإسلامي العراقي)، المقتصر في الانتماء إليه على أهل السُّنَّة.

في المواجهة

نشط حزب الدعوة في السبعينيات، من القرن الماضي، وسط أجواء مفزعة، حيث واجهته السُّلطة بشراسة، وهي سلكت هذا السلوك مع مناوئيها كافة، إلا أن تزايد المدّ الإسلامي، وتعاظم أمر الثورة الإيرانية، واتخاذ الحزب شتى الأساليب ضدها جعله عرضة للتدمير الشامل أكثر من غيره، حتى صدرت قوانين تقضي بعقوبة الإعدام ضد منتسبي الحزب وبأثر رجعي. وتوجت الحملة ضده بإعدام كوادره في أواسط السبعينيات ثم إعدام محمد باقر الصَّدر في (نيسان/أبريل 1980)، سبقه تهيئة بإعدام جملة من العسكريين[342].

---

342 حدثني أحد الضباط الكبار السابقين، بدرجة لواء، في سلك المخابرات العسكرية، عند لقائي به بالأردن (تموز 2007)، أن تنظيم حزب الدعوة العسكري فاجأ جهاز المخابرات، والمكتب العسكري لحزب البعث، والأجهزة الأمنية الأُخر، ومنهم مَنْ كان على ملاك حزب البعث، وما أكتشف كان بالمصادفة. إلا أن هناك مبالغات كثيرة حصلت في أمر بعض الضباط، مثلاً في ما يتعلق بشقيقي حميد الخيُّون، وقد ذُكر لدى البعض بحميد الأسدي، أو البندر، بأنه كان (قائد كتيبة صواريخ مضادة للدروع، وهي من الوحدات الفعالة المكلفة بحماية بغداد، وترابط في معسكر التاجي شمال العاصمة، وكان الأسدي من المقربين شخصياً من صدام حسين، المشرف المباشر على المكتب العسكري القطري) (الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، ص 313). أو من قبيل أنه (أخذ وخليته العسكرية الإسلامية يوزعون المنشورات المعادية للنظام بكثافة في المعسكر، وكان يتصل بصدام موضحاً له ما يجري في المعسكر، قائلاً: جماعة الدعوة العملاء وضعوا المنشورات حتى في مكتبه، فشكل لجنة تحقيق برئاسته، وأخذ يُحاكم الموالين=

يُذكر قانون إبادة هذا الحزب بقانون إبادة الحزب الشّيوعي العراقي، الذي أصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة في 15 شباط 1963، وعُرف بقانون (إبادة الشّيوعيين) حسب تسمية الحزب الشّيوعي العراقي له، ومنه (إبادة كلّ مَنْ يتصدى ويعمل للإخلال بالأمن مِنْ الشّيوعيين العملاء)[343]. ومِنْ بعد خمسة أشهر أي في تموز (يوليو)

=للنظام والمعادين للجمهورية الإسلامية ويعدمهم فوراً... خاصة وأن صدام أطلق يده ومنحه صلاحيات واسعة) (المؤمن، سنوات الجمر، ص 332). أقول لا أصل لكل ما تقدم من معلومات، وإنها واضحة معلومات دعائية مضخمة جداً، أتت على حساب الجانب الإنساني في شخصية المذكور، أولاً أن أعمالاً مثل هذه أعمال طفولية، لا تؤدي إلا لفتح عين النظام ودفعه إلى اتخاذ إجراءات احترازية، مع أن المراد من العمل العسكري الوصول إلى نتيجة كتنفيذ انقلاب عسكري مثلاً. وأن إعدام مَنْ هو ضد الدُّولة الإسلامية يعني هذا إعدام كل ضباط الجيش. إضافة إلى هذا أن أي صلات لحميد الخيُّون برأس النظام أو غيره من الرؤوس لا وجود لها، وقلنا كان يقلق عند الترقيات مخافة ألا يُرقى. أما التزامه بحزب البعث فأتى منذ الصف الأخير في الكلية العسكرية، بعد زيارة رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر إلى الصف المنتهي (1969) وإشعارهم أن البقاء في الجيش مشروط بالانتماء لحزب السُّلطة، وكان قد دخل الكلية العسكرية في 4 تشرين الثّاني (نوفمبر) 1967 بوساطة من مساعد أمر الكلية المقدم آنذاك صالح الحاج جاسم الأسدي، ومعروف أن دخول الكلية العسكرية أو الشرطة آنذاك، في العهد العارفي لكثرة الإقبال كان المتقدم يحتاج إلى وساطة. وعلى هذا تقاس الكثير من المعلومات المضخمة عندما يُكتب تاريخ الأحزاب! أقول هذا عن علم ودراية. وكان اعتقاله بمحض الصدفة، بسبب حرصه على مواسم الزيارة بمجاميع إلى كربلاء والنَّجف، ولا علاقة لها بترتيب أمر ما، سوى التحقيق بأمر هذه الزيارات، واعتراف أحدهم بما وراءها. ولو كان يسعى إلى تضليل صدام حسين، وأن يبقى محور ثقته ما كان هناك من داعٍ للتظاهر بتلك الزيارات، التي تُثير الشبهة في وقتها. وحرصه الشديد على زيارة مجلس السَّيد محمد باقر الصَّدر، كل ليلة جمعة إلى داره بالنَّجف، قبل المنع الكلي وتصاعد الحملة ضده.

343 العقيلي، بريطانيا ولعبة السُّلطة في العراق، ص 90 عن جريدة الفجر الجديد، العدد 533 في 19 شباط 1963 بغداد. ينقل الصحافي المصري رئيس جريدة الأهرام آنذاك محمد حسنين هيكل، عن لقاء له بالملك الحسين بن طلال (ت 1999) ما يشير إلى رغبة الغرب في تصفية الشّيوعيين العراقيين والقضاء على إمكانية استيلائهم على السُّلطة، قال ناقلاً عن الملك هناك: (محطة إذاعة سرية تبث إلى العراق كانت تزود يوم 8 شباط (فبراير) رجال الإنقلاب بأسماء وعناوين الشّيوعيين هناك للتمكن مِنْ اعتقالهم وإعدامهم) (بطاطو، العِراق 3 ص 300 عن جريدة الأهرام 27 أيلول (سبتمبر 1963).

1963 بعد محاولة انقلاب العسكريين الشّيوعيين بمعسكر الرَّشيد، بما عُرف بحركة حسن السريع في الثَّالث مِنْ تموز (يوليو) 1963 أريد لتنفيذ قرار الإبادة أن يكون تحت مظلة الشَّريعة الإسلامية، وقد ذُكر أن الضابط عبد الغني الرَّاوي، قائد الفرقة الثَّالثة قد ستحصل فتاوى من مراجع الدِّين آنذاك، من الشِّيعة والسُّنَّة، وسترد الإشارة إلى ذلك، بتفاصيل أكثر في فصل لاحق[344].

جاء في قرار مجلس قيادة الثورة لإبادة حزب الدعوة بتاريخ 31 آذار(مارس) 1980: (استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثَّانية والأربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ 1980/3/31 ما يلي: كانت وقائع التحقيق والمحاكمات قد أثبتت بأدلة قاطعة أن حزب الدعوة هو حزب عميل مرتبط بالأجنبي، وخائن لتربة الوطن ولأهداف ومصالح الأمة العربية، ويسعى بكل الوسائل إلى تقويض نظام حكم الشعب، ومجابهة ثورة 17 تموز(يوليو) مجابهة مسلحة. لذا قرر مجلس قيادة الثورة تطبيق أحكام المادة (156) من قانون العقوبات بحق المنتسبين إلى الحزب المذكور مباشرة أو العاملين لتحقيق أهدافه العميلة تحت واجهات أو مسميات أخرى. يُنفذ هذا القرار على الجرائم المرتكبة قبل صدوره، التي لم يصدر قرار إحالتها على المحكمة المختصة) (التوقيع/ صدام

---

344 راجع كتابنا الأديان والمذاهب بالعراق، الفصل الخامس، ص 332-335. وطروس من تراث الإسلام، فصل: لا إكراه إشكالية الرِّدَّة والمرتدين، ص 70.

حسين رئيس مجلس قيادة الثورة)[345].

صحيح، أن القرار كان بأثر رجعي، ولا يبدو من منطوقه أن هناك أي تهاون مع المنتسبين لحزب الدعوة، أو المحسوبين عليه بشكل من الأشكال، لكن اللافت للنظر أن أعضاء عديدين اعتقلوا وأطلق سراحهم، واستطاعوا الخروج من العراق، ثم مواصلة العمل داخل الحزب، وهناك مَنْ تحدث عن دفع الرُشّى لضباط في المخابرات، وهي قصص يصعب تصديقها، وعلى وجه الخصوص أنها حصلت في الثمانينيات، وتلك فترة ليس فيها أدنى تهاون!

ومن جانب آخر عرضت صحافة النظام بعد إصدار قرار الإعدام، بأثر رجعي، عن عودة ما سمتهم بالمغرر بهم، ومن أتباع حزب الدعوة، الذي نعتته الصحافة العراقية آنذاك بالعميل. مثلاً: عاد مجيد كاظم، المعلم والبالغ من العمر 28 عاماً بعد هروبه إلى إيران في تموز (يوليو) 1981 بعد ستة أشهر قضاها بإيران، أظهرت صحيفة (الثورة) في لقاء معه، صورته مع أسرته، وتحدث عن عمالة حزب (الدعوة الإسلامية). وربما صدق مجيد كاظم، منذ ذلك الحين، في قوله: إن مكانة هذا الحزب العميل في إيران مهزوزة جداً وأستطيع الجزم وأقول: إنه لا احترام له عند الإيرانيين)[346]. وهو أن النظام

---

345 الشامي، المرجعية الدّينية من الذات إلى المؤسسة، ص 215-216. المؤمن، سنوات الجمر، ص 193 وما بعدها. العجلي، الخريطة السّياسية للمعارضة العراقية، ص 137.

346 جريدة الثورة، العدد: 4337 والمؤرخ: 2 نيسان (أبريل) 1981، صفحة تحقيقات، أجرى الحوار:=

الإيراني صد عن حزب الدعوة، في ما بعد، والخلافات كان قد بدأت حول اتخاذ موقف عراقي مستقل عن الإدارة الإيرانية، وحينها أيضاً ظهرت بوادر الخلاف حول ولاية الفقيه. ومن دون أن يعلم القائمون على جريدة (الثورة) أنهم نشروا كلمة لصالح الحزب، عندما يكون النظام الإيراني ينظر له على أنه حزب عميل، والنظام العراقي أطلق عليه هذا النعت من قبل!

كان اكتشاف عناصر للحزب في القوات المسلحة أمراً لم يكن بحساب السُّلطة، حيث جاء الاكتشاف مصادفة، حتى أنها بعد اكتشاف هول ما كشفت قامت بإقالة قادة ضباط شعبة الاستخبارات العسكرية من مناصبهم. ويغلب على الظن أن الاكتشاف الخطير الذي قاد إليه عنصر من عناصر الحزب تحت التعذيب كان بسبب التظاهر الدِّيني، والالتزام بشعائر الزيارات إلى العتبات المقدسة، والإصرار على مواجهة السُّلطة علناً، مثلما حدث في الوفود التي بايعت محمد باقر الصَّدر. ويبدو أن قيادة الحزب كانت تعول على التحرك الجماهيري، وذلك تفاؤلاً بالمدِّ الدِّيني، وما ستتمخض عنه الثورة الإيرانية، من دون أخذ قوة السُّلطة ضدها، وضعف التضحية الشعبية من أجل الثورة الإسلامية بالحسبان.

كانت هناك مغامرة بالفعل، إذا صح ما يرويه البعض حول

=محمد ياسين.

الاتفاق بين الصَّدر والحزب في تسيير الوفود لمبايعته (رجب 1979)، حيث اعتقل بعدها الصَّدر مباشرة. ومع عدم التقليل من تحسب السُّلطة لعمل ما قد يؤدي إلى تفاقم الأزمة أو يحرك الشارع ضدها، لكن لا يُظن أن ذلك سيسفر عن وضع مشابه بالوضع الإيراني، ومعلوم أن قلق السُّلطة تثيره عادة الأحداث الصَّغيرة والكبيرة على حدٍّ سواء، مع اختلاف ردة فعلها.

مثل ذلك القلق ما صرح به القيادي في حزب البعث، ووزير النَّفط حينها، تايه عبد الكريم، من على فضائية (البغدادية) قائلاً نصاً: (كنت وزيراً للنَّفط، ونحن في حالة استنفار، وكان عزَّة الدوري(وزير الداخلية آنذاك) كلفني أن أبقى مكانه، وأن أنام في الوزارة. أتصل بيَّ، في السَّاعة الثَّانية أو الثَّالثة صباحاً، جاسم الرِّكابي محافظ النَّجف، وقال: إن الوضع متأزم في النَّجف بسبب إلقاء القبض على محمد باقر الصَّدر، لأنه يمثل الحوزة الدِّينية، فاتصلت بالرفيق عزَّة الدوري، وكان نائماً، فقلت: أيقظوه، والرجل استيقظ، وقلت له: نقل ليَّ الرفيق جاسم الركابي محافظ النَّجف أن الوضع لا تحمد عقباه، باعتقال الصَّدر! فقال: سأتصل بك بعد أربع دقائق، واتصل بيَّ، وقال: سيطلق سراحه، ويبدو أنه اتصل بصدام)[347].

347 قناة البغدادية، تايه عبد الكريم، برنامج للتاريخ، تقديم: حميد عبد الله، الحلقة الخامسة 28 أيار (مايو) 2009(www.albghdadia.com.video.html)

حصل ذلك في ما عُرفت بحادثة (خان النَّص)(شباط 1977)، في الطريق إلى كربلاء، أثناء زيارة الأربعين، وتظاهر أو تجمع الزائرين، بسبب تصرف مسؤول منطقة الفرات الأوسط (الحلة وكربلاء والنَّجف والديوانية)، وعضو القيادة القطرية حسن العامري بما أثار الزائرين، فقد تجرأ على قلب قدور الطعام وإهانة الزائرين، فحصل ما يشبه التمرد والعصيان، ورُددت شعارات، فحسب ذلك نوعاً من الانتفاضة، استغلته الأحزاب الدِّينية، وأُعدم جراء ذلك عدد من المشاركين.

وبحسب تايه عبد الكريم، الذي روى ذلك، أنه وجه لحسن العامري، وهو من طائفة الشِّيعة، داخل القيادة لوماً حتى كاد يُطرد، كذلك طُرد عزَّة مصطفى وزير الصحة ورئيس المحكمة التي شكلت لغرض محاكمة هذه الجماعة، والقيادي في الحزب فليح حسن جاسم المقدادي، وكان عضواً في المحكمة، لعدم قناعتهما بالعقوبات التي صدرت لهما بحق المتهمين مسبقاً، من الأساس، وما نقله أعضاء في قيادة حزب البعث مما شاهدوه من موقف لعزَّة مصطفى وتحاشيه النظر إلى وجوه المتهمين، الذين سيعدمون[348]. ويُذكر أن القيادي في القائمة العراقية، ورئيس جبهة الحوار الوطني، صالح المطلق أُبعد من حزب البعث حينها، لأنه تساءل عن طرد عزة مصطفى، وأنه لم يكن سبباً كافياً في الموقف من وزير الصحة الأسبق. هذا ما علمته من أحد معارف المطلق نفسه.

---

348 المصدر نفسه، الحلقة الثالثة.

أفادني شاهد عيان، وهو المجتهد اللبناني آية الله السيِّد علي الأمين، بما جرى في تلك الحادثة، وقد أُخذ ضمن المقبوض عليهم، وأُودع بتوقيف الأمن العام لأكثر مِن شهر، وجرى معه تحقيق أمني. قال الأمين ما ملخصه: إن ما حدث بخان النّص كان عملاً عفوياً، لم يكن مِن صنع حزب الدَّعوة ولا غيره، وليس للسَّيد محمد باقر الصَّدر ولا لغيره يد فيه. وكان ماشياً مع مواكب المشائين منطلقاً مِن النَّجف إلى كربلاء، وعند خان النَّخيلة علم بأن هناك بخان النّص مشكلة ما، وكانوا يعتقلون عشوائياً، واعتقلوا إيرانيين وأفغاناً. قال الإيراني لهم: (أغا بيا هناك زبح). أي أغا تعال هناك ذبح. وقد اعتقل محمد باقر الحكيم (قُتل 2003) بسوق النَّجف، وكان يريد التدخل لدى السُّلطة لحل الأزمة.

كان محافظ النَّجف جاسم الركابي قد طلب مِن محمد باقر الصَّدر التَّدخل في ما حصل في خان النص، والاكتفاء بالشّعارات الحسينية وأن السُّلطة تتراجع عن قرار المنع، وحتى لا يحرج المرجع أبا القاسم الخوئي(ت 1992) الذي استجاب لطلب السُّلطة بالتهدئة، فصار القرار أن يبعث وفداً يمثله فيه السيِّد محمد باقر الحكيم، وذهب للتهدئة، لكنه اعتقل بعد ذلك[349]. وحينها اعتقل الصَّدر ونُقل إلى بغداد، وهذا هو الاعتقال الذي يقصده تايه عبد الكريم، أي في شباط (فبراير) 1977.

---

349 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 210 - 211.

قال الأمين: وبعد إطلاق سراحي ذهبت لزيارة السيَّد الصَّدر، وأخبرته بأن القوم يريدونك، أي ما فهمه مِن خلال التحقيقات، فاقترح أن تخرج مِن العراق. فأجاب الصَّدر يمنعني أمران، هما: ماذا أقول للسُّجناء والأرامل! ولا أريد ابعد عن قبر علي بن أبي طالب. وكانت فكرة الأمين، الذي كان يزور الصدر في تلك الأيام على الدوام، أنه حال ثقافية يمكن العمل مِن الخارج كمشروع ثقافي وفكري.

فالصَّدر نفسه، حسب الأمين، بعد اعتقال عارف البصري وصاحب الدخيل (1974) وآخرين، أفتى السيَّد الصَّدر بتحريم انتماء طلبة الحوزة الدِّينية إلى حزب الدَّعوة، حفاظاً عليهم، بإبعادهم عن الخطر[350]. أما كيف أصدر هذه الفتوى فيأتي الجواب: إن السيَّد حسين بن هادي الصَّدر قد استفتى السيَّد محمد باقر الصَّدر في شأن انتماء طلبة الحوزة الدِّينية، وهم يتعرضون للمخاطرة بسبب الملاحقات الأمنية، مما سيلحق الضرر بالحوزة ومستقبلها وكوادرها، فلأفتِ في 10 شعبان 1394 الموافق الخميس 29 آب (أغسطس 1974) ما نصه: (لا يجوز انتماء طلاب العلوم الدِّينية إلى الأحزاب الإسلامية، لأن وظيفة طالب العِلم هي التَّبليغ للإرشاد على الطَّريقة

---

350 لقاء خاص مع السيِّد الأمين بداره ببيروت، 23 يناير (كانون الثاني) 2011. اعتقل في تشرين الثاني (نوفمبر) 1974 نشطاء الحزب: السيَّد عماد التَّبريزي، والشَّيخ عارف البصري، والسيَّد عزُّ الدِّين القبانجي، وعبد الأمير جلوخان، والسيِّد نوري طعمة. وأن الصَّدر قال عند إعدامهم في كانون الأول (ديسمبر) 1974: (والله لو أن البعثيين خيروني بين إعدام أولادي الخمسة أو إعدام هؤلاء لاخترت إعدام أولادي، وضحيت بهم. إن الإسلام بحاجة إلى هؤلاء لا إلى أولادي) (النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 102).

المألوفة بين العلماء)[351]. أو مثلما وصفها الحائري فصل الحوزة العلمية عن العمل الحزبي[352].

ولاحظ الأمين أن العاطفة كانت غالبة على تفكير الصَّدر، وهي دافعه الأول. وقد أخبر الصَّدر الأمين قائلاً: (الإيرانيون ورطونا أو خذلونا). أي عندما تحرك سحبوا أيديهم. وكانت إذاعة الثَّورة الإيرانية تتصل مِن الأهواز بالصَّدر، ورد عليها مرة وأخرى ثم انقطع عن الرَّد[353]. وقيل إن الاتصال كان من جريدة (كيهان) الإيرانية عبر التَّلفون، لكنه كان يُذاع عبر الإذاعة الإيرانية بطهران باللغة الفارسية وتنقله إذاعة الأهواز بالفارسية[354]. وكان قد شعر بخطأ التحرك قبيل إعدامه، الذي جاء إثر عملية الجامعة المستنصرية (1 أبريل 1980)، فعندها أُعتُقل وأُعدم هو وشقيقته. ويؤكد الأمين أن الصَّدر كان متردداً كثيراً وشعر بالخطأ لكن متأخراً. قال: كان يعيش عيشة بسيطة، فراشه حصيرة لا أكثر، وحدث مرة أن أتى الأمين لزيارته ومعه مجموعة مِن الكتب، وكان الصدر محاصراً، فقال له: (لا تجلب معك كتب خشية منهم) أي من رجال الأمن[355].

---

351 الكاتب، المرجعية الدّينية الشّيعية وآفاق التّطور، ص 59 60-.

352 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر، ص 150 151- عن الحائري.

353 لقاء خاص مع السيِّد الأمين بداره ببيروت، 23 يناير (كانون الثاني) 2011.

354 لقاء خاص مع أحمد الكاتب، لندن 18 شباط (فبراير) 2011 وكان يعمل في إذاعة الأهواز حينها. وحدثني آخر أنه كان وهو لا زال بالبصرة يستمع إلى تلك الأحاديث.

355 لقاء خاص مع السيِّد الأمين بداره ببيروت، 23 يناير (كانون الثاني) 2011.

وبالعودة إلى مبايعة الصَّدر، وسط تلك الظروف الدقيقة، يُذكر أحد المبايعين، وقد ألقى قصيدة أمام الصَّدر بالمناسبة: (وصلنا إلى منزل الإمام الصَّدر، وكانت الحشود الجماهيرية تزدحم أمام مرجعها القائد، تُعلن عن مبايعتها له، والسير تحت لوائه... (و) كان الصَّدر وهو يخطب في جموع الجماهير، يؤكد لهم أنه سيسير في خط الجهاد حتى النهاية)[356]. وخلال تلك المبايعة كانت الوفود تُردد: (باسم الخميني والصَّدر الإسلام دومه منتصر)، و(عاش عاش الصَّدر والدِّين دمه منتصر)[357]. قد لا يجد النظام وقواه الأمنية فرصة سانحة للتعرف على الناشطين في الحزب مثل تلك المناسبة، ويبدو أن السَّيد الصَّدر تلفع عباءة الخميني، مع أنه يعيش في ظرف آخر ويواجه عدواً ليس بضعف الشاه!

ولو لم تكن تلك الوفود والتَّظاهر بالعمل الحزبي مغامرة، فما معنى أن يدأب ضباط في الجيش، من منتسبي الحزب، على زيارة السَّيد محمد باقر الصَّدر وهو تحت الإقامة الجبرية، ووسط المراقبة المشددة بالنَّجف؟! ومن جانب آخر أضر تسرع وعدم تحفظ السَّيد الصَّدر بالحزب كثيراً، وذلك من خلال إعطاء السُّلطة مبررات تشديد القمع ضد الحزب، وكان ينتظر، بلا تقييم للواقع، قرب قيام دولة

---

356 الشَّامي، المرجعية الدِّينية من الذات إلى المؤسسة، ص 204. النُعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 268 وما بعدها.

357 النُعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 296.

إسلامية، أو الثورة الإسلامية على شاكلة إيران، من شبابيك غرفته، مع أنها وهم بوهم.

ومن الشَّائع أن الصَّدر أفتى بتحريم الانتماء لحزب البعث، وكان سبب ذلك أن أحدهم استفتى مرجعاً مِن المراجع عن الحكم الشَّرعي في الانتماء لحزب البعث العربي الاشتراكي، وكان يقود السُّلطة، فأفتى بجواز الانتماء، لذا أقدم الصَّدر على (حرمة الانتماء لحزب البعث، حتى ولو كان صورياً)[358]. وبما أن السُّلطة بيد حزب البعث وقد تتوقف مصالح النَّاس، في العمل أو الوظائف، فلابد مِن الانتماء ولو بشكل صوري، وللخروج مِن هذا المأزق قال الصَّدر لَمَن يدخل البعث لظروف خاصة قاهرة: (يجب عليكم العمل مِن داخل الحزب لتفتيته بأي شكل ترونه مناسباً)[359].

شاعت على الألسن قولة الصَّدر: (ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام)[360]. وحسب نجله السَّيد جعفر الصَّدر أنه لم يقلها بهذه الصيغة، وإنما قالها بصيغة أخرى[361]. وحسب تلميذه ومعايشه الدائم الشَّيخ محمد رضا النُّعماني، أنه كتب لطلابه بإيران ما نصه: (ويجب أن يكون واضحاً أيضاً أن مرجعية السيَّد الخميني،

---

358 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 162.

359 المصدر نفسه، ص 195.

360 رؤوف، محمد باقر الصَّدر بين دكتاتوريتين، ص 160.

361 سألته شخصياً في لقاء معه ببيروت، مطلع شباط (فبرلير) 2008.

التي جسدت آمال الإسلام في إيران اليوم لابد مِن الالتفاف حولها، والإخلاص لها، وحماية مصالحها والذَّوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم)[362]. كان يرد على مَن يعترض على تأييده لآية الله الخميني قائلاً: (لو أن السَّيد الخميني أمرني أن أسكن في قرية من قرى إيران أخدم فيها الإسلام لما ترددت في ذلك، إن السَّيد الخميني حقق ما كنت أسعى إلى تحقيقه)[363].

حسب تلميذه وصاحبه النُّعماني، وهو بموقع الشَّاهد الأخير، أن الصَّدر لجأ إلى التفكير بطرق أخرى لهز النِّظام، لا توصف بأقل مِن التَّطرف في العمل السِّياسي لأنها ستجلب الأضرار على العمل ضد النِّظام بفتح شهيته على القتل، وهو يتطلع إلى الثَّورة الإيرانية وقد رفعت راية الانتصار، منها تفكيره بتشكيل خلايا فدائية، ومهمتها اغتيال صدام حسين، وعين لتولي هذا العمل الشَّيخ عبد الأمير محسن السَّاعدي، والشَّيخ خليل مال الله، والشَّيخ قاسم ضيف، وهؤلاء يقومون باختيار الشَّباب الانتحاريين[364]. وحصل أن كلف أحد الأطباء بالاندساس في الفريق الطبي لرئاسة الجمهورية كي يقول بتنفيذ عملية اغتيال صدام حسين، لكن أمره انكشف وتم إعدامه[365]. ولا ندري ما مدى صحة اتصال عدنان حسين الحمداني (أُعدم 1979)،

---

362 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 164.

363 المصدر نفسه.

364 المصدر نفسه، ص 197.

365 المصدر نفسه.

فكان هناك شخص يتصل به لم تبدو عليه علامات التدين، فهم رفيق الصَّدر محمد رضا النُّعماني، مِن الصَّدر نفسه بأنه كان مرسلاً مِن الحمداني، وأن الصَّدر تأسف كثيراً لإعدام الأخير[366].

رسم الصَّدر خطة انتحارية، وهي أن يذهب إلى الصَّحن الحيدري مع ثلة مِن أصحابه الخلصاء ويقوم خطيباً ضد ظلم وطغيان السُّلطة، ويحصل الصدام مع السُّلطة وجهاً لوجه، فتضطر إلى قتله ومَن معه فتثور الجماهير، على أن تبقى مجموعة مِن أصحابه أحياء كي يقودوا المواجهة التي ستحصل بعد التضحية والفداء. لكنه اشترط لإنجاح هذه الخطة أن تتقبل الحوزة الدينية الأمر، وأن يوافق أحد المراجع عليها كي يتقبلها النَّاس ولا تُعد عملاً جنونياً، وتذهب التَّضحية هباءً، وبالفعل أرسل الشيخ محمد مهدي الآصفي لعرض الخطة على أحد المراجع، لكنه عاد مِن دون أن يعرضها، لأنه وجد هناك خوف مِن التهجير للعلماء وطلاب الحوزة مِن غير العِراقيين فكيف الحال بمثل تلك الخطة[367]؟

أما العمليات العسكرية، التي نفذتها الجماعات الدِّينية فكان لها انعكاسها السِّلبي على الحزب، وعلى الإسلاميين كافة، بل لها دور في تحريض النظام على الشراسة ضد المعارضين، ومنها عملية

---

366 المصدر نفسه 197 198-.

367 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 134 135- عن الحائري.

التفجير بالجامعة المستنصرية[368]، التي سيأتي ذكرها لاحقاً، وحتى هذه السَّاعة لم يُكشف أمر البرقية التي أذاعتها إذاعة إيران مِن الأهواز، موجهة من الخميني إلى الصَّدر يطلب فيها منه عدم مغادرة العراق ليقود الأحداث، أي أحداث الثَّورة الإسلامية، مع ما في ذلك من خطورة على حياة الصَّدر، والإسلاميين عموماً.

كان نص البرقية مِن الخطورة بمكان على حياة الصَّدر، وهو في تلك الضائقة، ونصها: (سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج السَّيد محمد باقر الصَّدر دامت بركاته. علمنا أن سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث. إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النَّجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية، وإنني قلق من هذا الأمر. آمل إن شاء الله إزالة قلق سماحتكم والسلام علكيم ورحمة الله وبركاته. روح الله الموسوي الخميني)[369].

لم يستلم الصَّدر نص البرقية إنما سمعها مِن إذاعة طهران، بعد أن قام النُّعماني بتسجيلها له. وكانت قد أُذيعت بعد وصول أبرز طلابه السيَّد محمود الهاشمي، الذي أصبح فيما بعد رئيساً للسلطة القضائية بإيران، وقد جرت عدة اتصالات بالهاشمي، بتكليفٍ مِن الصَّدر، لمعرفة سبب البرقية أو غرضها، لكنها باءت بالفشل، وأُعدم

---

368 في 1 نيسان (أبريل) 1980، إدعى بتنفيذ العملية أكثر من حزب إسلامي، على أساس أنها جهاد ضد نظام البعث.

369 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 265.

الصَّدر وهو لم يعرف دافع تلك البرقية[370]. كان ذلك في رجب 1399 هـ 1979. وقد رد الصَّدر ببرقية جوابية مشيراً فيها إلى فضله الروحي الأبوي وناقلاً له تحيات الملايين له[371].

وإن صحت إذاعة البرقية وبتوقيع آية الله الخميني فهو تصرف ليس في محله، ولا ينم عن مسؤولية، فمِنَ العبث أن توجه برقية كهذه إلى شخص يربض داخل سجن كبير اسمه العراق! وقد يرد الاحتمال أن آية الله الخميني كان يتصور أو يتوقع في أن قيام الدَّولة الإسلامية بالعراق قاب قوسين أو أدنى، وعندها تمتد زعامته أو ولايته إلى خارج الحدود! ومَنْ يدري، لعله أراد استشهاد الصَّدر من أجل انطلاق الثورة! خلا ذلك يبقى احتمال أن تكون البرقية اختراقاً أمنياً عراقياً للإعلام الإيراني المشتت آنذاك، من أجل كشف نوايا الصَّدر، أو إضعاف الحركة الإسلامية وتشويشها[372].

---

370 المصدر نفسه، ص 266.

371 راجع نص البرقية في المصدر نفسه، ص 265 266-.

372 جاء ما يقارب هذا التفسير في (محمد باقر الصَّدر بين دكتاتوريتين) (ص 168). لكن مؤلف الكتاب وضع الاحتمال أن يكون هناك إسلاميون لا يريدون للصدر أن يتصدر العمل الإسلامي، ولهم نفوذ في الأوساط الإيرانية. وهو على ما يبدو يقصد آل الحكيم، حيث ورد في الكتاب الكثير ضدهم. أما عن كشف النوايا من قبل السُّلطة فهو مسلك قديم، سلكه أبو جعفر المنصور مع صديقه، ومحتضنه أيام مطاردة الأمويين له بالبصرة، لما كتب إليه رسالة على أنها من خصم الخليفة محمد النفس الزكية (قتل 145 هـ)، وكان ابن عبيد رئيس المعتزلة آنذاك، ويرفض التقرب من السُّلطة، مع انفتاح المنصور عليه، ومحاولته أن يكون له موقع بقصر الخلافة، فكتب إليه رسالة مزورة، على أنها من النفس الزكية يدعوه فيها إلى مبايعته، محاولاً امتحانه كاستطلاع لحقيقة موقفه، وقد طلب منه الرَّسول أن يأتي بالجواب الفوري، فكان رد ابن عبيد للرسول: (قل لصاحبك يدعنا نجلس في الظل، ونشرب من هذا الماء البارد، حتى تأتنا آجالنا) (ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 ص 58).

واللافت للنظر، أن البرقية دعت الصَّدر بحجة الإسلام والمسلمين، وهي مبعوثة قُبيل إعدامه بقليل، مع أن الصَّدر أخذ لقب آية الله العظمى في كل ما يُكتب عنه! ولا ندري ما الصحيح، هل حصل على اللقب بعد استشهاده! غير أن المعروف عنه أنه كان متواضعاً، محاولاً إرساء تقاليد جديد في المرجعية ومنها البعد عن الألقاب وعدم التميز بشيء مِن الفخامة، فهو الداعي إلى المرجعية الصَّالحة والرَّشيدة والموضوعية[373]. فمن زهده في اللقب، قال مرافقه النُّعماني: (أتذكر أن السيَّد الشَّهيد (رض) حينما أكمل كتابه الفتاوى الواضحة، وأراد إرساله إلى المطبعة كتبتُ على الدفتر الأول منها عبارة: تأليف سماحة آية الله العظمى السيَّد محمد باقر الصَّدر، فلما رأى ذلك شطب عبارة: سماحة آية الله العظمى)[374].

ومن جانب آخر لم يكن بين السَّيد الصَّدر والمرجعية الدِّينية، وخصوصاً بعد تبينه المواجهة مع النِّظام، من وئام ليحصل على إسناد ما، حيث وصل أمره مع السُّلطة، وخاصة بعد تأييده العلني للثورة الإيرانية، إلى عداء مكشوف، يصعب على المرجعية الدِّينية التدخل.

لكن ما سمعه أحد المقربين من السَّيد عبد المجيد الخوئي، ولم يُجزنا في ذكر اسمه، أنه استمع إلى حوار، في تلك الظروف، دار بين السَّيد محمد باقر الصَّدر ووالده أبي القاسم الخوئي، وكان الأول

---

373 النُّعماني، الشَّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 166.

374 المصدر نفسه، ص 72.

يخشى من مطاردة قوى الأمن له، وأنه مهدد، ويطلب رأي السَّيد الخوئي في الأمر. فأجابه الخوئي الأب: (تعال إلى هنا، وأنت تحت حمايتي! إلا أنه ذهب ولم يعد إليه مرة أخرى)! إن صدقت الرواية أو لم تصدق فلا نتخيل المرجعية ستصد طلباً لأحد العلماء، يلجأ إليها، وإذا كان هناك نيَّة في التدخل فلا يكون إلا سلمياً لدى الحكومة بثقل المرجعية، مقابل أن يترك الصَّدر العمل السِّياسي أو الكف عن التصريح بمعاداة الدَّولة.

على أية حال، حدد تاريخ إعدام الصَّدر، وشقيقته بنت الهدى، في التاسع من أبريل 1980، وهو تاريخ غير مؤكد، لأن الإعدام جرى في أقبية الأمن، ولا ينشر عنه خبراً، إلا أن تسليم جثامين المعدومين بهذه الطريقة تؤرخ من قبل ذوي الضحايا!

بيان التَّفاهم

صدر عن حزب الدَّعوة الإسلامية بياناً خارج العِراق العام 1980، ناشد فيه كلَّ العِراقيين على مختلف توجهاتهم الدينية والمذهبية والسِّياسية والعقائدية، بالعبارة: يا أمتنا الإسلامية، أيها المنتظمون في الأحزاب السِّياسية والنقابات والمنظمات، يا أهل الكتاب مِن نصارى العِراق، أيها العراقيون جميعاً: (نحدثكم جميعاً باسم الدَّعوة الإسلامية، حديث الإيمان والحب والإخلاص، حديث الرِّعاية السِّياسية). ولعله النِّداء الأول الذي فتح به حزب الدَّعوة ذراعيه

لجميع المعارضين للنِّظام، ومنهم الشيوعيون العراقيون، والبعثيون العراقيون بسوريا، طالباً التوحد ضد النِّظام العِراقي في الدَّعوة لنبذ الفرقة المذهبية والعنصرية. داعياً إلى مكافحة الفقر والجهل وبسط العدل والإنصاف. لكن يحدد دعوته، وليس فرضها، إلى الله والشَّريعة الإسلامية، أتياً على ذكر شهدائه مِن علماء الدِّين وطُلاب الحوزة الدينية وطلبة الجامعة وضباط جيش ومراتب عسكرية وسواهم.

لكنه في البيان لم يخرج في خطابه إلى أبعد مِن الحل الإسلامي لأزمة العِراق، هذا ما ناشد به القوى الكُردية، وهي في معظمها مِن العلمانيين، وكذلك ناشد به القوى الماركسية، موضحاً أن النَّظرية الماركسية نشأت في (محيط ديني نصراني)، على حد عبارته، وصرح بتخطئتهم فكرياً، وأنه ربما أخذوا هذا الموقف مِن الإسلام لتعاملهم مع دولة إسلامية لها صلات بالاستعمار، ودعاهم إلى العودة إلى أُصول الإسلام للتعرف عن الإسلام الصحيح. وترى البيان يُقدم العذر للشيوعيين في تبني النَّظرية الماركسية بالقول: (إنما عملوا معها لاعتقادهم أنهم يعملون ضد الاستعمار، ويعملون ضد الظُّلم الاقتصادي الواقع على بلاد المسلمين).

ويرى أن الحل في تبني الإسلام حسب قوله: (لذا فإن مقومات الدَّوافع لهذا العمل هي الفكر الإسلامي المتأصل في النُّفوس لمكافحة الظُّلم والتَّسلط والهيمنة). إلا أن البيان حصر الماركسية بالإلحاد، حتى تجده يُعلن رفضه للإحاد وأن الشُّيوعيين بالمنطقة لم يدخلوا إلى

الشيوعية بدافع عقائدي إنما بدافع الأوضاع المعاشية. يُستشف مِن البيان أن حزب الدَّعوة، وإن أشار إلى أنه لا يفتش في قلب الإنسان من حيث إنه مؤمن أو ملحد، لكنه لا يقبل في التَّعاون خارج منطقه الإسلامي.

لم نجد في البيان إشارة إلى مفردة الديمقراطية، فالزَّمن لم يكن مؤاتياً عند صدور البيانِ، لكنه أشار إلى الانتخابات وإلى حرية الحياة الحزبية مع عبارة الأُطر المشروعة، وإطلاق طاقات المجتمع في المعرفة العلمية، وإطلاق حرية الصَّحافة، مع عدم الإشارة إلى التقيد بالدَّولة الإسلامية أو ولاية الفقيه، ولم يحدد مسبقاً طريقة الحكم، سوى الإشارة إلى الانتخابات والحريات الحزبية. إلا أن للبيان إيجابيته على العمل السِّياسي المعارض العِراقية، في محاولته لإذابة الجليد في العلاقة مع القوى الأخرى، التي كانت في يوم مِن الأيام تُعد عدوة يستبعد التَّعامل معها[375].

لكن ما كان واضحاً، في التَّعبير عن شكل الدَّولة، هو البيان السِّياسي لحزب الدَّعوة، الصَّادر بعد عام على انتفاضة ربيع 1991 عقب احتلال وتحرير الكويت، وتحديداً في آذار (مارس) 1992، واستهل بالآية التي استهل بها بيان التَّفاهم نفسها: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً...). فبعد نقد الحرب الأمريكية على العِراق

375 أنظر نص بيان التَّفاهم كاملاً: الشَّامي، المرجعية الدِّينية مِن الذات إلى المؤسسة، ص 511 وما بعدها، الملاحق.

في 17 كانون الثاني (يناير) 1991 وتحطيم البنى التحتية للعِراق، ونقد الحصار الذي فُرض على العِراق مِن ذلك التّاريخ وحتى 2003، وإنه زاد في معاناة الإنسان العِراقي، جاء البيان على تحديد مستقبل العراق السّياسي، وهو أن (مبدأ الشّورى والانتخاب الحر هو حجر الزّاوية في بناء النظام السّياسي الذي نراه. فمن ضمن مبدأ الشّورى يمارس أفراد الشّعب كافة، دورهم في صياغة دستور دائم). مع نبذ السلطة الفردية والطائفية، وقطع الطّريق على الاستبداد السّياسي. وحتى ذلك التاريخ يبدو أن حزب الدّعوة ظل محرجاً مِن ذكر لفظة الدّيمقراطية، مع أنه قال ما يشبهها، الانتخاب باسم الشّورى لا الدّيمقراطية. ولا نظنه كان يقصد بمفردة (الاجتثاث) لجذور الاستبداد الفكري أنه يقصد ما تحقق بعد سقوط النّظام بما عُرف باجتثاث البعث، الذي أضاف أحقاداً على ما ورثت البلاد مِن أحقاد[376].

هناك مَنْ رصد في حزب الدّعوة تنوع تنظيماته، منذ 1979، ولعل أهمها: الحركة الإسلامية في العِراق، ومهامها القيام بعمليات مسلحة، واستمر وجودها حتى 1981[377]. وتنظيم أشبال الصّدر بمحافظة البصرة 1983، حسب وثيقة أمنية رصدت تحركات هذا التنظيم[378]. وقواعد الدّعوة بمناطق كردستان فبدأ التسلل لإيجادها

---

376 أنظر نص البيان السياسي كاملاً: المصدر نفسه، ص 555 وما بعدها، الملاحق.

377 الخرسان، حزب الدعوة حقائق ووثائق، ص 346.

378 المصدر نفسه، ص 350.

منذ 1981 في المناطق التي كان يسيطر عليها الحزب الدّيمقراطي الكردستاني[379].

كانت الحملة تشتد ضد حزب الدَّعوة، وأُعدم واعتقل العديد لمجرد الشُّبهات، تصاعداً مع عمليات التفجير ضد المرافق الرَّسمية، ومنها تفجير السفارة العراقية ببيروت 18 كانون الأول (ديسمبر) 1981 [380] وقتلت فيها زوجة الشَّاعر نزار قباني العراقية بلقيس الرَّاوي، وكان المنفذ الانتحاري أبو مريم الكرادي فجر نفسه في شاحنة داخل بناية السفارة.

وبهذا الفعل يظهر حزب الدَّعوة الحزب الإسلامي الأول في استخدام الانتحاريين، قياساً على تأخر انتحاريي القاعدة. وعمليات أخر كثيرة، منها: تفجير بوابة الإذاعة بالصالحية، قُتل فيها، الفنان محمد عبد المحسن (23 نيسان 1983) وهو صاحب أروع الأُغنيات: (سلم بعيونك الحلوة)، و(عمي يابو مشحوف(الزَّورق) تانيني(انتظرني))، و(نار الشَّوك(الشَّوق) تجويني(تكويني))، وقد تزامن تفجير السَّيارة المفخخة مع دخوله إلى بوابة الإذاعة. ويُذكر أن المحسن كان يتناول فطوره بشقة الفنان كنعان وصفي[381]. وهناك مَنْ وصف الحادث بالهجوم الكبير شحنه جماعة حزب الدعوة لاحتلال

379 المصدر نفسه، ص 355.

380 المؤمن، سنوات الجمر، ص 351.

381 http://www.sama3y.net/forum/showthread.php?t=29701.

الإذاعة، وقتل فيه العديد من الجانبين[382]. ومن بعد كتفجير السَّفارة الأمريكية بالكويت 1983، ومحاولة اغتيال أمير الكويت في 25 أيار (مايو) 1985. ويُذكر أن العمليتين الأوليين نفذتا لمنع عقد مؤتمر دول الانحياز ببغداد 1982، والذي أخذت تعد له السُّلطة العراقية[383]. أما حادث الدُّجيل لاغتيال صدام حسين فمعروف أنه نفذ في 7 تموز (يوليو) 1982 وقيل سميت بعملية (بنت الهدى)[384]، شقيقة السَّيد محمد باقر الصَّدر، التي أُعدمت معه في نيسان 1980.

يبدو أن الحزب لم يستفد مما تقدم مِن المغامرات، التي مارستها الحركة الإسلامية الشِّيعية آنذاك على العموم، التي راح ضحيتها المئات من كوادره، وممَّنْ راح بوشاية، وكذلك من الأبرياء المدنيين، فقطع سكك حديد أو مهاجمة قطار أو إذاعة أو وزارة لم تكن خالية مَنْ الأبرياء. فأرى في إعلان مسؤوليته عن محاولة اغتيال عدي صدام حسين (1996)، كانت مغامرة أخرى، قد توازي مغامرة وفود المبايعة إلى دار الصَّدر، المارة الذكر، وأنها مجرد تظاهر لتأكيد الوجود، ولم تكن حقيقة. وذلك أن عدة جماعات ادعت مسؤوليتها عن تلك المحاولة، ومنها شباب لا يربطهم رابط بأي جماعة أوحزب، ظهروا على صفحات الجرائد والمجلات يتحدثون عن تفاصيل العملية.

---

382 المؤمن، سنوات الجمر، ص 348.

383 راجع: طالب الحسن، فتح ملف مجرمي قرية العوجة، جريدة البينة الجديدة البغدادية، العدد 605 المؤرخ: 18 حزيران (يونيو) 2008.

384 المؤمن، سنوات الجمر، ص 342.

بيد أن أنباء كثيرة أشارت إلى أن تنفيذ العملية تم من داخل النِّظام نفسه، وفي شدة الخلاف بين أركان العائلة الحاكمة، وعلى وجه الخصوص بعد قتل الأخوين حسين وصدام كامل ووالدهما، وهما زوجا ابنتي صدام حسين وأولاد ابن عمه كامل حسن المجيد، شقيق علي حسن المجيد، المعروف بعلي كيمياوي، نسبة إلى أوامره في استعمال السلاح الكيماوي ضد القرى الكُردية في ربيع 1988، والتي عُرفت بعمليات الأنفال[385].

ولما سألت أحد كوادر حزب الدعوة، في لقاء معه بلندن عِقب حادثة اغتيال عدي صدام حسين، عمَّا إذا كان سيعرض الحزب كوادره أو مؤيديه داخل العراق لمخاطر جسام، وذلك بإعلانه مسؤوليته عن محاولة الاغتيال (12 كانون الأول/ديسمبر 1996)، أجابني بالقول: (لا بد من بعث النشاط الجهادي، يعيد للشارع العراقي حيوية الجهاد ضد النظام، وإثبات وجود الحزب داخل العراق)! مع أن هناك عدة جماعات تبنت تنفيذ العملية، ومنها ما يسمى بحركة 15 شعبان الإسلامية، وآخرين ممَّنْ لا يربطهم رابط بحزب سياسي من أحزاب المعارضة بالخارج[386].

---

385 التسمية استنبطها أحد القادة العسكريين، حسب ما جاء في أقوال أحد المتهمين، من الآية الأولى من سورة الأنفال: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسول). والأنفال مصطلح يشار فيه إلى غنائم معركة بدر.

386 على سبيل المثال: نقرأ لعبد الحسين الساعدي: (قامت حركة الخامس عشر من شعبان برئاسة رزاق ياسر مطهر، الملقب سيد حمزة، وهي إحدى المجاميع الجهادية التي تتخذ من أهوار ذي قار، وبالذات في مناطق عشائر آل جويبر مقراً لها بعد انتفاضة آذار(مارس). شعبان من عام ألف وتسعمائة=

لكن بعد رصد العمليات، التي تسميها السُّلطة بالإرهابية، والأحزاب الإسلامية يسمونها الجهادية، لا تبدو أكثر العمليات بداخل العِراق مِن فعل حزب الدَّعوة، فهذا مدير الأمن العام ومدير المخابرات العراقية يعطينا تصوراً عاماً عن العمليات الجهادية، التي حصلت في الثَّمانينيات، حتى 1986 كالآتي:

حزب الدَّعوة

- الهجوم بالسِّكين على رئيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق بباكستان، في 18 أيار (مايو) 1985 أدى إلى جرحه، نسبت العملية إلى حزب الدَّعوة.

- القنصلية العِراقية بكراجي، في 9 آذار (مارس) 1986، تفخيخ سيارة، وأضرار مادية فقط.

- ضرب منتسبي القنصلية العراقية بكراجي بقنبلة يدوية، في 14 حزيران (يونيو) 1986، نسبت إلى حزب الدَّعوة، قُتل فيها

=وواحد وتسعين بدراسة إمكانية نقل العمل العسكري إلى بغداد، وجرى اختيار العناصر الكفوءة والمؤهلة، وإرسالها إلى بغداد لتأسيس قيادة ميدانية تعمل على إنضاج العمل العسكري ضد النظام، وكان على رأس هذه المجموعة سلمان شريف دفار، الملقب أبو أحمد البزاز) (www.ahewar.org). بعدها قرأنا لسلمان دفار، وهو مدير الأمن الوطني بمحافظة ذي قار، وقبلها كان نائباً للمحافظ، حديثاً مطولاً حول عملية الاغتيال، التي حدثت بالمنصور من كرخ بغداد في 12 كانون الأول (ديسمبر) 1996، ويبدو أنه كان قائد العملية: عندما يقول أصدرت أوامري! وليس هناك مشارك آخر على قيد الحياة، وقد عدَّ اثنين: علي عبد الحسين عاشور، ومؤيد راضي من المنفذين، وقد أعدما مع ذويهما (www.sotairog.com). هذا وتبقى الحادثة لغزاً من الألغاز، فما نقرأه عبارة عن فيلم سينمائي، لنا الحق بالتوجس من روايته كواقع حال!

نائب القنصل العام.

منظمة العمل الإسلامية (الجماعة الشّيرازية):

- التَّجمع الطُّلابي بالجامعة المستنصرية في 1 نيسان (أبريل) 1980، ثم الإجهاز على موكب المشيعين في 5 نيسان (أبريل)، قُتل فيها طلبة.

- السَّفارة العِراقية بباريس، في 11 آب (أغسطس) 1982، سيارة مفخخة، أضرار مادية فقط.

- ساحة كهرمانة وسط بغداد 12 كانون الأول (ديسمبر) 1984، قتل فيها اثنان وأصيب أربعة.

حركة المجاهدين (عبد العزيز الحكيم):

- وزارة التخطيط، في 1 آب (أغسطس) 1982 بسيارة مفخخة، قُتل فيها ستة مواطنين، وجُرح 26 آخرون، مع أضرار مادية.

- مبنى الإذاعة والتلفزيون ببغداد، في 21 نيسان (أبريل) 1983، سيارة مفخخة قُتل أربعة وأصيب 126 بجروح مع أضرار مادية.

منظمات وجماعات لبنانية وما أشير لهم بعملاء إيران:

- تفجير وكالة الأنباء العِراقية في 26 نيسان (أبريل) 1980 نسبت إلى منظمة أمل اللبنانية.

- السَّفارة العِراقية بروما، في 4 حزيران (يونيو) 1980 نسبت إلى جماعة إيرانية.

- السَّفارة العراقية بيروت، في 15 كانون الأول (ديسمبر) 1981 نست إلى جماعة غير محددة بالتعاون مع إيران عبر سوريا، قُتل فيها 51 شخصاً.

- محاولة خطف طائرة مدنية عراقية قادمة مِن أثينا، في 5 أيلول (سبتمبر) 1984، عملاء لإيران. منهم لبنانيون.

- الهجوم على منتسبي السَّفارة العراقية بأثينا، في 4 كانون الأول (ديسمبر) 1984، نسبت لمنظمة تابعة لإيران مِن دون تحديدها.

- اغتيال عناصر مِن السَّفارة العراقية بالكويت، في 31 آذار (مارس) 1985، نسبت لعملاء مِن أصل إيراني.

- ضرب السَّفارة العراقية بفيينا بالصواريخ، في 24 حزيران (يونيو) 1986، نسبت إلى حزب الله.

- خطف طائرة الخطوط الجوية العراقية المغادرة إلى الأردن، في 25 شباط (فبراير) 1986، ولما حاولت الطائرة الهبوط بمطار عرعر السعودي فجرت القنابل واستعملت المسدسات، فكان عدد القتلى 69 شخصاً، نسبت إلى عملاء لبنانيين لإيران[387].

---

387 أنظر: البراك، استرتيجية الأمن القومي.. آراء وأفكار، ص 208 214.

هنا لم تسجل السُّلطات العِراقية على حزب الدَّعوة أي عملية داخلية بالاسم، سوى ثلاث عمليات بالخارج، بينما الحديث يجري على أن أضخم العمليات وأغلبها كانت بتنفيذ الحزب، والأمر يكاد يضيع بين مبالغة القائمين بالعمليات، لغرض إعلامي ونشر الخوف داخل العراق، وبيانات الحكومة التي تأتي عادة مقتضبة للتقليل مِن أهمية تلك العمليات.

انشقاقات الحزب

تعرض الحزب مبكراً لانشقاقات عديدة، ومنها التي أصابته في لحظة التَّأسيس، حيث توالت الانسحابات من الحزب بعد الصَّدر (أُعدم 1980) لسبب شرعي مثلما تقدم، فانسحب محمد مهدي الحكيم (اغتيل 1988)، وشقيقه محمد باقر (اغتيل 2003). وعندها تقدم الشَّيخ عبد الهادي الفضلي، أحد قادة التنظيم، في القيادة، بعد الفراغ الذي تركه هؤلاء الثلاثة، برأي ملخص أن تزداد نسبة رجال الدِّين، من المعممين، في الحزب، ليصبحوا الفئة الغالبة. لهذا نعت البعض الحزب بأنه (حزب عمائم)[388]!

إلى جانب ذلك أخذ الفضلي يُطالب، أو يسعى، إلى تنصيب رجل دين مجتهد على رأس الحزب، أشبه ما يكون بولي فقيه الحزب. إلا أن خطأً آخرَ مثله الشَّيخ عارف البصري (أُعدم 1974) أحد

388 القزويني، عزُّ الدِّين الجزائري، ص 115.

الدارسين بالنَّجف آنذاك، عندما اتخذ قراراً بطرد الفضلي، وطالب الرِّفاعي وشخص آخر من الحزب[389]. مع أن الرِّفاعي لا يعتبر نفسه عضواً في الحزب حتى يُطرد إنما كان مؤسساً[390]!

حسب ما أفاد به الشَّيخ الفضلي أنه أول مَنْ تأثر بولاية الفقيه، وأن حزب الدَّعوة تبناها قبل الثَّورة الإيرانية(1979) وهو الذي أدخلها إلى حزب الدَّعوة، ويرجع ذلك إلى زيارته إلى إيران، بمعية الشَّيخ عيسى الخاقاني كمترجم، ولقاء بآية الله الخميني بقم، بتنسيق مع جماعة الدَّعوة والسَّيد محمد باقر الصَّدر، وذلك في آب (أغسطس 1964)، قبل نفي الخميني إلى تركيا ثم العراق. وقد سأل الفضلي الخميني، بعد فراغ الأخير مِن درسه، هل الحكومة للأعلم أم لمطلق الفقيه؟ فأجاب الخميني: لمطلق الفقيه. (كان لهذا اللقاء أثره، بعد عودة الشَّيخ الفضلي للنجف، حيث دارت نقاشات مع الشَّهيد الصَّدر، تبنت الدَّعوة على أثرها نظرية ولاية الفقيه)[391].

وبعد هجرة الكوادر والقواعد إلى إيران شارك الحزب من خلال وجوده هناك داخل (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) في مؤتمر (نصرة الشعب العراقي) بطهران، في 25 كانون الأول

---

389 الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، ص 122.

390 مذكرات السَّيد طالب الرِّفاعي: http://www.freewebs.com/alrefaee/alsaid-4.html

391 الفضلي، قراءات في فكر العلامة الدكتور الفضلي، ص 34.

(ديسمبر) 1987، وكان مقتصراً على القوى الإسلامية، ومستبعداً القوى العلمانية، وحينها لم يحتجَّ حزب الدعوة، وزعيمه آنذاك الشَّيخ الآصفي، على محاولة تكريس دور المجلس الأعلى، على اعتبار أنه كان جزءاً منه، ولا على شروط المشاركة في المؤتمر، التي أكدها علي أكبر رفسنجاني خلال فترة الإعداد، وفي مقدمتها: الإقرار بولاية الفقيه، والتمسك بقيام الدَّولة الإسلامية بالعراق[392].

أما مؤتمرات المعارضة اللاحقة فقد حضرها الحزب وهو خارج المجلس الأعلى، وبجماعات عديدة، حيث حصلت الانشقاقات بسبب عدم الأخذ بعقيدة ولاية الفقيه والقرب والبعد عن إيران.

بعدها ظهر للعلن تنظيم (حزب الدعوة ولاية الفقيه)، أصحاب عمائم مثل الآصفي، فالأخير كان وما يزال، حتى هذه اللحظة، ينظر بعقائدية لولاية الفقيه، بل يرى في مرشد الدَّولة الإسلامية الولي المفترض، من دون الأخذ بنظر الاعتبار الفوارق ما بين إيران والعراق.

قال الآصفي في ولاية الفقيه: (تتصل بالجانب العقائدي لأنها امتداد ونيابة عن الإمام الحجَّة (عج)، وإمامة الإمام الحجَّة (عج) هي مسألة عقائدية، وكذلك إمامة أئمة أهل البيت (ع) هي مسألة عقائدية، وتدخل في أصول المذهب. وولاية الفقيه بهذا الاعتبار شأن عقائدي. وبالاعتبار الثَّاني، من حيث السُّلطة والصلاحيات التي

392 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 59 62-.

يمتلكها الولي الفقيه فهي مسألة فقهية. طريقة انتخاب الولي الفقيه وسعة وضيق دائرة صلاحياته القانونية والفقهية هي مسألة فقهية. وعلى العموم، فإن هذه المسألة تتصل بالجانب العقائدي من جهة والفقهي من أخرى)[393].

وحسب إبراهيم الجعفري فإن الشَّيخ الآصفي بعث برسالة (أشار فيها إلى سبب استقالته من قيادة الحزب، فسماحة الشَّيخ يعتقد أنه لا بد من ربط حزب الدعوة الإسلامية ربطاً عضوياً بولاية السَّيد علي الخامنئي، مرشد الجمهورية الإسلامية، وأصدر في هذا الشأن كتاب علاقة الحركة الإسلامية بولاية الأمر)[394].

وإجمالاً، بعد خروجه من الحزب، لا نرى من أثر في سيرة حياة آية الله الآصفي يشير إلى فخره بنضاله السِّياسي السابق في حزب الدعوة، حتى وهو يتحدث عن رفيقه في الحزب الشَّيخ عبد الهادي الفضلي، بقدر ما تكرس سيرته على اجتهاده وتأليفه الفقهي[395].

كذلك خرجت على الحزب مبكراً جماعة عرَّفت نفسها بحركة (جند الإمام). وتعريفها حسب أحد أعضائها أنها (حركة إسلامية ترتكز على عقيدة عودة الإمام المهدي المنتظر، عجل الله فرجه، لها

---

393 الموقع الرسمي لآية الله الآصفي: http://alasefi.net/asefi/index.php

394 حوار مع إبراهيم الجعفري، جريدة الزمان، العدد 538 المؤرخ 2 شباط/فبراير 2000، أجرى الحوار نضال الليثي.

395 راجع سيرته في http://www.al-shia.com/html/ara/ola/?mod

أهداف سياسية أيضاً، ترتبط بذلك الهدف الكبير، وهي الإعداد، وتهيئة المناخ والظروف السِّياسية لظهور الإمام المهدي، عجل الله فرجه، من خلال إيجاد المناصرين للإمام، وإيجاد المؤسسات والأطر، التي ينجز من خلالها الإمام مهمته)[396].

وعن تاريخها، تأسست هذه الحركة (في نهاية الستينيات نتيجة التقاء جذرين من العمل الإسلامي: الأول ينتمي إلى منظمة الشباب الإسلامي، ولم تتخذ الحركة تسمية لها في بداية قيامها حيث عملت بدون اسم لفترة طويلة، بعد ذلك أطلقت على نفسها اسم جند الإمام)[397]. و(جند الإمام)، التي أبرز أعضائها السَّيد سامي البدري، كان طالباً في السَّنة المنتهية من الدراسة الطبية تحول إلى الدراسة الدِّينية واعتمر العِمامة، (ليست حزباً سياسياً بالمعنى الحرفي للكلمة... أقرب إلى أن تكون منظمة سياسية تعمل بشكل شعاعي، لذلك أُطلق عليها اسم الحركة)[398].

وبهذا ليس لها قيادة بقدر ما تؤدي دورها عن طريق الاختصاصات والتوعية. ساهمت جماعة جند الإمام في لجنة العمل المشترك بدمشق (1989)، فبعد تحرير الفاو من قبل الجيش العراقي،

---

396 جريدة المؤتمر، لقاء مع سعد جواد ممثل الحركة في بريطانيا، أجرى اللقاء نضال الليثي، العدد 91 المؤرخ في 17 شباط (فبراير) 1995.

397 المصدر نفسه.

398 المصدر نفسه.

ووقف الحرب العراقية الإيرانية (1988)، راجعت الحركة الإسلامية ككل موقفها من بقية أحزاب المعارضة، ممَنْ أبعدوا عن مؤتمر (نصرة الشعب العراقي) المنعقد بطهران (1987) [399].

كذلك حضرت جماعة الجند مؤتمر (بيروت) (آذار 1991) بشخص أمينها السَّيد سامي البدري[400]، و(فيينا) للمعارضة العراقية، ممثلة بشخص عضويها: سعد جواد، وعزَّت الشابندر[401]، والأخير عضو البرلمان الحالي، والذي ترك العمل الإسلامي وانتمى إلى (القائمة العراقية) برئاسة أياد علاوي، ثم تركها وانضم إلى قائمة (دولة القانون) برئاسة نوري المالكي، استعداداً لخوض انتخابات (2010).

بعدها انشق، خارج العراق، عن الحزب جماعة عرفت نفسها بـ (كوادر الدعوة الإسلامية)، وذلك في حزيران (يونيو) 1991، عقب فشل الانتفاضة، بل أكثر من هذا قيل كانت الفكرة تمتد إلى 1988 حيث وقفت الحرب العراقية الإيرانية، التي استدعت مراجعات في العمل السِّياسي الإسلامي، وأسفرت عن مبادرة تأسيس تنظيم يراعي الخصوصية العراقية، بعد واقع الحال في العمل الإسلامي ووجوده على الأرض الإيرانية.

---

399 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 67.

400 الشمراني، صِراع الأضداد، ص 198.

401 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 107.

وأصدرت الجماعة جريدة (فجر العراق)، ونظمت لها فروعاً. وإضافة إلى الخصوصية العراقية أكد برنامجها على المشروع الحضاري الإسلامي، وآليات الدّيمقراطية، والمناداة - حسب تعبير أحد كوادرها - ببناء دولة الإنسان، وقد صدر أول بياناتها في حزيران(يونيو) 1991[402].

لكن، يُذكر أن تلك الجماعة ساهمت، تحت عنوانها هذا، في لجنة العمل المشترك (1989) بدمشق، قبل حضورها مؤتمر (فيينا) (16-19 حزيران/ يونيو 1992)، بشخص محمد عبد الجبار شبوط[403]، الذي تولى، فيما بعد، رئاسة تحرير جريدة (المؤتمر)، لسان حال المؤتمر الوطني بزعامة أحمد الجلبي، وبعد سقوط النّظام، تولى مهام رئاسة تحرير جريدة (الصباح) الشبه رسمية، وحالياً يرأس تحرير مجلة (الأسبوعية) المستقلة، ثم استقال لترشحه في الانتخابات (2010) مع كتلة دولة القانون، أي حزب الدعوة جناح المالكي. ويُعدُّ مؤتمر (فيينا) المؤتمر الثّاني العام للمعارضة العراقية بعد مؤتمر (بيروت) الملتئم في مارس 1991.

خرج عن الحزب ما عُرف بـ(الدَّعوة الإسلامية، الخط البصري)، نسبة إلى مدينة البصرة، أو هكذا تم الاتفاق على تسميته،

402 جريدة المؤتمر، حوار مع عضو المكتب السّياسي للحركة عبد الجليل الخير الله، أجراه نضال الليثي، العدد 92 المؤرخ في 24 شباط(فبراير) 1995.

403 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 107.

حيث يتحدر جماعة عزّ الدّين سليم (قُتل 2004)، وكان رئيساً لمجلس الحكم حينها. أما انشقاق الشَّيخ اللبناني علي الكوراني فموضوعه، حسب ما روي، يتعلق بمعارضته، وعدد مِن أعضاء الحزب، لانتخاب قيادة الحزب 1980 بطهران، فانفصل وشكل تنظيماً خاصاً[404]. وكانت علاقة الكوراني بالصَّدر متأزمة، ،وقاد حملة تشهيرية ضد حزب الدَّعوة الأصل[405]. ويُذكر أن العلاقة بين الصَّدر والحزب تأزمت بسبب شخص، لعله الكوراني نفسه، وحدث ما يشبه القطيعة[406].

ثم اعتزل آية الله كاظم الحائري، وكان يمثل ولي فقيه الحزب، أي رئيس المجلس الفقهي الحزبي. وقد اصطدم ببقية أعضاء الحزب حول الحدود والصلاحيات. و(كان يرى أن قرار الحزب لا يكون شرعياً دون أن يصادق عليه الفقيه)[407].

وإجمالاً، مع حلولَ منتصف عقد التسعينيات، من القرن الماضي، صدر بيان تحت عنوان مشترك للقوى الإسلامية، بخصوص هروب حسين كامل من بغداد، مما أثار جدلاً حول الموقف منه، ظهرت فيه أربع جماعات منشقة عن حزب الدعوة: حركة (جند الإمام)، وحركة (الكوادر الإسلامية)، و(الدعوة الإسلامية)، وحزب (الدعوة

---

404 الشّامي، المرجعية الدّينية مِن الذات إلى المؤسسة، ص 224.

405 المصدر نفسه، ص 223.

406 النُّعماني، الشّهيد الصَّدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص 150.

407 المصدر نفسه، ص 225.

الإسلامية- ولاية الفقيه)[408]؛ والأخير يمثله جماعة الشَّيخ كاظم الحائري، بعد إلغاء المجلس الفقهي، في مؤتمر الحزب الذي عُقد بإيران (1988)[409].

وابتعدت عن الحزب 1998 جماعة تحت عنوان (حزب الدعوة – تنظيم العراق) بإشراف عبد الكريم العنزي[410] (عضو البرلمان- انتخابات 2005). حصلت على تمثيل لها في برلمان (2005)، لكنها لم تحظ بأي مقعد في الدورة الجديدة (2010)، بعد أن دخل العنزي وجماعته مع الائتلاف الوطني برئاسة إبراهيم الجعفري. تجد في العنوان الذي اختارته جماعة العنزي شيئاً من الفصل، أو التمييز، بين الحزب في الخَارج والحزب في الداخل، وهي مسألة اشتد الجدل حولها، ليس على مستوى السياسة فقط بل على مستوى الثقافة أيضاً، مع أنه كان مِنَ المقيمين بإيران، قبيل سقوط النِّظام السَّابق.

وإسلامياً، يبدو أن ذلك كان من مقولات حزب الفضيلة، الذي بدأ مرجعه الدِّيني الشَّيخ محمد اليعقوبي، وأمينه العام نديم الجابري،

---

408 جريدة المؤتمر، آراء ومواقف أحزاب وشخصيات المعارضة العراقية، العدد 114 المؤرخ 18 آب (أغسطس) 1995.

409 الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، ص 403.

410 يبدو العنزي من الحزبيين السلفيين إن صحت العبارة، فكان مشهده داخل البرلمان (بحدود منتصف 2007) مدافعاً عن تطبيق الشريعة في السارق والسارقة، بينما كان يرفضه أحد المعممين، وهو عضو المجلس الأعلى الإسلامي جلال الدِّين الصغير، وكانت حجة الأول أنها شريعة الله، وحجة الثاني عدم وجود عدالة تسمح بتطبيق هذا القانون.

إثارتها حول القادمين من الخارج، والذين تبوأوا مراكز حكومية، وفي مقدمتهم إبراهيم الجعفري، ونوري المالكي كرئيسي وزراء، وكذلك قيادة المجلس الأعلى، على اعتبار أنهم بعيدون عمّا حصل بالعراق في أيام السُّلطة السَّابقة، وما جرى خلال فترة الحصار الدولي (1990-2003) على العراق.

كذلك انشطر عن الحزب أمينه العام السَّابق إبراهيم الجعفري، والناطق باسمه، ليشكل كياناً خاصاً به تحت اسم (تيار الإصلاح الوطني) أعلن عنه في 31 أيار(مايو) 2008، وأصبحت لديه فضائية اسمها (بلادي)، إضافة إلى الصَّحافة، وفروع الحزب بمختلف المدن العراقية، وبالخارج أيضاً. حصل هذا بُعيد التئام مؤتمر الحزب، وانتخاب قيادة جديدة، وحل نوري المالكي أميناً عاماً بدلاً من الجعفري.

وحسب إعلان الجعفري ببغداد، فإن (الإصلاح) تيار مفتوح على جميع العراقيين، وما أن أعلن الجعفري عن تياره حتى قابلته تصريحات مسؤولي حزب الدعوة بأنه لم يعدَّ على ملاك الحزب. واستعداداً لخوض انتخابات (2010) انضم تياره إلى تكتل (الائتلاف الوطني العراقي) مع المجلس الأعلى الإسلامي، وقوى بينها فروع انشطرت عن حزب الدعوة.

أما جماعة نوري المالكي، وهم يعدون أنفسهم الحزب الأم، فبعد خوضهم انتخابات المحافظات، من العام الماضي، وفوزهم

الكاسح، لم يشاءوا الدخول في الائتلاف، وحجتهم في ذلك أنهم مع كيانات عراقية، بعيدة عن كيانات الطوائف، ومحاولتهم إنهاء مبدأ التَّوافقية في إدارة الدَّولة.

وهناك ما عرف بـ(حركة الدعوة الإسلامية) مثلها في قوائم الانتخابات، العام 2005، عادل عبد الرحيم مجيد، و(أنصار الدعوة في العراق) يمثله مازن مكية ببغداد. هذا، وشخصيات عديدة هجرت الحزب وأعلنت مواقفها الليبرالية، وبينهم مثقفون معروفون في الساحة العراقية، وأبرزهم ضياء الشكرجي، كانوا يحاولون إعطاء صورة عن الدِّيمقراطية من داخل الإسلام، بعيداً عن الفكر الشمولي الدِّيني، وتأكيداً على فصل الدِّين عن الدَّولة والسياسة.

قبل السُّلطة كان حزب الدعوة مشمولاً بلائحة الإرهاب، مِنْ قِبل وزارة الخارجية الأمريكية منذ العام 1985، وربما لهذا علاقة بتفجير السفارة العراقية ببيروت، ومحاولة اغتيال أمير الكويت، وما دارت عليه الشبهات في حوادث أُخر، ومنها تفجير السفارة الأمريكية ببيروت، (وكان لابد مِن رفع اسمه مِن لائحة الوزارة المذكورة (الأمريكية)، قبل أن تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية مِن إجراء أية اتصالات جدية معه. وقد قام بإعادة النَّظر في برنامجه العقائدي، وخرج ببيان سياسي جديد حوَّل الحزب إلى حزب ديمقراطي اجتماعي مقبول بجذور دينية إسلامية)[411].

---

411 علاوي، احتلال العراق.. ربح الحرب وخسارة السَّلام، ص 107.

قيل إن ذلك التبدل جاء في بيان الحزب الصادر العام 1995، (أدخل فيه مِن تعديلات جوهرية)[412]. لم يُنشر على مستوى واسع، وهو ، حسب ناشطين في حزب الدَّعوة، يُعد مِن المهملات. وتجدر الإشارة إلى أن وجود حزب الدَّعوة على لائحة الإرهاب يتناقض مع اشتراكه في مؤتمر المعارضة العراقية ببيروت(آذار /مارس 1991)[413]، وهو يُعدُّ أول مؤتمر أثناء انتفاضة آذار عقب حرب الكويت، ثم مؤتمرات المعارضة التي كان الغالب منها برعاية أمريكية، وأكثر مِن هذا أصبح الحزب عضواً في المؤتمر الوطني الموحد[414] المدعوم من أمريكا دعماً كاملاً في وجوده ونشاطه.

زمن السُّلطة

ظل الحزب طوال فترة الحصار، وعمل المعارضة في عقد التسعينيات وما بعدها، يرفع شعار فك الحصار عن الشعب العراقي، وضد توجيه ضربة عسكرية، أو إسقاط النِّظام عن طريق غزو عسكري، وكان متوافقاً في هذه الطروحات مع الحزبِ الشِّيوعي العراقي، حتى حدث الكثير من التنسيق بينهما وجماعات أُخر، ولم يشترك الحزب في مؤتمر لندن، ولا في أعمال لجنته التحضيرية، على الرغم من أنه كان معدوداً ضمنها[415].

---

412 المصدر نفسه، الهامش.

413 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 86.

414 هذا ما أفادني به الناشط في حقوق الإنسان وأحد الأعضاء المهمين سابقاً في المؤتمر الوطني الموحد غانم جواد، واشتراكه مع أحمد الجلبي في التباحث مع قيادة حزب الدعوة بإيران، لترتيب الانضمام.

415 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 527.

وبعد ختام المؤتمر (14 16- كانون الأول/ ديسمبر 2002)، عُقد (ائتلاف القوى الوطنية العراقية في بريطانيا) في 11 شباط (فبراير) 2002، واتُّخذ قرار رفض الضربة العسكرية للإطاحة بالنِّظام، والبعد عن (الارتهان لمشاريع تخدم مصالح أجنبية)، وكان الموقعون على بيان الاجتماع من حزب الدعوة: إبراهيم الجعفري، وحيدر العبادي، ووليد الحلي، وعبد الرزاق الكاظمي[416].

أبلغني أحد الفاعلين في ذلك الائتلاف، ومن الذين ظلوا بعيدين عن الوضع السِّياسي العراقي للموقف المسبق من الغزو الأمريكي، أن حزب الدعوة كان يتصل بالأمريكان، ولما استُفسر من إبراهيم الجعفري حول ذلك الاتصال، وعلى طريقة الجعفري، الذي لا يتقن فن الوضوح بالعبارة، ويكرر الأوصاف وينتقي المفردات الإنشائية، وعلى حد عبارة بول بريمر: (أحاديثه غير متناسقة)[417]، حتى أنها من دون معانٍ في الغالب من الأحيان، فظل يلف ويدور، مع أن الجواب على السؤال كان بكلمة واحدة، حتى ضجر أحد المشاركين، من أصحاب العمائم، فنفض عباءته تاركاً المكان. بينما كان الحزب يشارك بطهران ممثلاً بشخص أبي بلال علي الأديب، في ما عُرف حينها بـ(ترتيب البيت الشِّيعي) (قُبيل سقوط النِّظام بأيام)، هاجم الأحزاب التي شاركت في مؤتمر (لندن)[418].

416 المصدر نفسه.

417 بريمر، عام قضيته في العراق، ص 157.

418 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 565.

بعد استلام الحزب المسؤولية الأولى في السُّلطة التنفيذية من خلال رئاسة الوزراء لإبراهيم الجعفري (2004-2005)، ثم لنوري المالكي (2005 -) لم يترجم هذا الحزب ما كان ينادي به وهو في المعارضة، بل يجد المرء مفارقة كبيرة في أن يمارس كوادر الحزب ما كانت تمارسه سلطات سابقة، وذلك باحتكار المناصب والوظائف، وتعيين عدد من المستشارين غير المؤهلين والمسؤولين البعيدين عن تخصصاتهم.

يغلب على الظن، وبعد قراءة حياة وعصامية محمد باقر الصَّدر، أنه لو كان حياً لأعلن البراءة من عدد ليس بالقليل من هذه الوجوه، بل لأعاد النظر، بعد ما حصل بإيران، على أيدي الكوادر السِّياسية، وبظل الدَّولة الإسلامية وبالعراق على يد الأحزاب الدِّينية، في مقولته: (ذوبوا في الإمام الخميني ...)، أو ما يُقاربها.

لكن، مع كل الخلل وعند المقابلة مع بقية الجماعات التي تسلمت أعمدة السُّلطة، يبدو حزب الدعوة أفضل تلك الأحزاب من ناحية قلة العبث بالمال العام واستغلال السُّلطة، هذا ما وصلنا من محافظة البصرة على وجه التحديد، ناهيك من العمل على تأمين وحدة البلاد، و من سلبياته العميقة أن العديد من المراكز الثقافية والأكاديمية غدت بيد كوادره أو مَنْ ظلوا على الولاء له، من دون التوقف عند إمكانياتهم وقدراتهم، وهذا تشبه بسلوك حزب البعث، وكل أحزاب السُّلطة الشمولية.

إن الإصرار على قضية الدُّجيل، وإعدام صدام حسين (ديسمبر 2006) بسببها، وأن يكون الإعدام ليلة عيد الأضحى، كل ذلك يفهم على أنه محاولة من الحزب في إعطاء صورة، وتسجيل تأريخ، أنه صاحب الانقلاب ضد نظام صدام حسين، وقد حرم الملأ من الاستماع لبقية جرائم رئيس النظام السابق، وهي لا تعدُّ ولا تحصى وأغلبها من الكبائر، بل أدى ذلك التصرف إلى تعميق الطّائفية، فالقضية فُسرت على أنها محاولة اغتيال لرئيس جمهورية، حسب القانون العراقي وقتذاك، بل وقائد جيش يدخل حرب مع بلاد أجنبية، وقد أذاع الحزب النبأ قبل غيره. كذلك أوهمت المحاكمة وأوهم مشهد الإعدام أن صدام السُنّي يُعدم من قبل حزب الدعوة الشّيعي.

هذا والدُّجيل التي كانت مسرحاً لمحاولة اغتيال صدام حسين (تموز/يوليو 1982)، ذات تاريخ عريق[419]، ويشهد ترابها على حوادث أموية وعباسية ومغولية، لذا ملأ اسمها صفحات أمهات التّاريخ. كانت قضية خلافية، حركت الطّائفية، بينما هناك مِن القضايا التي يمكن أن تجمع العِراقيين وتقلل مِن ردة الفعل لدى أعوان النّظام السَّابق، لكن على ما يبدو أرادها حزب الدَّعوة، مستغلاً وجوده

---

419 اشتهرت محاكمة صدام حسين ناحية الدُّجَيْل عالمياً، وهي بلدة قديمة، شهدت أحداثاً جساماً من قبل: حرب مُصعب بن الزبير (71هـ) مع عبد الملك بن مروان ومقتله، وهو عامل أخيه عبد الله على العراق. ولإبراهيم الأشتر (قتل 71هـ)، أحد أبرز قادة جيش مُصعب، مرقد في أطرافها، وما زال ماثلاً ويُزار. ونسبة إليه عرفت دُجَيْل بالإبراهيمية. وكانت ساحة حرب بين ابن الأشعث والحجاج بن يوسف الثقفي (ت95هـ)، وعبرها وصلت طلائع من المغول إلى بغداد (656هـ).

على رأس السُّلطة، ليعطي لنفسه وجوداً إعلامياً عبر المحكمة، و ليُقدم نفسه على أنه هو صاحب المظلومية لا غيره، وكذلك أراد بإظهار المالكي، وهو يُصادق على قرار تنفيذ الإعدام أنه صاحب الانقلاب أو الثَّورة، هذا ما جال بحساباته على أغلب الظن. وتناقلت الأخبار بأن الشَّاهد، الذي أوتي به إلى المحكمة، وكان يبلغ 14 عاماً عند حدوث محاولة الاغتيال (1982)، كل ذلك جرى بترتيب لإنجاح المحاكمة، وتقديمها على غيرها، مِن القضايا الكبرى الأُخر.

لو قارنا مشهد الإعدام وما علا حوله من هتافات باسم رموز شيعية، وما رافقه من ظهور عضو لجنة الادعاء العام، في القضية نفسها بالصورة والصوت محمولاً على الأكتاف هاتفاً: (منصورة يا شيعة حيدر)!- ولو قارنَّا هذا الفعل من قبل حزب الدعوة مع إعلان مسؤوليته، وهو أمر غير ثابت، عن محاولة اغتيال عدي صدام حسين لاتضح لنا أن العواطف تحرك هذا الحزب، فبدا وكأنه يبحث عن تسجيل مجد سياسي، وكأن قوافل المعدومين منه لم تكف طرحه حزباً مكافحاً ثابتاً على الأرض!

عقد حزب الدعوة، الذي يُشار إليه بالأصل، مؤتمره ببغداد في 19- 21 نيسان (أبريل) 2007، وفاز نوري المالكي برئاسة أمانته العامة، بعد أن ترأسها إبراهيم الجعفري طوال تلك الفترة. ومن المعلوم أن الحزب يُقاد من قِبل الأمانة أو القيادة العامة، وهي المسؤولة عن سير الحزب وإدارة شؤونه. وتتولى القيادة التنفيذية الشؤون

اليومية الحركية داخل الحزب. عُقد المؤتمر بوجود الحزب على رأس السُّلطة العراقية، وكان قد وصل إلى رئاسة الوزراء عن طريق الائتلاف الشِّيعي، أما جماهيرياً فلم تعد له إمكانية الحصول على ما هو عليه من دون الائتلاف، أو مواراة اسمه وراء لافتة (دولة القانون) مثلما فعل في انتخابات المحافظات (2008).

تبنى الحزب في مؤتمره الأخير جملة من القضايا، بما يتماشى مع الظرف الحالي، ما بعد المعارضة، وأوجزها باثنتين وعشرين نقطة، منها ما خص العمل بين الجماهير العراقية عامةً، من دون إعطاء الآليات التي يفتح بها الحزب أبوابه على الجميع، فهل سيخرج الحزب من إطاره المذهبي أو الدِّيني عموماً، ليستوعب الأمة العراقية مثلما ورد في قراراته الآتية:

- (إعادة صياغة مواد النظام الداخلي للحزب بما يتناسب وظرف العراق الجديد، والعمل بنظرية تنظيمية جديدة تستوعب المرحلة وتحتضن الجماهير العراقية، التي تقبل على الدعوة وتثق بمنهجها الذي يحرص على استقلال العراق، والعمل على وحدته وقوته).

- (تفعيل الجانب الإعلامي وتوسيع مساحة استخدام الآليات والوسائل القادرة على توصيل فكر الدعوة إلى الأمة العراقية بشرائحها وفئاتها المختلفة)[420].

420 البيان الختامي الصادر عن مؤتمر الحزب، والمنشور على موقع الحزب الرسمي -http://al

أما بقية القرارات فجاءت لتأكيد التزامات الحزب بتحالفاته السِّياسية، مثل تأكيده على الالتزام بالمادة (140) من الدستور العراقي، والخاصة بمدينة كركوك. ومن المعلوم أن المادة المذكورة ما زالت مثار جدل، حتى بين الكُرد أنفسهم، وقد تؤدي إلى تجزئة العراق في حال ضمها إلى إقليم كوردستان، وهو ما لا ينسجم مع تأكيد الحزب على وحدة العراق، وموقفه الواضح ضد الفيدراليات الأُخر.

ومن قراراته ما يُطمئن المرجعية الدِّينية، والتأكيد على الائتلاف الموحد، مع أنه ائتلاف يؤكد المحاصصة الطَّائفية. جاء في قراره أو توصيته (14) الآتي: (أكد المؤتمر على تبني المواقف السِّياسية الوطنية للمرجعية الدِّينية العليا، من أجل وحدة الشعب العراقي ودعم الموقف الوطني، وتأكيد الائتلاف العراقي الموحد، والحفاظ على وحدة العراق واستقلاله وسيادته)[421]. لكنه في انتخابات المحافظات المحلية نزل بائتلافه الخاص ائتلاف (دولة القانون).

جدول (1) نسبة الدعوة في البرلمان العراقي

مجموع الأعضاء	السَّنة
25	2005
54	2010

هذا، ولحزب الدعوة ذراعه العسكرية (قوات الإمام الشهيد

htm.2007-4-daawa.org/bayan/23

421 المصدر نفسه.

الصَّدر)، والتي تأسست بالأهواز من إيران، وكان يشار إليها بين 1979-1983 بأقوى وجود عسكري إسلامي في المعارضة العراقية، وله معسكر تدريب تحت اسم (الشهيد الصَّدر)، وقبل ذلك، وبإيران أيضاً، ويُذكر أن القائد العسكري اللبناني الأصل مصطفى الشُّمران[422] كان الدَّاعم القوي لتَّشكيل هذا المعسكر وإمداده، وقد تبوأ هذا الرَّجل قيادة القوات العسكرية غير النِّظامية بإيران بعد الثَّورة وخلال الحرب العِراقية الإيرانية. وهناك المجاميع العسكرية التي تسمى (جيش الغضب)[423]. ثم انتهى أمر معسكر الصَّدر (في حفل أُقيم خلال الأيام الأخيرة، التي سبقت تسليم المعسكر، وأُعلن عن استعداد منتسبي (قوات الشهيد الصَّدر) للانخراط في صفوف الحرس الثوري(الإيراني)، وقوات المجلس الأعلى)[424]. وذلك بعد أن صفى الاعتماد الإيراني على المجلس الأعلى، والقضية لها صلة قوية بدرجة الاعتقاد بولاية الفقيه.

---

422 ذكر لي مطلعون عاشوا تلك المخاضات أن الشُّمران كان مِن خُلصاء السيِّد موسى الصَّدر (اختفى اثره 1978)، وله صلات مع الإيرانيين مِن أعداء الشَّاه سابقاً، ويحب كلَّ ما يتعلق بآل الصَّدر، ومعلوم أن اسم المعسكر هو باسم محمد باقر الصَّدر زوج أخت موسى وابن عمومته. وقيل إنه تسلم مهام وزير الدِّفاع في أول وزارة شُكلت بعد الثَّورة، وله فضل في فتح جبهة عبادان ضد الجيش العراقي، وقُتل في جبهات الحرب، ويُذكر أنه قُتل مِن الجانب الإيراني، وهو يقاتل ضد الجبهة العِراقية.

423 المؤمن، سنوات الجمر، ص 326-327. وشهادة مِن أحد الإعلاميين السابقين في جريدة (الجهاد) التابعة لحزب الدَّعوة آنذاك.

424 المصدر نفسه، الهامش.

وبعد غلق معسكره بالأهواز تنفيذاً لقرار إيراني انتقل مَنْ انتقل مِن المقاتلين إلى جبال العراق، ويُذكر أن حزب الدعوة، بعد عودته إلى العراق، أعاد تشكيل هذه الميليشيا التي تحمل الاسم نفسه، وليس لنا التأكيد على وجودها مثل بقية الميليشيات فأعضاؤه ينفون ذلك. لكن هناك مَنْ أيد منهم بأن مقاتليهم التحقوا بتشكيلات الجيش الجديد والقوات الأمنية. ونقول بحذر، لعلَّ الأخبار التي أشارت إلى إعادة تشكل تلك القوات عنت ذلك الوجود القديم.

تبقى الإشارة إلى أن واجهة حزب الدعوة بين شيعة تركمان العراق هو (الاتحاد الإسلامي لتركمان العراق)، الذي تأسس أثناء حرب الكويت (آذار/مارس 1991) بإيران، وقيل فُتحت له ثلاثة مكاتب بشيراز، وقُمَّ، وأصفهان. وبعد سقوط النظام انضم إلى الائتلاف الشّيعي الذي يترأسه ويمثله في البرلمان العراقي عباس البياتي. وهنا ستجد هذه الجماعة التركمانية نفسها بين شدٍّ وحلٍّ مع الائتلاف الشّيعي بمجموعه، عندما تطرح قضية كركوك، أو ما يتعلق بإقليم كوردستان العراق، وكيف لها مسايرة الائتلاف، وحزب الدعوة جزء منه، بميلها المذهبي، والتعبير عن هواجس قوميتها التركمانية في قضية كركوك في الأقل.

جدول (2) نسبة دولة القانون(غالبيتها الدَّعوة) في المحافظات عدا إقليم كردستان:

المحافظة	إجمالي المقاعد 2009	النِّسبة
الأنبار	57	0
بابل	35	8
بغداد	29	28
البصرة	28	20
ديالى	31	2
الديوانية	28	11
ذي قار	31	13
صلاح الدِّين	28	2
كربلاء	29	9
كركوك	تأجيل	-
المثنى	26	5
ميسان	27	8
النَّجف	28	7
نينوى	37	2
واسط	28	13

كلمة ختام

يتضح مِن المراجع الكثيرة، التي تناولت تاريخ حزب الدَّعوة الإسلامية أنها جاءت مضطربة وكثرت فيها الإيماءات، والسبب على ما يبدو أن أفضلها وأقربها مِن الحوادث قد كُتبت بإيران، وتحت

سلطة ولاية الفقيه، مما حدا بها التكتم على الدور الإيراني السلبي في العديد مِن مفاصل الحركة الإسلامية، ومِن جهة ثانية أنها كُتبت والنِّظام العراقي لا زال موجوداً، مما حدا بكتابها أن يتجاوزوا ذكر العديد مِن الأسماء والحادثات أيضاً، ومِن خلال اللقاءات لمستُ كثرة التناقضات في نقل الحوادث، حسب رؤية الناقل وموقفه الآني مِن الحزب أو شخوصه، كذلك هناك مؤلفات غير حيادية لموقف أصحابها مِن هذه الجهة أو تلك.

على أية حال ارتبط نشاط حزب الدَّعوة الشديد مع فورة الثورة الإيرانية، قُبيل انتصارها وبُعيدها، صحيح أن الثورة كانت مغرية لقوى عراقية عديدة، حتى أن الحزب الشِّيوعي العراقي، وهو على أبواب توديع الجبهة (1973-1979) التي عقدها مع البعثيين، كان يأمل بنجاح الثورة الإيرانية لتحقيق تحولات على مستوى الحكم بالعراق، وكان ينقل أحداث الثورة في جريدته الرسمية والعلنية آنذاك (طريق الشعب) خلافاً لتوجهات السُّلطة، التي أغلقتها بعد نجاح الثورة بشهرين (نيسان/أبريل 1979)، إلى جانب ذلك سلوك، وموقف الحزب الشِّيوعي العراقي المعتدل تجاه سوريا، أحد أوجه الخلاف القوية، والمقوضة للجبهة الوطنية، مع حليفه البعث.

إلا أن حزب الدعوة طرح، في بداية الأمر، آية الله الخميني كولي فقيه، وذلك عبر ملهمه السَّيد محمد باقر الصَّدر (ذوبوا في الإمام الخميني...)! وأنه أخذ في تلك الفترة يتحدث عن ثورة وعن

دولة إسلامية، من دون مراعاة ظروف العراق، وقوة السُّلطة وقسوتها. لهذا حُسبت قضية الدُّجيل تعبيراً عن ولاء الحزب لإيران خصوصاً أن العراق كان في حرب ضدها، وأن إذاعة إيران قدمت خبر محاولة الاغتيال وكأنه بايحاءٍ منها. غير أن ما يسجل للحزب وقياداته أنه راجع أفكاره كثيراً، ونظر، بعد وقف الحرب العراقية الإيرانية، إلى ما قد يبعده عن العراق، فترك الساحة الإيرانية، للابتعاد عن شروط الوجود فيها والعمل السِّياسي المعارض منها.

لكن تبدل الظروف، ووجوده في أعلى مراكز الحكم، يحتاج إلى مراجعات مستمرة، وأرى أن مستقبله سيكون بالميزان إذا ما استمرت طريقته في التعامل على ما كانت عليه.

يحتاج الحزب إلى انتفاضة في داخله، تبدأ بتغيير الاسم، إذا أراد التعبير عمَّا أسماه في مؤتمره الأخير (الأمة العراقية)، لأن عنوان (الدعوة الإسلامية) عبر عن مرحلة سابقة، وهي محاولة القبض على السُّلطة، وإقامة الدَّولة الإسلامية، وهذا ما تخلى عنه الحزب عملياً، وكذلك لِما لهذا العنوان من إشارة دينية قد تقترن بدعوة الإسلام الأولى، يوم لم يكن هناك إسلام من الأساس. كما أنه بحاجة إلى انتفاضة يتحول بها إلى حزب وطني، ولا أعني بالوطنية مقابل الخيانة أو العمالة للأجنبي، بل أن ينفتح بابه لكل العراقيين، لأنه الآن حزب طائفة، وحزب تعاليم دينية.

إن الدماء التي بذلها، والجهود التي قام بها تستحق أن تسفر عن أكثر من هذا! وبالتأكيد لا يُنسى لهذا الحزب موقفه الجدير بالثناء، من وحدة العراق ومعارضة تقسيمه إلى أقاليم، لكن هذا الموقف قد يهتز، ويضعف عند تقديم طموح السُّلطة على أي طموح آخر!

ومما لا يحمد الحزب عليه، إضافة إلى ما ذكرناه من استحواذ كوادره على العديد من مرافق الدَّولة، أنه لم يبادر إلى محاسبة الفاسدين، من المحسوبين عليه، وإن كانوا من فروع أُخر، فقضية فساد وزارة التجارة لم تظهر للملأ بفضل الحزب، بل إن أعضاءه في البرلمان حاولوا مستميتين كي لا يستدعى وزير التجارة، عبد الفلاح السوداني، مع أن التهم الموجهة إلى هذه الوزارة تهم خطيرة، وهي تتعلق بغذاء وحياة النَّاس، ولا يفسر تعطيل محاسبة الوزير أو محاكمة المسؤولين الآخرين إلا وجود قضايا فساد متشابكة، وخطايا متبادلة، يخشى من فضحها.

وبطبيعة الحال، ما حصل في وزارة التجارة حصل في بقية الوزارات، لكن ليس هناك محاسبة، ولم يترجم أمين عام حزب الدعوة، وهو رئيس الوزراء، ما تعهد به بأن يكون العام 2009 عام محاربة الفساد! كذلك استمر السكوت على ما حصل في بنك الزوية بالكرادة داخل، من نهب المال العام، وقتل الحراس الثمانية، فقد كان المتورطون أفراداً محسوبين على جماعة حزبية موجودة في السُّلطة أيضاً، بحماية من نائب رئيس الجمهورية، وعثر على الأموال المنهوبة بمكتب الجريدة العائدة إلى (العدالة)، وتلك سوءة من سوءآت المحاصصة.

الفصل الخامس

العمل والوفاق الإسلاميان

منظمة العمل الإسلامي

هناك مَنْ يذهب إلى أن منظمة العمل الإسلامي تأسست العام 1967، وذلك جعل الحرب، ومثلما عُرفت بنكسة حزيران (يونيو) مِن ذلك العام، دافعاً للتأسيس. لكن أعضاءً من الجيل الثّاني أكدوا أن التأسيس كان في العام 1968[425]. ظهرت هذه المنظمة تحت اسم (الحركة الرسالية في العراق) ثم تبدل اسمها العام 1979 إلى (منظمة العمل الإسلامي)[426]. كانت البداية بلجنة سباعية، مع اعتماد السِّرية في العمل التّنظيمي تيمناً بالقول: (استعينوا في أمور دنياكم

---

425 لقاء مع أحمد الكاتب، لندن 18 شباط (فبراير) 2011. وأحمد الكاتب هو الاسم الحركي، الذي اشتهر به الشّيخ عبد الرّسول، أحد المنتمين الشّباب آنذاك للمنظمة. عمل في الإذاعة الإسلامية المعارضة ضد النّظام العِراقي بالأهواز، وعمل في التّنظيم بالكويت ثم بإيران، ولديه رسالة تكليف بالوكالة مِن السيِّد المرجع محمد الشيرازي، حسب صورة التوكيل (الكاتب، المرجعية الدينية وآفاق التّطور الإمام الشّيرازي نموذجاً، الغلاف الأخير للكتاب).

426 رؤوف، العمل الإسلامي في العراق، ص 239، عن أحمد عبد الصاحب، منظمة العمل الإسلامي، ص 8.

بالصبر والكتمان)[427]. وأول التَّسميات للمنظمة: (حركة الطَّلائع الرِّساليين)، و(الحركة المرجعية)، و(الحركة الرِّسالية). لكن ما يتذكره أحد أعضائها أن التأسيس كان باسم الحركة المرجعية[428].

ارتبط تنظيم منظمة العمل الإسلامي بالأُسرة الشِّيرازية بكربلاء، مع أن الشِّيرازيين، ومقر مرجعيتهم بكربلاء، ممثلون بالسَّيد حسن الشِّيرازي (اغتيل 1980)، وأخيه محمد الشِّيرازي (ت 2001) كانا يرفضان العمل الحزبي. يُذكر أن الأخير لم يكن يؤمن بالتَّنظيم الحزبي، وبهذا خسر مؤيديه لصالح حزب الدَّعوة بكربلاء، وسيطر الأخير على الجمعية الخيرية الإسلامية، التي أسسها الشِّيرازي في الخمسينيات مِن القرن الماضي، وتنبَّه لأهمية التَّنظيم فتأسست حركة عُرفت باسم (الحركة المرجعية)، بجهود أخيه حسن وصهره كاظم القزويني، وابن أخته السيَّد محمد تقي المدرسي، مسؤول منظمة العمل، مع اشتراط الدَّعوة إلى الالتزام بنظرية المرجعية، وأنها القيادة الشَّرعية للحركة، واختيار مَن يصلح مِن الشَّباب للعمل السِّري، ولك العام[429] 1968.

---

427 لعلَه الحديث عن الإمام جعفر الصادق: (أمر الناس بخصلتين فضيّعوهما فصاروا منها على غير شيء: الصبر والكتمان) (الكليني، الأُصول من الكافي 2، ص 222، باب الكتمان).

428 لقاء مع أحمد الكاتب، لندن 18 شباط (فبراير) 2011.

429 الكاتب، المرجعية الدِّينية الشِّيعية وآفاق التَّطور، ص 45.

وهذا ما كان يعتقده حسن الشّيرازي في أن العمل الحزبي أو السّياسي لا يبرر وجوده إلا بوصية وتوجيه من الإمام المعصوم. أي أن (الأحزاب الإسلامية تباشر القيادة الإسلامية، التي لا يجوز لأحد توليها إلا بنص صريح من المعصومين عليهم السلام! بل العمل الحزبي مطلقاً، سواء أكان روحياً أم مادياً، تصدٌّ للقيادة، والإسلام يُحرم التصدي للقيادة إلا لِمَنْ تشمله النصوص السَّابقة بأن يكون نبياً أو وصياً أو مرجعياً)[430].

وما نراه برفض تسمية الحزب، للمبررات المذكورة، ما هو إلا التظاهر بالالتزام بالثوابت، وتحايل عليها في الوقت نفسه، وهذا يشبه إلى حد كبير مواجهة رجال الدّين لإجراءات اجتماعية واقتصادية مفيدة للشعب، مثلما هي الإجراءات التي أعلن عنها شاه إيران، من مشاركة النّساء في الانتخابات، وتوزيع الأراضي على المزارعين، وتثبيت حصص للعمل في المعامل والمصانع وغيرها، بينما تجدهم يتبنونها بعد الإمساك بالسُّلطة.

حدث مثل هذا بإيران، عندما عارض رجال الدّين، وآية الله الخميني أحدهم، إعلان الثورة البيضاء العام 1962 من قِبل الشاه (ت 1980) الذي نصَّ على توزيع الأراضي على الفلاحين، والتقليل من سطوة الإقطاعيين بتأميم الغابات والمراعي، والتقليل من سطوة

---

430 المصدر نفسه، ص 248 عن حسن الشيرازي، كلمة الإسلام، ص 112.

الرأسماليين بتمليك العمال أسهماً في المصانع، ومشاركة النساء في الانتخابات، حتى أنهم شعروا بالتلكؤ والحرج من تلك المعارضة، التي قد تجد مَنْ يؤيدها[431]. ولم تعمل الثورة أكثر من هذا، لكن المعارضين يرون أن الشاه أراد من ثورته البيضاء الاستمرار في الحكم وتلطيف عهده بإنجازات اجتماعية.

إلا أن المبرر المقبول والواقعي هو أن الشّيرازيين لا يريدون التفريط بالمرجعية الدّينية، التي ليس من تقاليدها العمل السّياسي، ومن جانب آخر يرون في النشاط السّياسي، عبر التنظيم الحزبي، الذي أخذ يدخله رجال الدّين ويتنافسون على قيادته والتصدي له، ما يلبي الطموح بقيام نظام حكم إسلامي ينشدونه، مع عدم التفريط بالمرجعية. ومعلوم أن السيدين محمد وحسن الشّيرازي هما ولدا المرجع مهدي الشّيرازي(ت 1960)، الذي يُذكر أنه كان بكربلاء بمكانة مراجع النَّجف الكبار، لكنه لم يتطلع إلى المرجعية العليا[432].

وبخلاف المرجعيات المعروفة بالنَّجف وقم كانت المرجعية الشّيرازية وراثية، شأنها في ذلك شأن المرجعية الخالصية، والشَّيخية، فقد قُرأت وصيته على الجمهور: (يكون خلفه الأرشد سماحة حجة الإسلام والمسلمين السَّيد محمد الشّيرازي وصيه في كافة

---

431 رفسنجاني، حياتي، ص 61 وما بعدها.

432 الكاتب، المرجعية الدّينية الشّيعية وآفاق التَّطور، ص 40.

شؤونه)[433]. وبهذا أمسى الشّيرازي موازياً في المرتبة لكبار مِن آيات الله العظام. لكنه امتاز بالبشاشة وفن جمع النَّاس حوله، وأخذ يُدافع عن الشَّعائر الحسينية، وجهز وقاد مواكب التَّطبير(ضرب الرؤوس بالسُّيوف والقامات) باسم حوزته، معتبراً القضاء على الشَّعائر مِن أهداف المستعمر[434]. كذلك يُذكر أنه مِن القائلين بولاية الفقيه ودور المرجعية الدِّينية، وهو ما اختلف به مع حزب الدَّعوة، الذي كان يؤمن بنظرية الشُّورى. وأن الخلاف مع حزب الدَّعوة قد ازداد بعد تولي السيَّد محمد هادي السُّبيتي لشؤون الحزب، وذلك العام 1964 خلفاً لمرتضى العسكري (ت 2007)[435]. ولعل هذا ما يزيل الاستغراب مِن انتماء السيَّد العسكري إلى حزب التَّضامن الوطني، الذي تأسس عام 1965 بزعامة الشَّيخ محمد رضا الشّبيبي(ت 1965)، ومع علمانيين مِن العسكريين[436]، فيصعب الانتماء وهو على الذِّمة حزب مثل حزب الدَّعوة إن صحت العبارة.

على أية حال، اغتيل أخو المرجع محمد الشّيرازي ببيروت، واتهمت أجهزة النِّظام العراقي السَّابق(1980)، وأعدم السيَّد محمد باقر الصَّدر فزاده هذا تصميماً على معارضة النِّظام، وكان مِن أشد الرَّافضين لوقف الحرب العراقية الإيرانية حتى تسفر عن سقوط

433 المصدر نفسه.

434 المصدر نفسه، ص 42.

435 المصدر نفسه، 58.

436 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 121.

النِّظام وإقامة الدَّولة الإسلامية بالعراق، رافعاً شعار (لا صلح مع البعث)[437]. لكنه ربما بعد يأس عاد يتحدث (1982) في مجالسه عن ضرورة وقف تلك الحرب، ولم يعلن ذلك خشية مِن الاصتدام بآية الله الخميني، الذي كان يرفض وقفها[438]. وتزامنت دعوته إلى الثَّورة العسكرية بإعلان تشكيل (الجيش الثَّوري الإسلامي لتحرير العِراق) بطهران، مِن قِبل: حزب الدَّعوة، ومنظمة العمل الإسلامية، وحركة المجاهدين (جماعة عبد العزيز الحكيم) وجند الإمام(الجماعة المنشقة عن حزب الدَّعوة مبكراً)[439]. كان يدعو إلى الثَّورة العسكرية مع تشدده برفض الانقلاب العسكري، فقد أرادها ثورة إسلامية بالعراق على غرار ثورة إيران[440]. حسب له آية الخميني موقف الإيجابي منه وهو بالنَّجف، فلما وصل إيران إثر الثَّورة الإسلامية، بعد ترك العِراق 1971 والمكوث بالكويت تسعة أعوام، قرر الخميني تقديراً له، زيارته بداره، وعرض عليه إمام الجمعة بالأهواز، إلا أنه كان يعتبر نفسه نظيراً له[441].

437 الكاتب، المرجعية الدِّينية الشِّيعية وآفاق التَّطور، ص 135 عن بيان للشيرازي مؤرخ في 20 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 1400هـ الموافق 30 أيلول (سبتمبر) 1980، بداية نشوب الحرب بين البلدين.

438 المصدر نفسه، ص 137.

439 المصدر نفسه، ص 132.

440 المصدر نفسه، ص 130.

441 المصدر نفسه، ص 127.

مع مظاهر الابتعاد عن العمل الحزبي، وبالتالي العمل السِّياسي، نقرأ للسيد محمد الحسيني الشيرازي(ت 2001)، وهو أحد الأعمدة التي شيدت بعونها وباسمها منظمة العمل الإسلامي، تأكيده على اضطلاع العالم الدِّيني بالعلم السِّياسي، ومبرره في الابتعاد عن نشوء الأحزاب قوله: إن (الحزب إذا كان مقدمة البرلمان، الذي يحكم حسب الآراء والأهواء كان حراماً) [442]. وهو يشترط إباحة العمل الحزبي بما يضمن هيمنة رجل الدِّين، الذي يسميه بالفقيه العادل. قال: (يُحرم الحزب إذا كان سبباً (لفرض) أزمة سياسية في البلاد من دون الانضواء تحت لواء الفقيه العادل الجامع للشرائط، إذ الإسلام قرر الولاية لله سبحانه ثم الرَّسول (ص)، ثم الإمام (ع)، ثم الفقيه هو نائبهم) [443].

ولا يجوِّز آية الله محمد الشيرازي سوى عمل الأحزاب الإسلامية في الساحة السِّياسية، والمشروطة طبعاً بقيادة الفقيه العادل المكتمل الشرائط، على حد عبارته، وهي ولاية الفقيه تماماً. ومبرره إلى ذلك أن (الإسلام دين بُني على العقيدة الصحيحة، والشريعة المدعمة بالأدلة، وليس من الصحيح إجازة الصحيح للغلط، والمستقيم للمنحرف. أما الصغرى فقد استدل لها في الكتب الاعتقادية. وأما الكبرى فلوضوح الانحراف في العقيدة ينتهي الانحراف في العمل،

---

442 الشيرازي، كتاب السياسة 2 ص 117.

443 المصدر نفسه.

والانحراف في العمل معناه هدم الحياة، فإجازة الحزب غير الصحيح مثل إجازة التحزب للصوص والقتلة. أما الانحراف في العقيدة ينتهي إلى الانحراف في العمل فلأن العمل تابع للعقيدة)[444].

لا ندري، وفقاً لهذا الرأي لو تسلمت منظمة العمل الإسلامي السُّلطة، عبر المنافسة الدِّيمقراطية، هل تحقق ما ذهب إليه مراجعها الكبار! في إلغاء الحياة الحزبية والبرلمانية واقتصارها على الأحزاب الإسلامية فحسب، والتي تتقيد بوصايا الفقيه المكتمل الشرائط؟ وربما كانت تلك الآراء خلفية لتجربة الثورة الإيرانية، إذ بعدما أوصلت الأحزاب والمنظمات والشخصيات السِّياسية علماء الدِّين إلى دفة السُّلطة، عبر تحريك الشارع الإيراني، والمساهمة الفعالة بتفجير الثورة، ومنها حزب تودة، الحزب الشّيوعي الإيراني، ومنظمة مجاهدي خلق، والشخصيات الليبرالية الوطنية، تنكر لها آية الله الخميني (ت 1989) وجماعته، بل أقدم على إلغاء الأحزاب كافة.

فالأمر ليس كما حاول السَّيد الشّيرازي إظهاره عن طريق مقولة (الفرقة النَّاجية)، أو الحزب الناجي، بل لتكريس تقليد احتكار السُّلطة عبر احتكار الدِّيمقراطية بين القوى الإسلامية برعاية الفقيه (العادل)، كأسوأ حالات الدكتاتورية، وهو الجمع بين الاستبدادين: السِّياسي والدِّيني[445].

---

444 المصدر نفسه 2 ص 124-125.

445 أورد الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) تحليلاً للاستبداد وأنواعه، وأطلق=

وحسب التجربة الإسلامية الإيرانية، فإن الشُّورى لا تتحقق عن طريق العمل الحزبي والمنافسة السِّياسية عبر البرامج الانتخابية، بل هي شورى الأمة بتوجيه المرجعية والفقهاء. وكي لا يؤاخذ الخميني على إتاحة الفرصة لحزبه الجمهوري الإسلامي، الذي أشرف على تأسيسه آية الله بهشتي (قُتل 1981) قام بحل هذا الحزب، وتحولت المنافسة البرلمانية بين الإسلاميين أنفسهم: محافظين وإصلاحيين فحسب.

وضمنياً، فإن القيادة الفقهية العادلة، التي أشار إلى تفردها في السُّلطة محمد الشيرازي هي الممثلة الشرعية لـ(قيادة السماء)، تلك التي أعلن عنها خطيب الجمعة في الصحن الكاظمي أثناء صلاة ذلك اليوم، وبُثت حيَّة من على شاشات الفضائيات (3 تشرين الثَّاني/ نوفمبر- 2006) بقوله: (مَنْ عصى محمد محمد صادق الصَّدر عصى النبي محمد، ومَنْ عصى النبي محمد عصى الله). وبالنسبة لهؤلاء، وحسب نظرية الشيرازي، فإن الصَّدر هو الفقيه العادل المكتمل الشرائط!

=تحذيراً من السُّلطة المطلقة، التي تجمع عادة بين سلطتي الدِّين والدنيا، منتقداً الاستبداديين بشدة، مثلما تقدم في الفصل الأول. لكنه لم يتحدث عن دستور، بقدر ما تحدث عن الشورى والعدل، وهذا امتداد لِما جاء من ربط بين الظلم وانهيار السلطان والعمران. وبهذا كان النائيني أول فاتح للتنظير في الدَّولة الدستورية من بين علماء الدِّين المسلمين بالشرق، أعني الإقرار بوثيقة دستورية تحتكم إليها الرعية، ولا يتجاوزها الراعي (تنبيه الأمة وتنزيه الملة).

ولا أجد في ما قرأناه لدى آية الله محمد الشيرازي سوى الجمع بين الاستبدادين، السّياسي والدّيني، والحجر على الآراء المخالفة لرأيه، والذي يجعل رأي الفقيه وأمره من رأي الله وأمره. بينما يرفض عالم دين آخر، من طراز الشَّيخ عبد الرحمن الكواكبي (ت 1902)، ومن طراز النموذج الشّيعي، الشيخ المرجع في زمانه محمد حسين النائيني (ت 1936) هذا الحكم، قائلاً: (الخلاص من الاستعباد السّياسي قابل للتحقق، إذا التفت الشعب إلى حقيقة حاله، وتنبه إلى إمكانية التحرر من قيوده. وعلى العكس فإن التخلص من الاستبداد الدّيني أشد صعوبة بالنظر إلى فاعلية السيطرة على القلوب. فإذا كان هذا سنداً وحافظاً للاستبداد السّياسي فإن الخلاص من قهر الطواغيت يصبح هو الآخر شديد الصعوبة، إذ إنه لا يتحقق قبل الخلاص من الاستبداد الدّيني)[446].

لكن بعد حين نجد الزَّعيم الفعلي المنظمة السيَّد محمد تقي المدرسي يُقارب بين الشُّورى والدّيمقراطية، ويصرح بالالتزام بالدّيمقراطية والتعددية، حينما قال عِقب انتفاضة آذار 1991 راداً على سؤال في هذا الصَّدد: (التَّيار الإسلامي بذاته ينبعث مِن القرآن والسُّنَّة النَّبوية، وهو يلتزم في ضمنه بفكرة الشُّورى كنظام. التعددية والدّيمقراطية والشُّورية كلمات متقاربة، ونحن ملتزمون بها)[447].

---

446 نص الرّسالة، مجلة الموسم، العدد الخامس، المجلد الثَّاني 1990.

447 المدرسي، الانتفاضة الشَّعبية في العراق، ص 60 -61.

لم يعد للسيِّد الشِّيرازي أي دور في منظمة العمل، بعد أن تولاها محمد تقي المدرسي، وكان يسمى بالمدير[448]. صحيح، أن هناك فروقاً ما بين المنظمة والحزب، فمِنْ غير التسمية، يأتي المدلول، فالمنظمة، لا تعني دائماً أن عملها عمل سياسي، فيتسع مدلولها إلى ما لا يتسع له الحزب من شأن اجتماعي وإنساني، في شتى المجالات، برنامجها ونظامها الداخلي بحدود عملها المهني! لكن التَّداخل بين الحزب والمنظمة يأتي عندما يكون عمل المنظمة عملاً سياسياً، فهنا تنشأ الازدواجية، فمثلما هو الحزب السِّياسي للمنظمة السِّياسي هيكل تنظيمي يتألف من: المؤتمر العام، والمجلس التنفيذي، ومجلس الشورى، وهدف السُّلطة أو إسقاط نظام من الأنظمة. ويغلب على الظن أن هذا التحايل، في عدم القبول بالعمل الحزبي وممارسته، لم تنجح فيه المرجعية الشيرازية إلا من ناحية الاسم وحسب!

وحينما سُئل أحد أعضاء منظمة العمل الإسلامي القدماء عن أسباب عدم الانخراط في تنظيم حزب (الدَّعوة)، قال: (نخبوية كادره، واستخدام كلمة حزب)! مع علمنا أن تسمية التنظيم استخدمت أيضاً من قبل جماعة يسارية لبنانية، انبثقت من حركة القوميين العرب، وهي منظمة (العمل الشِّيوعي) بزعامة محسن إبراهيم، موازية للحزب الشِّيوعي اللبناني. تلك شيوعية وهذه إسلامية! بمعنى لا مفر من الحزبية ولا جديد في التسمية، فالحزب والمنظمة سواء إذا

---

448 لقاء خاص بأحمد الكاتب، بندن 18 شباط (فبراير) 2011.

كان الشأن شأناً سياسيا! قبل في التَّعامل مع أحزاب غير إسلامية، ومنها الحزب الشُّيوعي العراقي، محتجاً بالتأثير الذي تركته تجربة البيروسترويكا السوفياتية، حيث الاعتراف بالتعددية، وقبل بالدور الذي يقوم به المتدينون[449]. وأشار المدرسي أيضاً إلى استعداد منظمته بقبول العمل مع البعثيين، باستثناء العناصر التي تورطت بدماء النَّاس، فأولئك يحاكمون، وأن المعارضة العِراقية تعاملت مع حزب البعث العراقي بسوريا (في عمل مشترك)[450].

كذلك طمأن المدرسي الدول الغربية، التي كانت تحجم عن التعاون على إسقاط نظام صدام حسين لمخاوفها مِن قيام نظام إسلامي محله، فقال: (لأن العراق يختلف تماماً عن إيران، فسكان العِراق مؤلفون مِن فئات مختلفة... وأوضاع العِراق مرتبة بحيث لا تسمح بقيام جمهورية إسلامية تستحق أن يخشاها الغرب، ويعتريه القلق ازاءها)[451]. بل نجده يأخذ مِن النظام السويسري مثالاً لإقامته بالعراق (وتعتبر سويسرا مثالاً جيداً لتجانس القوميات، فعلى رغم تعدد قومياتها إلا أنه لم يؤثر على استقلال بعض القوميات)[452]. فالنِّظام المثالي، حسب المدرسي، (هو الذي يحترم الأقلية، حينما يكون

---

449 المدرسي، الانتفاضة الشَّعبية في العراق، ص 60.

450 المصدر نفسه، ص 40.

451 المصدر نفسه، ص 26.

452 المصدر نفسه، ص 109.

الضعيف محترماً في بلده فنظامه هو النّظام المثالي)[453]. والمدرسي إذ يستبعد قيام نظام إسلامي، على شاكلة إيران، نجده يميز تنظيمه عن التنظيمات الإسلامية الأخر وهو الانطلاق من منهجية مستقلة (عن العلاقة الوثيقة مع الجمهورية الإسلامية)[454]، جاء ذلك في رده على سؤال، بماذا يختلف تنظيمه عن المجلس الأعلى جماعة الحكيم!

ركزت منظمة العمل الإسلامي على الشعائر الحسينية، حيث الانتشار الواسع والوسيلة الدعائية الجاهزة، وفي التسميات السّابقة الذكر، والتركيز على تأدية الشعائر الحسينية، ما يلبي مرضاة السادة الشيرازيين، فهم بشكل عام يبالغون في تلك الشعائر، ويريدون دوراً لمرجعيتهم في المنظمة. وقد أنشأت المنظمة عدة فروع لها، فماعدا العراق: البحرين، والكويت، والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية. بيد أنه بعد الثورة الإيرانية (1979) استقلت تلك الفروع عن الأصل بالعراق، وسميت بالبحرين الجبهة الإسلامية، وبالسعودية منظمة الثورة الإسلامية (يمثلها الشّيخ حسن الصفار)، أما الأصل فأصبح منظمة العمل الإسلامي[455].

تبدل اسم الحركة، العام 1979، إلى منظمة العمل الإسلامي بالعراق، وتعاملت بين التّاريخين بأسماء مستعارة، للكيان لا للأفراد،

---

453 المصدر نفسه، ص 79.

454 المصدر نفسه، ص 42 - 43.

455 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 253 عن لقاء مع أحد كوادر التنظيم.

للتمويه عن أنظار دوائر الأمن: الحركة الرِّسالية، حركة الطلائعيين، المدرسة، الحركة المرجعية. وفي العام 1975 شرعت المنظمة بتشكيل جناحها العسكري، واعتمدت أسلوب الاغتيالات طريقاً في جهادها، وكانت البداية في العاشر من عاشوراء (1979) عندما هاجم أحد أعضائها، المدعو طالب كريم علوان العليلي، وكانت سنه آنذاك سبعة وعشرين عاماً، موقعاً بكربلاء، قُتل فيه نوري السمرمد، المحسوب على النظام آنذاك[456].

ومنذ ذلك التَّاريخ أخذت بالتدريب على استعمال المتفجرات والألغام، بالمناطق النائية من العراق، وبمعسكرات التدريب المسلحة المتاحة آنذاك بلبنان، عبر جماعات إيرانية. وقد أعلنت مسؤوليتها عن التفجير، الذي طال الجامعة المستنصرية (1 نيسان/أبريل 1980)، واستهدف مسؤولاً بعثياً كبيراً، وهو طارق عزيز، أثناء افتتاحه لمؤتمر طلابي!. يذكر أحمد الكاتب أن العملية تبنتها المنظمة، لكن ما يخص الكر على موكب الجنائز في اليوم الآخر سمعنا أنه كان مدبراً مِن قبل أجهزة الأمن العِراقية[457].

في ما بعد، اعترفت كوادر مِن المنظمة بأنها كانت وراء إيغال النظام العراقي بالدِّماء، وشراسته ضدها والقوى المناهضة له، وعلى

---

456 جريدة المؤتمر، العدد 89 المؤرخ في 3 شباط (فبراير) 1995 لقاء مع عضو المكتب السِّياسي نزار حيدر. لقاء خاص مع أحمد الكاتب، لندن 18 شباط (فبراير) 2011.

457 لقاء خاص بأحمد الكاتب، لندن 18 شباط (فبراير) 2011.

وجه الخصوص بعد قيام الدَّولة الإسلامية بإيران، وتسارع العمل الإسلامي ضده بدعم منها. ومعلوم، أن القوى الإسلامية أخذت تتنافس في ما بينها للإعلان عن مسؤوليتها في التَّفجيرات ضد ذلك النظام. قال عضو المنظمة: (إن المنظمة هي التي خططت ونفذت عمليتي المستنصرية في محاولة اغتيال طارق عزيز، ثم قمنا بإطلاق النَّار على مسيرة الجنائز... لكنها ارتكبت خطأً، إذ تكشف لها أمر خطير غير متوقع، وغير محسوب، وهو أن النظام بعد الحادث أوغل في الدماء والقمع والتهجير، وطالت يداه العلماء والشهيد الصَّدر)[458].

كان منفذ عملية الجامعة المستنصرية شاباً عراقياً (نيسان/ أبريل 1980) من الكُرد الفيليين اسمه سمير نور علي. حدثني قريبه، ابن خالته وهو مِن الكُرد الفيليين أيضاً، بلقاء معه بلندن أنه لما جرى تفتيش داره وجدوا لديه كتاب (الماركسية وحرب العصابات)، وعرضوا كتب ماركسية أخرى في صحيفة الجمهورية وغيرها من مقتنيات مكتبته، عندما أذيعت أخبار الحادث. ونشرت صورته جريدة (الجمهورية) بلباسه الكُردي مع إشارة إليه بأنه إيراني الجنسية. كان أهله من الميسورين، لديهم محلات تجارية بسوق الشورجة. وقد قُتل في الحادث عند مهاجمة الحفل الطلابي، الذي حضره طارق عزيز، وسُفر أهله بعد العملية، وكان عند تنفيذ العملية يحمل قنبلةً ومسدساً، وهو من طلبة الجامعة. ويرى قريبه، الذي رفض ذكر اسمه، أنه لم

458 العجلي، الخريطة السِّياسية للمعارضة العراقية، ص 153.

يكن من القوى الدِّينية، ولم يكن متديناً شخصياً، بل إن الصحف عرضت حينها ما وجد بداره مِن كتب ماركسية.

إلا أن منظمة العمل الإسلامية كانت أول مَنْ أعلنت مسؤليتها عن الحادث، وفي الوقت الذي ادعت أحزاب وجماعات أُخر التنفيذ، كان عمر سمير عند الحادث حوالى 22 عاماً. ولعلَّ أمر تلك العملية جرى بتنسيق وتجهيز، لكن يصعب تحديد مسؤولية أي تنظيم عنها، وهي تشبه إلى حد بعيد محاولة اغتيال عدي صدام حسين، التي تبناها أكثر من حزب، وجماعة معارضة، وقد أوردنا التفاصيل في محلها. ومن جانب السُّلطة العراقية قابلت ذلك التوجه المغامر باغتيال مرشدها السَّيد حسن الشيرازي ببيروت، السَّنة 1980، بعد الحكم عليه بالإعدام من قِبل السُّلطة العراقية، وكذلك بإعدام محمد باقر الصَّدر، بعد حادث المستنصرية بأيام قلائل.

اللافت للنظر، قيل كان قائد ومسؤول منظمة العمل السَّيد محمد تقي المدرسي أحد (خمسة قادة أسسوا الحرس الثوري بإيران)[459]. لكن أحمد الكاتب، وهو أحد الكوادر الموجودة بإيران آنذاك والفاعلة في المنظمة، يصحح تلك المعلومة بأن الجيش الذي شارك في تأسيسه المدرسي كمدير لمنظمة العمل هو الجيش الإسلامي الثَّوري لتحرير العِراق، المار ذكره، وهو بطبيعة الحال كان تحت إشراف السُّلطة الإيرانية[460].

---

459 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 286، عن مجلة الشراع.

460 لقاء خاص بأحمد الكاتب، لندن 18 شباط (فبراير) 2011.

من المعلوم أن كل حزب وحركة لها هدف سياسي، ألا وهو استلام السُّلطة، وإقامة النظام المرجو! وهذا ما دخل لأجله السَّيد محمد باقر الصَّدر(أعدم 1980) إلى حزب الدَّعوة الإسلامية، وما أخرجه منه في الوقت نفسه، وذلك عندما لاحت له شرعية العمل السِّياسي وإقامة الدَّولة مع غيبة الإمام المهدي المنتظر(القرن الثَّالث الهجري/ العاشر الميلادي)، وخرج منه عندما راجع قناعاته بعدم وجود شرعية لتلك الدَّولة.

ولا ندري، كيف اندفع السَّيد الصَّدر بتأييد الدَّولة الإسلامية الإيرانية، وإعلان الهدف بإمامة دولة إسلامية بالعراق! إذا كان رأيه مثلما تقدم. ولا يغيب عن البال أن الثَّورة بإيران، التي تنكر آيات الله لبقية القوى المشاركة فيها، وملاحقتهم والقضاء عليهم بالقوة، وقيام نظام ديني، دفعت القوى الإسلامية العاملة في الساحة العراقية إلى الغرور والمضي بمواجهة النظام، من دون تقدير قوته، ودراسة الفروق بين الحالة الإيرانية والحال العراقية.

كذلك حددت منظمة العمل الإسلامي هدفها بإقامة دولة إسلامية، وقرب لها نجاح الثورة الإيرانية فكرة تحقيق الهدف. وهذا ما ذهب إليه تقرير مؤتمر حزب السُّلطة (1982): إن ظروف انتصار الثورة الإيرانية الإسلامية (شجعت الأوساط الدِّينية- السياسة في العراق)[461].

---

461 التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران(يونيو) 1982 ص 297.

وبالتحليل نفسه، قال أحد أعضاء منظمة العمل الإسلامي: (كنا نطرح قبل انتصار الثورة الإسلامية بإيران مشروع إقامة دولة إسلامية، وإسقاط النظام وتغييره جذرياً، وتبديل كل الأسس والبنى، وقد قربت لنا الثورة بإيران إمكانية تحقيق هذا الحلم وتطبيقه، ولكن بعد اندلاع الحرب بين العراق وإيران عام 1980، وانتهاء الحرب عام 1988، وبسبب الظروف المستجدة، التي أحاطت بالحركة الإسلامية، فرضت علينا نمطاً جديداً في التفكير كالانفتاح على أطراف غير إسلامية، وأخرى غير عربية)[462]. والمقصود هنا الأحزاب القومية والعلمانية عموماً والأحزاب الكُردية.

ولا يغرب عن البال، أن المقصود بالنَّمط الجديد من التفكير هو إبعاد فكرة إقامة دولة دينية، فليس هناك من قوى غير إسلامية، بل ودولية، توافق على المضي في التَّعاون مع المنظمة وفق أهدافها! كذلك، إن الدِّيمقراطية، أو الإقرار بالعملية الانتخابية، مثلما شاركت بها منظمة العمل، ولم تتمكن من دخول البرلمان العراقي حتى بعضو واحد، هو تحصيل حاصل، وليس من أفكارها، بل هو استبعاد لأفكار مرشديها الأوائل مثل السَّيد محمد الشيرازي، ورأيه السلبي المتقدم في الأحزاب والدِّيمقراطية غير المقيدة بولاية الفقيه العادل.

---

462 العجلي، الخريطة السِّياسية للمعارضة العراقية، ص 152، مقابلة مع أبي أمير محمد جواد تقي، حول نشاطه في المجلس الإسلامي الأعلى بالعراق.

فما بدأت تطرحه أواسط التسعينيات، من القرن الماضي، مع تمسكها بالبديل الإسلامي، إقرار مبدأ تداول السُّلطة عبر انتخابات حرة، وإطلاق حريات العمل السِّياسي، وحرية الصحافة والنشر، واحترام حقوق الإنسان، والحكم بظل الدستور والمؤسسات التشريعية، وقبول نظام حكم الأغلبية[463]، وبهذه المبادئ دخلت إلى المؤتمر الوطني العراقي الموحد، حتى أصبحت جزءاً منه إلى حين انسحابها وانسحاب معظم مكوناته آنذاك.

أمام أعمال العنف التي تبنتها المنظمة، يحق للباحث المحايد التساؤل الآتي: لو كانت الدَّولة دولة منظمة العمل الإسلامي، فما هو موقفها من تلك الأعمال، ومما تصفه بملاحقة الجنائز- قتلى تفجير الجامعة المستنصرية- لقتل المشيعين، وكم بينهم من الأبرياء من ذوي المقتولين؟! وهل يمكن تبرير الاغتيالات التي طالت المسؤولين العراقيين من الإسلاميين؟ إنها معادلة صعبة الفهم للذي يتابع ما جرى بعد سقوط النظام، وكيف تحولت السُّلطة بغمضة عين إلى مقاومة، والمقاومة تحولت إلى سلطة! وكيف جرى تبادل الأدوار!

يختلف تقييم استخدام القوة بين أحوال المعارضة وأحوال السُّلطة! الواضح من صراحة أبي أمير محمد جواد تقي، عضو المنظمة السابق، والذي تركها إلى المجلس الإسلامي الأعلى ليكون قيادياً فيه،

---

463 جريدة المؤتمر، العدد 89 المؤرخ في 3 شباط (فبراير) 1995.

أن المنظمة، والجماعات التي استخدمت القوة، كانت غير مدركة للعواقب الوخيمة، وبالتالي هي أعمال قادها إليها الغرور بانتصار الثورة الإسلامية. لكن صراحته لم تجعله يكشف التَّعاون الإيراني مع المنظمة، ذلك إذا صحت المعلومة السالفة الذكر، بأن أمينها العام المدرسي كان أحد بناة الجيش الثوري الإيراني!

وإن حصل ذلك، فهناك مواقف استجدت في قيادة المنظمة، تجاه العمل المعارض ضد النظَّام العراقي آنذاك، ومحاولة التخفيف من الهيمنة الإيرانية على فصائل هذا العمل، بل إن المنظمة وجدت نفسها منافساً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، عندما قدم أمينها العام السَّيد محمد تقي المدرسي، اعتراضه في لجنة الإعداد لمؤتمر (نصرة الشعب العراقي)، المنعقد بطهران، تحت إشراف الحومة الإيرانية، في 25 كانون الأول (ديسمبر) 1987، عدم تمثيل فصائل العمل الوطني العراقي كافة، حيث استبعد الحزب الشّيوعي العراقي، والحزب الشّيوعي الكُردستاني، وحزب البعث قيادة فرع العراق، كذلك أراد أن لا يظهر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق هو (البديل الشرعي الوحيد للنّظَام العراقي بعد الإطاحة به)[464].

اشترك في ذلك المؤتمر من غير منظمة العمل الإسلامي، والمجلس الأعلى ومكوناته آنذاك: حزب الدَّعوة، وحزب الله في

464 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 61 62

العراق، وحزب الله الكُردستاني، واشترك من الإسلاميين العراقيين من ذوي التنظيمات الصَّغيرة: منظمة العمل الإسلامي، وجمعية أهل البيت، وجمعية علماء العراق المناضلين، واتحاد الطلبة المسلمين في العراق، وجمعية أطباء ومهندسي العراق المسلمين، كذلك اشترك من غير العرب: الحزب الديمقراطي الكُردستاني، والاتحاد الوطني الكُردستاني، وعندها اعترض الدكتور فؤاد معصوم، ممثل الاتحاد الوطني الكُردستاني والسَّيد محمد متقي مدرسي، أمين عام منظمة العمل الإسلامي على أمرين، هما: وجود إيرانيين على رأس اللجان المنبثقة عن المؤتمر، وعلى تسليم نيابة الرئاسة في اللجان الخمس لأعضاء المجلس الأعلى[465].

أخيراً، انتهت منظمة العمل الإسلامي إلى الإيمان بالديمقراطية على قاعدة (مكره أخاك لا بطل)، مثل العديد من الأحزاب العراقية الإسلامية والعلمانية، وتبادل السُّلطة. وانتقلت، شأنها شأن القوى الإسلامية الأخرى، من إيران إلى العراق بعد سقوط النظام عشية (9 نيسان/أبريل 2003)، وعادت إلى مضاربها الأولى مدينة كربلاء، لكنها لم تجد تلك الحظوة التي كانت لها، وربما حصلت على مقعد أو مقعدين في مجلس المدينة، لكن المنافسين تكاثروا وكثر أتباعهم على حسابها.

كذلك دخلت المنظمة في انتخابات 2004 ضمن الائتلاف

465 المصدر نفسه، ص 65.

الموحد (الشّيعي)، ثم خاضت انتخابات العام 2005، التي تشكلت على أثرها الجمعية الوطنية الدائمة والحكومة الدائمة، بمفردها، ولم تحصل على الأصوات التي تؤهلها لدخول البرلمان، ولم يسمع لها صوت في الاستعداد لخوض الانتخابات الثّالثة (2010). أما على مستوى المرجعية الدّينية فلم تسبق لسادتها تلك المنزلة، لكن للمؤسسة الشيرازية عموماً فروعاً عديدة في العالم الإسلامي الشّيعي، وهي لم تترك تميزها وتفردها في الغلو، إلى حد كبير، بممارسة الشعائر الحسينية.

أما سياسياً، فلا يبدو للمنظمة مستقبل بمستوى طموحها، لا الثوري السابق ولا الديمقراطي اللاحق، إنما ستبقى مؤسسة دينية ضمن المؤسسة الشيرازية عامةً، وتلك تأثرت كثيراً بوفاة آخر الكبار وهو آية الله محمد الحسيني الشيرازي (2001)، صاحب التفسير: (تقريب القرآن إلى الأذهان)، والموسوعة الفقهية!

الوفاق الإسلامي

في آخر مؤتمر للمعارضة العراقية، وقُبيل سقوط دولة البعث، بلندن (14 -16 كانون الأول/ديسمبر 2002)، لفتت انتباهي العقلانية في خطاب رجل دين، يعتمر العِمامة البيضاء، الدالةِ على أنه ليس من سلالة الرَّسول، إذا ما قيس بتشدد الخطابات التي أُلقيت من على منصة المؤتمر، تجاه رأس النّظام السّابق وحزب البعث عامة، على أن هذا المؤتمر ومن بعده الحرب فسقوط النّظام، وهنا لابد من

تهيئة النفوس للصفح والعمل بأقل ضغينة وإراقة دماء.

قال الشَّيخ جمال الوكيل، أمين حركة الوفاق الإسلامي، وسط أصوات انطلقت محتجة على ما ذهب إليه: (لا نريد مزيداً من الدماء، وليشمل العفو الجميع، بعد سقوط النظام، بمن فيهم صدام حسين (أُعدم أواخر كانون الأول/ديسمبر 2006 ليلة عيد الأضحى وأعياد رأس السَّنة الميلادية)، فالرَّسول عفا عن أبي سفيان، وغيره من الذين حاربوه ونكلوا به) (سمعت الخطاب من قاعة المؤتمر). وما أن قال: اسم صدام حسين وأردفه بأبي سفيان حتى علت الأصوات والهمهمات: (ماذا فعل أبو سفيان، حتى يُقرن به صدام حسين)؟!

وهنا تجاوز معممون ومتدينون من الأحزاب، والقوى الشِّيعية، تقليداً مذهبياً صارماً في شأن آل أمية وأبي سفيان، والد معاوية العدو التَّاريخي للشيعة، وجدَّ يزيد قاتل الإمام الحسين بن علي (61هـ 680 ميلادية)، ومسبب الحزن الشِّيعي السَّنوي (عاشوراء). فتأمل إلى أي مدى كان يُخشى من دورة انتقام؟! ويبدو ما دعا إليه الشَّيخ الوكيل كان مطروحاً على لسان مرجعه آية الله محمد الشِّيرازي، فكان الأخير يطرح (شعار العفو والتَّسامح وانتقد العنف، وكان في البداية يشكك في أسلوب غاندي في اللاعنف، إلا أنه عاد بعد فترة ليؤكد على اللاعنف واعتماد السِّلم في العمل كاستراتيجية ثابتة له مِن أجل التَّغيير)[466].

---

466 الكاتب، المرجعية الدِّينية الشِّيعية وآفاق التَّطور، ص 91 عن الشيرازي، إلى حكومة ألف مليون، ص 112، وفي ظل الإسلام، ص 20.

كانت نظرة الشَّيخ الوكيل المتصلة بنظرة مرجعه، صائبة، مقابلة بما حصل بعد سقوط النظام، وما شُرع لاجتثاث حزب البعث، وكيف عاد بالفائدة على البعثيين أنفسهم! وكيف جرت محاكمة صدام حسين، وبأي طريقة نُفذ إعدامه! وما هي انعكاساتهما على الحالة الطَّائفية المستعرة بالأساس حتى قيل: أُعدم صدام السُّنِّي!

وهناك لقاءات لأمين عام حركة الوفاق الإسلامي واصطفافات مع الأحزاب العراقية العلمانية، قبل السقوط وبعده. بمعنى أنه كان أكثر انفتاحاً من غيره من القوى والشخصيات الدِّينية، ويمكنه التحرك إسلامياً بحرية أكثر من الأحزاب الدِّينية العقائدية، التي تتبنى مشروع الدَّولة الدِّينية، وتتوجس من القوى العلمانية على الرغم من تحالفاتها مع عدد منها.

غير أن حركة الوفاق الإسلامي، ممثلة بالشَّيخ جمال الخطيب، لم تتمكن من تشكيل قاعدة جماهيرية، إنما ظلت في الإطار النخبوي، والنشاط الفردي كمجموعة صغيرة. والسبب، كما يبدو، عدم حملها للشعار الإسلامي، الدِّيني منه والمذهبي، ولم تعلن دفاعها عن الشِّيعة مثلاً، أو تستغل شعائر دينية أو قومية صريحة، مع كونها محسوبة على الكُرد الفيليين. ومن جهة أخرى لا يتضمن اسم وفعل الحركة أي عنوان ديني.

أُعلن عن تأسيس الحركة العام 1980، تحت عنوان (حركة المهجرين العراقيين)، وذلك للعمل بين المهجرين. فحسب نبذة

التعريف نقرأ في تأسيسها: (قامت نخبة من الرساليين بتأسيس حركة المهجرين العراقيين سنة 1980 كاستجابة ايجابية لتحدي النظام ... حيث مارست حركة المهجرين العراقيين دورها السّياسي والاجتماعي في أوساط المهجرين العراقيين، واستطاعت أن تستقطب مشاعر مئات الألوف للتخفيف من معاناتهم تحت وطأة التهجير القسري ... حتى عام 1992، حيث أخذت الحركة طابعاً سياسياً أكثر، وتحالفت مع حركة الضباط الرساليين بالعراق. فبدأت مرحلة جديدة من النضال ضد النظام السابق بالعراق تحت اسم جديد وهو حركة الوفاق الإسلامي بالعراق، وبشعار (إيمان - حرية - رفاه - سلام).

(وصدر بيان بهذا الخصوص في نفس العام يؤكد المنطلقات وضرورات المرحلة القادمة وأسباب الاندماجات، ومما جاء فيه نظراً لمستجدات الميدان في الداخل وانسجاماً مع متطلبات المرحلة الراهنة، وللتوسع الحاصل في هيكلية عملنا التنظيمي والسّياسي والميداني فقد تقرر دمج حركة المهجرين العراقيين، وحركة الضباط الرساليين في تنظيم واحد هو حركة الوفاق الإسلامي بالعراق)[467].

ومثلما تقدم، فإن تفجير الجامعة المستنصرية كثف من ممارسة تهجير الكُرد الفيليين، وعلى طريقة السُّلطة السَّابقة لا تعني

467 موقع الحركة الرسمي: http://www.alwfaqalislami.com/alnkam-aldakele/001.html

بالآية ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[468] فبعد الحادث هاج النظام ضد الفيليين على وجه الخصوص.

ويُذكر أن لمنظمة العمل الإسلامي، جماعة محمد تقي المدرسي، صلة بتأسيس حركة الوفاق الإسلامي. وقد أشارت رسالة آية الله محمد الشيرازي إلى تلك الصلة، عندما بعث بتهنئة إلى مؤتمر الحركة في (13 رجب 1416هـ)[469].

لم تخف الحركة البقاء على صلتها بالمرجعية الشيرازية، وبالتالي فإن ما يجمعها بمنظمة العمل الإسلامي، هو وحدة المرجعية. قال أمينها العام الشَّيخ جمال الوكيل في مقابلة له مع (الوكالة الشّيعية للأنباء): (إننا بحاجة إلى مراجعة جديدة للثقافة التي يمكن أن تعطي لهذا الشعب خلال المرحلة القادمة المزيد من التنوَّر والمعرفة، ولا بد أن تستند إلى الإسلام الأصيل والفكر الذي رشحه المرجع الدِّيني الرَّاحل الإمام السَّيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)، وعليه نعتقد بأن هذا الفكر هو الفكر الأصيل الذي يمكن من خلاله ضمان الاستقلال والأمن والوفاق في العراق والمنطقة والعالم الإسلامي)[470].

كما جاء في نظامها الداخلي وتعريفها: (حركة الوفاق الإسلامي حركة إسلامية عراقية تدعو إلى حاكمية الإسلام في العراق،

---

468 سورة الإسراء، الآية: 15.

469 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 370.

470 موقع وكالة الأنباء الشّيعية http://ebaa.net/hewarat/021/021.htm

وتستمد شرعية عملها من المرجعية الدِّينية حيث يكون لها الولاية الكاملة عليها. وكان الإمام الرَّاحل سماحة آية الله العظمى السَّيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره) المرجع الدِّيني لها، وحالياً المرجع الدِّيني آية الله العظمى السَّيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله))[471]. ومن أهداف الحركة: الإقرار بالتعددية، ومن دون تحفظ على أي جهة سياسية، والسعي إلى تحقيق الخدمات الاجتماعية، والتأكيد على الارتباط بالمرجعية الدِّينية الرشيدة حسب تشخيصها، بل وإعطاء الأخيرة الولاية عليها[472].

ولربما عدم تسميتها بالحزب كان على اعتبار أنه بعيد عن الإسلام التقليدي، والارتباط بالمرجعية الدِّينية المذكورة، وهي كمنظمة العمل الإسلامي تعني بالمرجعية الرشيدة، مع انفتاحها إلى خارج ما تقدم من رأي المرجعية في العمل السِّياسي وبالأهداف الدِّيمقراطية. مع أن تحرك أمين عام الحركة لا يشير إلى البقاء على هذا التوجه، المرسوم، كما يبدو في لحظة انطلاقها بمباركة منظمة العمل الإسلامي.

لا بد للجانب الاجتماعي الذي اتصفت به الطَّائفة الفيلية، من انفتاح اجتماعي وممارسة العمل السِّياسي الأكثر قرباً إلى اليسار والليبرالية الاجتماعية، أسقط تأثيره على تلك الحركة، فتجد خطابها

---

471 موقع الحركة الرسمي:
http://www.alwfaqalislami.com/alnkam-aldakele/001.html

472 رؤوف، العمل الإسلامي في العراق، ص 371.

تعددياً ومفتوحاً على كل الأطراف، وهي فئة عاشت متعاملة بالأسواق وسط المدن، وتعاملت مع مختلف أطياف الشعب العراقي، وما تحملته من أعباء قانون الجنسية الأول (1924)، ومآسي التهجير منذ العهد الملكي وحتى العهد الجمهوري[473]. وبهذا لا أرى الموقف السالف ذكره عن دعوة أمينها العام إلى التسامح عِقب سقوط النظام، والتعايش بسلام، أمراً طارئاً على تفكيره، بقدر ما كان هاجس تلك الطَّائفة، هذا ما نلمسه من لقاءات قليلة له في الصحافة العراقية[474].

يتألف هيكل تنظيم الحركة من: المؤتمر العام، ومجلس الشورى المركزي، والقوى التنفيذية. أما التمويل فأعلنت الحركة أنه من التجار، ولعلَّه من التجار الكُرد الفيلية، الذين هجروا من سوق الشورجة إلى إيران. وكان شعارها في المؤتمر العام: نحو عراق موحد- آمن- تعددي. وعلى غرار أغلب الأحزاب العراقية، كانت حركة الوفاق الإسلامي عضواً في المؤتمر الوطني العراقي الموحد. حتى مؤتمر لندن (كانون الأول/ ديسمبر 2002)، وصار أمينها العام الشَّيخ جمال

473 يبدو أن تهجير الكُرد الفيليين بدوافع طائفية وقومية، وبذريعة التبعية حسب قانون الجنسية (1924) بدأ منذ العهد الملكي، واستمر حتى في العهد الجمهوري، لكن ليس بحجم تهجير السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. وقد لفت نظري المقال الآتي (قضية الأكراد الفيليين)، المنشور في جريدة اتحاد الشعب 14 أيلول 1959)، جاء على معاناة المهجرين واستمرارها في تلك الفترة، مع أن الكُرد الفيليين من أشد مؤيدي عهد عبد الكريم قاسم، الذي لم يلمس فيه طائفية أو عنصرية بسبب دين أو مذهب أو قومية، وقد دافعوا عنه إبان انقلاب شباط (فبراير) 1963، ناهيك عما قيل بأن والدة الزعيم عبد الكريم السَّيدة كيفية كانت كوردية فيلية.

474 جريدة المؤتمر، العدد 129 المؤرخ في 1 كانون الأول(ديسمبر) 1995 لقاء مع الشَّيخ جمال الوكيل.

الوكيل عضواً في لجنة التنسيق التي عُينت من قبل مؤتمر لندن، وعددها 65 عضواً.

إلا أنها أعلنت انسحابها من المؤتمر الوطني العراقي في 16 كانون الثَّاني(يناير) 2003، مع أربعة فصائل إسلامية، منها المؤثرة ومنها غير المؤثرة، (تيار الإمام الصَّدر)، و(رابطة علماء المسلمين)، و(الحركة الإسلامية التركمانية)، و(الحركة الإسلامية في كوردستان- العراق)[475].

بعد مؤتمر لندن بشهرين، وقبيل الحرب التي أدت إلى سقوط النظام العراقي، نُشر بيان (12 شباط/فبراير 2003) انقلابي ضد القيادة باسم القيادة الجديدة، معلناً أنه تصحيح لما حصل من تباعد عن الخط الإسلامي، وما سببته القيادة الفردية. وحسب البيان فالمقصود هو رئيس المكتب السِّياسي بأوروبا، وأن الإشارة إلى مؤتمر لندن قصدت الأمين العام الحالي الشَّيخ جمال الوكيل.

جاء في البيان: (القيادة الجديدة قد عقدت العزم، بعد الاتكال على الله تعالى، بمعالجة كافة أوجه الاختلال، والبعد عن أصالة الهوية الإسلامية، من قِبل القيادة السَّابقة من خلال إعادة النظر في عمل ونشاط الحركة بنهوض قيادة سياسية كفوءة ومقتدرة ووطنية إسلامية، هدفها إنقاذ شعبنا من براثن السُّلطة الدكتاتورية

---

475 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 549.

القائمة وبناء عراق عربي- إسلامي دستوري قائم على التعددية وصناديق الاقتراع، مع الإيمان بحق العراقيين في العيش الكريم والحياة الآمنة. إننا نعتبر ما سقطت به القيادة الفردية السَّابقة من حصر الصلاحيات بشخصها دون أدنى أهمية لأبرز بند في الحركة، وهو العمل بالشورى وإثارة الفتن والفوضى في مؤتمر المعارضة العراقية في لندن، واستعداء طيف واسع من التنظيمات والشخصيات المستقلة والأحزاب والحركات الإسلامية والوطنية)[476].

لارتباط الحركة بأسرة آل الشيرازي ومرجعيتها فهي لا تجد مكاناً خصباً لنشاطها أخصب من تربة كربلاء، فمشاريع الحركة الخيرية للكهرباء وإغاثة الأيتام والمصرف وغيرها جميعها تنفذ هناك. أما شعارها فهو خارطة العراق مغطاة بالعلم العراقي الجديد، بعد إزالة النجوم، التي أشارت إلى شعار حزب البعث: وحدة، حرية، اشتراكية، محاطاً بأيدٍ متماسكة كتعبير عن وحدة العراق، ورباعي: إيمان، حرية، رفاه، سلام، وتعلو تلك التفاصيل الآية: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ (أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى)[477].

شاركت الحركة في الانتخابات العامة، ورئيس قائمتها، أمينها العام جمال محمد حسن الوكيل، لكنها لم تحصل على معقد فيه، فقد دخلته منفردة، وليس هناك من تحالف حتى مع منظمة

---

476 http://www.ahewar.org/debat/show.art.aspaid=5525

477 سورة سبأ، الآية: 46.

العمل الإسلامي، على الرغم من خضوعهما لمرجعية واحدة، وانطلاق عملهما من مكان واحد هو كربلاء.

الفصل السادس

المجلس الأعلى الإسلامي

لم يكن تأسيس المجلس (الأعلى للثورة الإسلامية في العراق)- وهذا هو اسمه منذ النشأة العام (17 تشرين الثاني 1982)، وحتى مؤتمره الأخير حيث رفع مفردة الثورة، بإيران - حزباً سياسياً، بقدر ما هو تجمع أو ائتلاف ضمَّ، في بداية تشكيله، قوىً عراقية إسلامية معارضة، أحزاباً وجماعات شيعيةً وحزباً كوردياً إسلامياً. جاء في تعريفه الرَّسمي: (المجلس الأعلى للثَّورة الإسلامية في العراق: كيان سياسي عراقي إسلامي مستقل، يضع نفسه في إطار منفتح على كافة الأحزاب والتنظيمات والشَّرائح العراقية (الإسلامية خاصةً)، ويعمل في ظل المرجعية الدِّينية السِّياسية المتصدية للشَّأن العراقي باتجاه الأهداف الدائمة والمرحلية وشعار المجلس الأعلى هو الحرية والاستقلال والعدالة للعراق. وبهذا التَّعريف لا يكون المجلس الأعلى حالة ائتلافية أو جبهوية أو بديل عن القوى الإسلامية)[478].

---

478 الموقع الرَّسمي للمجلس الأعلى، على الرَّابط: http://www.almejlis.org/page__8.html

كانت مكوناته في بادئ الأمر من: حزب (الدَّعوة الإسلامية)، ومنظمة (العمل الإسلامي)، وحركة (المجاهدين العراقيين) (جماعة عبد العزيز الحكيم شقيق رئيس المجلس محمد باقر الحكيم)، و(حزب الله) الكُردي[479] بزعامة محمد خالد البارزاني[480]. و(حزب الله في العراق)، و(حركة الرافدين الإسلامية)[481]، كما ضمَّ أيضاً تنظيمات علمائية دينية: (مجلس العلماء)، و(جماعة العلماء المجاهدين)، و(جماعة العلماء) برئاسة محمد باقر الحكيم نفسه، وهي كما يبدو، امتداد لجماعة العلماء بالنَّجف وبغداد، التي

---

479 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 311.

480 يُذكر أن محمد خالد البارزاني، وهو من أسرة صوفية بل من مشايخ فيها، له طريقته في التدين والعلاقة بالله، ومنها الوصول إلى اليقين وهو وجود الله، وربما له مثل غيره رأي في تفسير الآية: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (النحل، 99)، على طريقة السلوكيين، الذين سنتعرض لهم في هذا الكتاب. والمعنى هو أن الغاية من العبادة الوصول إلى لحظة اليقين بوجود الله، ففيها يتحقق الهدف ويحصل المبتغى، وهي فكرة لا تخرج كثيراً عن ضرب من الصوفية أو الكشف. ومن الجماعات الصوفية بكوردستان، ومنهم من البارزانيين، من لا يرون الالتزام بوجوب شعيرة الحج ، والأمر مرده، إما إلى مقالة نُقلت عن أبي مغيث الحسين الحلاج (أُعدم 390هـ 921 ميلادية)، المحسوب والحاضر لدى الصوفية، أو لها صلة بالتفسير الأول للآية السالفة الذكر. وفي أمر الحلاجية قال القاضي أبو علي التنوخي (ت 384هـ 994 ميلادية)، وهو القريب من عصره: (حدثني أبو الحسين بن عاش، عمَّنْ حضر مجلس حامد ابن (هكذا) العباس الوزير، وقد جاءوا بدفاتر وجدت للحلاج، فيها: إن الإنسان إذا أراد الحجَّ فإنه يستغني عنه، بأن يعمد إلى بيت من داره، فيعمل فيه محراباً ، ويغتسل، ويُحرم، ويقول كذا، ويفعل كذا، ويصلي كذا، ويقرأ كذا، ويطوف بهذا البيت كذا، ويسبّح كذا، ويصنع كذا، أشياء قد رتَّبها وذكرها من كلام نفسه. قال: فإذا فرغ من ذلك، فقد سقط عنه الحج إلى بيت الله الحرام. وهذا شيء معروف عند الحلاجية، وقد اعترف لي رجل منهم، يُقال إنه عالم فيهم، أن هذا رواه الحلاج عن أهل البيت صلوات الله عليهم، وقال: ليس عندنا إنه يستغني به عن الحج، ولكن يقوم مقامه، إن لم يقدر على الخروج) (التنوخي، نشوار المحاضرة 1 ص 163).

481 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، 63.

تشكلت عِقب ثورة 1958، مثلما مرَّ الحديث عنها. مع شخصيات إسلامية معروفة داخل التحرك الإسلامي.

لقد سبق تأسيس المجلس الأعلى وجود (حركة المجاهدين العراقيين)(1980) برئاسة عبد العزيز الحكيم، وهو أصغر أولاد السَّيد محسن الحكيم سنّاً، وتبنت الحركة في أول أمرها عملية عسكرية، صنفت من قِبل النظام السابق بالإرهابية، كونها اعتمدت أسلوب التفجير، والتعرض للأماكن شبه العامة، وأدت إلى قتل غير المقصودين من المسؤولين، أي من موظفين وعمال. وحسب وثائق لجنة العمل المشترك (1989) بدمشق، كان يمثلها بيان جبر[482]، وهو باقر جبر صولاغ، الذي استولى على حصة المجلس الأعلى، وزارة الإسكان في الوزارة المؤقتة (أياد علاوي)، ووزارة الداخلية في الوزارة الانتقالية (إبراهيم الجعفري)، ووزارة المالية في الوزارة الدائمة (نوري المالكي).

واعتُمدت العمليات الانتحارية أو الاستشهادية حسب تسمية أصحابها لها، أو أنها سعت إلى نسبة علميات لها. مثل: محاولة تفجير مبنى الإذاعة والتلفزيون، ووزارة التخطيط[483]، في بداية الثمانينيات من القرن المنصرم. وإثر تلك العمليات وإعلان الحركة مسؤوليتها عنها أُعدم العديد من أشقاء وأقارب الحكيم، وعلى وجه الخصوص في غضون السنتين: 1983 و1985.

---

482 المصدر نفسه، ص 68.

483 العجلي، الخريطة السِّياسية للمعارضة العراقية، ص 185.

حدد بيان تأسيس المجلس النقاط التالية: مواصلة الجهاد حتى تحقيق النصر، والالتزام بالمنهج الإسلامي، والسعي لتعبئة القوى الإسلامية باتجاه عمل إسلامي واحد، والالتزام برابطة الأخوّة الشّيعية السُنّية. وكان البيان، وربما بتأثير الثورة الإيرانية، يجمع بين إسقاط النظام العراقي وإسقاط الإمبريالية! الأمريكية طبعاً! وقد نعتها، مثلما نعتها الخطاب الإيراني، بالاستكبار العالمي.

لكن، ما حصل، في ما بعد، أن الموصوف بالاستكبار العالمي هو الذي أفسح المجال للمجلس بالدخول إلى العراق، ودخول فيلقه (بدر) بسلاحه، ووفر الظروف لاستقبال شعبي للسيد محمد باقر الحكيم أثناء دخوله مع أركان قيادة المجلس! وربما يعاني المجلس الآن من الخلاف الأمريكي الإيراني مع حراجة موقفه بين الجهتين. فالمجلس ولد بعون وتبنٍّ إيراني تام، وحقق شعاره بدخول العراق، وتسنم السُّلطة بعون أمريكي واضح!

فمما جاء في ديباجة أحد بيانات المجلس: (فرضت قوى الاستكبار العالمي، وبالخصوص بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، مجموعة من الحكومات العميلة، حيث كانت هذه القوى تمارس ضد الشعب العراقي مختلف أساليب الاضطهاد والإرهاب...). لذا تبدو المفارقة كبيرة، كما تبدو السياسة متغيرة ومتحولة حتى يُراد أن يربط بها الدِّين والمذهب، والعديد من الثوابت!

ويُذكر أن تأسيس المجلس له صلة بالعمليات العسكرية على جبهات الحرب بين العراق وإيران (1980-1988)، وتزايد الأسرى العراقيين لدى الإيرانيين، فجرى التفكير بالاستفادة من تلك الأعداد المؤهلة للقيام بعمل عسكري، بعد إخضاعها لتأهيل فكري ونفسي، وقد عُرفت جماعات منهم بالتوابين، تشبهاً بالجماعة التي ندمت على حِجومها عن نصرة الإمام الحسين بن علي (61هـ 680 ميلادية)، والتخلي عنه بعد مكاتبته ومبايعته، مما أدى إلى مقتله، وقُدر عددهم بخمسة آلاف تواب بقيادة سليمان بن الصُرد الخزاعي (قُتل 65 هـ684 ميلادية)[484].

ذكر لي أحد المطلعين، مع عدم رغبته في ذكر اسمه تحرجاً، أن الإيرانيين أول مَن فكر بجمع شتات الإسلاميين العِراقيين في مكتب خاص، عُرف بالبداية (مكتب الثورة الإسلامية في العِراق)، وكانت العيون تتجه برئاسته صوب الشَّيخ أحمد الوائلي (ت 2003) قارئ المنبر الحسيني الشَّهير، لكن الوائلي شخصية لم تُخلق للعمل السِّياسي ولا لقيادة أمر مثل هذا، وكان الأمر يدور بين مكتب الشَّيخ علي هاشمي رفسنجاني، رئيس مجلس الشُّورى، ومكتب السيَّد علي الخامنئي، رئيس الجمهورية، وانتهى الأمر إلى أن يكون الشَّأن العراقي مِن اختصاص رئاسة الجمهورية، وجرت الاتصالات لتشكيل كيان عراقي إسلامي، ويُذكر أن السيَّد محمد باقر الحكيم عندما عُرض عليه العمل في مثل

---

484 راجع في أمر هذه الجماعة الطبري، تاريخ الأمم والملوك 5 ص 65 وما بعدها.

الكيان، وهو بطبيعة الحال مِن صنع إيراني بحت، تردد في بداية الأمر، لاعتقاده أنه سيكون بمواجهة العِراق وبفعل إيراني، فسيُنظر إليه مِن وجهة نظر عراقية وطنية كعميل خائن لوطنه! لكن الإيرانيين أقنعوه أن هذا عمل إسلامي ، لا يجب أن يُنظر إليه بها المنظار الضيق.

وكانت الكيانات الإسلامية العِراقية الموجودة على السَّاحة الإيرانية، لها فعل سياسي وعسكري وهي: منظمة العمل الإسلامي (جماعة الشيرازية) ، وحزب الدَّعوة الإسلامية، وشخصيات غير محسوبة على أي تنظيم، مثل الشَّيخ محمد باقر النَّاصري، والسيَّد حسين بن هادي الصَّدر. وكان حزب الدَّعوة مِن المتحمسين لقدوم السيَّد محمد باقر الحكيم إلى إيران، بعد أن خرج مِن العِراق إلى سوريا سراً، مثل غيره مِن المغضوب عليهم مِن قبل السُّلطة آنذاك، وكانت نية حزب الدَّعوة بعد إعدام محمد باقر الصَّدر أن يعمل بظل شخصية معروفة، ومحمد باقر هو نجل المرجع الدِّيني، في وقته، السيَّد محسن الحكيم، وكان له صلة بالحزب وبالصَّدر مِن قبل، فتدخلت قيادات الحزب لدى القيادة الإيرانية، ووافقت على الفور وصار الاتفاق أن يصل عبر الطَّريق البري وبصحبة السيَّد حسن شبر، أحد قيادات الدَّعوة المعروفين، وبعد الوصول إلى إيران قال الحكيم مناشداً كوادر الدَّعوة: إن السيَّد الصَّدر قد أوصى بحزب الدَّعوة خيراً.

وقيل هناك مَن هتف مرحباً بالحكيم: (يا حكيم سير سير نحن جنودك للتحرير) ، أو ما يشبه ذلك. وتوجه الحكيم مع شُبَر إلى

دار قائد الثَّورة الخميني، والتقيا بنجله أحمد، ولما سأل أحمد الخميني الحكيم هل الشَّعب العِراقي يحب الأحزاب؛ أجاب الحكيم: الشَّعب العِراقي لا يحب الأحزاب. وبدا الجواب كأنه موجه إلى حزب الدَّعوة، فهو الذي احتضن الحكيم، وقيل عاتبه السيَّد شُبر على رده بعد أن خرجا مِن اللقاء بدار الخميني.

لكن ما حصل أن مهدي الهاشمي (أعدم 1987)، الذي كان مسؤولاً عن حركات التَّحرر في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، أخذ يوضح للحكيم أنه لا يبقى مرتهناً لحزب الدَّعوة، فهو بهذه الحال سيكون بعيداً عن القيادة الإيرانية، فالدَّعوة لا يؤمن بولاية الفقيه وهو خط قائد الثورة آية الله الخميني.

لذا أخذ الحكيم بالابتعاد تدريجياً، وقد وصل به الحال إلى أن يُغلق معسكر (الشَّهيد الصَّدر) الكائن بالأهواز، وهو تابع لحزب الدَّعوة، والتحقت به مجاميع مِن الإسلاميين من مختلف التخصصات: أطباء ومهندسون وضباط وكوادر أُخر. حينها أرادت القيادة الإيرانية تجميع العمل الإسلامي العِراقي وتحشيده ضد النِّظام العِراقي، بهدف تأسيس مجلس يضم الجماعات، التي صار لها وجود على السَّاحة الإيرانية، ونودي إلى تشكيل مجلس العلماء للثَّورة الإسلامية، قبل تبديل عنوانه إلى (المجلس الأعلى للثَّورة الإسلامية في العِراق). ولما شعرت قيادات إسلامية بأن الأمر متجه إلى تنصيب الحكيم رئيساً للمجلس توجه بعضهم إلى السَّيد أحمد الخميني نجل

آية الله الخميني، قائلين : كلُّ شيء يجري بإيران عبر الانتخابات فلماذا تريدون للمعارضة العراقية فرض شخص ما عليها! فرد أحمد بأن هذا لا يجوز إنما سيجري انتخاب لرئيس المجلس، وسأل هل يعتبر محمد باقر نفسه خمينياً صغيراً! رُدَّ عليه مِن قبل العِراقيين بأنه يعتبر نفسه خمينياً كبيراً!

حينها عمل السيِّد أحمد الخميني على تحديد موعد بمقر إقامة والده لوجوه المعارضة العِراقية الإسلامية، وبحضور السيِّد علي خامنئي، رئيس الجمهورية آنذاك، وكان مِن بين الحضور السيِّد محمود الهاشمي، وهو شخصية إسلامية غير منتمٍ لحزب أو حركة، وهو مِن أبرز تلاميذ محمد باقر الصَّدر، اعتقل بالعِراق وعُذب كثيراً، لكن الحكيم طرح قضية ولاية الفقيه، وأن الآخرين هم مِن تلاميذ السيِّد أبي القاسم الخوئي(ت 1992)، المرجع الشِّيعي المعروف، وهو لا يؤمن بتلك الولاية، فقيل للحكيم عليك أن تذكر والدك، وهو السيد محسن الحكيم، الذي لا يقر بتلك الولاية أيضاً، وهو ما تضح مِن حواره مع السيِّد الخميني بالنَّجف(1965) مثلما سيأتي تفصيله. وهنا طُرح اسم محمود الهاشمي، فسئل: هل هو مجتهد فأخرج الهاشمي وثيقة مِن الصَّدر تشهد له بالاجتهاد، وبهذا اتفق أن يكون الهاشمي رئيساً لمجلس العلماء المجاهدين في العِراق، والسيِّد محمد باقر الحكيم

ناطقاً رسمياً[485]. هذا وحُدد يوم 17 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 1982 تاريخاً لتأسيس المجلس بطهران[486].

إلا أن ما يُنقل عن الهاشمي أنه كان لا يميل إلى العمل السِّياسي، ولا يود الانضواء في كيان حزبي، وأن جل اهتمامه بالدَّرس والبحوث والطلاب، مع إيمانه بالعمل السياسي الإسلامي وتأييده لولاية الفقيه، ولو لم يكن كذلك لما تولى حالياً رئاسة السُّلطة القضائية بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، أما الحكيم فظل مواظباً على العمل السِّياسي وبنشاط، فبعد فترة مِن الزَّمن، ربما عام أو أكثر، انسحب الهاشمي عائداً إلى حوزته ودرسه بقم، وانسحب الآخرون تدريجياً، وصارت قيادة المجلس للسيد الحكيم ثم انقلت بعد مقتله إلى أخيه، وبعد وفاة الأخير انتقلت لابن أخيه السيد عمار الحكيم.

ما عمد إلى فعله حزب الدَّعوة وشخصيات أُخر ضد تحرك محمد باقر الحكيم أن شُكل مجلس العلماء المجاهدين في العِراق برئاسة الشَّيخ محمد باقر النَّاصري[487]، وفيها كان السيَّد حسين

---

485 أخبرني بهذه الوقائع أكثر مِن شخص كان يعيش بإيران، ولصيق بالعمل الإسلامي السياسي، مع طلب التحفظ على الاسماء.

486 الموقع الرَّسمي للمجلس الأعلى الإسلامي في العِراق، على الرَّابط:
http://www.almejlis.org/page__8.html

487 كان الشَّيخ فرج الله مِن أفاضل قراء المنبر الحسيني، يتحدر مِن البصرة منطقة الشرش، الواقعة بين البصرة والقُرنة، قرأ بمنطقتنا في عاشوراء لسنة 1965، وكان مشاكساً لرجال الأمن يستفزهم وجهاً لوجه وهو على المنبر، اعتقل السنة 1974، وذكر لي العم مجيد غصبان الخيُّون، وهو مِن سكنة الهارثة، أنه ذهب للتوسط بشأنه في دائرة الأمن، وقد عُذب وربطت يده بالمدفأة حتى احرقت، ثم أخذ أحد الأطباء =

الصَّدر، والشَّيخ محمد مهدي الآصفي، والشَّيخ حسن فرج الله[488]، وأُبعد محمد باقر الحكيم منها. لكن الخيار كان غير موفق، فالشيَّخ النَّاصري لا يمتلك خصائص قيادية، ويتميز بمزاج عصبي، إضافة إلى عدم دعم الإيرانيين لهذا المجلس، حيث القضية ترتبط بالإيمان بولاية الفقيه، التي أقر الحكيم بها تماماً.

كذلك حاول حزب الدَّعوة بعد الخلاف البيِّن مع الحكيم، أن يُقيم احتفالاً استعراضياً، بمناسبة ذكرى إعدام السيَّد محمد باقر الصَّدر، في ملعب الشَّهيد الشِّيرودي (المجيدي سابقاً)، وحضر جمهور كثير، إلا أن ما تأمله قادة الدَّعوة مِن هذا الاستعراض، هو الاعتراف الإيراني بريادتهم للعمل الإسلامي مِن قِبل الإيرانيين، رد عليهم بالعكس، وهو أن رئيس الجمهورية علي خامنئي استغرب وجود هذا الكم مِن أعضاء ومؤيدي الدَّعوة الذين لم يذهبوا إلى جبهات الحرب! ولماذا لا يعملوا تحت قيادة الحكيم. وأخيراً ظل حزب الدَّعوة محافظاً على وجوده الشَّكلي داخل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العِراق، على اعتبار أن أي فعل يُسئل عنه مِن قبل الإيرانيين يحسب

=بالبصرة يعالجه يومياً، حتى تمكن مِن وقف تدهورها، لكنها بقيت شبه مبتورة الكف. ذكر أنه كان يدور في جبهات القتال، وحصل أن زارها رئيس الجمهورية علي خامنئي، فقدموا له الشَّيخ فرج الله، وسأله عن يده، فقص له القصة، فبكى خامنئي، ولما سأله ماذا يحتاج قال: احتاج إلى سيارة اتنقل بها، وحصل له ذلك، وربما كان هذا العام 1981.

488 الشَّامي، المرجعية الدِّينية مِن الذات إلى المؤسسة، ص 236 - 237.

على المجلس، و لا يُحمل تبعات ما لا يريد أن يكون محسوباً عليه[489]!

ويمكن باختصار ذكر تدرج المجلس الأعلى: مكتب الثورة الإسلامية في العِراق، مجلس العلماء للثورة الإسلامية، الجيش الثَّوري الإسلامي لتحرير العِراق، جماعة العِلماء المجاهدين في العِراق (النَّاصري) [490]. أما حركة المجاهدين الإسلاميين في العِراق فصارت جزءاً مِن المجلس، وكان شكلها السيِّد عبد العزيز الحكيم بالشَّام، وقيل إن مدبرها كان شخصاً محسوباً على حزب الدَّعوة وهو حاج حمزة الدِّيواني. وحسْب أحد المنتمين لذلك التَّنظيم، فإن أعضاء حركة المجاهدين أُلِّفَتْ مِن اللاجئين العِراقيين بسوريا، وكانوا يتدربون على السِّلاح والتَّفجيرات بالمعسكرات السُّورية بدمشق، ويقوم على تدريبهم ضباط سوريون، وذلك العام 1980.

غُذي المجلس بعناصر التَّوابين، بعد إعادة تأهيلهم ثقافياً، وهم الجنود الفارين أو الأسرى، واللاجئين العِراقيين، ومن هؤلاء تشكل (فيلق بدر) (1983)، الذِّراع العسكرية للمجلس، وسمي في البداية (قوات بدر)، وكانت تحت قيادة الشَّيخ محمد تقي المولى، أحد المعممين الشِّيعة التركمان، وكانت أسلحتها من المتوسطة والثَّقيلة بما

489 ما تقدم نقلته بتصرف عن شخصيتين إسلاميتين عملا في صحافة حزب الدَّعوة بإيران في ذلك الوقت بالذات، وعاشا الأحداث يوماً بيوم، وطلبا عدم ذِكر اسميهما، تم اللقاء بهما بلندن بتاريخ 20 شباط (فبراير) 2011.

490 الموقع الرَّسمي للمجلس الأعلى، على الرَّابط: http://www.almejlis.org/page__8.html.

فيها المدرعات، حسبما شوهدت في استعراض عسكري[491].

ومعلوم أن تسمية (بدر) بالذات تأتي هي الأخرى تكريساً لفكرة أن النظام العراقي كافر ومشرك، فهي أول معركة أو غزوة للمسلمين ضد قريش (السَّنة 2 هـ 623 ميلادية) المشركين. وبعد سقوط النظام (9 نيسان/أبريل 2003) دخل فيلق بدر بسلاحه وعدته، وبعد حين أُعلن أنه تحول إلى منظمة مدنية سياسية تحت اسم (منظمة بدر)، كأحد مكونات المجلس الأعلى الإسلامي، ودخل الانتخابات تحت هذا الاسم. ومن قبل ساهم الفيلق في علميات الجيش الإيراني داخل الأرض العراقية، ومنها: كربلاء الثَّانية، وكربلاء الخامسة، والمرصاد، والقدس وغيرها[492]، إلا أن الأنباء تشير إلى أن تلك القوات تحولت إلى الجيش والشرطة، مما قد يخلق مستقبلاً جيشاً متحزباً. وكان دخول تلك القوات إلى داخل العراق، بعد السُّقوط، ميسراً وبدون إعاقة مِن قبل القوات الأمريكية أو البريطانية، ما دام أنها (تركت وراءها في إيران أسلحتها الثَّقيلة مثل الدَّبابات والمدافع)[493].

ترأس فيلق بدر عسكري عراقي سابق، وهو هادي العامري، عضو البرلمان العراقي الحالي، ومسؤول اللجنة الأمنية والعسكرية

---

491 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، 167.

492 المجلي، الخريطة السِّياسية للمعارضة العراقية، ص 177.

493 علاوي، احتلال العراق.. ربح الحرب وخسارة السَّلام، ص 208. عن مقابلة المؤلف الشَّخصية مع القيادة في المجلس الأعلى باقر جبر صولاغ.

فيه. (التقيت به صدفةً بلندن، وجرى معه حديث مقتضب حول العملية السياسة العراقية وآفاقها. وقد أجاب على سؤال حول مدى صحة علاقة منظمته، أو المجلس عموماً، بإيران قائلاً: (مَنْ أصبح صاحب سلطة فما حاجته أن يكون تابعاً لدولة أخرى. ومَنْ يشك بعروبتي عليه أن يتفحص انحداري القبلي، أنا من آل عامر ذوي صاحب المعلقة الشاعر لبيد بن ربيعة العامري، وكان من كرام العرب وفصحائهم)[494]

وكتبت حينها تحت عنوان (ما بين الضاري والحكيم)، وكانت الأجواء ساخنة بين فضائية (الفرات)، التابعة للمجلس الأعلى، بزعامة السَّيد عبد العزيز الحكيم (ت 2009) وصحيفة (البصائر) وموقع (هيأة علماء المسلمين) الإلكتروني بإشراف الشَّيخ حارث الضاري ونجله.

قلت: (يرى حفيد الشاعر، مثلما انتسبَ، لا حفيد فارس جيش الأحزاب، حيث معركة الخندق (5 هجرية): أن الشَّيخ الضاري لا يريد الاعتراف بتبدل الأزمان، فهو ما زال متشبثاً بحكم الطَّائفة الواحدة! مع أن المعادلة السِّياسية ما عادت كما كانت قبل التاسع من أبريل 2003! ولا بد من قبول الشراكة). ولما سألته عن ملابسات القتل؟ قال: (عندما يقتلُ شيعي سُنِّياً ينساب بين الأبرياء من الشِّيعة، وكذلك

---

494 لندن 6 كانون الأول (ديسمبر) 2006. عموماً، ليست كل الأُصول يعتد بها، وعلى وجه الخصوص من قبل قائد فيلق بدر، ثم رئيس منظمة بدر، فمثلما لبيد الشاعر المشهور من آل عامر، فمنهم أيضاً عمرو ابن ود العامري، الذي برز له الإمام علي بن أبي طالب وقتله عند معركة الخندق، أو غزوة الأحزاب(5هـ 626 ميلادية)، هذا ما حاولت ملاطفته به عند اللقاء.

ينساب القاتل السُنِّي بين الأبرياء من السُّنَّة. وهكذا يظهر الأمر وكأنه حرب أهلية بين الطائفتين، وهي ليست كذلك)[495]

وعن قناعته في الدِّيمقراطية قال: (كوننا إسلاميين، كانت الدِّيمقراطية محرمة في علمنا، لأنها وضعية لا إلهية، لكن المستجدات تدعو إلى تبني ما كان محرماً لدينا). وعندما سألته: هل لهدر الأرواح الكارثي من نهاية؟ أجاب: (ما زال الوضع الأمني بيد الأمريكان، ليس هناك نهاية)! وهنا يلتقي منطق رئيس منظمة بدر مع منطق رئيس هيأة علماء المسلمين، فهو يعتبر رفع يد المحتل نهاية الكارثة، مع اختلاف الطريقة والقصد!

بعدها لمحت العامري في أكثر من مرة يرتدي اللباس العربي، ويعتمر على رأسه العقال والكوفية البيضاء، وكأنها جاءت إبعاداً لتهمة التعجيم، التي نزلت على الشِّيعة في العهود السَّابقة، ورداً على محاولات أفراد من التنظيمات السُنِّية، من المنطقة الغربية، التي أكثرت من وصفه وجماعته بأنهم إيرانيون- صفويون. وأرى للغاية نفسها، أي لطعن رجالات الوضع الحالي، على أنهم أعاجم، أخذ رجال النظام السابق أثناء المحاكمات يتظاهرون بمظاهر العروبة عبر الملابس، كارتداء اللباس العربي، الذي لم يألفوه من قبل، وهم في السُّلطة، إلا لماماً.

---

495 جريدة الشرق الأوسط، العدد 10242 والمؤرخ: 13 كانون الأول (ديسمبر) 2006.

للمجلس الإسلامي الأعلى مجلس شورى ضمَّ حوالى ثمانين شخصية، غير أنهم انسلوا بالتَّدريج منه، ولم يبق إلا النفر القليل، ذلك بسبب الخلافات العاصفة، والاعتقاد باستئثار آل الحكيم بأمر المجلس والهيمنة على قراراته، وعلى وجه الخصوص آية الله محمد باقر الحكيم (1942-2003). إلا أن شيئاً من تلك التصورات كان صحيحاً، فقيادة المجلس، كما يبدو، كانت ومازالت حكراً على آل الحكيم.

دخل المجلس الأعلى في خصومات مع أحزاب وشخصيات إسلامية لا حصر لها، وفي مقدمتها كان حزب (الدعوة الإسلامية)، وجماعات أُخر، مثل جماعة الخالصي وغيرها. والأمر يتعلق، إلى حد كبير، بالاعتراف الإيراني بالمجلس كممثل أوحد للتحرك الإسلامي العراقي الشّيعي المعارض، وأنه يمثل وجهة النظر الإيرانية وأجندتها، وطالما شارك فيلقه (بدر) في الحرب ضد الجيش العراقي.

بينما لا تجد القوى الأخرى موقعاً لها إلا عبر بوابة المجلس، لهذا خرج العديد من تلك القوى من إيران كليةً، مثل حزب الدعوة الذي اتخذت قياداته من لندن ودمشق مقراً لها ولتحركها، ومَنْ اختار الجانب الإيراني استمر قاطناً طهران.

وبعد تطور الحوادث، ودخول القوات العراقية الكويت، وحصل ما حصل خلال تلك الشهور، التي أعقبت الثَّاني من آب (أغسطس)

1990، كانت المفاجأة في انتفاضة آذار(مارس) 1991 أو ما عُرف بالانتفاضة الشعبانية، كونها حدثت في شهر شعبان، من ذلك العام، عقب هزيمة الجيش العراقي في عمليات تحرير الكويت. على الرغم من كل تلك السنوات، التي صرفت في العمل المعارض، لم تحظ قيادة من قيادات المعارضة بالإجماع عليها بين العراقيين.

بل كانت انتفاضة بلا قيادة تماماً، إلا من قبل أشخاص أظهروا عزمهم على استغلال الظرف من داخل العراق، وليس من معارضة الخارج، بما فيها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ذو التمكن المادي والتعبوي بسبب وجوده بإيران ودعمها اللا محدود له، وأنه ظل الكيان الإسلامي العراقي المرعي من قبلها.

وكان لفشل الانتفاضة أسباب عديدة، منها وربما في مقدمتها، عدم وجود قيادة، وتخبط القوى الإسلامية في محاولة فرض الحالة الإيرانية على الشارع المنتفض. وقد سبقت الإشارة إلى مؤتمر نصرة شعب العراق بطهران (1987)، وكيف كانت إيران متشددة في رأيها بانفراد المجلس في قيادة المعارضة العراقية[496]

أصدر المجلس، في آذار (مارس) 1991 بياناً عُدَّ مثيراً ومستفزاً ومتجاوزاً لجهود بقية القوى، وسُجل أنه صادر من (ممثل الولي الفقيه). والولي - كما هو معروف في داخل المجلس - أنه السَّيد محمد

---

496 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 59 61.

باقر الحكيم لا غيره. جاء فيه أمر أو توصية بإطاعة القوات العراقية المنتفضة لقيادة السَّيد الحكيم: أن التخلف عنها يعد حراماً[497]

إن صحت إثارة مثل تلك الوصية أو الفتوى فهي لوجهين: أولاً لكون وجود قوى إسلامية لا تؤمن بولاية الفقيه التي جعلها بيان المجلس واقعاً مفروغاً منه، وثانياً لأن الخلاف كان جارياً على قيادة السَّيد الحكيم نفسه للمعارضة.

ومن باب الشيء بالشيء يُذكر، تناقل المعارضون آنذاك خبراً يفيد أن المجلس الأعلى طرح في مؤتمر صلاح الدِّين، عقب الانتفاضة ومؤتمر بيروت 1991، أن حضور السَّيد محمد باقر الحكيم المؤتمر مرهون بالإشارة إليه برئاسة الدَّولة، هذا والعهدة على مَنْ حضر وسرَّب الخبر في حينه وبقوة.

وربما جاء الردُّ على الإشارة إلى الحكيم بولي الفقيه، من علمانيين، أي المؤمنين بفصل الدِّين عن الدَّولة، من أصحاب العمائم، ومن آخرين فكوا ارتباطهم بالأحزاب الدِّينية. ورد في ما يشبه البيان أو الرِّسالة من قبل: الفقيه الشاعر مصطفى جمال الدِّين (ت 1996)، والسَّيد عبد المجيد الخوئي (قُتل 2003)، وعزة الشابندر، عضو البرلمان حالياً على القائمة العراقية، وأحد كوادر حزب الدعوة البعيدين عنه في وقتها وحتى الساعة، وآخرين.

---

497 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 445.

وجهت الرِّسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية عِقب فشل انتفاضة 1991: التأكيد على عروبة الشِّيعة، أي فك الارتباط الحزبي والمصيري بإيران، وقيام دولة إسلامية لا دينية، ولا ولاية فقيه. وعضدت ذلك بإيضاح الفوارق بين المرجعية الدِّينية النَّجفية والإيرانية، ومن أهمها: عدم اعتراف الأولى بولاية الفقيه، وقدمت تعريفاً للشيعة ونسبتهم إلى العراق، والأدوار التَّاريخية التي عاشوها في ظل الحكم السُنِّي[498].

لعلَّ التقارب بين العراق وإيران، في أواسط التسعينيات، بعث شيئاً من القلق لدى قادة المجلس الإسلامي، وهذا ما دفع وكالة أنباء للاستفسار من السَّيد محمد باقر الحكيم فيما إذا واجهته ضغوط من الطرف الإيراني لإيقاف العمل ضد حكومة العراق، ومع أنه نفى تلك الضغوط، ونفى أنه اختار بيروت كمقر آخر له ولمجلسه، إلا أن أنباء وردت عن تسفير الحكومة الإيرانية، أو ما أشير إليها ببعض الأجهزة الأمنية الإيرانية، لعراقيين من المقيمين في مخيمات اللاجئين إلى بلادهم[499].

وإذا ما قوبل ذلك بما أذاعه مؤخراً (بداية تموز/يوليو 2008) مدير الأمن العام، في تلك الفترة، سبعاوي إبراهيم الحسن، أخو صدام حسين غير الشقيق، في قاعة المحكمة الجنائية في أمر

---

498 بزي، عبد المجيد الخوئي.. شاهد بلا شهادة، ص 178.

499 جريدة المؤتمر، العدد 105 المؤرخ في 16 حزيران (يونيو) 1995.

قمع انتفاضة آذار (مارس) 1991 ما حصل من اتصالات أمنية بين البلدين يجعل تلك الأخبار محتملة الصحة. قال سبعاوي وبث كلامه مباشرة على الفضائية العراقية في مطلع تموز/يوليو 2008: إن مسؤولاً أمنياً إيرانياً وصل بغداد، نهاية العام 1990 عِقب احتلال الكويت، وفي غضون الاستعدادات للحرب، وقابل صدام حسين بحضوره، وقدم مقترحاً بتسليم إيران المعارضين العراقيين مقابل تسليمهم منظمة مجاهدي خلق، وقد رفض صدام ذلك المقترح بحجة أنه لا يُسلَّم الضيف!

جدول (1) نسبة المجلس (شهيد المحراب) في المحافظات عدا إقليم كُردستان

المحافظة	إجمالي المقاعد 2009	النسبة
الأنبار	57	0
بابل	35	5
بغداد	29	3
البصرة	28	5
ديالى	31	0
الديوانية	28	5
ذي قار	31	5
صلاح الدِّين	28	0
كربلاء	29	4
كركوك	تأجيل	
المثنى	26	5
ميسان	27	8
النَّجف	28	7
نينوى	37	0
واسط	28	6

وبغض النظر عن المبالغة بحفظ صدام حسين للأُصول والعهود، فهو بطبيعة الحال لم يحفظ تعهده لأقرب النَّاس إليه، زوجي ابنتيه، وأولاد ابن عمه كامل، حسين وصدام (قتلا 1996) إلا أن هناك ما كان يرتب بين النظامين، وهذا ما جعل صدام يبعث بطائراته المدنية والعسكرية إلى إيران قُبيل حرب تحرير الكويت (كانون الأَول/يناير 1991). وإن حصل ذلك فلعلَّه لا يشمل القيادات، مثلاً من المجلس أو القوى الإسلامية الأُخر، لكن بالتأكيد لا يبقى لها نشاط أو وجود بطهران.

ولعلَّ أهم أجندات المجلس الأعلى، والتي يصرُّ عليها كثيراً ويسعى إليها حثيثاً، قيام إقليم الوسط والجنوب، وتعداد محافظاته تسع محافظات: البصرة، وميسان، وذي قار، والسماوة، والكوت، والديوانية، والحلة، وكربلاء، والنَّجف، وأن عاصمة هذا الإقليم هي مدينة النَّجف. ولو رجعت إلى الموقع الرسمي لمنظمة (بدر) آنذاك لوجدت أسماء تلك المحافظات وعلى رأسها النَّجف، كشعار مثبت على واجهة موقع جريدة المنظمة (بدر) الإلكتروني[500] وكان السَّيد عبد العزيز الحكيم قد أعلن دعوته إلى فيدرالية الجنوب والوسط عبر خطاب له بالنجف في 11 آب (أغسطس) 2005.

---

500 /http://www.badrtoday.co

يبدو الأمر كأنه شعار نودي به بأقدم من هذا بكثير، في المناسبات الدِّينية، وعند التوتر بين المرجعية والسُّلطة ببغداد، كان هتافاً عاطفياً عفوياً، من دون بُعدٍ سياسي أو حزبي، ولعلَّه صدر من لدَن شخص أو أشخاص، لا من لدن مرجعية أو تنظيم. ومما يذكر أنه في مطلع السبعينيات، في عهد البعث وفي ظل الخلاف بين السُّلطة والمرجعية الممثلة بآية الله محسن الحكيم، انطلقت هتافات على مستويات ضيقة تقول: (سيد محسن قائدنا والنَّجف عاصمتنا)! فهل الأمر كان إحياءً لمثل ذلك الشِّعار!

وبالتأكيد لم يوحِ ذلك، في الزمن السابق، بفكرة الأقاليم والفيدرالية المذهبية أو المناطقية، فالأمر لم يكن مطروحاً حتى للمنطقة الكُردية من قَبل، إنما كانت إرهاصات لعمل سياسي، ومطالبة بحقوق مذهبية، ولم يكن سامع ذلك الهتاف، وأنا واحد منهم، يجرؤ على التفكير في وحدة إقليمية شيعية، وأن تتولى المرجعية الدِّينية - وهي المؤمنة بتأجيل العمل السِّياسي والتربع على الدَّولة حتى ظهور المهدي المنتظر - الزعامة السِّياسية.

أكثر من هذا، فإن مؤسس المجلس الأعلى وفقيهه الأول، السَّيد محمد باقر الحكيم نفسه، لم يكن يفكر بفدراليات قومية أو مذهبية، فعندما يُسأل عنها، كان يجيب بالفدرالية أو اللامركزية الإدارية فحسب. قال: (نحن نعتقد أن فكرة الفيدرالية إذا كانت تقسيمية أو قومية أو مذهبية، فقد يعني ذلك خطورة بالنسبة للشعب العراقي).

أما إذا أريد منها فيدرالية إدارية، وشيء من اللامركزية، أو لنسمَّها ولايات، كما هو المصطلح الإسلامي أو غير ذلك من التسميات، عندئذ هذا الأمر متروك لأبناء الشعب العراقي)[501] هذا ما كان يصرح فيه باقر الحكيم، لكن إعلام المجلس، بعد مقتله، قدم مثل ذلك التصريح على أنه دعوة إلى فدرالية على أساس المذهب!

جدول (2) نسبة المجلس مع بدر في البرلمان العراقي

مجموع الأعضاء	السَّنة
21	2005
17	2010

تبدو فكرة الإلحاح على الإقليم، وهو ما يشجعه الكُرد بالمقابل أن تمسي لهم كركوك صافية مصفاة ويدعم الائتلاف الشِّيعي الاتحاد الكُردستاني في ما يستجد من الحوادث، أخطر ما سيتعرض له العراق، لأنها بداية التقسيم الفعلي، وبداية ظهور دول الطوائف. بل قيام الدَّولة الدِّينية الملتحمة، على أساس طائفي، مع إيران مباشرة. إلا أن خطورتها على إيران نفسها ليست قليلة، فما سيصيب العراق من تقسيم سينتقل آجلاً أم عاجلاً إلى الأرض الإيرانية، ومعلوم أن إيران تصلح لمشاريع أقاليم ودول، ذلك لتباينها القومي والمذهبي الشديد.

501 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 329، عن جريدة المجلس، نداء الرافدين 6 تشرين الأول (أكتوبر) 1995.

وهنا لابد من الإشارة إلى خلفية الدعوة إلى الفيدرالية، ومتى تبنتها المعارضة العراقية بشطرها الكُردي، ثم تحبيذها لجهات شيعية. على طول عقد الثمانينيات، من القرن الماضي، ليس هناك أي فكرة أو إشارة إلى الفيدرالية، ولم تطرح في مؤتمر المعارضة العام الأول ببيروت (آذار/مارس 1991)، ذلك المؤتمر الذي حضرته فصائل المعارضة وشخصياتها كافة، وافتتحه الشاعر محمد مهدي الجواهري (ت 1997). إلا أن الفكرة أخذت تتبلور ما بين مؤتمر فيينا (فيينا في حزيران/ يونيو 1992) ومؤتمر صلاح الدِّين (أربيل في تشرين الأول/ أكتوبر 1992). ففي تاريخ 4 تشرين الأول (أكتوبر) 1992 أعلن برلمان كوردستان قرار الفيدرالية، كخيار فريد، على ما يبدو، في العلاقة مع الدَّولة العراقية بعد نظام صدام حسين.

أما شيعياً، فليس هناك من سعاية جادة بخصوص الفيدرالية، قبل سقوط النِّظام، فمثلما تقدم أن السَّيد محمد باقر الحكيم لم يؤكدها كشكل قومي أو مذهبي، إنما من قبيل اللامركزية، وجاء في سياق ردٍّ على سؤال بهذا الصدد. لكن الناشط في المعارضة العراقية آنذاك، والمتابع لشأنها، العقيد الركن عزيز قادر صمانجي، يروي ما جرى بينه والسَّيد محمد بحر العلوم، عميد مؤسسة آل البيت، في تلك الآونة حيث قال له: (عسى الأكراد أن يتمتعوا بالفيدرالية أو ينفصلون عنها، عندئذ نحن(الشِّيعة) أيضاً نقيم فيدرالية خاصة بالشِّيعة في الجنوب والوسط)[502]

---

502 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 127.

عموماً، لا نظن أن السَّيد بحر العلوم تابع القضية، أو هو الذي دفع المجلس الأعلى إلى السعي (لفدرلة) الوسط والجنوب، تيمناً بالمنطقة الكُردية! بقدر ما كان الحديث جارياً، والأمريكان يرفضون، في جعل المنطقة الجنوبية منطقة حظر دولي، كما هي المنطقة الشمالية من العراق.

قبيل سقوط النِّظام حضر المجلس الأعلى مؤتمر (لندن) (كانون الأول/ ديسمبر 2002)، وكان أحد الستة الكبار فيه، ممثلاً بشخص نائب زعيمه السَّيد عبد العزيز الحكيم، وكان له زخم في اللجنة المتابعة ذات الـ (65) عضواً. وبخلاف ما دعا إليه المؤتمر، وبشكل لا رجعة فيه، من أن الحرب قائمة، وقبل بدأ الغزو الأمريكي-البريطاني على العراق، بأربعة أيام لا غير، ظهر زعيم المجلس السَّيد محمد باقر الحكيم في اجتماع (ترتيب البيت الشِّيعي) بطهران(16 آذار/ مارس 2003)، ومن هناك هوجم مؤتمر (لندن)، مثلما مرَّ بنا من قِبل علي الأديب، القيادي بحزب الدعوة، ويُذكر أنه إيراني الأصل والجنسية، والمفاجأة أن السَّيد الحكيم أعلن دعمه لمبادرة الشَّيخ زايد آل نهيان(ت 2004) رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة (الداعية إلى تنحي صدام حسين في مقابل ضمانات)[503] كذلك ندد بالطرح الأمريكي القاضي بتعيين حاكم عسكري على العراق عقب سقوط النِّظام.

---

503 المصدر نفسه، ص 564.

لم تنجح مبادرة الشَّيخ زايد، ولم يُعين حاكم عسكري أمريكي، بل عُيِّن حاكم مدني، مموهاً بما عُرف بمجلس الحكم، ووزارته الصورية، وكان المجلس ممثلاً فيه بشخصية السَّيد عبد العزيز، ينوب عنه القيادي في المجلس عادل عبد المهدي. وجرت الرياح بما لا يشتهي السَّيد محمد باقر، فما هي إلا أربعة شهور، قضاها في متابعة العمل الحوزوي بالنَّجف، حتى قضى نحبه في انفجار هائل، ودخل المجلس الحكم، بعد الانتخابات بأعظم كتلة، ومازال ينافح عبر الانتخابات للاحتفاظ بالثقل السِّياسي والسُّلطة.

على الرغم من حضور المجلس الأعلى بين عشائر الجنوب والوسط، إلا أنه ما كان يحقق فوزاً ساحقاً في الانتخابات (2004 – 2005)، إلا بفضل تشكيل الائتلاف الشِّيعي، ومباركة المرجعية الدِّينية، وفتاويها، التي تحولت ضد مصلحة الناخب الحقيقية لصالح الكيانات ومشاريعها المستقبلية، وتسفيه للعملية الدِّيمقراطية، ولم يحصل ذلك إلا بعد إقناع المرجعية بالموافقة، بل وبمباركة الائتلاف الشِّيعي، واعتماد المحاصصة الخطيرة في الحكم، ولسوئها أخذ يصرح ضدها الذين تحمسوا لها من قبل، واعتبروها حلاً للمعضلات.

ما زال المجلس الأعلى مصراً على المحاصصة، وذلك لأنها الطريق السهل إلى الاحتفاظ بالأغلبية، إلا أن بوادر ظهرت في الآونة الأخيرة لا تبشر بإمكانية البقاء على الائتلاف، فقد انسحب العديد من القوى الفاعلة فيه، مثل التيار الصَّدري، وحزب الفضيلة. بل إن ما

حصل من معارك الجيش والشرطة ضد الذين وصفتهم بالخارجين على القانون، عُدَّت حرباً بين المجلس والتيار الصَّدري، ممثلاً بجيش (المهدي)، على أساس أن عناصر (فيلق بدر) دخلت في قوام القوى الأمنية.

وأن (التيار الصَّدري) و(حزب الفضيلة) وقوى عراقية أخرى، من خارج التيار الدِّيني، بدأت تنسق ضد ما تبقى من الائتلاف: المجلس الأعلى وحزب الدعوة- جماعة المالكي إن صحت التسمية. لكن، كانت عودة تلك القوى من جديد في ائتلاف بعد تغيير اسمه إلى (الائتلاف الوطني العراقي)، على أمل أنه تبدل إلى كيان وطني بدلاً مما كان محصوراً في الطَّائفة الشِّيعية.

بعد خسارة أسرة آل الحكيم لعميدها لحظة خروجه من الروضة الحيدرية، بعد صلاة الجمعة (29 آب/أغسطس 2003) مع أكثر من ثمانين شخصاً، من أتباعه والحاضرين، أُعلن عن تأسيس منظمة (شهيد المحراب)، ومسؤولها المباشر السَّيد عمار الحكيم، نجل السَّيد عبد العزيز الحكيم. وأخذ يبرز عن طريقها نجم رئيسها الشاب. لا يغيب عن محفل سياسي ولا ديني، يصرح ويخطب، ويحضر مؤتمرات الخارج، ليس نيابة عن والده أو عن جهة معينة، بل يفهمك خطابه أنه يمثل نفسه، ويُعد لدور قيادي موعود.

وبالفعل بعد مرض والده تولى هو مهام إدارة وتوجيه المجلس،

فأمر الزعامة لا يمكن أن يخرج من آل الحكيم، وعلى الرغم من أن أحاديث دارت حول المؤهل لهذا الدور هو الشَّيخ همام حمودي، العضو القيادي في المجلس، والقريب من الأسره، فهو ختن السَّيد محسن الحكيم، إلا أن المجلس حسم الأمر ووضع الزعامة بيد عمار الحكيم بعد وفاة الأب، التي أعلنت مساء 20 آب (أغسطس) 2009، وكأن هذا التعيين جاء بوصية، فقد جاء فيها تأكيد على دور الابن السِّياسي، وكانت تليت على الملأ عبر الفضائيات.

عاد عمار إلى العراق، الذي غادره طفلاً، محتفظاً بلسان عربي لا لكنة إيرانية أو ملائية فيه، مثلما هي واضحة على ألسُّن العديد من الزعامات الدِّينية. وكان الأوفر حظاً من بين آلاف الأطفال العراقيين الذين نشأوا في المهجر الأوروبي أو الإيراني. وقد يأخذ الاستغراب منك مأخذاً عندما تقارن بين خلو لسانه من أي لكنه إيرانية بمَنْ لم يغادر العراق، ولم تحم حوله تهمة الأعجمية، ويتصدى للزعامة أيضاً. وربما سلامة الخطاب وصعود النجم جعل بعض الإسلاميين يتمنى أن يكون عمار خلفاً لعمه في زعامة المجلس الأعلى.

مَنْ يراقب نشاط عمار الحكيم، عبر وسائل الإعلام، يجده إما خطيباً في مؤتمر للتبليغ، أو أمام حشد نسوي من أجل تطبيق الشريعة في الدستور، أو يترأس وفداً إلى خارج العراق. زار الفاتيكان مشاركاً في تنصيب البابا الجديد (أبريل 2005)، سوية مع سفير العراق في الفاتيكان ألبرت يلدا. ولنا أن نحسبها رداً على زيارة وفد الفاتيكان

بالمواساة بوفاة الجد (1970)، يوم شق القساوسة بثيابهم الدِّينية الزاهية أزقة النَّجف.

ولم ينس عمار، وهو يخطب في مؤتمر الوحدة الإسلامية، إلى جانب الشَّيخ هاشمي رفسنجاني بطهران، أن يشيد بالصحوة الإسلامية. قال: (وقد تفاجأ العالم وتفاجأنا نحن من مستوى الصحوة). وأن يصف هناك أمريكا بالمحتلة، وأن يختم خطابه بالدعاء (لولي أمر المسلمين)، على حد عبارته، ويعني مرشد الثورة آية الله علي خامنئي. تورط عمار الحكيم مرةً في تصريحات كادت تعصف بما بين الكُرد والمجلس الأعلى من علاقة، عندما نقلت عنه وكالات الأنباء القول: (نحن لا نقبل بدمج كركوك بتلك المحافظة أو بأخرى لأن كركوك هي عبارة عن عراق مصغر وهي لكل العراقيين ... كما نحن نرفض أي ترحيل قسري لأي عراقي عن مدينة عراقية، لأن كلَّ عراقي له الحق في العيش في أي مدينة يختارها)[504] إثرها زار عمار رئيس الجمهورية جلال الطالباني موضحاً أو معتذراً عن تأويل كلامه. على الرَّغم أن ما صرح به عمار الحكيم وقتها صرح به في ما بعد القيادي في الحزب الديمقراطي الكُردستاني، ووزير الثقافة بالإقليم السابق فلك الدِّين كاكه ئي، قال:

(العالم قد تغير ويجب التأكيد على المصالحة الوطنية والتي أراها جزءاً من الحل لمشكلة كركوك، وأنا أتساءل إذا أصبحت كركوك

---

504 جريدة الشرق الأوسط، العدد: 9688 المؤرخ في 7 حزيران (يونيو) 2005.

تحت قيادة كردية أو تركمانية أو عربية فأين يذهب بها الكردي والتركماني والعربي فهي في النهاية للجميع. أنا مع من يقول: الحل للمشكلة في جعل كركوك إقليميا فيدرالياً مستقلاً لا مع المركز ولا مع الإقليم، ويصار إلى تعاون في إدارتها، وتدار إدارة مشتركة من خلال مكونات المحافظة على أساس انتخابات حرة، لا تكون فيها هيمنة قومية على حساب قومية أخرى. وهذا أحد الحلول التي أؤمن بها)[505]

هذا، ولما صرح عمار الحكيم، قبل استقرار الأحوال، وهي فلته لسان مثل سابقتها، عندما قال حول تسمية الدَّولة العِراقية، ضمن تصريحه الآتي: (إذا كان الأمر يتطلب تسمية للجمهورية العراقية المقبلة، فالأحرى أن تكون جمهورية العراق الإسلامية الفدرالية)[506] جاء الرَّد سريعاً مِنْ الدكتور فؤاد معصوم، رئيس التَّحالف الكردستاني: (جمهورية العراق اتحادية، وليست عربية أو إسلامية).

نستشف من هذا أن السَّيد عمار، ومن دون أن يُقلد مركزاً رسمياً، أصبح لكلمته وقع، قبل مرض والده بالسرطان وغيابه الطويل بين فترة وأخرى للعلاج بطهران، وتجد حضوره حتى أكثر من والده ومن الحكومة نفسها. وقد أشرنا إلى ظاهرته، التي بدأت بالصعود، في مقالنا بـ (موعود آل الحكيم) (الشرق الأوسط، العدد: 9738،

---

505 مقابلة أجرتها مع جريدة المدى البغدادية، العدد المؤرخ 22 تموز (يوليو) 2009. أجرى الحوار: يوسف المحمداوي.

506 جريدة الشرق الأوسطن العدد: 9726 المؤرخ في 15 تموز (يوايو) 2005.

المؤرخ 27 تموز/يوليو 2005). إلا أن التهم كثرت ضده، فأخذ يُعرف بعدي الحكيم، إشارة إلى ما يشاع من هيمنته على مؤسسات ودوائر وممتلكات، تشبيهاً له بعدي صدام حسين.

التقيت بالسَّيد عمار الحكيم(2006)، بدعوة شخصية من فرع المجلس بلندن، ورأيته ذروة في الأدب وتهذيب المنطق، على طريقة علماء الدِّين، جيد الإصغاء وعميق التفكير، ولا يشعرك بامتعاض من أي سؤال وتعليق، على الرغم من أن حديثي كان فيه الكثير من اللوم، وعلى وجه الخصوص في ما يخص الشأن الثقافي، وترديه بسبب تدخل القوى الدِّينية وهيمنتهما على هذا الجانب، وبصريح العبارة قلت له: (ما شأن المؤسسات الدِّينية بالثقافة، وأنتم تعلمون أنها من حصة المتمردين في التَّاريخ دائماً)!

فالجاحظ (255هـ 868 ميلادية)، الذي لا تخلو مكتبات عالم الدِّين والزنديق، على حد سواء، من كتبه كان لا يصلي، حسب بعض الروايات. كذلك لم يكن أبو حيان التوحيدي(ت 414 هـ 1023 ميلادية) متديناً. وقيل إن المرجع محمد سعيد الحبوبي(قتل 1915) نظم الشعر الذي فيه ما يتعارض مع حشمة علماء الدِّين، حتى قال: (أعطني كأساً وخذ كأساً إليكَ.. فلذيذ العيش أن نشتركا). وله أيضاً: ما نشرته مجلة (العرفان الصيداوية) (نيسان 1909) تحت عنوان (حسناء عراقية): (لُح كوكباً وامش غصناً وا لتفت ريما.. فإن عداك اُسمها لم تعدك السيما.. وجه أغر وجيدٌ زانه جيدٌ.. وقامة

تخجل الخطي تقويما.. ذي نون حاجبه لو حاوؤه اتصلت.. في ميم مبسمه لم تعدُّ حاميا.. لو شاهدتك النصارى في كنائسها.. ممثلاً ربعت فيك الأقانيما). وسمعتُ أن مرجع زمانه، السَّيد محمد كاظم اليزدي (ت 1919) نصحه أن يختار واحدة من اثنين: الفقه أو الشعر!

وقصدي من هذا، أن أعتقوا الثقافة من السطوة الدِّينية! سمعني جيداً السَّيد عمار، وكان يرد بالإيجاب، مع تبرير تلك الممارسات! ومما قلته له بخصوص ملء الشوارع والمؤسسات العلمية بالسواد. عموماً، أتيت على شيء من ذلك اللقاء لأسلط الضوء على شخصية مَنْ سيكون له دور في شأن السياسة العراقية، إذا ما ظل الحال عليه، من هيمنة للقوى الإسلامية.

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن واجهة المجلس الأعلى بين تركمان العراق هي حزب (الوفاء التركماني)، الذي تشكل بطهران بدعم مِنَ المجلس حوالى العام 1996، ويترأسه فرياد عمر طوزلو، وهو ممثل في مجلس النواب على قائمة الائتلاف الوطني العراقي الموحد حالياً.

وهكذا يكون التركمان قد تشظوا على الأساس المذهبي، سُنّي وشيعي، ثم تشظى الشِّيعة منهم على أساس الولاء الحزبي: دعوة ومجلس، والنشأة على الأراضي الإيرانية، وأحزاب أُخر من السُّنَّة والعلمانيين كانت نشأتهم على الأراضي التركية، مثل حزب العدالة، وبقية جماعة الإخوان المسلمين بين تركمان العراق، الذي تأسس

بعد سقوط النِّظام (2004)، مع وجود تنظيمات يشار إليها بالولاء للأحزاب الكُردية العراقية.

المجلس الأعلى

منظمات تابعة

حركة حزب الله:

يُفهم من تسمية (حركة حزب الله)، حتى قبل الاطلاع على تفاصيل نشأتها، أن للمسمى بها صلة ما بكيان أو جماعة تسمت من قبل باسم (حزب الله) عراقي، وكان إحدى مكونات (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق)، منذ بداية تشكيله، فليس هناك من تعارض مع اسم (حزب الله) لبنان أو أي بلد آخر. وفي تسميات الأحزاب بأحزاب الله تحضر الآية الآتية: (وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)[507]

وترى أن الآية المذكوره، عند توظيفها لغرض السياسة، لا تعني سوى رفعها لافتة بوجه بقية الأحزاب، التي لا تحمل تلك التسمية، وبالمقابلة بين الفئتين من الأحزاب، عبر الآية التالية يكون الغرض واضحاً: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ) أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[508] والشيء

---

507 سورة المائدة، الآية، 56.

508 سورة المجادلة، الآية، 19.

بالشيء يذكر، يبدو أن تسمية (حزب الله) اللبناني، أو العراقي بفعل الجمهورية الإيرانية الإسلامية(1982) جاءت متأخرة على ابتكار ظهر أقدم من هذا، وهي كماركة من حق الحركة الإسلامية اليمنية، لفرع الإخوان المسلمين منها، وهم كما يبدو خليط بين أُصول زيدية وشافعية.

أسس أول (حزب الله) الشاعر محمود الزبيري (اغتيل 1965) باليمن، وذلك إبان الصِّراع بين الملكيين والجمهوريين عقب ثورة 26 أيلول(سبتمبر) 1962 اليمنية بصنعاء[509] قال أحد المؤسسين في لحظة التعبير عن الحزب: (وفي الطريق... قال الزبيري: سنفجر لهم قنبلة عظيمة ستكون شديدة الوقع عليهم، سنعلن إنشاء حزب نسميه حزب الله، وهم سيقولون ونحن من حزب الله)[510] تم ذلك في أجواء منع مصر النَّاصرية عمل الأحزاب السِّياسية باليمن، عندما كانت القوات المصرية متمركزة هناك، والحرب قائمة بين الجمهوريين والملكيين، والحزب أعلن تنصله من النظامين، ليعلن العمل على قيام دولة اليمن الإسلامية[511]

إلا أن عبارة الزبيري، السَّابقة الذكر، وهو الزَّيدي الذي اقترب

509 موسى النمراني، الإخوان المسلمون، المرتكزات والسياق التَّاريخي، كتاب المسبار، العدد 19 تموز(يوليو) 2008 ضمن ملف الحركة الإسلامية اليمنية.

510 المسعودي، محمد الزبيري ومشروع حزب الله 1941 1965 ص 118.

511 المصدر نفسه، ص 118 119.

من الإخوان المسلمين السُّنَّة، (وهم سيقولون ونحن من حزب الله) تؤكد أن كتاب الله واسم الله تعالى نفسه حمَّال أوجه، الكل يستطيع رفعهما شعاراً، فمن تراث الإمام علي بن أبي طالب: (لا تُخاصِمْهم بالقُرْآن، فإن القُرْآنَ حَمَّال ذو وُجُوهٍ تقول ويَقولون ...)[512]

ولمحمد خالد البارزاني فضله السابق أيضاً في تأسيس حركته تحت اسم (حزب الله)، وهي أيضاً إحدى مكونات المجلس الأعلى المذكور الأولى، كجهة كردية وسُنِّية، وهي بالمحصلة حركة مشبوبة بالتصوف، مثلما سبقت الإشارة.

هناك تنظيم مسلح شيعي، لا يبدو له صلة بالمجلس الأعلى، ولكننا نمر عليه ضمن ما أوردنا مِن حركات اتخذت مِن لفظ الجلالة اسماً لها، أعلن عن نفسه تحت اسم (كتائب حزب الله) ضمن المقاومة الإسلامية داخل العراق، شعارها: رشاش كلاشنكوف ترفعها يد تنطلق مِن وسط خارطة العالم، تعلوه العبارة: (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ)[513] مرفوعة على أطراف حروف اسم الحركة (كتائب حزب الله)، وتصدر البيانات القتالية، وكان أحدث بياناتها مؤرخ في نيسان(أبريل) 2008. وحسب موقع الحركة، في مقابلة أحد

---

512 كتاب نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص 622 الرقم 315. ويشرح ابن أبي الحديد قائلاً: (هذا الكلام لا نظير له في شرفه وعلوّ معناه، وذلك أن القرآن كثير الاشتباه، فيه يُظنُّ في الظاهر أنها متناقضة متنافية ... وأيضاً في ناسخه ومنسوخه أكثر من ناسخ السُنَّة ومنسوخها)(شرح نهج البلاغة 18 ص 37 - 38).

513 سورة التوبة، آية: 12.

كوارها الميدانيين، ورد أنها كانت موجودة أيام النِّظام السابق، ثم برزت العام 2003 كمقاومة للاحتلال الأمريكي، وطغى عليها في بداية الأمر اسم (كتائب أبي الفضل العباس)، على اعتبار أنها كانت مُشَّكلة مِن عدة كتائب أبرزها هي كتيبة أبي الفضل العباس، الذي قُتل مع أخيه الحسين بحادثة الطَّف بكربلاء السنة 61 هـ، ثم استقرت باسم (كتائب حزب الله).

عقيدة الكتائب هي عقيدة الدولة الإيرانية وحزب الله اللبناني نفسها (ولاية الفقيه)[514] ويتشددون فيها، واختارت الحركة أن تكون ولادة موقعها الألكتروني الجديد في يوم (الغدير)[515] وهو اليوم الذي يعتقد الشيعة أن النَّبي أعلن فيه الوصية الإلهية لعلي بن أبي طالب، في 18 من ذي الحجة العام 11 هـ، خليفة مِن بعده. وهم يرفضون المصالحة أو عودة البعثيين إلى دوائر الدَّولة، وهو الموقف الذي أعلنته الجمهورية الإسلامية الإيرانية نفسه على لسان رئيسها أحمدي نجاد.

كذلك لها الموقف نفسه ضد التَّظاهرات المطلبية ببغداد وبقية المحافظات، يوم 25 شباط (فبراير) 2011. وأصدرت بياناً في هذا الصدد قبل موعد التظاهرات بيوم واحد: (نبهت الكتائب في بيانها مِن أن هذهِ المظاهرة، وبهذا التوقيت وبهذهِ المطالب، هي قطعاً في مصلحة الاحتلال الأمريكي، وذلك لأنه يبحث عن مبرر يجعله يلتف

---

514 http://www.kataibhizbollah.org/.

515 المصدر نفسه.

حول موعد انسحابهُ مِن العراق نهاية عام 2011، وذلك المبرر، هو إيجاد مشاكل أمنية). واعتبرت تلك التظاهرات ستنطلق بتشجيع الأعداء: (إن الاحتلال وبقايا البعث وحارث الضاري وجماعته هم مَن يقفون خلف هذه التظاهرات)[516]

أما حزب الله العراقي الشِّيعي، فمثلما قلنا ساهم بتشكيل المجلس الأعلى، وله اتحاد طلابي تحت عنوان (اتحاد الطلبة المسلمين في العراق)[517] ولست متأكداً في ما إذا كان هو نفسه الذي كان يتصدره كريم ما هود المحمداوي، أم هناك مؤسس وقيادة أخرى له. ويُقال عن المحمداوي كان ضابط صف في الجيش العراق السابق، وسُجن ثم فرَّ من السجن، ليجمع حوله الفارين من الخدمة العسكرية وسط الأهوار، وتلقب بأمير الأهوار.

ويُذكر أنه كان على اختلاف مع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ولا يؤيد قيام إقليم شيعي، وينفي عن نفسه التَّعاون مع إيران، وأي علاقة له بجيشها الثوري، وينفي أية صلة له بتنظيم (حزب الله) اللبناني، مثلما شاع عن حزبه بجريرة الاسم. أصبح المحمداوي عضواً في مجلس الحكم العراقي (2003)، ثم علق عضويته. كذلك له تصريحات مخالفة للطريقة التي أُعدم بها صدام حسين، ووصفها بالطَّائفية، وأنه ضد قيام إقليم أو دولة شيعية.

---

516 المصدر نفسه.

517 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 63.

وإذا علمنا أن كريم المحمداوي أعلن عن نفسه أميراً للأهوار، فمعنى هذا أنه لا بد من تولي مهام مسؤولية إعادة إعمارها، فإن ظهور (حركة حزب الله) لا يخرج من ربقة الخلاف بين المحمداوي والمجلس الأعلى، الذي يتهمه المحمداوي بمحاولة إلغاء وجود حزبه بتأسيس تلك الحركة وبالاسم نفسه. تلك مجرد مقدمة عن تأسيس حركة حزب الله، والتي أخذت بالفعل تحل محل ذلك الحزب، الذي يكاد يغيب عن الساحة. وبعد هذا نتفهم أن تاريخ الحركة هو كما يبدو تاريخ الحزب نفسه، وأنها بمثابة انشقاق عنه، لينكفئ الأصل وينشط الفرع.

يصعب تحديد تاريخ بعينه لظهور، أو تأسيس، تلك الحركة المسلحة ثم السِّياسية، التي حدد لها كريم ماهود العام 1994، ولربما كانت في ذلك التَّاريخ عبارة عن إرهاصات أو مقدمات لوجودها، كعمليات مسلحة متفرقة، تجمع منفذوها الهاربون من الخدمة العسكرية، والناقمون على السُّلطة. فبعد الحرب العراقية الإيرانية كثر الفارون إلى إيران، أو إلى عمق الأهوار، وهم من المتدربين على السلاح في الجيش العراقي، أو الجيش الشعبي، إضافة إلى وجود قوى سياسية تعمل من إيران. لذا وجد هؤلاء الأفراد أنفسهم منتظمين في جماعات، لم تكن تعبر آنذاك عن مطامح كبرى، كإسقاط السُّلطة، بقدر ما كانت تحاول البقاء في مأمن من القوانين العنيفة المفروضة على الفارين أو المتخلفين عن الخدمة العسكرية، أو عن الحرب.

كذلك لا تعبر تلك المجاميع، مثلما نقرأ في قصص حياة شهدائها، عن موقف رافض للحرب، كموقف لصالح الدَّولة والثورة

الإيرانية الإسلامية، إنما كانت المواقف متباينة، ولعلَّ الغالب منها كان هروباً من الحرب. نقول هذا لأن الادعاءات كثرت حول أسباب تلك الجماعات، بل الأفراد.

حتى أن هناك مَنْ ادَّعى أنه كان يحرض ضد الخدمة العسكرية وهو ببغداد والنَّجف، مع أن النظام كان يطبق بهيمنته ولا عقوبة على مثل تلك الممارسات أقل من الإعدام الفوري، ولهذا فهي لا تعدو أكثر من كونها نوعاً من التقرب أو تملق السلطات الإيرانية، والقوى الدِّينية، بضاعة مجد ذاتي. ولا نغفل قسوة الظروف التي تبرر ادعاء جندي هارب، أو لاجئ إلى إيران، وطالب عون انقطعت به السُّبل من حزب أو جهة إيرانية.

إلا أن أحد البارزين في الحركة يتجاوز (حزب الله)، وما أرّخ له أمينه العام كريم ماهود، ليتحدث عن نضال بدأ مبكراً 1981، وأنه كتكليف ديني شرعي. قال في مقابلة له مع صحيفة الحركة: (كان التكليف الشرعي الواقع على المؤسسين من جهة والالتزام الأخلاقي من أبناء الحركة أمام أعيننا كأسباب جوهرية لتأسيس الحركة، فقد كان العمل ضد النظام السابق عملاً مشرفا وتكليفاً شرعياً كما صرح بذلك مراجعنا العظام كالسَّيد محمد باقر الحكيم. وكان أبناء الحركة تواقين للعمل ضد هذا النظام الدموي الذي كشر عن أنيابه مبكراً ضد أبناء شعبنا، وكان لا بد من الوقوف بوجه الطاغية وسياساته دفاعاً)[518]

518 صحيفة البينة، العدد المؤرخ 22 آذار (مارس) 2008.

ثم يعود ويقول عند السؤال عن البداية: (ابتدأت من داخل السجون وفي مناطق الأهوار على شكل مجاميع جهادية لمقاتلة النظام تلبية لنداء المرجعية، وبقي العمل الجهادي متخذاً هذه الشاكلة إلى عام 1986). وأنه كان من المطروح أن تُنظم تلك المجاميع في خلايا تسمى (حزب الله)، مثلما أراد السَّيد محمد باقر الحكيم، وكان من المنتظمين: عناصر عشائرية، وأساتذة جامعة، وضباط جيش وغيرهم! ويحدد أن الحركة تلقت ضربات موجعة بين 1986-1989 من قبل النظام، حتى أنها فقدت حوالى 1000 شهيد، وتعرض منها 1600 للسجون، وترك شهداؤهم آلاف الأيتام والأرامل!

وأردف متحدثاً عن بداية الحركة بعد الانتفاضة، أي ربيع 1991، وكان سجيناً، حسب روايته، ولعلَّها جاءت على لسان الكثيرين من المنتفضين واللاجئين إلى إيران، والمملكة العربية السعودية. إلا أنه في كل الأحوال لم يُسمع بالحركة، ولا بأمينها العام حسن الساري، إلا بعد سقوط النظام في 9 نيسان (أبريل) 2003. وبعد عدة أعوام لظهور (حركة حزب الله العراق)، يعود ويعلن أنها استكملت حلقاتها العام 1993، بعد خروجه من السجن، ليكون أمينها العام.

ونجده يتحدث عن سيرته الذاتية، وما يُستشف فيها من تناقضات، حول أن يكون سجيناً 1981، ثم يكمل دراسته بشكل مريح، ويكون ضابطاً في الجيش، ويرفض العمل في مراكز هامة، ومنها التصنيع العسكري، والمفاعل النووي، تُكشف صلته بتنظيم (حزب

الله)، مثلما جاء في روايته، ليودع في السجن ويُعذب سبعة أشهر، ثم يُحكم بالمؤبد للمرة الثَّانية، ويخرج من السجن. كل هذا، وكان العمل المعارض للسلطة، وعلى وجه الخصوص العمل المسلح، لا تقل عقوبته عن حكم الإعدام في كل الأحوال، هذا ناهيك عن أنه قدم نفسه نشطاً ضد السُّلطة منذ المدرسة الإعدادية، أي وعمره كان 18 عاماً!

جاء في أحد روايات كوادر الحركة: (أنا من مواليد 1961 من ميسان ولا أزال أسكن فيها، وأنا من عائلة فقيرة ومتدينة، أكملت الدراسة الابتدائية والمتوسطة في ميسان، وثم الإعدادية في ديالى- قضاء الخالص. ثم الدراسة الجامعية ببغداد، وحصلت على بكالوريوس علوم كيمياء من جامعة بغداد. ابتدأت العمل الجهادي والسِّياسي منذ عام (1979) في مرحلة الإعدادية، وتمثل العمل آنذاك بالتثقيف ضد النظام، وأعوانه، وتنظيم خلايا الشباب، وتطور عملي في المرحلة الجامعية. تخرجت عام 1984 والتحقت بالخدمة الإلزامية، وعندما أجبرت أن أكون ضابطاً مجنداً هربت من الخدمة في الجيش، الذي كان يقود حرباً ظالمة ضد الجمهورية الإسلامية بإيران، وتفرغت للعمل السِّياسي والجهادي في مدينة العمارة والمنطقة الجنوبية، رغم أن فرصاً مريحة جاءتني للالتحاق بالتصنيع العسكري، أو في مفاعل تموز(يوليو)، وما يمكن أن يتبع ذلك من دورات في الخارج ضمن اختصاصي).

ويكمل قائلاً: (إلا أنني فضلت القتال مع إخوتي الأبطال على كل هذه المغريات. وفي عام 1988 كنت في واجب جهادي ببغداد فألقي

القبض عليَّ في كمين لرجال الأمن، وتعرضت إلى أصناف التعذيب في المعتقل، ولكن صمودي من جهة وعدم وجود معتقلين من الحركة يعرفون شكلي آنذاك، حال دون تمكن رجال الأمن من تشخيص هويتي بدقة).

وتراه يقول: (ومع ذلك حكم عليَّ بالمؤبد وبعد مرور عام ونصف العام أي في عام 1989 انكشفت مجاميع وخلايا لحركة حزب الله، وتم التعرف عليَّ حينذاك فأحلت إلى مديرية أمن صدام، وثم إلى أمن ميسان، ومورست عليَّ أصناف التعذيب لمدة 7 أشهر حكمت إثرها بالسجن المؤبد الثَّاني، وقضيت محكوميتي في أبو غْريَب قسم الأحكام الخاصة)[519] حتى أطلق سراحه بالعفو الذي أصدره صدام حسين 1992!

وأكثر من هذا يتحدث، وهو المؤسس للحركة، عن معجزة أخرى، وهي محاولة الهروب، واكتشاف أمرها، وتنظيمه لحركة حزب الله داخل السجن، المرصود بألف عين وألف جهاز! قال: (كنت وإخوة لي في السجن قد خططنا للهروب من السجن، وكان ذلك في أوج عظمة النظام عام 1990 قبل دخول الكويت. وكانت الخطة تقتضي أن تدخل مجموعة من السجناء لغرض الاستحمام، وهي مجموعة معروفة بقوتها وشدة بأسها. وحين تدخل هذه المجموعة برفقة الحارس الذي يحمل

---

519 جريدة البينة، العدد المؤرخ: 22 آذار (مارس) 2008.

كل مفاتيح السجن، تقوم مجموعة منا بالإمساك به وأخذ المفاتيح. ثم تذهب مجموعة أخرى لغرفة المشجب والسيطرة على السجن، وكنت حينها مكسور اليدين ويتكفل بعض الإخوة بحملي. وفعلاً قمنا بالعملية وكانت ساعة الصفر 30و11 مساء يوم 2 شباط (فبراير) إلا أن كثرة عدد السجناء وتزاحمهم في الخروج، وعدم التزامهم بالخطة المرسومة أدى إلى استشهاد 7 من المنفذين، وتم اعتقال الآخرين وهروب أربعة آخرين)[520].

بهذه التفاصيل، التي تبدو مخالفة لمجريات الأمور آنذاك، وما فيها من التضخيم عبر قصص النضال ضد النظام السابق، تحدث مثلها كثيرون في دول اللجوء السِّياسي، كي يحصلوا على ثقة المحققين! ومن هنا نجد صعوبة في تسجيل ذاكرة صحيحة عن تاريخ الحركات الهامشية، التي نشأت من دون تأسيس وتخطيط، ركب المعلنون عنها موجة الحركة العامة، أو أعادوا صياغة ما قرأوه من مذكرات سياسية. وتنبيك عن صعوبة كتابة تاريخ صحيح للعديد من الحركات الدِّينية والسِّياسية بشكل عام، من التي في السُّلطة أو ما يُعبر عن نفسه باسم المقاومة. وكم تبدو الفترة حرجة، وقد تُقدم كيانات لا تاريخ لها وأشخاص صنعت نفسها بكتابة سير ذاتية، بينما يُهمل أو تتجاوز الأحداث مَنْ كانوا في صلب الحدث!

520 جريدة البينة، العدد المؤرخ 2008/3/22.

فمن الصعوبة الاستدلال مثلاً من قصة أبي حمزة الرويمي، وأقربائه من آل غاجي عامر على بداية حركة مثل حركة حزب الله، مثلما وردت في جريدة الحركة الرسمية (البينة)، من أنه العام 1985 تحرك المذكور والتقى بمجاهدي الحركة آنذاك، وهو من أهل الهوير (تصغير للهور) شمال البصرة، وأنه ظل يقوم بالعمليات العسكرية ضد النظام، مع وجوده في الحياة العامة، ضمن مجموعة مسلحة، من دون أن يشعر به أحد! بينما كان النظام في تلك الفترة، أي قبل حرب الكويت، يعد أنفاس العراقيين عداً. وكأن يراد القول إن تاريخ الحركة يرتقي إلى تلك الأيام[521]. وفي مكان آخر يتحدث القائمون على الحركة بأنها تأسست 1992.

ومن خلال متابعة صحيفة الحركة، وتصريحات قادتها، وتغطياتها الصحفية لمناسبات المجلس، وزيارات السَّيد عبد العزيز الحكيم، ونجله عمار، وما يتعلق بدفاعها عن مواقف المجلس ككل، و(منظمة بدر) أنها منضوية تحت عباءة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وليس الأمر تعبيراً عن عاطفة شيعية وحسب. مع أنها شعرت بهضم حصتها من مقاعد الائتلاف الشِّيعي، وكانت عضواً فيه.

ويؤكد أمينها العام هذا الارتباط العضوي بالمجلس الأعلى بقوله: (في الدورة الثامنة لتشكيلة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية

---

521 جريدة البينة، كوكبة من شهداء حركة حزب الله بالعراق (عشاق الشهادة آل غاجي عامر)، التَّاريخ 21-10-1428 هـ.

دعينا للمجلس من قبل السَّيد الحكيم، وأصبحت أحد أعضاء المجلس الأعلى، ثم عضواً للشورى المركزية للمجلس، ولا زلنا كذلك. فبعد سقوط النظام ألقينا السلاح، ودخلنا إلى العملية السِّياسية منصرفين إلى العمل السِّياسي، وقد اشتركت في معظم المؤتمرات وقت المعارضة)[522].

وترى الحركة رأي المجلس الأعلى في إقامة إقليم الجنوب والوسط الشِّيعي، بل تذهب إلى أكثر من هذا، حسب ما جاء في ما كتبه محرر صحيفتها السِّياسي، وهو بالتأكيد يعبر عن وجهة نظر الحركة، تحت عنوان: (إقليم الوسط والجنوب ودعم الشِّيعة في السعودية والخليج: على كل القيادات السِّياسية والجماهيرية الواعية والمرجعيات الدِّينية أن يحشدوا كل جهودهم وإمكانياتهم لبلورة فيدرالية الجنوب والوسط وبغداد... إذ لا مكان للعيش مع هذه الأقلية الصحراوية ما داموا يرون في صدام مثلاً يحتذى به ودمويته منهاجاً عملياً يطبق على الأرض)[523]!

هذا، وعندما زار رئيس المجلس الأعلى عبد العزيز الحكيم ميسان للدعاية الانتخابية، كتبت الصحيفة مانشيتاً: (هتف الصَّدريون في ميسان: عبد العزيز أهلا بيك.. التيار الصَّدري يحييك)! مع أن رأي الصَّدريين في السَّيد الحكيم أتى على لسان السَّيد مقتدى

522 المصدر نفسه 22 آذار (مارس) 2008.

523 المصدر نفسه 10 كانون الأول (ديسمبر) 2005.

الصَّدر عندما أنب أحد أتباعه للإشادة بحصافة عبد العزيز الحكيم السِّياسية! قائلاً له : (خلي الله بين أعيونك)، وهي عبارة استنكار ما هو بعيد عن الحق! جاء ذلك عبر تسجيل فيديو نشرته مواقع الإنترنيت.

لحركة حزب الله العراق مؤسسة خيرية تُعرف بمؤسسة (الإيثار)، ومن أول مهامها متابعة شؤون شهداء الحركة، وقد عدت منهم 863 شهيداً، وكذا تنوي تسجيل تاريخ الحركة، وهو كثيراً ما يرتبط بحركة المجاهدين. ولها جريدة باسم (البينة)، التي أشير في غرتها بأنها صدرت 1998، ولعلَّها كانت عبارة عن منشور، أو نوعاً من محاولات التأصيل، وهذا ما تفعله أغلب الحركات والأحزاب، التي تهتم بأن يكون لها تأريخ قبل سقوط النظام.

نشرت (البينة) موضوعات تشير إلى انفتاح، وتخطي الحواجز التي تركتها الحوادث السَّابقة بين القوى الإسلامية والقوى العلمانية، منها دفاعها عن حرية الصحافة من أجل الجميع. كتب رئيس تحريرها عيسى السَّيد جعفر في العدد 640: (مرت يوم أمس احتفالات اليوم العالمي للصحافة، وكان لهذا اليوم بالعراق وضعه الخاص، فالعشرات من صحفيي العراق قدموا أرواحهم وأجسادهم الطاهرة قرباناً على مذبح الكلمة الصادقة، والمهمة الأخطر في العالم كله).

ومنها ما كتبه حكيم العلوي على صفحاتها. وما أشار به إلى الحزب الشِّيوعي العراقي بعين الرضا أو العتب، مشيداً بدور

الشّيوعيين، ومجدهم النضالي ضد الدكتاتورية، لحقب عديدة، وما عانوه من تشريد واضطهاد، ثم يعتب عليهم في تحالفهم مع القائمة العراقية، أو رئيس الوزراء الأسبق أياد علاوي، على خلفية أنه كان بعثياً سابقاً، ويبدو أن محاولة الاغتيال التي تعرض لها الأخير، وحضوره في قلب المعارضة العراقية لم يشفع له.

ومما جاء في المقال: (كان اشتراكهم في انتخابات الحكومة الانتقالية بقائمة اتحاد الشعب ذات الألوان الحمراء يشكل مع الألوان الأخرى والإسلامية والقومية والليبرالية كرنفالاً لونياً رائعاً للديمقراطية بالعراق والشرق الأوسط. أما أن يأتي تحالف حميد مجيد موسى بوصفه سكرتير الحزب الشّيوعي، ولا أقول الشّيوعيين، مع أياد علاوي الذي يدعو وأقطاب قائمته جهاراً نهاراً إلى عودة البعث والبعثيين فأعتقد أنها خيانة كبرى لمبادئ هذا الحزب)[524].

واتخاذ هذا الموقف لا ينفصل عن موقف المجلس الأعلى والائتلاف الموحد ككل، حيث كان ضمن الدعاية الانتخابية عرض القائمة العراقية وكأنها قائمة البعث، أو التحذير المبطن من انتخابها على أنها عودة للبعثيين، الذين يشكلون رعباً وفزعاً في نفوس قطاعات واسعة من العراقيين. وكذلك نشرت (البينة) تحقيقاً عن سجن (نقرة السلمان)، وأوردت أسماء الشّيوعيين المعتقلين هناك[525]. ومعلوم أن

---

524 المصدر نفسه 22 كانون الأول (ديسمبر) 2005.

525 المصدر نفسه 20 كانون الثّاني (يناير) 2006.

هذا السجن ارتبط ارتباطاً تاريخياً، خلال العهد الملكي وفترة البعث الأولى، بالسجناء الشّيوعيين.

وشعار الحركة المثبت عبارة عن خارطة العراق محصورة داخل دائرة، بين سيف (ذو الفقار)[526]، سيف الإمام علي بن أبي طالب، من اليسار، وسنبلة من اليمين. أما الشّعار الذي نُقش على غرة جريدة الحزب (البينة) كان: صورة خارطة العراق محصورة في دائرة من سنبلتين!

حركة سيد الشهداء

سيد الشهداء هو أحد ألقاب الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (قُتل 61هـ 680 ميلادية)، وترفع الحركة شعار (يا لثارات الحسين)! وكان المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثّقفي (قُتل 67هـ686 ميلادية)، يعلن مطالبته من جديد بثأر الحسين، ليلاحق قتلته واحداً بعد واحد، إلى جانب الجماعة الذين عُرفوا بالتوابين، بزعامة سليمان ابن صُرد الخزاعي (قُتل 65هـ 684 ميلادية).

نجد عبارة: (يا لثارات الحسين) بارزة في شعار الحركة الذي يتكون من: خارطة العراق، وسط دائرة احتل مركزها رسم ضريح

---

526 ذكره الطبري ضمن سيوف النبي، غنمه في معركة بدر (تاريخ الأمم والملوك 3 ص 48). وورد في السيرة النبوية: (كان يُقال لسيف رسول الله (ص): ذو الفقار)، وأهداه لعلي بن أبي طالب(ابن هشام، السيرة النبوية 3 ص 80). وجاء في حاشية السيرة: ذو الفقار هو سيف العاصي بن منبه، ولما قُتل غنمه منه النبي، ثم صار لعلي.

الحسين بين رمحين متقاطعين، وعُلقت فيهما رايتان: كتب في إحداهما عبارة الحسين الشهيرة عند قراءة مقتله يوم عاشوراء: (هيهات منا الذلة)[527]! وعلى يسارها كُتبت العبارة: (يالثارات الحسين)! ويعلو الشِّعار الآية: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)[528]!

تصعب المواءمة بين الدِّيمقراطية والعمل من أجل عراق واحد تحت هذا الشِّعار، والسبب أن المختار والتوابين كانوا يعنون قتلة الحسين، وكذلك اختلفوا حوله على الزعامة[529]، وحتى أن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ت 94هـ 712 ميلادية)، والمعروف بالسجاد، قد اكتفى بثأر أبيه من قتل قتلته المباشرين، لذا تجده في أحد الأدعية، من الصحيفة السجادية، يدعو إلى أهل الثغور، وهم الجيش الأموي المرابط في الحدود مع الروم البيزنطيين[530].

لكن رفع هذا الشِّعار في الوقت الحاضر، ومن قِبل حزب سياسي أو حركة، يقبع تحت عباءة كيان شيعي كبير، مثل المجلس الأعلى، سيسفر عن حالة مشاعر انتقام، لا بد أن توجه إلى الجماعة

---

527 ولعلها نحتت من عبارة قالها الحسين عندما أرادوا منه النزول على حكم عبيد الله بن زياد بالكوفة: (لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد) (الطبري، تاريخ الأمم والملوك 4 ص 624، ورد مثلها: (معاذ الله أن أنزل على حكم ابن مرجاة أبداً) (الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 114).

528 سورة الأنفال، الآية 60.

529 الطبري، تاريخ الأمم والملوك 5، ص 65 وما بعدها.

530 الدعاء المعروف بدعاء أهل الثغور: (اللهم صل على محمد وآله، وحَصِّن ثُغور المسلمين بعزّتك، وأيد حماتهم بقوتك...) (الصحيفة السجادية الأدعية المروية، ص 244-264).

التي لا تشترك مع الشّيعة في إحياء عاشوراء وطقوسها المعروفة. وهذا ما ذهب إليه إخوان الصفا وخلان الوفا من قبل، وهم جماعة شيعية، من غير الإمامية.

جاء في الرّسالة الرابعة من قسم الرياضيات: (ومن الأبيات الموزونة أيضاً ما تثير الأحقاد الكامنة، وتحرك النفوس الساكنة، وتلهب فيها بنيران الغضب، مثل قول القائل: اذكروا مصرع الحسين وزيد، والقتيل بجانب المهراس! فإن هذه الأبيات وأخواتها أيضاً أثارت أحقاداً بين أقوام، وحركت نفوسهم، وألهبت نيران الغضب، وحضتهم على قتل بني الأعمام والأقرباء والعشائر حتى قتلوهم بذنوب آبائهم، ووزر أجدادهم، ولم يرحموا منهم أحداً)[531].

وغيرةً على مذهبهم، قال أهل الصفا: (ومن النَّاس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لها، مثل الناحة والقصاص (رواة القصص) لا يعرفون من التشيع إلا التبري والشتم والطعن واللعنة والبكاء مع الناحة، وحب المتدينين بالتشيع، وترك طلب العلم، وتعلم القرآن، والتفقه في الدّين)[532]. ولعلَّ إخوان الصفا في ما ينقلونه عن لسان الإمام الحسين يعنون المتخذين منه شعاراً وعلماً لإثارة الانتقام، عبر التَّاريخ. قالوا: (يُحكى عن الحسين بن علي: يا علماء السوء جلستم

---

531 إخوان الصفا، الرسائل، الرّسالة الرابعة في علم الموسيقى في تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق 1 ص 85.

532 المصدر نفسه، الرّسالة السابعة: كيفية الدعوة إلى الله 4 ص 195.

على باب الجنَّة فلا أنتم تعملون فتستوجبون الجنَّة، ولا تركتم غيركم يجوزكم فيدخل الجنَّة)[533]. أما تقديم الشعائر، خارج تكريس لغة الانتقام والثأر، بشكل عاطفي وتذكاري فتجده يلبي حاجة لدى النَّاس، وفيه الكثير من الفوائد، على المستوى الأدبي، والتجاري، والاجتماعي، وحدث أن شارك فيه من غير الشِّيعة.

على العموم، أشار اسم وشعار (حركة سيد الشهداء) إلى اعتماد الحركة على قضية الحسين، وتوظيفها سياسياً، وهي قضية حيوية في عاطفة السواد الأعظم من العراقيين، وما قدمناه من آراء إخوان الصفا حول تلك الشعائر واستغلالها سياسياً، لا يعني الحركة المذكورة وحسب، بقدر ما يعني الحذر العام من توظيف هذه القضية مثلما سبق أن وظفت من قِبل العديد من الحركات.

تُعد (حركة سيد الشهداء) واحدة من فروع المجلس الأعلى، وواحدة من قوى الائتلاف الشِّيعي في انتخابات 2005، حيث حصلت على مقعد واحد، وأن أمينها العام السَّيد داغر كاظم الموسوي أصبح مسؤولاً للجنة العشائر في البرلمان، وما تعنيه تلك المهمة من احتكاك بالجمهور الواسع. وللحركة وجود بالنَّجف وكربلاء، لكن وجودها الأكثف بالبصرة.

وفي مقابلة مع أمينها العام الموسوي أفصح عن تأسيسها بالقول: (حركة سيد الشهداء بعد انتفاضة شعبان عام 1991

---

533 المصدر نفسه، القسم الرابع، الرِّسالة الأولى، الآراء والديانات 4 ص 97.

وبالتحديد بعد هجوم القوات البعثية على ثوار الانتفاضة في الأهوار. والأهوار كما تعرفون منطقة أحراش طبيعية، وبالتالي فهي أنموذجية لتواجد(هكذا وردت) المجاهدين وتنظيم صفوفهم وقواعدهم للانطلاق مجدداً لتنفيذ عملياتهم الجهادية ضد نظام صدام حسين في ذلك الوقت، وفي مثل تلك الظروف الاستثنائية تأسست حركة سيد الشهداء)[534].

ورأي الحركة في مسألة الفيدرالية أنها مع فيدرالية المحافظات الجنوبية، ولعلّها في هذا الأمر تختلف عن المجلس الأعلى قليلاً، الذي جهد بالسعي إلى تحقيق فيدرالية الجنوب والوسط، لكن لم يجد لها ترحيباً بين الأحزاب السّياسية وبين الجمهور، لذا غض النظر عنها، وكأنها تلاشت من أدبيات المجلس وخطب قيادته.

قال السَّيد داغر: (نحن نرى بأن الفيدرالية هي الحل الأمثل للعراق من النواحي الإدارية والسّياسية والاقتصادية، إضافة لذلك فإن الفيدرالية ستحد من الهيمنة المطلقة للحكومة، وتفردها في إدارة مقدرات الشعب العراقي على نحو لا يولي أهمية للإدارات المحلية. أما بخصوص النقاش الدائر حول فيدرالية المحافظة الواحدة أو فيدرالية ثلاث محافظات أو تسع محافظات، فهذا أولا وأخيراً خيار الشعب، ونحن مبدئياً مع مشروع فيدرالية الإقليم الجنوبي، وذلك بهدف أن

---

534 مقابلة أجراها علي فاروق، ونشرت في موقع نقاش: www.niqash.org

تستفيد المحافظات من إمكانيات بعضها البعض. فلو أخذنا مثلاً محافظة السماوة التي ليس لديها الشيء الكثير من الثروات الطبيعية فإن بإمكان السماوة الاستفادة من إمكانيات محافظة البصرة)[535].

هناك أكثر من حركة وحزب أعلن عن تأسيسه إثر انتفاضة 1991، وأن الأهوار هي مكان ذلك التَّأسيس، ولا ينكر أن الأهوار كانت مأوىً للرافضين أو الفارين من الخدمة العسكرية، وكذلك من الناقمين على النظام، لهذا السبب أو ذاك، لكن ليس بالضرورة أن تكون تلك الجماعات قد شكلت الأحزاب والحركات. فالشكوك واردة في تعيين تاريخ تأسيس الغالب منها، والعديد منها انتظم بعد سقوط النظام 2003. كذلك لا يخفى أن الشخصيات التي ترأست تلك الحركات، وبالبصرة على وجه التحديد، يُشار إلى صلتها بإيران، من ناحية الدعم المالي والحركي.

نقول بحداثة الغالب من تلك التنظيمات، مع عدم إغفال ما ورد في شأن أسماء تنظيمات قبل سقوط النظام مثل (ثأر الله)، و(حزب الله). ورد في كتاب (السفير الخامس) الصادر العام 2000 ما نصه: (كان هناك تنظيم سري باسم (ثأر الله) ينسب نفسه للإمام الصَّدر، فسُئل عن ذلك فقال: نعم أعطيتهم إذناً، ولكني لستُ قائداً لهم، وإذا صرحوا باسمي فلن أذن لهم مرة أخرى)[536]. كذلك ورد

535 المصدر نفسه.

536 المياحي، السفير الخامس، ص 277.

في التحقيقات الرسمية في قضية اغتيال السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر، في آذار (مارس) 1999، ونشرت في كتاب (اغتيال شعب) الصادر العام 2000، ضمن إفادة حيدر حسان: (في عام 1998 فاتحني شخص يُدعى محسن علي عزيز رسول بالاشتراك معه في تنظيم حزب الله، وتمكنا أنا وشقيقي نهر من الهرب إلى إيران مع بعض عناصر التنظيم، عن طريق منطقة همَّت)[537].

أشرنا إلى حزب الله في مقدمة الحديث حول الحركة، التي أُريد لها أن تكون بديلة عنه، باسم (حركة حزب الله). أما تنظيم (ثأر الله) و(بقية الله)، أو (أُسود العراق)، فأشيع الكثير عن ارتباطيهما بقضايا قتل كثيرة، ومنها تصفيات أساتذة جامعة وأطباء، ولم تُعلن تحقيقات مفيدة ومفصلة عن دورهما، وعن ظروف ارتكاب تلك المقاتل.

وكان تنظيم (ثأر الله) مثلما وردت الإشارة إلى علاقته بالسَّيد محمد محمد صادق الصَّدر، أنه ظهر بالبصرة من جديد العام 2005، وشارك في الانتخابات البلدية، ويرأسه المدعو يوسف السناوي الموسوي، وقد اعتقل إبان الحملة الأمنية بالبصرة، التي انطلقت في آذار(مارس) 2008. ومعلوم أن عبارة (ثأر الله) تخص الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، بل هناك مَنْ يتطرف أكثر ليجعل

537 الشيخ علي، اغتيال شعب، ص 230.

العبارة: (ثأر الله وثأر ثأره)! أما تسمية (بقية الله) فهي واحدة من ألقاب الإمام المهدي المنتظر.

الفصل السَّابع

الصَّدريون

حتى صبيحة التاسع من نيسان (أبريل) 2003، يوم سقوط دولة البعث، لم يُعرف تيار باسم التيار الصَّدري، نسبة إلى محمد محمد صادق الصَّدر (اغتيل 1999)، في مقالة أو كتاب أو وسيلة إعلامية ما. ماعدا الجماعة التي ظهرت بلندن، بعد اغتياله تحت اسم (تيار الإمام الصَّدر)، وشاركت بمؤتمر لندن (كانون الأول 2002)[538]، من دون أن ترفع صورة أو تذكر مقتدى الصَّدر بشيء. ولا أدري إذا كانت هذه التسمية مألوفة لدى ألوف المصلين خلفه بمسجد الكوفة حتى اغتياله في شباط (فبراير) 1999. وعلى الرغم من أن التيار متعلق بما عُرف بالصَّدر الثَّاني إلا أن السَّيد محمد باقر الصَّدر (أُعدم 1980) حاضر في واجهة إعلام التيار كاسم وصورة، والذي عُرف بالصَّدر الأول.

جرت العادة لدى مؤرخي الشِّيعة ترقيم الأعلام المتحاكين في شأن من الشؤون: المحقق الأول جعفر الحلي (ت 1277 ميلادية)، والمحقق الثَّاني نور الدِّين الكَركي (ت 1533). الشهيد الأول محمد بن مكي (قتل 1384 ميلادية)، والشهيد الثَّاني زين الدِّين العاملي (قُتل 1558).

---

538 صمانجي، قطار المعارضة العراقية، ص 550.

وحاضراً نجده في: الصَّدر الأول، والثَّاني، والثَّالث، بل نسمع بين حين وآخر اختصار لقب: الشهيد الأول والثَّاني، المذكورين، علي صادق الصَّدر وباقر الصَّدر. وتم التمييز بين الشخصيتين بتلقائية، فمَنْ هو ليس من أتباع محمد صادق ونجله مقتدى يسمي الأول باسمه الكامل بلا رقم! هذا، ولا يحصر الترقيم بطائفة، فقد رُقِمَ أبو نصر الفارابي (ت 339 هـ 950 ميلادية) بالمعلم الثَّاني تعظيماً له في متوالية مع المعلم الأول أرسطو طاليس. ليأتي بعد حين محمد باقر الدماد الأسترآبادي (ت 1630 ميلادية)، أحد فلاسفة العهد الصفوي بإيران، ليعرف بالمعلم الثَّالث، وهو القائل: (شريكنا في التعليم أبو نصر الفارابي)[539].

أُعدم الصَّدر الأول (9 نيسان/أبريل 1980)، بعد تصفيات طالت الناشطين السِّياسيين الدِّينيين، إثر تفاقم نشاط الحركة الإسلامية، وامتداد تنظيم حزب الدعوة الإسلامية، الذي عُدَّ مؤسساً وملهماً له، حسب أدبيات الحزب نفسه، إلى مؤسسات القوات العسكرية، وما خلقته الثورة الإسلامية بإيران من آمال بانتصارها بالعراق.

غير أن حرب ثماني سنوات بين الدولتين ثبَّتت النظامين وعَصمتهما من الانهيار أو الانقلابات العسكرية، بل أتاحت لهما

539 البياتي، المشهد الصوفي والفسلفي في العهد الصفوي، كتاب مسبار، العدد الثالث والعشرون، ص 106 عن إسحاق كوهساري، تاريخ فلسفة إسلامي (بالفارسية)، ص 215.

ممارسة الاضطهاد الداخلي تحت مبرر الحرب، وتحشيد الجموع بالدفاع عن الوطن، ووظف الدِّين في المعركة أشره توظيف عندما أشار الإعلام العراقي إلى قائد الثورة الخميني بالمجوسي الدَّجال، وبالمقابل أشار الإعلام الإيراني إلى نظام صدام حسين بالكافر!

إن كثرة المقاتل التي طالت علماء الدِّين وطلبة الحوزة الدِّينية، والتسفيرات المكثفة فيهم، يكفي كإشارة إلى تفاقم المعركة بين السُّلطة والقوى الدِّينية، وقلقها من تلك الظاهرة، ولتفاقمها خصص لها مؤتمر حزب السُّلطة، من تقريره إلى المؤتمر القطري التاسع (1982)، أربعين صفحة، محاولاً تفسيرها، والتقليل من شأنها مع اعترافه بخطورتها داخل الحزب نفسه[540]. وتدريجياً أخذت الظاهرة الدِّينية تتفاقم حتى بلغت الذروة في منتصف التسعينيات، من القرن الماضي، حيث التفاف الأتباع بكثافة حول السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر.

كانت مناسبة هذا التجمع الهائل صلاة الجمعة، التي أُفتيَ بإقامتها، وهي غير الواجبة لدى المرجعيات الشِّيعية المعروفة، التي بدأت نهار الجمعة 23 جمادى الآخرة 1418، المصادف تشرين الأول (أكتوبر) 1997. وبعد حوالى سنتين من الصَّلاة والخطب المتواصلة، التي تُحمس الجمهور وتجذبه، اغتيل الصَّدر وولديه

540 التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران/يونيو 1982، ص 264-304.

مصطفى ومؤمل(19 شباط/ فبراير 1999)، وما زالت عملية اغتياله محاطة بالتساؤلات، على الرغم من توجيه أصابع الاتهام إلى السُّلطة السَّابقة، وهي بدورها حاولت دفع الاتهام عنها بمحاكمة أشخاص من المختلفين مع الصَّدر، وأعلنوا عن مسؤوليتهم عبر شاشة التلفزيون وتم إعدامهم. لا يمكن قبول رواية السُّلطة بهذه السهولة، وهي المعروف عنها أخذ الاعترافات بالإكراه، واستخدام القسوة في دوائرها الأمنية، آنذاك.

كان تشدد النظام السابق في منع الشعائر الحسينية، ومنها يوم العاشر من عاشوراء وزيارة الأربعين في العشرين من صفر، حافزاً قوياً للالتفاف حول أي صوت يظهر علانية، ويدعو إلى تلبية تلك الشعائر. يضاف إلى ذلك أن تردي الأحوال الاقتصادية، وكثرة المظالم، وما أورثته الحروب من مآسٍ، تدفع النَّاس عادة إلى التدين، بل وإلى الاعتقادات خارج أُصول وفروع الدِّين نفسه.

بل وقبل ذلك، اعترف حزب البعث، وهو يقود السُّلطة، بخطورة تنامي الظاهرة الدِّينية، ولعلَّها نمت بين أعضاء الحزب الحاكم، آنذاك، نفسه، ممن جرفهم تيار التدين غير السِّياسي، كحالة سائدة في المجتمع، وإن لم تكن محصورة بمذهب دون غيره، بمعنى أن هناك نشاطاً سُنَّياً أيضاً، إضافة إلى نشاط الأحزاب الشِّيعية.

وقد جاء في تقرير حزب البعث الحاكم: (من الخطأ التصور بأن الظاهرة الدِّينية- السِّياسية بالعراق هي فقط ظاهرة مرتبطة

بالمذهب الجعفري. إن هذه الظاهرة موجودة فعلاً بين أتباع المذهب السُنِّي، الذين يقفون كأقرانهم في عصابة الدعوة ضد الحزب والثورة. وأن النضال ضد هذه الظاهرة يجب أن يستهدفها حيثما وجدت في هذه الطَّائفة أو تلك)[541].

وبدلاً من تفسير تعاظم ظاهرة التدين، إلى حد تجاوز المعقول في التدين نفسه، بالواقع الذي خلقته قيادة حزب البعث، من الحروب والنكسات الاجتماعية والضغط الأمني والمخابراتي، والثقافة الحزبية المؤلهة للشعارات ولشخصية القائد، راحت قيادة البعث تفسرها بالنكسات القومية، التي يريد الحزب انتشال الشباب العربي ككل منها. جاء في التقرير: (الأزمة التي نشأت في أوساط الجماهير بعد النكسات، التي ألمّت بحركة القومية العربية، وحركة الثورة العربية، وعجز هذه الحركة عن مواجهة التحديات الكبيرة، التي تطرحها المرحلة الراهنة، وبخاصة تحرير فلسطين)[542].

كذلك جاء حول تسرب الظاهرة الدِّينية- الطَّائفية إلى أعضاء الحزب، في التقرير القطري: (إن هذا السلوك يؤدي شيئاً فشيئاً إلى التمايز بين الحزبيين على أساس طائفي، في الوقت الذي شكل الحزب وعاءً موحداً لكل المنتسبين له، بصرف النظر عن مناشئهم الدِّينية والمذهبية، وهذه ظاهرة خطيرة جداً تمس جوهر العلاقة الحزبية،

541 تقرير حزب البعث العربي الاشتراكي إلى المؤتمر القطري التاسع، ص 298.

542 المصدر نفسه، ص 294.

وتؤدي إلى زرع الانقسامات اللاموضوعية في الحزب)[543]. ولهذا اندفع صدام حسين، تحت ضغط الظاهرة الدِّينية داخل المجتمع والحزب، إلى ركوب موجة التدين، فأعلن الحملة الإيمانية في التسعينيات، وحاول إضفاء صبغة دينية على السُّلطة.

وفي غمرة الحرب العراقية الإيرانية، ولبوسها لباس مذهبي وديني، عمدت قيادة حزب البعث إلى التظاهر بالاهتمام في التدَّين، مع أنها جعلت ولأول في تاريخ العراق، وزير الأوقاف والشؤون الدِّينية من خارج رجال الدِّين، أو من غير المعروفين بالتزامهم الدِّيني، عندما عينت عضو القيادة عبد الغني عبد الغفور وزيراً لهذه المؤسسة الدِّينية، وأخذت تستقبل وفوداً وشخصيات إسلامية من بلدان لا تطرأ على البال والخاطر.

مثلاً دعت قيادة الحزب، بمناسبة تأسيس البعث(7 نيسان/ أبريل 1982)، وفداً إسلامياً من موزنبيق برئاسة الشَّيخ أبي بكر إسماعيل، ويظهر وزير الأوقاف في استقباله، ويصرح الشَّيخ المذكور، بل راح يأمر الإيرانيين، عندما قال بما يشبه المزحة: (على الشعوب الإيرانية إرغام حكامها على الاعتراف بحقوق العراق العادلة)[544]!

ولم تخل صحافة الحزب، في تلك الفترة، من لقاءات برجال الدِّين، مرة كلهم من الشِّيعة، وأخرى كلهم من السُّنَّة، يتحدثون عن

---

543 المصدر نفسه، ص 301.

544 جريدة الثورة، العدد: 4348 المؤرخ في 13 نيسان (أبريل) 1982.

نظام إيران ونظام سوريا، ومنهم سدنة روضات وأئمة مساجد، ووجوه معروفة في الساحة العراقية حالياً[545]، منهم ثبت مسانداً السُّلطة الحالية وآخر مال إلى المقاومة. ومعلوم كيف كان يُستدرج رجال الدِّين إلى اللقاءات الصحفية، أو لمقابلة صدام حسين شخصياً. مثلاً: طالعتنا جريدة (الثورة)، وهي جريدة الحزب الرسمية، بصورة عريضة لصدام حسين مستقبلاً الشَّيخ علي كاشف الغطاء أحد علماء النَّجف المعروفين، صورة فقط مع ذكر الاسم، ليس هناك أي تعليق، ومن خلو نشر الصورة من أي مادة أو خبر عن الزيارة تبدو لك أنها صورة دعائية ليس إلا[546].

وبعد حرب الخليج الثَّانية، غزو الكويت، وما أسفرت عنه من حصار وتردٍّ في الحياة العامة والثقافية، واللجوء إلى التدَّين بقوة، سارع النظام إلى ركوب الموجة ليظهر صدام حسين راعياً للحملة الإيمانية، فأغلق العديد من محلات الشراب، ونقش بيده على قماشة العلم العراقي عبارة (الله أكبر)، وخُطت نسخة من القرآن بدمه بدلاً من المداد، وأضفى على التقاليد الرسمية شيئاً من التدَّين، ويظهر رأس النظام مصلياً ومبتهلاً، وزائراً للعتبات المقدسة، ومستشهداً بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومكثراً من ذكر الله في لقاءاته واجتماعاته عبر أجهزة الإعلام.

---

545 المصدر نفسه، مثلاً ما نشر في العددين: 4360 و4393 المؤرخين في 25 نيسان (أبريل) و 28 أيار(مايو) 1982.

546 المصدر نفسه، العدد 4869 المؤرخ في 16 أيلول(سبتمبر) 1983.

كذلك يظهر نجله عدي متحدثاً ومستشهداً بأحاديث نبوية.
وينقل طبيب العائلة أن عدي أرسل أحد أعوانه مستفتياً رجلَ دين في الشراب، فلما علم الرجل أن الشخص المعني هو عدي صدام حسين أفتاه بشرب كأس. فمما ذكره طبيب عائلة صدام: أن عدي أرسل سكرتيره، أو أحد خواصه، إلى الشَّيخ عبد الغفار العباسي، المشرف على البرامج الدِّينية لتلفزيون الشباب، الذي يملكه عدي، ليسأله الرأي في شرب كأس من الخمر، فأجابه الشَّيخ: (في حالته نعم يجوز)[547]. ولعلَّه استفتاه بالنبيذ لا بالخمر، الذي لمذهب الإمام أبي حنيفة رأي فيه يختلف عن أصحاب المذاهب الأخرى[548].

لا بد أن الصَّدر الثَّاني استفاد من تلك الأجواء (في التأكيد على المظاهر الدِّينية)[549]. وبلا شك، لم يكن إطلاق صلاة الجمعة من قِبل الصَّدر بمعزل عن تلك الحملة الإيمانية. بل أرادها النظام اعترافاً بشرعيته، بأنه الحاكم أو الإمام العادل، الذي بظله يصلي الشِّيعة صلاة الجمعة! وهي مثلما أسلفنا غير واجبة إذا لم تكن متروكة لدَى العديد من المراجع، وكان قد صلاها الشَّيخ محمد مهدي

---

547 بشير، كنت طبيباً لصدام.. صورة عن قرب، ص 236.

548 ذكر ابن خلدون في شراب هارون الرشيد: (إنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق (المقصود مذهب أهل الرأي وهو مذهب الإمام أبي حنيفة) وفتاويهم معروفة، أما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتهامه به) (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ص15). كذلك قال: (وحال شراب ابن أكثم والمأمون في ذلك حال الرشيد، وشرابهم إنما كان النبيذ، ولم يكن محظوراً عندهم) (المصدر نفسه).

549 الأسدي، الصَّدر الثَّاني، ص 54.

الخالصي (ت 1963) الابن، بمسجده (الصفوي) عند الحضرة الكاظمية، وهي لا يجب أن تقام إلا بوجود العادل.

كُتب وقيل الكثير عن دعم النّظام السابق للسيد محمد محمد صادق الصَّدر في أن يكون مرجعاً للشيعة؛ بعد وفاة المرجع الأعلى أبي القاسم الخوئي (1992)، بحجة أنه عراقي- عربي، وأن بقية المراجع من جنسيات أُخر، وهم الثلاثة المُقَلدون حالياً: آية الله علي السِّيستاني إيراني- فارسي، وآية الله إسحاق فياض أفغاني، وآية الله بشير النَّجفي باكستاني، والثلاثة هم تلاميذ السَّيد الخوئي، الذي كان إيرانياً تركمانياً، وأبرزهم كان السِّيستاني، الذي أُشير إليه بالأعلمية، وكلفه الخوئي بإمامة الصَّلاة عند مرضه، وما لهذا التكليف من أهمية في الإشارة إليه بالأعلمية والمكانة الخاصة، وذلك بعد وفاة أبي الأعلى السبزواري[550]، التي تولاها لشهور معدودة.

وبطبيعة الحال، لا بد أن يُقابل دعم السُّلطة للصدر في تزعم المرجعية بمجاملة وتأييد ظاهر لها. ورد في تقرير أمني، استُحصل عليه بعد سقوط النظام من بين الوثائق المنهوبة من دوائر الأمن السابق، والخاص بالمديرية السِّياسية - الشعبة الخامسة، وهي الشعبة، كما يبدو الخاصة بالمرجعية الدِّينية بالنَّجف. كتبه مدير الشعبة المقدم حسن علي عباس.

---

550 الصَّغير، أساطين المرجعية العليا، ص 304 و 349.

جاء تحت عنوان (خطة العمل)، الفقرة 14 من التقرير: (متابعة الطلبة الدارسين في المدارس الدّينية، وجمع المعلومات عنهم، وكذلك المتولين على إدارة هذه المدارس، التي لا يشرف عليها السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر بالطرق والوسائل الأمنية. على سبيل المثال اتخاذ الإجراءات القانونية بحق الجنود الهاربين والمزورين، وملاحقتهم خارج مدارسهم، أي في دورهم وأماكن وجودهم (وردت تواجدهم)[551].

وورد في الفقرتين: الخامسة والسادسة من التقرير: (التحرك على وكلاء الإيراني علي السّيستاني من العرب والعراقيين المتواجدين(هكذا وردت) بالنَّجف وبقية المحافظات، والعمل على إضعاف دورهم، ومحاولة تسقيط البعض منهم لغرض إضعاف مقلدي السّيستاني (و) العمل والتنسيق مع جهاز المخابرات بالبحث عن نقاط الضعف والأخطاء لوكلاء الإيراني السّيستاني لغرض تسفيرهم بشكل قانوني وأُصولي من قِبل جهاز المخابرات).

وتقرر إعفاء الطلبة الدارسين في حوزة الصَّدر، حسب ما جاء في الفقرة السابعة من التقرير الأمني نفسه: (بيان المؤشرات السلبية ضد الطلبة الدارسين في المدارس، التي يشرف عليها السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر من المؤجلين من الخدمة العسكرية لغرض إنهاء

---

551 تقرير الحوزة العلمية بين الواقع والطموح، ص 19.

مدة التأجيل بالتنسيق مع مكتب العقيد روكان عبد الغفور(مرافق صدام حسين الشخصي وابن عمه).

كما ورد في الفقرة الثامنة: (قيام أشخاص غير مكشوفين، ومن المتعاونين مع مديرية أمن النَّجف بالتكبير والصلوات عند دخول السَّيد الصَّدر إلى ضريح الإمام علي (ع) كأسلوب دعاية لغرض انتباه النَّاس لدخوله). وجاء في الفقرة العاشرة: (دعم وكلاء السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر، وبشكل سري وغير مكشوف، وذلك لغرض زيادة مُقلديه في منافسته لمرجعية الإيراني السَّيد السِّيستاني).

وإذا كان النظام العراقي يدفع باتجاه مرجعية محمد الصَّدر، فترى الأخير يلهب العاطفة ضد الحوزة أو المرجعية التَّقليدية بسكوتها عن النظام. فيظهر عند صلاة الجمعة هاتفاً بالمصلين: (هذه حوزتنا.. هذه عزَّتنا.. هي قائدنا.. هي أملنا). ويعني حوزته لا الحوزة التي يهاجمها ويسميها: الصامتة، والساكتة، وصاحبة التقية المكثفة.. الخ[552].

رد الصَّدر على التقولات التي أشارت إلى صِلاته بالنظام السابق، وأن لمرجعيته الحرية في التصرف إذا لم يتدخل في السياسة، على خلاف التضييق على بقية المراجع: (أنا الذي ارتأيت ذلك حفاظاً على الحوزة... أن سبب اختيار الدَّولة لي من بين المتصدين هو: أنني

---

552 الأسدي، الصَّدر الثَّاني، ص 26.

عراقي الجنسية، ظنهم بإمكانية السيطرة على المجتهد ما دام عراقياً خاضعاً لقوانينها)[553]. ولدى الصَّدر رغبة جامحة في أن يكون مرجعاً خلفاً للإمام الخوئي، إلا أن عدم حصوله على درجة الاجتهاد، ولسلوكه الظاهر، حسب ما أورد خصومه، أعاقا خلافته للمرجعية، أو عدم الإشارة إليه بالمرجع مثلما أُشير إلى آية الله علي السِّيستاني.

انتقد الصَّدر علانية إمامة آية الله علي السِّيستاني للصلاة بمسجد الخضراء، نيابة أثناء مرض أبي القاسم الخوئي، وفهمَ بأن الذي أشار إلى السِّيستاني بالصَّلاة هو نجل الخوئي محمد تقي (قُتل 1998) لا الخوئي نفسه، وبذلك لا يكون الاختيار اختيار المرجع. جاء بقلم أحد مناصري السَّيد الصَّدر: (عندما بدأ يطرح إشكالاته على الحوزة، كمسألة صلاة السِّيستاني في مسجد الخضراء وغيرها، كان يهدف إلى إسماع آذان الحوزة بأنه موجود على الساحة، ولم يطرح (رض) نفسه منافساً بصورة مباشرة، وإنما أراد أن يثبت أولاً أنه مؤهل علمياً أكثر من السِّيستاني)[554].

وقصة ذلك حسب ما يرويها أحد مريديه، قبل سقوط النظام بسنتين، عن الصَّدر نفسه: (ذهبت يوماً إلى الخوئي، وذلك بعد أن أخذ السِّيستاني بالصَّلاة في مسجد الخضراء، فجئت لأدخل عليه فحاول محمد تقي الخوئي منعي، فأصررت على الدخول، عندها سلمت على

553 المياحي، السفير الخامس، ص 79.

554 المصدر نفسه، ص 112.

الخوئي وجلست. قلت وبصوت يسمعه محمد تقي الخوئي: هل ترى أن السِّيستاني هو الأعلم بعدك؟ فقال بانفعال: أعلم! لا. فقلت: هل أمرت السِّيستاني بالصَّلاة في مسجد الخضراء ليكون خلفكم هناك؟ فقال: بانفعال أشد: أنا! لا. فقمت لأخرج وإذا بمحمد تقي ينظر إليَّ نظرة حقد واحتقار)[555].

وخلافاً لهذه الرواية نأتي بما رواه الشَّيخ محمد حسين الصَّغير: (كان السَّيد السِّيستاني في عيادة أستاذه الإمام الخوئي، وهو منحرف الصحة في 29/4/ 1409هـ، فطلب إليه أن يقيم صلاة الجماعة في مكانه في جامع الخضراء، فامتنع السَّيد السِّيستاني، فألحَّ عليه الإمام الخوئي قائلاً: لو كنت أحكم كما كان يفعل ذلك المرحوم الحاج آقا حسين القمي لحكمت عليكم بلزوم القبول. فاستمهله السَّيد السِّيستاني دام ظله بضعة أيام، ثم استجاب لطلبه، وأمَّ المصلين يوم الجمعة 5/5/1409هـ(1988) إلى الجمعة الأخيرة من ذي الحجة عام (1414هـ) حيث أُغلق الجامع)[556].

كان الصَّدر ينعت المرجعية، بشكل عام، بالسكوتية والسلبية وبنعوت أُخر. وقيل كان يحمل غيظاً على أولاد الخوئي، ويُنقل عنه قوله: (هذا الطغيان والاستئثار مستمر إلى يومنا هذا، وهو متمثل

---

555 المصدر نفسه، ص 62.

556 الصَّغير، أساطين المرجعية الدِّينية، ص 304، والصَّغير حسب ما ورد في كتابه كان قريباً من السَّيد الخوئي والسِّيستاني. كذلك راجع: الغروي، مع علماء النَّجف الأشرف 2 ص 536.

بالسِّيستاني وأتباعه، ومكاتبه المشبوهة، ومن ورائهم عبد المجيد الخوئي، ومَنْ وراء الجميع ما لا يعلمه إلا الله)[557].

ولما أشار أحدهم إلى عبد المجيد الخوئي (قُتل 2003) بلقب الإمام علق الصَّدر بالقول: (إن لفظ الإمام لفظ مقدس، ورد بخصوص المعصومين بالذات، سلام الله عليهم، وأنا بيني وبين الله لا أقبل أن يُقال عني إمام... نعم إن العباس والحمزة مثلاً ليسوا أئمة، ولذا لا يصح أن نقول: الإمام العباس أو الإمام حمزة مع احترامي الكبير لهم... إذن ينبغي إلغاء هذه الكلمة لا من سيد مجيد، ولا من أبو (هكذا) سيد مجيد، ولا من محمد الصَّدر، ولا من أي واحد من الخلق (إلى قوله) ونحن نعلم باليقين أن مجيد الخوئي لا هو مجتهد ولا هو مُقلَّد، ولا هو مرجع، إنما له شأن اجتماعي واقتصادي في لندن، ليس أكثر من ذلك)[558]. وطعن صراحة بالمؤسسة، التي كان يديرها السَّيد مجيد الخوئي، بلندن على اعتبار أنها رصيد الشِّيعة[559].

كانت علاقة السَّيد محمد الصَّدر مع بقية المراجع مضطربة، وأحياناً تتطور إلى مواجهة وعِداء، طالما يرى نفسه أنه المرجع وليس السَّيد علي السِّيستاني. ومعلوم أنه ليس للمرجع أن يختار نفسه، أو تدعمه جماعة ليتقلد تلك المنزلة، إنما هناك جملة عوامل ومنها عدد المقلِّدين والأعلمية ودرجة الاجتهاد، وربما كان هناك في الوقت نفسه

---

557 المياحي، السفير الخامس، ص 92.

558 الأسدي، الصَّدر الثَّاني، ص 177.

559 المصدر نفسه، ص 96.

والمكان نفسه عدة مراجع، عندما لا يوجد ما يميز بينهم في المنزلة، مثلما حدث بعد وفاة أبي الحسن الأصفهاني (ت 1946)، ووجود أكثر من مرجع يوازي آية الله محسن الحكيم(ت 1970)، والإمام محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1954).

ويذكر الصَّدر أنه قام بزيارة إلى دار آية الله علي السِّيستاني، لتقريب وجهات النظر، أو لإزالة اشتباه أو إشكال حول اغتيال، أو وفاة، عالمي دين بالنَّجف، هما الغروي والبروجردي(1998)، أُعتقد أنه كان وراء ذلك. إلا أن السِّيستاني تعمد عدم مصافحته فعبر الصَّدر عن الموقف بالقول: (مواجهة الود بالجفاء والإقبال بالإدبار)[560].

قال الصَّدر غامزاً شخصاً آخر بتهمة اغتيال العالمين: (لا أريد أن أسمي أسماء، ربما مرجع آخر! لماذا يتعين سيد محمد الصَّدر؟! إن العلاقة ما بين الشَّيخ الغروي وبين ذلك الذي أرسله المحقق الخوئي والسَّيد السِّيستاني علاقة تباين منذ حوالى 25-30 سنة، فلماذا أنا أقتل صديقي؟!)[561]. ولما سلم النظام السابق الصَّدر سلطة منح الإقامات لطلبة وعلماء الحوزة الأجانب، حجبها عن هادي السِّيستاني أخي آية الله المرجع المعروف، لأنه كما يبدو، رفض التدريس بجامعة أو مدرسة الصَّدر، وقال للوسيط الشَّيخ كلانتر: (إذا كانت هذه حوزة فَسقة فيرحل إلى أهله (إيران))[562].

---

560 المصدر نفسه، ص 103-105.

561 المصدر نفسه، ص 107.

562 المياحي، السفير الخامس، ص 92.

كذلك لم تكن علاقته على ما يرام مع آية الله بشير النَّجفي، إلى درجة أنه رفض منحه الإقامة بالعراق. بل إن جماعة الصَّدر لا يسمونه النَّجفي وإنما يسمونه الباكستاني للتذكير بأصله غير العربي وغير العراقي! ولما جاء الأخير معاتباً أو مستفسراً بالقول: (لماذا رفضت التوقيع على إقامتي؟! فقال (رض): من الخير لك وللحوزة أن تغادر النَّجف)[563].

أخبرني أحد أبناء المراجع، ومن المطلعين على ما كان يحدث، أن آية الله النَّجفي، بعد رفض الصَّدر منحه الإقامة، ذهب إلى السفير الباكستاني ببغداد، وطلب منه التوسط لدى الدَّولة العراقية لتجديد إقامته، فجددت. وكان ذلك مبعث غضب السَّيد الصَّدر من الحكومة العراقية، لأنها خذلته في أمر إبعاد النَّجفي، وهو أحد المنافسين على المرجعية. وأكثر من هذا كان يصف النَّجفي بعميل الاستعمار. وقيل كان الصَّدر صرح: (في نص خطي موجود له (رض) أن الاستعمار يهدف إلى هدم مرجعيتي)[564].

كانت بداية عداوة، أو خصومة، السَّيد الصَّدر مع آل الحكيم بالسَّيد محمد سعيد الحكيم، أحد المراجع الأربعة بالنَّجف الحاليين. أُثيرت المشكلة حول المدرسة التي كان يديرها الحكيم، ثم استولى عليها الصَّدر بالقوة وبمساعدة أهل الشأن من السُّلطة المحلية، إلا أن آل

---

563 المصدر نفسه، ص 95.

564 المصدر نفسه، ص 94.

الحكيم تقدموا بشكوى لدى إحدى المحاكم المحلية، فصدر أمر قضائي بإعادتها لهم، فليست مراجعتهم كانت مع السُّلطة العليا ببغداد. ومن جانبه اعترف بالسيطرة على المدرسة قائلاً: (حينما جعلت هذه المدرسة تحت سيطرتي إنما نفعت بها المجتمع، ومن ناحيتي ليست إلا غرامة مالية (ودوخة راس)، وترتيب وتنظيم الدراسة ونحو ذلك من الأمور، ليست أكثر من ذلك)[565].

وحينها سعى آية الله محمد سعيد الحكيم لإعادة المدرسة، وحصل تبادل الاتهام بالتعامل مع السُّلطة. قال الصَّدر: (حينما يتكلمون أنه أنا لي علاقة مع الأطراف الفلانية (ويقصد السُّلطة طبعاً- الأسدي) لم يكن ولن يكون إلى الآن ما موجود مستمسك حقيقي ضدي، بشيء من هذا القبيل، وإنما هي أوهام وإشاعات لا أكثر ولا أقل، لكنه إذا أرجعوا المدرسة فسوف يكون مستمسك حقيقي ضدهم)[566] يقصد لهم علاقة بالسُّلطة آنذاك!

وحسب السَّيد الصَّدر، إنه حاول الصلح مع آل الحكيم، إلا أنهم استمروا بالصدود، مثلما حدث مع آية الله السِّيستاني. قال الصَّدر أيضاً: (لقد ذهبت إلى بعض فواتحهم، ولم أجد تجاوباً، والقضية موقوفة عليهم وليس عليَّ. إن يدي ممدودة للمصافحة، بقي عليهم أن

565 الأسدي، الصَّدر الثاني، ص 98.

566 المصدر نفسه.

يمدوا أيديهم)[567]. ويُذكر أن كراساً تحت عنوان (مرجعية محمد الصَّدر)، نسب إعداده إلى ما يسمَّى بـ (لجنة دعم عمل الداخل)، وزع بالنَّجف سراً وبشكل محدود، ومؤرخ في كانون الأول(ديسمبر) 1998[568]. أشار الكراس إلى محاولات النظام العراقي في احتواء المرجعية الدِّينية، وأن مرجعية محمد محمد صادق الصَّدر ما هي إلا تعايش مع السُّلطة، والسكوت على (وجبات الإعدام الظالمة التي يقوم بها الدكتاتور وزبانيته بين حين وآخر)[569].

وأكثر من هذا حاول كاتبو الكراس الحط من سمعة عائلة الصَّدر بين الأوساط الدِّينية، بما يبتعد عن الخلاف الموضوعي حول المرجعية، وهذا ما نقرأه في الفقرة التالية: (إن الشبهات أثيرت حول ارتباط أولاده بأجهزة الدَّولة، سيما ولده مصطفى الذي له علاقة خاصة بروكان عبد الغفور التكريتي)[570].

عدد الكراس المذكور ما منحته السُّلطة لمرجعية السَّيد الصَّدر: تسلمه إدارة المدارس الدِّينية، والموافقة على قبول الطلبة في الحوزة الدِّينية، وإجازة الإقامات للطلاب الأجانب، وتخصيص

567 المصدر نفسه، ص 113.

568 الشَّيخ علي، اغتيال شعب، حاشية في الأعلى، ص 83 - 149 نص الكراس.

569 من نص الكراس، المصدر نفسه، ص 98 - 99.

570 من نص الكراس، المصدر نفسه، ص 105.

ميزانية شهرية لمرجعيته[571]. وما تقدم كان مجرد تُهم، قد تُلصق بأي مرجع آخر في غمرة الصّراع على المرجعية، والاختلافات الحادة. لكن، ما لا يُنكر أن الرجل، مهما لفق حوله، كان جريئاً في خطبه، وأن جرأته كانت بمستوى تلفعه بالكفن.

من جانب آخر، يُذكر أن السَّيد محمد باقر الحكيم صرح لجريدة (شما) الإيرانية (العدد 60)، والصادر في محرم 1419 هـ. أن النظام العراقي (منع طبع الرسائل العلمية لمراجع النَّجف، ماعدا الرِّسالة العلمية للسيد محمد الصَّدر المتعاون مع حكومة البعث، وهذه الحكومة جعلت الأمور الإدارية للحوزة العلمية بالنَّجف الأشرف بعهدته وسلطته)[572].

ومن جانبه هوَّن السَّيد الصَّدر في الجمعة السابعة والعشرين، الخطبة الثَّانية، من خلافه مع آل الحكيم عندما قال: (أخص من هنا، وهذا منبر مقدس، آل الحكيم، الماضين منكم وحفظ الله الباقين. تلك الأسرة الطيبة المتفقهة الشريفة، فلماذا يكون -لوصح التعبير- بينها وبين آل الصَّدر أي خلاف! ولماذا نزغ الشيطان بيننا، وخاصة أن الفرصة مواتية، بعد أن زال سبب الخلاف، واسترجعت الوديعة (ويقصد المدرسة).

---

571 من نص الكراس، المصدر نفسه، ص 106-107.

572 الأسدي، الصَّدر الثاني، ص 122.

وبالتأكيد فإن دوام الخلاف واستمراره لا يخدم إلا الاستعمار، ولا يضر إلا الحوزة والمذهب. وليكن زمام المبادرة بيدي، وإني قد أبرأت ذمتي، وأرضيت ضميري بهذا العرض الدال على حُسن النية، وأنا لست طامعاً بخيرهم من أية جهة، ولا خائفاً منهم، من أية جهة أيضاً... وإنما ذلك محضاً لذات الله، ونصرة دينه الحنيف، وهذه يد الصلح والمصافحة أمدها إليهم. فهل منهم مَنْ يمد يد المصافحة نحوي)[573].

وهذه تحسب جرأة وشجاعة من السَّيد الصَّدر، فهي موجهة بالأساس إلى النظام العراقي، لما يشكله آل الحكيم من معارضة سياسية ومسلحة جدية، ويتخذون من إيران قاعدة انطلاق. لكن قد يحسب ذلك من باب معاندة السُّلطة لأجل ما فعلته من إعادة المدرسة للسيد محمد سعيد الحكيم، ومنحها لتمديد الإقامة لِمَنْ رفض هو منحها لهم. مع أن هناك مَنْ أخبرنا بأن لا إعادة المدرسة ولا تمديد إقامة آية الله بشير النَّجفي كانت صادرة من مركز السُّلطة، لكن الصَّدر اندفع في اتخاذ موقف منها، وحصل ما حصل.

ومع ذلك استمر تبادل التهم والعداء بين الطرفين، فالسَّيد محمد باقر الحكيم، وآل الحكيم عامة، لم يعترفوا لمحمد الصَّدر بمرجعية، وأشاروا إليه بالصلة مع النظام السابق، وقيل عندما جرى

---

573 الصَّدر، منبر الصَّدر، ص 339.

الحديث عن التحرك السِّياسي في حياة الصَّدر اعترض الحكيم بالقول: (لا نريد انتفاضة باسم محمد الصَّدر)[574]. وبالمقابل كان الصَّدر يمتعض إذا ما ذُكر اسم محمد باقر الحكيم أمامه!

قيل جاء بصوت الحكيم انتقاده لفتوى الصَّدر بعدم السير إلى كربلاء، بعد أن طلبت السُّلطة منع المواكب في زيارة الأربعين، وقد منعها الصَّدر في الجمعة السابعة، الخطبة الأولى بعد ضغط عليه، قائلاً: (أنا حسب علمي وفهمي أن المنع حصلَ، وأنا قلت لكم إنكم إذا مُنعتم فامتنعوا، أنتم إن شاء الله تكونون على مستوى المسؤولية الدِّينية تجاه الله وتجاه الحوزة، بحيث إذا قيل لكم قفوا تقفون... فكأنما الآن تقول لكم الحوزة قفوا لا تذهبون)[575]. وفي خطبة سابقة أشار الصَّدر إلى المنع وأنه طلب من المسؤولين بالسماح. قال: (المطلب مرتبط بالرئيس (صدام حسين) مباشرةً، فأنا أطلب منه إجازة هذا الموسم المقدس)[576].

ولا ينسى الصَّدر محاولة تطمين الدَّولة لبعد الزيارة عن السياسة، قال: (كُلنا بريئون من هذا المعنى من السياسة، وكل معنى سياسي هذا لا ربط له بنا، لا نستفيد من السياسة ولا تفيدنا

---

574 المياحي، السفير الخامس، ص 9.

575 الصَّدر، منبر الصَّدر ص 76.

576 -المصدر نفسه، ص 64 .

السياسة)[577]. وإذ تجده يؤكد وينصح بالتقية (أنت إذا ذهبت أو عملت أي شيء، أو قلت أي شيء على خلاف التقية إذن أنت لا دين لك، يشهد المعصومون أنه لا دين لك)[578]. لكن، تجده في أكثر من خطبة ينتقد المراجع الآخرين حتى يصفهم بأصحاب التقية المكثفة!

وهنا تأتي واقعية تعامل الصَّدر مع الحدث، وتجنيب النَّاس الدماء، التي لا يتأخر النظام عن سفكها، بالسلاح الفتاك، بينما الحكيم يقيم بالخارج، وكثيراً ما قامت الحكومات السَّابقة، ومنها حكومة عبد السلام عارف، بمنع المواكب من دون أن تتوجه مرجعية السَّيد محسن الحكيم، والد محمد باقر، بالاعتراض المعلن أو بالتصريح ضد تلك الممارسة. وفي الوقت نفسه عدَّ جماعة الصَّدر تلك الفتوى، أو التصريح بالمنع، أنها بطولة، وغاية سياسية.

ولربما نجد في قول محمد الصَّدر التالي اتهام المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، جماعة الحكيم، بمحاولة عزل الجنوب فيما لو حدثت انتفاضة ونجحت، والحال ربما نظرها الصَّدر مثلما حدث من عزل الشمال تحت القيادة الكُردية، إلا أنه ينهي عبارته بما يشير إلى حقيقة رفضه لآل الحكيم، قبل رفضه لقطع الجنوب. قال: (إن الجنوب سوف يقتطع من العراق، وهذا الاحتمال بنسبة خمسة وتسعين بالمائة، ولكن ليحكم كل رجل إلا ...)[579].

---

577 -المصدر نفسه.

578 -المصدر نفسه، ص 65 .

579 المياحي، السفير الخامس، ص 214.

ويُذكر أيضاً، حول ما كان بين الأسرتين، أن آية الله محمد سعيد الحكيم كان يُشير إلى محمد الصَّدر بما لا يُليق، ونقل عن الحكيم قوله عن الصَّدر إنه (مجنون)، أو من قبيل (إن فيه دعابة)، و(كالطفل في سذاجته)[580]! الواقع كان الصَّدر متواضعاً، قريباً من النَّاس، ولا يبدو عليه التصنع، محاولاً إيجاد طريقة أخرى يتميز فيها عن بقية المراجع، وعزلتهم.

كانت لمحمد الصَّدر خصومته مع كليدار الحضرة العلوية أو الحيدرية بالنَّجف، حيدر الكليدار (قُتل 2003). وفي الخطبة الأولى من الجمعة السادسة عشر هاجم الكليدار والكليدارية أو السدنة، إثر خلاف حول مكان الصَّلاة في الحضرة العلوية. قال: (أصبح السدنة والخدم مجرد موظفين، لا يقيمون وزناً لأي أمر ديني أو دنيوي إلا لوظائفهم الحكومية، وأوامر وزارة الأوقاف، يتوجهون! كـ(زار اللعبة) بيد الموجه لهم، وهم منقطعو الصلة بالمرة عن الحوزة، وعن العلماء، والحوزة منهم براء، وهم أيضاً براء من الحوزة)[581].

كانت خطبته حول الكليدارية شديدة، وغير معهودة من مراجع الدِّين، ففيها ما يسقط عنها الشرعية، وما يشير إلى تكفير بعضهم، ذلك إذا علمنا أن تارك الصَّلاة لدى الصَّدر كافر[582]، وما

---

580 الأسدي، الصَّدر الثاني، ص 30-31.

581 الصَّدر، منبر الصَّدر، ص ص178.

582 المصدر نفسه، ص 21.

أصعب إشاعة ذلك وسط مدينة دينية مثل النَّجف. قال: (أغلبهم لا يصلون ولا يصومون ولا يُخمسون (نسبة إلى دفع الخمس)، ولا يزكون. هل رأيت أحداً منهم طرق بابك ليعطيك خمس حق الإمام! أتحدى ذلك منذ مئات السنين وليس الآن! أما الآن تحت الصفر بكثير من الناحية الدِّينية. وكيف شارب الخمر يُصلي أو يصوم أو يُزكي! وهم يسرقون أموال الحرم (الحضرة العلوية)، وما يوقفه الزوار يسرقونه بكثافة شديدة، وخاصة السدنة والخدم المهمون)[583]. وهنا لا يقصد غير السَّيد حيدر الكليدار!

وقيل إنه بعد تلك الخطبة، التي ثلب فيها الصَّدر الكليدارية، وهي الخطبة السادسة عشر من سلسلة خطب الجمعة، (قام حيدر الكليدار بقطع التيار الكهربائي عن مكتب الإمام الصَّدر، وتحامل عليه، ومُنع إدخال الفراش بعد إقامة الصَّلاة في الحرم بعد المغرب، فما أن انتهت الصَّلاة حتى جاؤوا إلى الكليدار ليخبروه بأن منزله احترق، ومن دون معرفة السبب)[584].

ولما سألنا ابن عمّ السَّيد حيدر الكليدار السَّيد رضوان الكليدار، الذي تولى الكليدارية بعد ابن عمه، حين حولها آية الله السِّيستاني إلى لجنة خاصة، نفى حريق دار ابن عمه آنذاك. وبطبيعة الحال، إذا صحت تلك الحادثة، فالسبب معروف! إلا أن هناك مَنْ أراد إشاعتها كرامة من كرامات السَّيد الصَّدر!

---

583 المصدر نفسه، ص 179.

584 المياحي، السفير الخامس، ص 265.

أما القصة، حسب رواية أحد وجهاء النَّجف، ومن أُسرها الدِّينية المعروفة، ومن العلماء العرب وليس الإيرانيين حتى تظن به الظنون، فهي: أن محمد الصَّدر أخذ يُصلي في الغرفة، التي اعتاد الصَّلاة فيها آية الله محسن الحكيم من قَبل، وكان يترك مجالاً لمرور يفضي إلى غرفة أخرى، وهي شبيهة بالرواق. إلا أن السَّيد الصَّدر أخذ يسد ذلك الممر عند صلاته مع جماعته من المصلين خلفه، وهو ليس على صلة جيدة بخدم الحضرة العلوية، وهم لا يبدأونه التحية والسلام.

وحصل أن طلب منه الكليدار، ولعدة مرات، ترك ذلك الممر فارغاً، فلم يفعل، حتى جاء يوم من الأيام، قبل وصول السَّيد الصَّدر، وأمر المصلين المنتظرين بالتحرك وإخلاء الممر، ولما وصل الصَّدر غضب وأخذ يشتم الكليدار بصوت مسموع، وخصص خطبة الجمعة المذكورة لثلبه وبقية السدنة. ومن جانبه ذهب الكليدار مساءً إلى برانيته (ديوانيته) معاتباً، فما كان من الصَّدر إلا إهانته.

ومن المتعارف عليه، أن كليدار الروضة الحيدرية، حسب طبيعة منصبه، ومنذ العهد العثماني كان على صلة بالسُّلطة، وهو إضافة إلى ذلك كان عضواً في مجلس الشعب، وهو البرلمان المُعين أيام النظام السابق، ولا يعفى مَنْ يرفض تلك العضوية من تهمة معاداة السُّلطة، والعاقبة معروفة.

إلا أن ذلك لا يفسر قتله في الصحن العلوي، إلا إذا أُخذت تلك القطيعة بينه وبين الصَّدر بنظر الاعتبار، وكان قتله مع السَّيد عبد المجيد الخوئي في العاشر من نيسان(أبريل) 2003، أي بعد الإعلان عن سقوط تمثال صدام حسين بيوم واحد. ويتحدر حيدر الكليدار من أُسرة مختصة في خدمة الحضرة العلوية منذ تعيينها، حسب خطبة الصَّدر نفسه، بموافقة الشَّيخ محمد حسن النَّجفي، صاحب كتاب الجواهر (ت 1850)، وبيدها مفتاح الحضرة[585].

وفي خطبته التي هاجم فيها الكليدار والكليدارية، طالب الصَّدر أن تكون سدنة المراقد المقدسة تحت سيطرة وإشراف الحوزة والمرجعية الدِّينية. ومما قاله في هذا الأمر: (خرجت الكليدارية في كل العراق عن يد الحوزة الشريفة، وأنا رأيت إذناً مكتوباً من قِبل أحد المراجع المتأخرين، وهو السَّيد محسن الحكيم (قدس) إلى سادن حرم الكاظميين (ع) في حينه الشَّيخ عبد الحميد الكليدار، بإجازة التصرف بأموال الضريح، وفيها على ما أتذكر الإذن بأن يصرف على نفسه وإخوته وأسرته وأعمامه وأخواله بمقدار ما يجد فيه المصلحة، ثم يصرف الباقي على الفقراء والمحتاجين)[586].

---

585 كليد دار: السادن، وكلي: المفتاح، ودار: حامل أو صاحب، وهو المختص برعاية العتبة المقدسة، والمفردة فارسية النجار، واصلها: خدمتكذار (البزركان، معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة، ص 146. قيِّم، فرهنك معاصر عربي فارسي، ص 566).

586 الصَّدر، منبر الصَّدر، ص 177.

بيد أن المرجعية الحالية، بشخص آية الله علي السِّيستاني، طبقت ما طالب به السَّيد الصَّدر في تلك الخطبة، وعينت لإدارة المرقد العلوي لجنة خاصة متصلة بها، ولم يُعدَّ السَّيد رضوان الرفيعي كليداراً، وهو سليل الكليدارية من قبل أكثر من مئة عام كليداراً للضريح.

وأخيراً جرى الحديث عن صلته بقريبه آية الله حسين بن إسماعيل الصَّدر (والده الأخ الأكبر لمحمد باقر الصَّدر)[587]، القاطن بالكاظمية. قيل كان الأخير على صلة به، إلا أن نزوع الأول إلى المرجعية، وعدم اهتمامه بالتدرج التقليدي، وربما كثرة خلافاته أيضاً مع بقية المراجع، أدى إلى القطيعة بين الرجلين.

قال أحد أتباع محمد الصَّدر: إن حسين الصَّدر: (كان يقترح على شهيدنا الابتداء التقليدي لطرح مرجعيته، وهو إلقاء درس الخارج، وجمع الدعاة، وبعد ذلك يطرح نفسه مرجعاً للتقليد. بينما

---

587 عالم دين، كما يبدو من خطابه، من طراز آخر، وهو العمل الحثيث على تكريس مُثل التسامح الدِّيني، والتسامح الاجتماعي، بين فئات الشعب العراقي. التقيته (إثناء زيارته لندن للعلاج تموز/يوليو 2008) وسمعت منه: أن العراق بعد الله، يجب في كل السُّبل حمايته من التقسيم والفِرقة، وأن ما يحصل هو شأن سياسي، ولا بد للدين أن يكون عامل وحدة لا فِرقة. أنشأ مؤسسة (حوار) ومدَّ لها فروعاً عديدة في مختلف مدن العراق، وبضمنها الفلوجة والسليمانية ناهيك من مدن الجنوب والوسط. وقد سألته عن إدراة المؤسسة بالفلوجة، أو المناطق السُّنّية أو الكُردية، أجاب: (من أبناء الفلوجة والسليمانية، ولا يهم عندي أن يكون سُنّياً أو شيعياً). كذلك تربطه صلات قديمة بزعماء الديانة المسيحية، وقد أقام حفلاً بالكاظمية لتكريم بطريرك الكلدان الكاثوليك الكاردينال مار عمانوئيل الثالث دلي، بعد حصوله على المرتبة الدِّينية العليا من الفاتيكان. كذلك سعى إلى إقامة عدة مؤتمرات للحوار بين المذاهب والأديان العراقية في شدة الأزمة الطائفية (2004-2005)، وله صلات بالعشائر السُّنّية، من الذين حاربوا الإرهاب. تعرض السَّيد حسين إلى ظروف قاسية بعد إعدام عمه السَّيد محمد باقر الصَّدر (1980)، ومتابعة أمنية محكمة، ومع ذلك يقول: لا أفكر في أوجاع الماضي، يبقى العراق بعد الله!

يرى شهيدنا خلاف ذلك)[588]. بعدها انسحب حسين الصَّدر من مجلس قريبه. وكانت له صلات جيدة بآية الله علي السِّيستاني، قال الحاكم المدني الأمريكي للعراق: (كنت أعرف أن حسين الصَّدر يقابل السِّيستاني كل أسبوع)[589].

والشيء بالشيء يُذكر؛ فعند وفاة السَّيد إسماعيل الصَّدر (ت 1969)، الأخ الأكبر للصدر الأول محمد باقر، ووالد السَّيد حسين الصَّدر، جرى الحديث حول خلافته بمسجد الهاشمي بالكاظمية، في أن تكون للسيد محمد محمد صادق الصَّدر، وبهذا كتب الشَّيخ علي الكوراني إلى السَّيد محمد باقر الصَّدر. إلا أن الأخير رشح نجل السَّيد إسماعيل لتلك المهمة.

وكان الجواب: (أن الظروف الموضوعية أوضحت أن الشخص الوحيد الذي تسلطت كل الأضواء العاطفية عليه هو ابن الفقيد (حسين الصَّدر المقيم بالكاظمية)، والاندفاع الشديد من مختلف الطَّبقات، التي كانت تدور في فلك سيدنا الأخ، دلل على ذلك بوضوح هذا إضافة إلى أمور أخرى لا يمكن استيعابها في هذه الرِّسالة.

فعلى سبيل المثال، إن السَّيد محمد لا تتوفر فيه شروط العمل الاجتماعي، وله ارتباط عاطفي وثيق بخاله في الكاظمية الشَّيخ محمد

---

588 المياحي، السفير الخامس، ص 60.

589 بريمر، عام قضيته في العراق، ص 215.

حسن آل ياسين، الأمر الذي يجعله يتأثر به إلى درجة كبيرة جداً إذا جاء إلى الكاظمية، وهو مباين في الخط تماماً)[590]. وفي هذا الصدد لا يفوتنا القول: كان ذلك الكلام مبكراً على نضوج واستقرار الشخصيتين: حسين الصَّدر ومحمد الصَّدر، في العام 1969، وأن محمد الصَّدر تصدر المرجعية الخاصة به بعد حوالى ربع قرن من الزمن.

فاض الكيل بالصَّدر وأخذ يرد على كثرة الإشاعات حول علمه وقدرته على الخطابة، حتى تجده يصرّح، عبر خطبة من خطب الجمعة. قال: (بعض النَّاس سمعت منهم أن السَّيد محمد الصَّدر لم يُحضر خطبته جيداً، أن السَّيد محمد الصَّدر غير عميق في خطبته، كأنهم يتوقعون أن أقول هنا درساً حوزوياً كاملاً في الفقه، أو في الأُصول أو في التفسير، أو في أي شيء أنا لستُ مغفلاً إلى هذه الدرجة، لكل مقام مقال، وكما أيضاً في المثل الآخر: إن البلاغة تطبيق المقال على مقتضى الحال، كذلك: كلموا النَّاس على قدر عقولهم)[591].

لكن، وبلا اتفاق مع القائلين بعدم قدرة الصَّدر على الخطابة، أكثر في خطبه من الضخ في عقول النَّاس، وهم البسطاء حسب قوله، ما يؤدي بهم إلى شطب تاريخهم الأدبي والعلمي والحضاري حينما يعتبر

590 مجلة قضايا إسلامية، العدد الثالث 1996، الملف الوثائقي نماذج من رسائل الشهيد الصَّدر غير منشورة، مع نسخة من خط يد الصَّدر ص 585.

591 الصَّدر، منبر الصَّدر (مجموع خطب الجّمع)، ص 68.

آداب الكبار الأوائل إلحاداً وعمالة للاستعمار، وأن ينظر إلى الفلسفة اليونانية نظرة أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ 1111 ميلادية). قال: (يدخل الإلحاد إلينا كابن العوجاء، وابن المقفع، والجاحظ والآخرين، الذين إنما كانوا في الحقيقة عملاء الفلسفة للدولة البيزنطية)[592].

وتجده يقف ضد الرياضة وهي سمة العصر، تربي الأجساد والعقول وما فيها من الدعاية للبلدان، وتحدث بما يقلل من شأن الطب والأطباء، في عدم الاختلاط، ولا يمكن للطب أن يكون غير كذلك، وما عبر عنه بالحوادث المخزية[593].

الموقف الإيراني

كان الموقف الإيراني من السَّيد محمد الصَّدر ومرجعيته متأثراً بصلته، أو ما شاع عن صلته، بالنظام العراقي السابق، ولا بد أن لخصومه في المجلس الأعلى شأناً في ذلك. فلما حاول الصَّدر توسيع قاعدة مرجعيته إلى إيران، أو بين العراقيين هناك، لم يجد ترحيباً بقدر ما استقبل مبعوثه بالصدود والرفض. ويُذكر أنه بعث السَّيد جعفر بن محمد باقر الصَّدر لفتح المكتب وأوصاه بعدم (التدخل في السياسة، وما عليه بالسياسة... وبأي شيء من المعارضين للدولة هناك (إيران)، أو معارضين للدولة هنا (العراق)، أو شيء من هذا القبيل... وإنما يكون موقفه دينياً)[594].

---

592 المصدر نفسه، ص 54.

593 المصدر نفسه، ص 572 وما بعدها.

594 الأسدي، الصَّدر الثاني، ص 108-109.

ولتهيئة فتح المكتب بعث الصَّدر أبا سيف إسماعيل مصبح الوائلي، شقيق محافظ البصرة السابق، وقدم نفسه أنه وكيل الصَّدر بالخارج، إلا أنه فشل في إقامة أية آصرة مع علماء الدِّين الإيرانيين. ومع ذلك افتُتح المكتب في 13 رجب 1419 هـ. بمدينة قم، وذلك بعد وصول جعفر الصَّدر إليها، حيث أوصله سراً أبو سيف الوائلي. وكان الأخير على ما يبدو يتنقل بين العراق وإيران. وما زالت صلة أبي سيف إسماعيل بالإيرانيين سيئة، ذلك ما نسمعه من التصريحات، وما سمعته من شقيقه محافظ البصرة في لقاء خاص معه. ومن جانبه أكد السَّيد جعفر الصَّدر، عندما استفسرت منه، في لقاء جمعني معه ببيروت(شباط 2008)، قصة انتدابه من قبل السَّيد محمد الصَّدر إلى إيران.

وبالجملة (لم تكن هناك علاقة بين السَّيد الشهيد محمد الصَّدر وقادة الدَّولة الإيرانية... وكانت قياداتهم السِّياسية والدِّينية متجاهلة تماماً لمرجعية السَّيد الشهيد بما ليس فيه على أنه متعاون ومتعامل مع سلطة بغداد الجائرة)[595]. وحصل أن أُزيلت صورة محمد باقر الصَّدر من المكتب، المزمع فتحه بإيران، بيد الشَّيخ حسين المؤيد[596]! وأن آية الله كاظم الحائري، الذي عُدَّ مرجعاً للتيار

595 الموسوي، صدر العراق الثالث، ص 63.

596 المياحي، السفير الخامس، ص 19. وآية الله الشَّيخ المؤيد يعارض النظام الحالي، ويبدو من خلال تصريحاته عبر الفضائيات أنه ضد الأحزاب الدِّينية والغزو الأمريكي للعراق.

الصَّدري في أول نشأته، طرد رسول الصَّدر أبا سيف الوائلي من داره، واتهمه أنه يعمل لصالح المخابرات العراقية. ويُذكر أن الحائري رفض خصوصية الحديث مع مبعوث الصَّدر.

وهنا ينقل الوائلي ما جرى من حوار في مجلس الحائري: (عندي رسالة خاصة منه (الصَّدر) إليك، ألقيها عليك سراً. فقال: ليست عندي لقاءات خاصة، وإنما لقاءاتي معلنة. فقلت: لكن، السَّيد الصَّدر أوصاني أن تكون سرية! فقال: أنا لا توجس عندي من ثقاتي، وهم كأولادي. فسكت! فانبرى أحد الشيوخ، وهو ينظر إلى إحدى الصور قائلاً: هذا التجمع أكيد وراءه السَّيد محمد سعيد الحكيم، لأنه ثوري، من أسرة ثورية! فقلت له: لا! إن سعيد الحكيم حرم صلاة الجمعة. فقال: هذا كذب! فقلت له: أنت كاذب! أنا في العراق أعيش، وأعرف ما فيه! فقال: منذ متى أصبح العراقيون يَصلُّون بهذا العدد؟! فقلت وأنا أُشير بإصبعي إليهم جميعاً: (عندما خرجت ... من النَّجف)[597].

هذا، ولما رفض الحائري استلام الرِّسالة رد الوائلي بالقول: (الظاهر أن السَّيد الحائري ليس أهلاً لهذه الرِّسالة). وكان فحواها، حسب ما سطره الوائلي في مقدمة كتاب (السفير الخامس)، وسمعت من شخص قريب جداً منه أن معظم الكتاب من مذكرات الوائلي: أن يساعد آية الله الحائري ومحمد رضا النعماني في مكتب الصَّدر بقُم،

---

597 المصدر نفسه، ص 14.

إلا أن الأول رفض استلام الرِّسالة والثَّاني تعذر بمرضه، حتى لا يتلو رسالة الصَّدر أمام الحضور في المناسبة.

أخبر النُّعماني السَّيد جعفر محمد باقر الصَّدر بما في نفسه، قائلاً: (إن محمد الصَّدر لم يثبت اجتهاده، وليس عنده إجازة بالاجتهاد، ولا تلوث سمعة أبيك! لأن محمد الصَّدر لا يساوي أظفر أبيك)[598]. كذلك رفض الحائري طلب جعفر الصَّدر لحضور حفل الافتتاح بالقول: (ماذا يفعل محمد الصَّدر بالمكتب هنا ألا تكفيه النَّجف)؟[599]. وأخيراً أُغلق المكتب قبل افتتاحه.

ومن الغرابة بمكان أن يكون للحائري هذا الموقف السّلبي مِن الصَّدر، بينما يصبح الفقيه المجتهد للتيار الصَّدري، في ما بعد، ويأتمر بأمره جيش المهدي؟! فقد جاء في بيانات التيار: (يؤيد السَّيد مقتدى الصَّدر مبدأ ولاية الفقيه العامة، بل هو تابع للولاية العامة المتمثلة، بحسب رأيه، بالسَّيد كاظم الحائري، الذي هو الأعلم من الناحية الفقهية، وكان قبل ذلك تحت ولاية السَّيد الشهيد محمد الصَّدر (رض) حيث كان يرى الولاية العامة لنفسه عبر الدليل باعتباره الأعلم)[600].

---

598 المصدر نفسه، ص 19.

599 المصدر نفسه.

600 الموسوي، صدر العراق الثالث، ص 13.

كذلك قال السَّيد مقتدى في تقليد الحائري: (إننا نرجع في مستحدث المسائل إلى آية الله كاظم الحائري دام ظله). وينظر مقتدى إلى الحائري أنه صاحب (باع طويل في التنظير الفقهي والسِّياسي، ونحن نجلّه، كما نفعل مع العديد من مراجع التقليد). وقال حول الإشارة إليه بحجة الإسلام: (لُقبت بحجة الإسلام والمسلمين من قِبل السَّيد كاظم الحائري دام عزّه، عندما أرسل لي وكالة أو تخويلاً بهذا اللقب، فمشى هذا اللقب علينا)[601].

وقال الشَّيخ محمد رضا النعماني، وهو من المقيمين بإيران، لمبعوث الصَّدر الوائلي ما يشبه التأنيب للصدر: (أنا أريد أن أوصيك وصية توصلها إلى سيد محمد: لماذا هذا الضغط على النساء السافرات، ليحرم ركوبهنَّ (وردت ركوبهم) في سيارات الأجرة ويحرم البيع والشراء معهنَّ. ضغط على النساء فتأتي النتيجة عكسية ويقصد (إيران). وأخبره: أن الشَّيخ محمد رضا النعماني يسلم عليك ويقول لك: ما هكذا تورد يا سعد الإبل)[602].

حصل، مثلما سبقت الإشارة، أن استغل الصَّدر مجال الحملة الإيمانية، التي أعلنها صدام حسين في أواسط التسعينيات، فأخذ يلح بحجاب المرأة في خطبه وسلوكه الشخصي المباشر مع النَّاس. ويأتي حجاب المرأة من أولويات العمل الإسلامي السِّياسي، فمِنْ قبل أفتى

601 المصدر نفسه، ص: 60-61 و81.

602 المياحي، السَّفير الخامس، ص 16.

قريبه السَّيد محمد باقر الصَّدر ضمن تحركه السِّياسي (بحرمة دخول الطَّالبات إلى الجامعات بدون الالتزام الكامل بالحِجاب الإسلامي)[603].

ولأن الفتوى كانت تحدٍّ، وقبل حملة الدَّولة الإيمانية، ردت الدَّولة بمنع (ارتداء الحجاب ومضايقة المحجبات)[604]، وهناك مَنْ فسر فتوى الصَّدر الأول معكوسة رداً على محاربة الحجاب (ومنعه في الجامعات وكثير من المؤسسات الرَّسمية)[605].

قال الصَّدر الثَّاني في الجمعة الثَّانية والعشرين، الخطبة الثَّانية: (من الواضح جداً أن عدم الحجاب، والحث – كما يفعل النَّاس – والحث على الاختلاط بين الجنسين، إنما وردنا عن طريق الاستعمار الغاشم، الذي لم يكتف بنهب خيراتنا وإفقار شعوبنا، والهيمنة علينا، بل كان من أهم أهدافه استلاب ديننا)[606]. ويعني الاختلاط في الجامعات ومؤسسات الدَّولة. وفي هذه الخطبة يهاجم المسيحيين واليهود. قال: (وإذا كانوا هم عاصين لتعاليم أديانهم، وشرايع أنبيائهم، فلنكن نحن المطيعين لتعاليم ديننا الحنيف، وشريعتنا المقدسة الكاملة)[607].

---

603 المؤمن، سنوات الجمر، ص 162.

604 المصدر نفسه.

605 العجلي، الخريطة السِّياسية للمعارضة العراقية، ص 130.

606 الصَّدر، منبر الصَّدر، ص 251.

607 المصدر نفسه، ص 252.

وتراه يوحي ويحرض ضد غير المحجبات من النساء قال: (فمن تطبيقات ذلك السافرة، فإنها لا مانع لها من التجول في كل المجتمعات، وعلى كل الأصعدة، بزيها المكشوف المثير، فتكون متجاهرة بالفسق، وظاهرة بالمعصية، وكل السافرات متجاهرات بالفسق بطبيعة الحال، لا أستثني ولا واحدة طبعاً)[608]. لكن الخطورة في عبارة : (لا استثني ولا واحدة)، هي أن زوجة صدام حسين نفسه وبناته، وبقية زوجات المسؤولين مشمولات في تلك الخطبة العلنية، والتي يسمعها الآلاف من مكبرات الصوت بمسجد الكوفة، وهي تسجل وتتداول أيضاً.

أكثر من هذا، يُذكَر أنه (بالقرب من باب القبلة، للحضرة العلوية المطهرة، نزلت امرأة من سيارة وهي سافرة بالكامل، وقد وضعت أصباغاً على وجهها، وعندما مر من قربها بصق في وجهها وذهب، وظلت تتكلم بشكل غير لائق، فعاد إليها فبصق في وجهها مرة أخرى)[609].

608 المصدر نفسه، ص 253 .

609 -المياحي ، السفير الخامس ، ص 101. عادت قضية السفور والحجاب عقب 9 نيسان(أبريل) 2003، قوية بالجامعات ودوائر الدَّولة وشوارع المدن، بعد أن كانت ناشبة في العشرينيات من القرن المنصرم، وقد تجاوزها المجتمع بالحوار عبر الصحف، ومَنْ أسفرت أسفرت ومَنْ تحجبت. بيد أن انهيار الدَّولة المذهل، وما فيه من الخطوب، أعاد المعركة عن طريق جماعات دينية اندفعت إلى مطاردة النساء بالحجاب، ومَنْ تعص تُسلم ورقة تهديد. وما زال رؤساء كبار يمارسون فنون التشدد مع موظفات دوائرهم السوافر. غير أن كلمة نبيهة لآية الله محمد باقر الحكيم (قُتل 2003) ا مفادها: (لا نفرض الحجاب بل ننصح به) أتينا على تفاصيل هذه القضية بالتفصيل في كتابنا (المباح واللامباح) فصل (السفور والحجاب)ا

أقول: يغلب على الظن أن في هذه الرواية مبالغة، أو عدم تمييز بين كشف الوجه والزينة وبين السفور من العباءة! كم تبدو المسألة في تلك الأجواء صعبة في مدن العتبات المقدسة تحديداً! وقد أتينا على تفاصيل، في الفصل الثَّالث من الكتاب تحت عنوان (مرجعية الحكيم) ما حدث بالنَّجف وكربلاء في الأيام الأولى من ثورة 14 تموز (يوليو) 1958.

تحدث الصَّدر عن القضاء الشرعي وما يشير إلى تأسيس محاكم شرعية مرتبطة بحوزته، وذلك في الجمعة السابعة والعشرين، الخطبة الثَّانية[610]. وقد ظهر أمر هذه المحكمة، في ما بعد، خلال القتال الذي جرى بالنَّجف بين جيش المهدي من جهة والقوات العراقية والأمريكية 2004 من جهة أخرى، وكشف عن آثار تعذيب وقتل مثلما أوردته وسائل الإعلام، والصور الملتقطة لها في الحضرة العلوية. ويبدو أن الصَّدريين كانوا يعولون على أنها تحل محل القضاء الرسمي.

قال أحدهم: (إن السبيل إلى حل المشاكل بين أفراد الشعب العراقي، وخصوصاً بين الشعب وأعضاء الحزب الكافر، وهو الحوزة العلمية، وتحديداً المحكمة الشرعية، فهي القول الفصل في كل هذه القضايا وغيرها. علماً أن هذه المحكمة أسسها المرجع الشهيد

610 الصَّدر، منبر الصَّدر، ص 336 – 338.

محمد صادق الصَّدر في حياته، وكان لها دور فعال، كما هي الآن كذلك، والرجوع إليها واجب شرعي، والرجوع لغيرها من المحاكم الوضعية(الرسمية) فيه إشكال شرعي، بل هو الحرام بعينه)[611].

وجاء أيضاً: (أسس المرجع الشهيد محمد الصَّدر (قدس) المحاكم أو المحكمة الشرعية، أو المحكمة الحوزوية، مقابل ما كان موجوداً من محاكم الدَّولة الظالمة... وقد أخذت المحكمة الشرعية صداها في أوساط المؤمنين، وتعاملوا معها بجدية). بل عدوا تلك المحاكم من إنجازات الصَّدر، مثلها مثل إقامة صلاة الجمعة، وكتابة (فقه العشائر)[612] ضمن موسوعته الفقهية.

وبعد الإطلاع على موقف الصَّدر الأب من الرياضة البدنية، يُفهم ما طرحه أو ما صرح به ولده مقتدى على اعتبار الرياضة إلهاءً عن العبادة والأهداف الكبرى. قال الأب في الخطبة الثَّانية من الجمعة الثَّالثة عشرة علانية من على منبر الكوفة: راداً على أحد اللاعبين عندما استفتاه: (أنا لاعب كرة قدم، وإن كرة القدم تسري في دمي)! أجابه قائلاً: (أكل كَركَري أحسن لك)![613].

وقد لخص الصَّدر رأيه في الرياضة عموماً بالقول: (الرياضة بنفسها مباحة إذا كانت مجانية، والتدريب عليها بالمجان أيضاً جائز،

---

611 الموسوي، صدر العراق الثالث، ص 13-14 .

612 راجع الصَّدر، منبر الصَّدر، خطبة الصَّدر الثَّانية، الجمعة الحادية والعشرون، ص 236 وما بعدها.

613 المصدر نفسه، ص 151، عبارة كثيراً ما تستخدم للاستهانة بشيء ما، والكركري تعني الحلوى في العامية، وقد سُمعت العبارة نفسها من على لسان نجله السَّيد مقتدى الصَّدر، وهو يتحدث عن الرياضة.

لأجل تربية البدن وقوته، أو قضاء الوقت بالمباحات، ولكنها مع ذلك مجروحة (لعلّها مجروحة) أخلاقياً، لأن فيها طلباً للدنيا، وصداً عن ذكر اللّه سبحانه وتعالى، حتى المجانية، فضلاً عن التي يُكتسب بها المال، وإنما تمسك بها الغرب الكافر)[614].

قال الصَّدر هذا، وأكثر منه ضد الرياضة، في الوقت الذي كان فيه عدي صدام حسين (قُتل 2003) يترأس اللجنة الأولمبية الوطنية، ومجالات الشباب والرياضة كافة. إلا أنه يمكن تفسير التكريه بالرياضة والدعوة إلى تجنبها، لأول مرة من قبل رجل دين، هو إعلان معارضة السُّلطة في أهم مجال من مجالات هيمنتها الشعبية، والدخول في منافستها على كسب الشباب للالتفاف حول مرجع ديني مثل الصَّدر، وإن كانت الدعوة خاطئة فليس لمرجعية أو حتى ديانة تحجب الشباب عن هذا المجال الحيوي، ولعلَّ في الدعوة أيضاً فائدة للسلطة، وتحذيراً مما هو قادم على يد رجال الدِّين.

فمن المعروف، أنه عندما تبدأ مباراة كأس العالم سيذهب جمهور الشباب إلى متابعتها والانشغال بها؛ ويفضلونها على حضور خطبة الجمعة أو أي مجلس ديني آخر. كذلك بالنسبة للشعائر الحسينية فإنها مناسبة التفاف جمهور المرجعية حولها، ويمكن للرياضة أن تطغى عليها إذا ما تزامنت المناسبتان. ففي تجربة سابقة

---

614 المصدر نفسه.

لم يرض المرجعية التفاف الجمهور، بعد 14 تموز (يوليو) 1958، حول الشّعارات السّياسية والوطنية الثورية، ومواكب التظاهرات العارمة، التي تعدت بعددها المواكب الحسينية بالنَّجف وكربلاء، بل أخذت الشّعارات اليسارية تنطلق من داخل تلك المواكب نفسها وبجمهورها.

ويجد المتابع لخطابات مقتدى الصَّدر أنه قلد والده في الألفاظ والعبارات والحركات والفتاوى أيضاً. تراه يكثر من تكرار عبارة: (إن صح التعبير)! حتى أخذ النَّاس يتندرون بها، ولفظة (حبيبي). ثم تابعه، مثلما أسلفنا، في التعرض للرياضة والرياضيين، وقد ظهر عبر كاسيت مصور، بُث من شبكة الإنترنيت، يسخر فيه من لاعب كرة القدم، الذي يطارد الكرة بالملعب لرميها في الهدف! ولم يجعل الدِّين هدفه، أو أي هدف (سامٍ) آخر.

كان الخواء الثقافي والفكري، والتراجع الحضاري، نتائج مباشرة للسياسات السَّابقة، والحصار الذي ضُرب على العراق لاثنتي عشرة سنة(1990-2003)، لم يعرف فيها العراق الإنترنيت، ولا الأطباق اللاقطة ولا التلفون النقال، ولا الأجهزة الضرورية للدراسة الأكاديمية والجامعية، وأكثر من هذا حُرم استيراد أقلام الرصاص وهي من أساسيات تعلم الكتابة والقراءة، بينما أثرت طبقة السُّلطة والمتعاونين معها كل الثراء. وبطبيعة الحال، مهد ذلك لظهور جماعات اعتقدت بالخرافة وما لا يقبله العقل، وامتد ما كان محصوراً وسط القرى والأرياف إلى المدن والحواضر، وكان ترييفاً للمدينة حقاً.

ومن تلك الاعتقادات ظهور جماعة حول السَّيد محمد الصَّدر، يدعونه بأوصاف فوق أوصاف البشر، وسيأتي الحديث عنهم في مادة (السلوكيين) من فصل آتٍ، لِما وجدوا في خطابه من تعبير على ذلك المستوى، وكان يؤديها بحركات جذابة ومؤثرة لم تعتدها المرجعية الدِّينية من قبل، فعلى مدى تاريخ المرجعية الطويل لم يُشاهد المرجع قائماً خطيباً أمام الجمهور! أو يظهر متلفعاً بالكفن، وهو عنوان الاستعداد للموت، والتضحية وأمارة الشَّهادة الجذابة والمثيرة.

وعلى خلفية ذلك، وما حوته الظروف من انحطاط ثقافي وعسر اجتماعي، يحتاج إلى التنفيس بأي مظهر من مظاهر تحدي السُّلطة، ظهر مَنْ يعتقد بمحمد الصَّدر اعتقادات عجيبة غريبة، وبأنه الإمام المهدي، وحصل أن قال له أحدهم: (تزول الجبال ولا يزول اعتقادي في أنك المهدي المنتظر)[615].

كان الصَّدر يرفض مثل تلك الاعتقادات به، مع نشوة لا تخفى قد تخالج النفس، ولا تخلو منها أية زعامة. ناقش صاحبه بالقول: (هل يوجد احتمال ولو ضئيل بأني لست المهدي (ع)؟! فإذا وجد هذا الاحتمال الضئيل بطل الاستدلال)[616]. كان المعتقد بالصَّدر بأنه المهدي هو الشَّيخ منتظر الخفاجي من أهالي قلعة سكر من نواحي محافظة النَّاصرية، على نهر الغراف.

---

615 المياحي، السفير الخامس، ص 189.

616 المصدر نفسه.

ادعى شخص آخر، اسمه السَّيد سعد نوري، بأن الصَّدر هو محمد ذو النفس الزكية (قُتل 145هـ)، المعروف بمهدي آل محمد، والذي ثار في خلافة أبي جعفر المنصور (ت 159هـ) بالمدينة، واعتقد النوري أيضاً بأن الصَّدر هو المقتول (بين الركن والمقام)، وهي إحدى علامات ظهور الإمام المهدي. وأكثر من هذا، قيل كان النوري يقف أمام صورة الصَّدر ويناجيه (متى تُقتل ونرتاح بخروج الإمام)[617]. ومعلوم أن المهدي المنتظر، حسب الرواية المتداولة، لا يظهر أو يخرج إلا عِقب كارثة!

ولأن قراءة الرواية المتخيلة، في القرون الخوالي، تحولت إلى عقائد ثابتة لا جدال فيها، فنجد أحدهم يحوِّل ما قيل في علاقة عبد الله بن سبأ[618]، الذي لا وجود له إنما عُبر به عن شخصية حقيقة أخرى وقيل ابن السوداء، بعلي بن أبي طالب إلى علاقته بمحمد الصَّدر، فقالوا: (إن الصَّدر يخالفنا في الظاهر وفي كلامه، ولكنه يوافقنا في الباطن)[619].

ويُذكر من الذين غلوا بالصَّدر أيضاً، السَّيد فرقد القزويني، وهو رجل دين معروف حالياً بالحلة، ويخالف الصَّدريين بالموقف من

617 المصدر نفسه، ص 190.

618 تبدو شخصية عبد الله بن سبأ مقحمة في التَّاريخ الإسلامي، ففي كتب الأنساب ومعاجم الرجال لم يظهر لليهودي اليمني ابن سبأ غير فتنته ضد عثمان بن عفان، ودعوته لتأليه علي بن أبي طالب.

619 المياحي، السفير الخامس، ص 191.

الأمريكان، وفي أمور أُخر. وكان في حينها وكيلاً للصدر، وإمام الجمعة بالديوانية، وسط العراق، وقيل على الرغم من عزله من قِبل الصَّدر إلا أنه ظل متمسكاً بغلوه[620].

هناك غلو واضح في شخص محمد الصَّدر، ولا نرى أنه يتحمل مسؤوليته بقدر ما كانت حقبة زمنية وصل فيها الخواء الثقافي والمستوى العلمي إلى الحضيض. ومن ذلك الغلو أن مبعوثه إلى إيران، ووكيله بالخارج، أبو سيف الوائلي، وضع الصَّدر في مصاف النبي محمد والسَّيدة فاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر المعصومين.

جاء ذلك بقوله: (الإمام الصَّدر المقدس (رض) مثالي بكل ما في الكلمة من مضامين، ولا أظن أمثاله يتعدون أصابع اليد الواحدة في التَّاريخ الإسلامي، إذا استثنينا المعصومين الأربعة عشر). وقال أيضاً: (وبحكم قُربي منه (رض) فقد اغترفت من معينه الكثير الكثير، فلا مبالغة إذا قلت: إنني رأيت فيه نبي الإسلام (ص) أو أمير المؤمنين (ع)، أو الحسين (ع). وقد أدركتني أيدي الرحمة حينما تعلقت به وقلدته، وأخيراً حين أناط بي مسؤولية شؤون مرجعيته خارج العراق)[621].

وبعد سقوط النظام أخذ سيف الوائلي، يظهر عبر الفضائيات، حليق اللحية، مرتدياً لباس الأفندية، مثلما يسمى مرتدي البذلة

---

620 المصدر نفسه، 192

621 المياحي، السفير الخامس، مقدمة الوائلي، ص 11-12.

الأوروبية، أي بمظهر بعيد كل البعد، مثلما جرت العادة، عن وكيل مرجع تقليد، كعموم وكلاء المراجع.

وفي هذا المعنى، فالأمر قد لا يقتصر على الغلو بالشخصيات الدِّينية، أو الممارس من قبل المريدين المتدينين برموزهم، إنما هناك مَنْ أشار إلى صدام حسين، شعراً، بأنه الله، مع اختلاف التأثير بطبيعة الحال، لكنه حصل، ولا تعني العبادة الشَّخصية سوى هذا المعنى! مثل قول الشاعر في صدام[622]:

تَبَارَكَ وجهك القُدسيُّ فينا

كَوجْهِ اللهِ ينضَحُ بالجلالِ

أو ما قاله محمد صالح بحر العلوم (ت 1993) في صدام حسين، وهو اليساري المخضرم الصلب، غير المهادن، وصاحب ملحمة (أين حقي) الشهيرة، لكن الدنيا تتغير من حال إلى حال، قال قصيدة طويلة منها البيت الآتي، الذي لا يُقال إلا لخالق الدهر [623]:

أنت الذي لو قلت لليل انصرف

ولَى ووجه الصبح بالنور سَفر

وبالمقابلة ما ورد من روايات في أحوال الأئمة الاثني عشر: معجزات ولاداتهم وحياتهم، وما فيها من الأوصاف والأحداث

---

622 العلواني، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات 2 ص 33.

623 جريدة الثورة، في الذكرى العاشرة للتأميم. العدد 4397 المؤرخ: 1 حزيران (يونيو) 1982.

العجيبات، نجدها قد أضفيت حرفياً على مريدهم محمد الصَّدر، وعلماء دين من قبله أيضاً[624]. جاء في ولادته: (أنه ولد داخل كيس، نظيفاً من الدماء، حسب ما شهدته به القابلة، أم هاشم المخرافي: لما شقت الكيس، ووضعته على ظهره انقلب ثانية، وتكرر الأمر حتى يكون في هيئة سجود لله)[625].

وهذا ما نقرأ لدى صاحب (بحار الأنوار) في ولادة المهدي المنتظر على لسان امرأة أيضاً، وهي السَّيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد(ت 222هـ 836 ميلادية)، وأخت الإمام علي الهادي، وعمة والده الحسن العسكري. قالت: (ثم أخذتني فترة، وأخذتها (وتعني والدته السَّيدة نرجس) فطرة، فانتبهت بحس سيدي (ع) فكشف الثوب عنه، فإذا أنا به(ع) ساجداً، يتلقى الأرض بمساجده، فضممته إليَّ، فإذا أنا به نظيف منظف)[626].

ومَنْ يقرأ كتاب محمد الصَّدر (تاريخ ما بعد الظُّهور)، والذي احتوى على 960 صفحة من الحجم الكبير، ثم خُطب الجُمع، التي احتواها كتاب (منبر الصَّدر) وتتألف من تسعين خطبة أُلقيت في 45 جُمعة ولمدة عام كامل (19 ذو الحجة -1418 2 ذو الحجة

---

624 راجع في أحوال العديد من العلماء وما أضفي عليهم من خوارق: الميرزا محمد بن سليمان التنكابني، قصص العلماء.

625 المياحي، السفير الخامس، ص 262.

626 المجلسي، بحار الأنوار 51 ص 3.

1419هـ)، لا يستغرب خصوبة المخيلة والماورائية التي أسقطها مريدوه على أحواله. فهو يرى، عن عقيدة سابقة، من أن الأئمة الاثني عشر، بعد ظهور المهدي ووفاته، يرجعون واحداً بعد واحد ليحكموا ويموتوا، ويتكرر ذلك، وهكذا يبقى حال الدنيا حتى يوم القيامة!

وإذا قرأنا ما اعتمده الصَّدر في كتابه، وما ألقاه في خُطبه، من روايات، ويعرضها وكأن حوادثها حقائق مسلم بها، نرى كيف استلهم المريدون ولبسوا الفكرة في حمل السَّيف من أجل المهدي، أو تقمص شخصية المنتظر نفسه. قال: (إذا قام القائم، عليه السلام، سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس، يدعون البترية، عليهم السلاح، فيقولون له أرجع من حيث جئت، فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السَّيف، حتى يأتي على آخرهم. ثم يأتي الكوفة، فيقتل بها كل منافق مرتاب، ويهدم قصورها، ويقتل مقاتليها، حتى يرضى الله عزَّ وجل)[627].

ليس في كل ما قاله مقتدى الصَّدر في مرجعية والده، على الرغم مما يوحي بالمبالغة، كان بعيداً عن الواقع، فلو كان الصَّدر حياً، ومواصلاً لصلاة الجمعة، وبهذا الحشد من المصلين، وكل مَنْ له قضية مع النظام السابق، لتغيرت الموازين، ولعلَّ الأمر لم يكن لصالح الإسلام السِّياسي الشِّيعي، الذي لم يتبن الصَّدر الأب حزباً

627 الصَّدر، تاريخ ما بعد الظُّهور، ص 614.

من أحزابه! لكنه بالتأكيد لم يتمكن في أن يكون عقبة بوجه الأمريكان في احتلال العراق، مثلما ظن مقتدى، إنما كان له إضعاف دور قيادات الأحزاب الوافدة من الخارج، والمرجعية الدِّينية الحالية، وقد يتصاعد الأمر مع إيران كثيراً، إذا لم تظهر اصطفافات ورؤى جديدة.

قال مقتدى الصَّدر: (إن أمريكا كانت تخطط لاحتلال العراق منذ زمن طويل، إلا أن بين العقبات الموجودة، أو التي كانت موجودة تمثلَ في وجود هذه المرجعيات الصالحة المتمثلة بالسَّيد الوالد. وبعد إزالته من الساحة، بواسطة القتل، استطاعت احتلال العراق، وبكل سهولة، ذلك أنها كانت تخشى سيطرته وقيادته للشعب العراقي... ويبدو أن هذا المخطط كان متمثلاً للنهج الذي سار عليه السَّيد الوالد. وأنا أسعى، وعلى العبد أن يسعى)[628].

كذلك فإن أمريكا لا تريد للسيد مقتدى حكم العراق، فتراه يقول عن تلك: (في الأسبوع الأول من سقوط النظام، تمكنت وبسهولة وبعون الله وبفضله من السيطرة على العراق عامةً، وكان التعتيم الإعلامي مئة بالمئة. الصحافة لم تكن موجودة إلا في ما ندر بسبب المخاوف الأمنية. وكان الجواب من الغرب أن قالوا: اكبحوا جناح مقتدى، فكان الرد في اليوم الثَّاني بمقتل السَّيد مجيد الخوئي، والحصار الوهمي للسيد السِّيستاني... هذه خطة أمريكية انطلت على بعض المغفلين للمحتل)[629].

628 الموسوي، صدر العراق الثالث، ص 80.

629 المصدر نفسه، ص 95.

جدول(1) نسبة الصدريين(الأحرار) في المحافظات عدا إقليم كردستان

النّسبة	إجمالي المقاعد 2009	المحافظة
0	57	الأنبار
5	35	بابل
5	29	بغداد
2	28	البصرة
0	31	ديالى
2	28	الديوانية
7	31	ذي قار
0	28	صلاح الدّين
4	29	كربلاء
	تأجيل	كركوك
2	26	المثنى
6	27	ميسان
6	28	النّجف
0	37	نينوى
3	28	واسط

لم تجد مرجعية السَّيد محمد الصَّدر، بسبب الخلاف الذي وصل إلى حد القطيعة مع المراجع الدِّينية، صدىً لها بين علماء

التقليد، أو بين سكان المدن المقدسة، التي اعتادت على سلوك مرجعي من نوع آخر، يتمثل باحتجاب المرجع عن الجمهور، وعدم ارتقاء منبر الخطابة، إما للدرس فقط، في حال كثرة الطلبة، وعدم إظهار الخصومات مع أي كان من طبقات النَّاس. حتى أخذ البعض يتقول عليه من دار المرجعية بالنَّجف بكلام مبالغ بالعداوة والكراهية، من قبيل: (لأول مرة نسمع أن هناك بالنَّجف رجل دين عميلاً، يتسلط على رؤوس المساكين من علماء الشِّيعة، وهذا الرجل جبار، وقاتل وصديق حميم لرأس النظام)[630].

هذا، والسيد محمد الصَّدر، الذي طال الحديث عن تصديه للمرجعية الدِّينية وعن خصوماته، ولد العام 1943، ودرس في كلية الفقه بالنَّجف 1960، ودرس التَّاريخ، على يد الدكتور فاضل حسين، الذي قيل إنه أهداه كتاب (كمونة باريس) لماركس وأنجلس[631]، ودرس العرفان الصوفي، واعتقل عدة مرات: 1971، 1974، 1991[632].

جنوب العراق

نجحت صلاة الجمعة، التي دعا إليها محمد الصَّدر، بالمحافظات الجنوبية، وتألف منها من أشرنا إليهم بالصَّدريين،

---

630 المياحي السفير الخامس، ص 31.

631 يحكي تجربة الثورة الفرنسية 1871، ترجمة فارس غصوب، دار الفارابي 1975.

632 الأسدي، الصَّدر الثاني، ص 29-30.

بينما لم تنجح بكربلاء مثلاً. وفسر المقربون من الصَّدر عدم نجاحها هناك بكثرة (الحركات والاتجاهات الدِّينية، التي عصفت بهذه المدينة، والتي ما زالت بقية منها ومتعلقة فيها كالبابية والبهائية والشَّيخية والكشفية). إلى جانب وجود الجنسيات الأخرى، كالإيرانية والباكستانية مثلاً[633]، والتي عادة، تقلد المراجع على الهوية القومية أو البلدانية.

قد لا يبدو ذلك دقيقاً، بأن كربلاء مازالت معقلاً من معاقل الشَّيخية أو الكشفية[634] والبهائية، إنما كان ذلك أمراً تاريخياً. أما

---

633 المياحي، السفير الخامس، ص 163.

634 الشَّيخية فرقة ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي، وعُرفت بهذا الاسم نسبة إلى شيخها الأول أحمد الأحسائي (ت 1826). اعتمدت جماعة منها، وتسمى الركنية، الرمزية في طرح مقالاتها، وأتاحت التأويل لمسلَّمات دينية كالنبوة والمعراج والمعاد، بعد أن أسبغت عليها طابعاً روحياً يمكن قبولها بعيداً عن الواقع المادي. ففي عالم الأرواح والغيبيات ليس هناك حدود للتخيل. أما خصوم الشَّيخية، ومنهم الشَّيخ محمد مهدي الخالصي (ت 1963)، فاعتبروا رمزيتها، الموغلة بالروحية، عبارة عن شطحات وخرافات راجع كتابه: (علماء الشِّيعة والصِّراع مع البدع والخرافات الدخيلة على الدِّين) (ص 185 وما بعدها). وملخص فكرة الشَّيخية في ظهور المهدي أن غيبته (مثل موته، ليس فيه منفعة للخلق (و) أنه عليه السلام لما كان غائباً كان خارجاً من الدنيا، وعند ظهوره يرجع) (القزويني، ظهور الحقية على فرقة الشَّيخية، ص 72). كذلك راجع: محمد حسن الطالقاني، الشَّيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، بيروت: الآمال للمطبوعات، 1999. وقد أتينا بتفصيلات حولها في (حروف حي، البابية والبهائية). و(الأديان والمذاهب بالعراق)، الطبعة الثَّانية، الفصل العاشر. إلا أنه بعد اللقاء بأحد شيوخها بالكويت، حسين المطوع، نفى جملة وتفصيلاً كل ما نُسب لها من تلك الآراء. وأشار إلى أن هناك مظلومية وجهت إليهم وإلى شيخهم الأحسائي من قبل علماء الدِّين بالنَّجف، وبقية الحوزات، حتى عدوا آراءه ضد المذهب، وكان من أشد المرجعيات ضدهم، في العصر الحديث، مرجعية آية الله السَّيد محسن الحكيم (ت 1970). ولم يخف الشَّيخ حسين المطوع قلقه من إقحام الدِّين في السياسة بركوب سفينة الديمقراطية ثم توجيه دفتها، فجماعته لا يرون تسييس الدِّين صواباً، كذلك لهم خلاف مع الشَّيخية أو الأحسائية بالبصرة حول قضية الركن، فأولئك ركنية (لقاء خاص مع الشَّيخ حسين المطوع بالكويت، 15 أيار/مايو 2008).

ما يتعلق بوجود الجنسيات الأُخر فأغلب العشائر الشّيعية العربية، من محيط النَّجف والفرات الأوسط عموماً، قلدت وتُقلد المراجع غير العربية، مثل السَّيد أبي الحسن الأصفهاني (ت 1946) وأبي القاسم علي أكبر الخوئي(ت 1992)، وحالياً علي السّيستاني. وقد أثبتت المواجهات مع ميليشيا المهدي بالنَّجف، السَّنة 2004، انحياز العشائر العربية للمرجعية ووقوفها إلى جانبها. كذلك أثبتت نتائج الانتخابات استنفار الجنوب والوسط بناءً على فتاوى مرجعية النَّجف غير العربية.

أي من الصعب بمكان مجاراة الشعور القومي بالشعور الدّيني أو المذهبي، فالدّين والمذهب عادة عابرا للحدود القومية والجغرافيا. وما التعليل المذكور إلا بتأثير الدَّولة القومية نفسها، التي أرادت لعب الورقة القومية داخل المذهب الشّيعي في خلافها مع إيران. ولا يفوتنا التذكير أن آية الله الخميني (ت 1989) كان هندي الأصل، ليس إيرانياً أو فارسياً، بل (من سلالة جد هندي نفاه الإنكليز من كشمير)[635].

ومع قلة المؤيدين هناك، رفع جماعة الصَّدر بكربلاء لافتة على واجهة مكتبهم تقول: (مكتب سماحة ولي أمر المسلمين في

635 هويدي، إيران من الداخل، ص 20. وأورد هويدي معلوماته من على ألسنة رجال الثورة حول شخصية الخميني قائلاً: (أبعدت السلطات البريطانية بالهند جده أحمد الهندي من كشمير في القرن التاسع عشر، واستقر به المقام بالنَّجف، وحصل أن جاءت جماعة من منطقة خمين الإيرانية لغرض الزيارة فدعته إلى الإقامة بخمين، وهناك تزوج الجد وولد له مصطفى والد آية الله الخميني، الذي تزوج من هاجر آقا ابنة أحد المجتهدين فولد روح الله وأخويه، وقتل الأب 1900).

كربلاء)[636]. وهي لافتة غريبة على المقلّدين والمُقلَّدين في تاريخ المرجعية بالعراق، وإنما شاعت بإيران بعد الثورة الإسلامية، حين يُشار إلى مرشد الثورة أو الدَّولة بلقب آية الله علي خامنئي بـ (ولي المسلمين)!

كانت مدينة الثورة، وأغلب سكانها يتحدرون من جنوب العراق، وهم في غالبيتهم عبارة عن تجمعات عشائرية، استُبدل اسمها بالصَّدر، ومن قبل استُبدل بصدام، ومن قبلهما حاول عبد السلام عارف تسميتها بحي الرافدين، لمحو ذكرى ثورة 14 تموز (يوليو) عنها، وبالتالي محو ذكرى مؤسسها عبد الكريم قاسم. إلا أن الاسم الذي

---

636 المياحي، السفير الخامس، ص 167.

ظل راسخاً في الذاكرة هو (الثورة)[637]! وقد وجد الخطاب الصَّدري صداه فيها، وأغلب المصلين بمسجد الكوفة كانوا من سكانها.

ليست مدينة الثورة وحدها التي قُلب اسمها إلى الصَّدر، بل قُلب اسم مدينة الحيانية الشعبية بالبصرة إلى الصَّدر أيضاً، وأسماء مستشفيات ومؤسسات وشوارع عديدة. وليس الصَّدر هو مَن استحوذ على مسميات الأمكنة والمؤسسات، إنما سُمي العديد من المرافق وقاعات الكليات باسم محمد باقر الحكيم، وكذلك نصب الشهيد بالأهوار باسمه. ومما يُذكر أن ردة فعل قادت إلى هذا التأييد، والتشبه

637 كادت مدينة الثورة (الصَّدر) أن تكون عاصمة دولة، فقد انطلق منها جيش المهدي، مثلما هدد مقتدى الصَّدر بالإعلان عن حكومة ظل بديلة، ولو حصل ذلك لكانت هي مركزها، لذا نأتي على شيء من عوالم هذه المدينة، وهي مدينة كادحين، فكانت ساحة خصبة لعمل الحزب الشُيوعي العراقي. وتبدل اسمها لعدة مرات، حيث الكثافة السكانية وخطورة تحرك العوام منها. بدأت مدينة (الثورة) ضاحية، بداية الستينيات، شرقي بغداد، بما كان يُعرف بخلف السدة. كان سُكانها الأوئل من منطقة الشاكرية، بكرادة مريم غربي بغداد، حيث نشأ، في ما بعد، مجمع القصور الرئاسية، والمنطقة الخضراء لاحقاً! والشاكرية، وبيوتها من الطين والقصب، اسم تردد في أمهات التأريخ، ضمن حياة بغداد العباسية، وفتنها الاجتماعية، تفيد معنى الجُند، والمستخدمين الأجراء، ويتحدث الجاحظ في أدب الكلاب: (فإذا جاوز وثب على عراقيب دوابِّ الشاكريَّة) (كتاب الحيوان 1 ص 320). وبهذا حافظت على المهنة ذاتها، فمنها الأجير ومنها الجندي، كبقية من العصر العباسي، لا صلة لتسميتها، كما يرى البعض، بوزير الدفاع وعضو مجلس الأعيان شاكر الوادي (ت 1957). بدأ مشروع الثورة بـ 911 داراً، تحت اسم (مشروع أصحاب الصرائف) (مجلة العراق الجديد، آب(أغسطس) 1960)، معبدة الأزقة، وفيها أحدث الخدمات. ثم أُطلق عليها اسم مدينة الثورة، وبعد انقلاب شباط(فبراير) 1963، لم تعد الدَّولة لها مسؤولية في تشييد الدور، بل اكتفت بمنح قطعة الأرض. أخبرني أحد شيوخ العشائر النازحة إنه توسط للحصول على قطاع كامل، ألف دار، لعشيرته، ولم يحصل، لذا غضب من عبد الكريم قاسم، وضرب عقاله بالأرض فرحاً بمقتله، ولم يسره حصوله على أربع قطع أرض. والشَّيخ المذكور مثال العراقي، المتطرف برضاه وبكرهه، وتعلقه بالهوية العمرانية السَّابقة، وأن امرأة من أهل الشاكرية لم تتمكن من السكنى في الدار الجديدة إلا بعد أن شيدت لها صريفة من القصب في ساحة الدار. لقد تزايدت السُكنى بالشاكرية الجديدة، في ما بعد، حتى بلغت الآن ما يزيد على المليوني نسمة.

بسلوك النظام السابق في سطوة الأسماء أو غيرها. فإضافة إلى الفقر وبؤس الحال، التي تدفع عادة إلى استلهام الخطاب الثوري أو التطلع إلى التغيير، فإن السُّلطة السَّابقة مهدت بنفسها إلى توسيع القاعدة الصَّدرية، ومن دون قصد، وذلك عندما حاولت التحرش بطابع المدينة المذهبي، عبر تشجيع الحركة السلفية وتسليمها مساجد شيعية.

على سبيل المثال: تحويل مسجد الحسن المجتبى الشّيعي إلى جماعة أُصولية سُنّية، أي ما تعرف بين السكان بالوهابية، وتبدل الاسم إلى مسجد (الرَّشاد) بالثورة داخل[638]. ومعلوم أن الثورة تنقسم إلى حيين، ممتدين على طولها: ثورة- جوادر، ويوازيه ثورة- داخل. ويُذكر جماعة الصَّدر أن المرجعية الدّينية بالنَّجف لم تحتج ضد تلك الممارسة، على الرغم من حدوثها منذ سنوات. وحسب جماعة الصَّدر، حتى جاءت جهود السَّيد لاستعادته، وبدأت صلاة الجمعة فيه منذ 22 حزيران(يونيو) 1996[639]. ولا يُعلم كيف استعيد المسجد المذكور في ظل السُّلطة الخانقة، والقابضة على أنفاس أهل الثورة؟! وبقدر ما كانت السُّلطة تشجع الحركة السلفية، واستخدامها ضد الحركة الشّيعية السّياسية، كانت أيضاً تحذرها، وهناك وسائل أمنية لمراقبة نشاط الحركة السلفية بالعراق، والتي أشار إليها السكان بالوهابية، مثلما أسلفنا.

---

638 المياحي، السفير الخامس، ص 167.

639 المصدر نفسه، ص 145.

بعد مدينة الثورة نشط أتباع الصَّدر بمحافظة البصرة عن طريق صلاة الجمعة أيضاً، واستثمار حالة التديُّن التي عمت البلاد، وركبت السُّلطة موجتها بحملة النظام الإيمانية ليظهر صدام حسين مصلحاً، وأحد الخلفاء المنصورين! ففي مناسبة ذكرى وفاة الإمام علي بن أبي طالب، السَّنة 1419هـ(1998 ميلادية) طلب الصَّدر من أئمة الجمعة ارتداء السواد، وإغلاق المحلات، وتوجه المصلين إلى مسجد الخطوة، وهو مسجد الإمام علي[640].

وجاءت مطالبة الصَّدر أيضاً، عبر خُطب الجمعة، بأسلمة المنهج المدرسي، ووضع دستور إسلامي دائم، وتعميم حجاب الموظفات في دوائر الدَّولة، وقيل طُلب من أعضاء حزب البعث أن يكونوا كالحر بن يزيد الرياحي[641]. وإن صح ذلك، فإنه قصد بالنظام العراقي، أو

---

640 من طريف ما يذكره ابن بطوطة (ت 779هـ 1377 ميلادية) أنه لما زار البصرة وشهد صلاة الجمعة بالمسجد المذكور، انتقد خطيبه للحنه الكثير في اللغة، وقال: (هذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رياسة النحو، وفيها أصله وفروعه، ومن أهلها إمامه الذي لا يُنكر سبقه) (الرحلة، ص 186-187). وهي مفارقة أن يجتمع حول المسجد بعد ابن بطوطة بحوالى سبعة قرون كل هذا الجهل والتجهيل. وقال ابن بطوطة أيضاً في ما يتصل من الممارسات الحيَّة اليوم وبشكل آخر: (لهذا المسجد سبع صوامع إحداها الصومعة التي تتحرك بزعمهم عند ذكر علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، صعدت إليها من أعلى سطح المسجد ومعي بعض أهل البصرة، فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مُسمراً فيها، كأنه مقبض مُملس البناء، فجعل الرجل الذي كان معي يده في ذلك المقبض وقال: بحق رأس أمير المؤمنين عليٍّ، فتحركت الصومعة! فجعلت أنا يدي في المقبض، وقلت له وأنا أقول: بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله تحركي، وهززتُ المقبض فتحركت الصومعة، فعجبوا لذلك. وأهل البصرة على مذهب السُّنَّة والجماعة، ولا يخاف مَنْ يفعل مثل فعلي عندهم، ولو جرى مثل هذا بمشهد الحسين أو بالحلة أو البحرين أو قُم أو كاشان أو ساوة أو آوة أو طوس لهلك فاعله لأنهم رافضة غالية) (الرحلة، ص 186-187).

641 المياحي، السفير، ص 172. قُتل مع الإمام الحسين بكربلاء السنة 61هـ، بعد أن كان أحد قادة الجيش الأموي والمسؤول عن منع الحسين من العودة، وله ضريح تعلوه قبة خارج كربلاء، يُقال إنه دفن حيث صُرع في معركة الطف.

رأسه على وجه التحديد، يزيد بن معاوية، حسب صورته لدى الشّيعة، بينما يغدو محمد الصَّدر كأنه الإمام الحسين.

وفي التسعينيات، من القرن الماضي، احتدم الصّراع بمحافظة ذي قار (النَّاصرية) بين أتباع الصَّدر والحركة السلفية الناشئة هناك، بتشجيع من النظام نفسه. وهم، على ما يبدو، أصبحوا حقيقة قائمة بعد تحول شباب من شيعة الجنوب إلى السلفية السُنّية. وقيل شُيد مسجد خاص بالسُّنَّة بمنطقة الغراف[642] إلى جانب مسجد خاص بالشّيعة، وكان أئمة المساجد الشّيعية يأتون من مناطق أُخر لإلقاء الخطب فيه، ماخلا يوم الجمعة.

(تحرك الوهابيون، وبدأوا بأول خطوة، وهي إعطاء أموال إلى ضابط الأمن في هذه الناحية (الغراف)، فأمر الأمن المؤذن بأن لا يذكر الشَّهادة الثَّالثة بولاية لأمير المؤمنين(ع)[643]. وفي ذلك اليوم كان أحد أئمة الجمعة موجوداً في المسجد، وعندما أذن المؤذن، وصل إلى الشَّهادة الثَّالثة خفف صوته بحيث لا يُسمع في خارج المسجد،

---

642 يجري الغراف من دجلة إلى الفرات، ويمر بعدة مدن تابعة لمحافظتي الكوت وذي قار، ويصب بالفرات قريباً من الناصرية، ويذكر في تاريخه: أنه من بقايا شبكات الري القديمة بالعراق (يأخذ من يمين دجلة فينساب في منطقة الغراف الحالية إلى أراضي مملكة لكش، ويُعزى حفره إلى أحد ملوك مدينة لكش، في نحو 2600 قبل الميلاد) (كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 16، هامش المحققين). وجاء في اسمه، قبل الغراف: أنه المسرهد، أي المُنعم والمغذى. والحمر لحمرة غرين مائه (بابان، أُصول أسماء المدن العراقية، ص 216).

643 سيأتي تفصيل حكم الأذان في الفصل الخاص بجماعة الخالصية.

فاستغرب إمام الجمعة، فأعلموه بضغط الأمن فأمر المؤذن بالتنحي، وأذن بنفسه، وشدد في ذكر الشّهادة الثّالثة)[644].

لكن، إلى جانب ذلك، هناك مَنْ أقلقه ما سيسفر عن تلك المواجهة، وما تبيت له السُّلطة من فتنة لا تحمد عاقبتها، مثلما حصل بعد تفجير ضريح الإمامين العسكريين بسامراء (شباط/فبراير 2006). لذا سعى إلى التعبير عن الأخوة المذهبية، والتخفيف من الاحتقان الطائفي. قيل: إن إمام مسجد فالح باشا الكبير، الخاص بأهل السُّنَّة بمركز النّاصرية، ألقى كلمة في صلاة الجمعة الشّيعية، فاعتقله الأمن[645].

---

644 المياحي، السفير الخامس، ص 161. من الحادثات المضحكات المبكيات، في أمر الطّائفية وما يخص الأذان، نقل لي معلم مدرستنا القديم الأستاذ عبد الجبار الزيادي أنه كان معلماً بالعزيزية- الكوت (1956-1957) وهناك مسجد صغير للأقلية السُنّية، فلما صعد مؤذنهم إلى المئذنة أتى أحد شيوخ العشائر، الذي كان يجالسه بالمقهى، وشهر بندقيته على المؤذن، وهدده بإطلاق النّار عليه إذا لم يتشهّد بالشهادة الثالثة: إن علياً ولي الله! فما كان من المؤذن السُنّي إلا الخضوع للأمر الواقع وأذن بالشهادة الثالثة وسط تعجب ودهشة المصلين السُنَّة!(هناك تفاصيل أُخر في أمر الأذان أوردناها في الفصل الخاص بالجماعة الخالصية).

645 المياحي، السفير الخامس، ص 161. ما يؤكد لنا سعي السُلطة آنذاك إلى نشر السلفية لمواجهة التشيع السّياسي، ومحاولة إقامة موازنة في تلك المناطق، ذات الكثافة الشّيعية، التقيت (في غضون العام 2003) بشاب من أهل الشطرة، يُلقب بالبديري، في رواق مكتبة الاستشراف البريطاني قديماً، والدراسات الأفريقية الآسيوية حالياً، وجرى حوار قصير معه، ذكر لي تبدله من المذهب الشّيعي إلى المذهب السلفي، وكان يرتدي الثياب القصيرة، على الطريقة السلفية، ويبحث في موضوع ضد الشّيعة. كانت المناسبة سؤاله عني لدى بعض الأصدقاء، وعن كتابي (الأديان والمذاهب بالعراق). وكان ضد سقوط النظام، ووجود العمائم الإيرانية، على حد عبارته، في مجلس الحكم. ولما قلتِ له مستنكراً: أن السَّيد محمد بحر العلوم عراقي وعربي، قال: إنه فارسي! ولما ذَكرته أن يُشار (خطأً) إلى الإمام أبي حنيفة النعمان (ت 150هـ797 ميلادية) بأنه فارسي مع إجلاله من قِبل أهل السُنَّة، وهو إمام أكبر المذاهب فيها! قال ما عبارته: ومن متى كان مذهب أبي حنيفة صحيحاً؟!

انتشرت الظاهرة الصَّدرية بمحافظات الجنوب، وأسوة بالبصرة، والنَّاصرية، والديوانية، أخذت تُقام صلاة الجمعة بالعمارة (مركز محافظة ميسان)، وافتتح مكتب للصدر هناك (1419هـ 1998). ومن نشاطات المكتب، مثلما هو الحال في بقية المحافظات، يقوم بتخريج دورات فقهية، وبيع الكتب الإسلامية، وأشيع مبدأ أو فتوى مفادها: التصرف بمجهول المالك وفق المصلحة[646]، وهو ما استخدم بعد سقوط النظام كمبرر أو عذر للسيطرة على الأموال والأملاك، والمهمة التَّقليدية لمكاتب المراجع وهي: استلام الحقوق الشرعية (الخُمس) وخلافه.

وقيل كان في النِّية افتتاح محكمة شرعية بالعِمارة على غرار المحاكم بالنَّجف، لكن بعد أسبوعين أُغلق المكتب واعتقل إمام الجمعة ووكيل الصَّدر هناك حسين المحمداوي، حيث مسجد الحسين بحي المغاربة. وبعده أمَّ المصلين شخص يُدعى هادي الشوكي، ولأنه دعا إلى التهدئة وعدم حمل السلاح، بعد مقتل الصَّدر، هتف المصلون: (كل العمارة تنادي ما نريد سيد هادي)[647].

في 19 شباط (فبراير) 1999 أُطلقت النَّار على محمد

---

646 ورد للشيخ جعفر الكبير (ت 1812) عندما اعترض عليه أحدهم لقبول وليمة حاكم أصفهان القول (مجهول المالك عليَّ حلال وعليك حرام) (التنكابني، قصص العلماء، ص 212)، والمعنى نفسه وفق المصلحة!

647 المياحي، السفير الخامس 146-154.

الصَّدر، بعد الخروج من مسجد الكوفة، وقتل هو وولداه: مصطفى (مواليد 1964)، ومؤمل (1971)، وهما ومقتدى متزوجون من بنات السَّيد محمد باقر الصَّدر. وصلى على جثمانه تلميذه الشَّيخ محمد اليعقوبي، مرشد ومؤسس حزب الفضيلة الإسلامي، وقيل بعد أن تعذر حضور الآخرين من المراجع الدِّينية، وبعدها أغلق باب المسجد، وملئ بمواد البناء بحجة تجديده[648].

وحسب المقربين من الصَّدر، لا تبدو المسرحية التي قيل إن النظام افتعلها وأحضر مَنْ اتهمهم بقتل السَّيد الصَّدر خالية من بعض الواقع، أو محرفة بكاملها، بقدر ما اعتمدت على حوادث حصلت بالفعل. وكان أول المتهمين هو عبد الحسن الكوفي، وقيل كان من خصوم الصَّدر، ومن مقلَّدي غيره، ويميل إلى القول بولاية الفقيه.

ويُذكر أن مشكلة الكوفي مع الصَّدر كانت شخصية بدأت بقرار الصَّدر بإخلاء الطلبة، الذين لديهم منازل بالنَّجف، غُرف المدارس الدِّينية، وكان الكوفي يشغل غرفة من غرف مدرسة اليزدي، فحصلت مشاجرة وتجرأ على سب الصَّدر، ولما استفتي الصَّدر بأمره أجاب بالقول: (إن هذا الرجل مجهول الاتجاه، ولا نعلم لأي جهة يعمل، وكلامه وعمله لا يخدم إلا الأعداء (وأظنه قال- المياحي) إلا إسرائيل)[649].

---

648 المصدر نفسه، ص 239.

649 المصدر نفسه، ص 205.

حمّل جماعة الصَّدر الكوفي مسؤولية غير مباشرة، واعتبروه من الذين استغلهم النظام، إلا أنهم يروون أن القتل حدث بمؤامرة أكبر بكثير من حجم الكوفي أو غيره، قدموها على أنها مؤامرة مدبرة من الخارج، عندما زار طارق عزيز (وزير الخارجية ثم الإعلام ثم نائب رئيس الوزراء في العهد السابق) تركيا. وبعد تحركات هنا وهناك، وإعدامٍ جماعة من المعممين بقتل الصَّدر، ومن بينهم عبد الحسن الكوفي، أُسدل الستار على القضية، ولن ينفجر التيار الصَّدري إلا عِقب سقوط النظام، وكانت الشرارة الأولى في الإعلام مقتل السَّيد عبد المجيد الخوئي.

ومن المتهمين الآخرين، المفترضين، في عملية الاغتيال، حسب الرواية الرسمية حينها: حسين هاشم المالكي، حسن خلف الموسوي، وعلي كاظم موزان، وأحمد مصطفى الموسوي، وأسعد النَّاصري، وحيدر علي حسين حسان، وهم شيوخ دين وطلبة حوزة دِينية كافة. وبعد التحقيق وإذاعة الإفادات (15 آذار/مارس 1999) أُعدم هؤلاء بتهمة ضلوعهم في عملية الاغتيال[650].

كان مقتل الخوئي (10 نيسان/أبريل 2003) أول حضور لاسم مقتدى الصَّدر في وسائل الإعلام العربية والعالمية، فقبلها لم يكن معروفاً البتة، ماعدا ما يرد حول حياة والده بأن له أربعة أولاد،

650 الشَّيخ علي، اغتيال شعب، ص 209-234 عن بيانات رسمية.

أحدهم مقتدى، إضافة إلى مصطفى ومؤمل، ومرتضى. وظل هو ومرتضى على قيد الحياة من بين الإخوة الأربعة، ومرتضى لا يميل إلى الظُّهور، بل كان منطوياً، وقيل أخذ يعيش بعيداً عن الأحداث في قُمَّ الإيرانية.

على أن برقيته إلى صدام حسين باسم أُسرة الصَّدر لم تلفت نظر أحد، ولم يتحدث بها قريب أو بعيد، ويبدو من نصها أن الأسرة تسلمت تعزية من صدام، فكان ذلك رداً عليها، جاء في نصها، حسب ما نشرته الصحف العراقية آنذاك: بعد البسملة: (القائد الفذ صدام حسين، رئيس جمهورية العراق، حفظه الله ورعاه، كانت مواساتكم لنا باستشهاد آية الله العظمى السَّيد محمد الصَّدر ونجليه لها أعظم الأثر في نفوسنا. جنبكم الله تعالى الأشرار من دمار وإذلال. حفظكم الله وسدد خطاكم نحو الخير في هذا البلد، الذي لا يزال مشعاً بأنوار أهل البيت، عليهم السلام، وسيبقى مصدر إشعاع للأجيال القادمة إن شاء الله تعالى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مقتدى الصَّدر وأُسرته)[651]. هذا كل ما كان يُعرف عن مقتدى الصَّدر على أوسع نطاق، لذا كان الظُّهور مفاجئاً.

حاول أتباع، من التيار الصَّدري، أن يجدوا ماضياً حركياً كامناً لزعيمهم مقتدى الصَّدر، شأنه شأن الغائب لعلَّةٍ وهدفٍ. قال

---

651 جريدة القادسية، العدد المؤرخ 2 آذار (مارس) 1999.

أحدهم: (لم يكن اسم مقتدى الصَّدر من ضمن الأسماء التي ظهرت وبرزت بعد الاحتلال؛ كما هو شأن غيره من الأسماء، التي لا غبار على أنها مجهولة الحال، قبل وبعد الاحتلال لعراق الإسلام، وإنما مقتدى الصَّدر باسمه ورسمه في قلوب العراقيين قبل أن يكون معهم في الساحة)[652].

ما زالت قضية مقتل السَّيد عبد المجيد الخوئي محفوظة في أرشيف القضاء العراقية، وتقديمها وتأخيرها مرتبط بالوضع السِّياسي، بعد أن انتهي من التحقيق بها، ووجهت مذكرة اعتقال بحق السَّيد مقتدى الصَّدر، وجماعته، ولم يُعتقل مقتدى بذريعة الظرف السِّياسي الحساس.

ومازال آل الخوئي ينتظرون الفرصة المناسبة لأخذ حقهم عبر القضاء لا غيره، ولما أُريد للقضية أن تحشر في ما حصل بالبصرة من معارك بين القوات الحكومية جماعة جيش المهدي(ربيع 2008)، وعُرفت الحملة الحكومية آنذاك بصولة الفرسان، صرح السَّيد جواد بن محمد تقي الخوئي، ما مفاده بأن قضية قتل عمَّه لا تعالج إلا عبر قانون الدَّولة وشريعتها، وأنهم غير مستعدين لحشرها في الخلاف السِّياسي. أما رد الصَّدريين، فيكاد يتفق على أن تلك التهمة مفبركة من قِبل قوات الاحتلال، وعلى رأسها القوات الأمريكية.

---

652 الموسوي، صدر العراق الثالث، ص 5.

تحول أتباع محمد الصَّدر إلى أتباع لولده مقتدى، إلا أن هناك مَنْ كان يوجه ويدير، فمقتدى نفسه، وحسب العارفين بأمره، ليس من أصحاب الإدارة السِّياسية أو قيادة الجماهير، ويُذكر أنه وجد نفسه على رأسها بعد أن كانت علاقته بوالده غير حسنة إلى حد ما. وقُبيل الانتخابات الأخيرة (2010) شكل التَّيار ما سماه بكتلة (الأحرار)، وحسب النِّظام الداخلي للكتلة فإن التَّيار الصَّدري لم يعد يتخذ العنف نهجاً، وأن الكتلة لم تعبر في نظامها الدَّاخلي عن أيديواوجية دينية، وإن الانتماء إليها مشروط بحِسن السيرة والسُّلوك، وعدم المحكومية بقضية سابقاً، والالتزام بسياسة الكتلة، وشعارها خارطة العِراق مرفوعة بساعدين موثقان بحبل، تقطعه عصا يلتف حولها علم العِراق، هذا ما ثبت في نظامها الدَّاخلي[653]. وكانت سابقاً تسمى بتيار الأحرار، وأمينها العام أمير طاهر الكناني، طالب دراسات عليا بالقانون، وتخرج مِن بغداد فرع القانون.

653 موقع كتلة الأحرار الرسمي، على الرَّابط: http://ahrariq.org/PageViewer.aspx?id=1.

جدول(2) نسبة الصَّدريين(الأحرار) في البرلمان العراقي

السَّنة	مجموع الأعضاء	نسبة الرِّجال	المعممون منهم	نسبة النِّساء
2005	30			
2010	39			

جيش المهدي

من بين الجماعات التي وظفت فكرة المهدوية، على الساحة العراقية، وبرزت في الإعلام العالمي، كانت جماعة جيش المهدي، الذي أعلن عن تأسيسه في 18 تموز (يوليو) 2003، كميليشيا غير نظامية. وما يجهله الكثيرون أن تسمية ومقدمات تأسيسه هذا الجيش لم تظهر بُعيد احتلال العراق وسقوط النظام، إنما كانت أقدم من ذلك بكثير، حيث تشكل جيش بهذا الاسم في بداية العام 1996 بمدينة الثورة نفسها، شرقي بغداد، قبل أن تسمى بمدينة الصَّدر، بسبع سنوات.

ظهر آنذاك شخص يدعى الشَّيخ عبد الزهرة البديري، وهو رجل دين شيعي، من حي الكيارة، من أطراف مدينة الثورة، قطاع رقم (23) (مدينة الثورة موزعة إلى قطاعات وكل قطاع يحوي ألف دار). بدأ نشاط البديري في الفترة(1991-1992) وراح يؤم جماعته

بمسجد (شباب أهل الجنَّة)، ودرس بحوزة سامراء الشِّيعية، وأخذ أنصاره يدعونه باليماني، وهو الرجل الذي يسبق الظُّهور حسب الروايات في شأن الإمام المهدي[654].

كان مدبر أمر الحركة شخصاً يكنى بأبي المهيمن، واسمه الحركي: شعيب صالح، وأخذ ينظم الجيش على منوال تنظيم الجيوش الإسلامية، حتى يقترن بجيش الإمام المهدي العباسي النمط (من الناحية الزمنية). وزع (المناصب في جيش الإمام المزعوم، فهذا حامل الراية، وذاك الساقي وهكذا)[655]. وكان البديري يُلمح أنه رأى في المنام أنه قائد بين يدي الإمام المهدي.

وينقل وكيل السَّيد محمد الصَّدر في كتابه (السفير الخامس)، والصادر العام (2001)، أي قبل تأسيس جيش المهدي بزعامة مقتدى الصَّدر بعامين: أنه بعد وفاة السَّيد عبد الأعلى السبزواري(1993)، الذي تولى المرجعية عِقب وفاة أبي القاسم الخوئي، عرض أحد أتباع البديري على شيخه أن يقوم بطبع رسالة علمية باسمه تؤهله للمرجعية. وكان رده: (الساحة غير محتاجة إليَّ الآن).

إلا أن معركة جرت مع عدد من طلبة الحوزة الدِّينية بمدينة الثورة من على المنابر، وقاموا بتكفير أحد مقلدي محمد الصَّدر.

---

654 المياحي، السفير الخامس، ص 143.

655 المصدر نفسه.

وقيل إنه حينما حصلت مواجهة مع البديري حول ادعائه أنه اليماني، المبشر بالمهدي المنتظر، أنكر ذلك، فهُدد بإصدار فتوى من النَّجف (أي من محمد الصَّدر) بتفسيقه إذا لم يرتق المنبر ويُكذب الادعاء. بعد توسع أمر البديري وصاحبه اعتقلتهما السُّلطة وأُعدما، وبذلك انتهت تلك الحركة التي أعلنت عن تأسيس جيش المهدي، وكانا من الشجاعة والجرأة، وربما العقيدة، أن يسعيا في تلك الظروف البالغة الخطورة إلى دعوة مثل تلك[656]!

حصل أن أطلق صدام حسين، في آب (أغسطس) 2002، ما يُقدر بعشرات الألوف من المعتقلين العاديين، وكان الأغلب من هؤلاء هم من مدينة الثورة، والمناطق الشعبية الأُخر. ولا ندري مدى صحة ما قاله رئيس البرلمان العراقي السابق محمود المشهداني، وكان معتقلاً ومحسوباً على القوى الدِّينية السُنَّية، حول اقتراحه لضابط مسؤول بسجن أبو غُريَب لإطلاق سراح هؤلاء حتى لا يكونوا في خدمة المحتل بعد الغزو.

قال: (في إحدى المرات، عندما كنت في السجن، التقيت بمقدم في جهاز المخابرات، مسؤول عن التحقيق، قال لي: إن العراق مقبل على كارثة! ماذا نفعل؟ فقلت له: أفرجوا عن كل النزلاء الـ 60 ألفاً في

---

656 كلام كثير يدور حول كتاب (السفير الخامس) ومؤلفه، ووصلتني رسالة عبر الفيسبوك يؤكد صاحبها خبر الشيخ البديري، لكنه يُكذب ما ورد مِن أنباء حول إدعائه بالمهدوية أو خضوع النَّاس لقائد الجيش أبي المهيمن وتقبيل يديه ورجليه، بعد قراءته لما نشرته حول الحادثة، ويرى أنه كان صاحب رسالة وفكر.

سجن أبو غْريَب، حتى لا يستغلهم الأمريكيون عندما يحتلون السجن، لأن بإمكانهم أن يعطوا كل واحد منهم رشاشاً، ويتمكنوا بذلك من احتلال بغداد)[657].

انتمى مَنْ انتمى من هؤلاء المطلق سراحهم، والذين شاركوا في النهب والسلب والجرائم في ظل غياب الدَّولة، إلى جيش المهدي، إضافة إلى مَنْ دخل فيه من أفراد منظمة فدائيي صدام، وجيش القدس وغيرهما. ويرى الكثيرون أن أغلب أفراد هذا الجيش هم من خارج مدن العتبات المقدسة، وبالتحديد من مدينة الثورة والمناطق الشعبية الأخرى المحيط ببغداد، ومن الأرياف البعيدة، مع إشارتنا إلى أن الفوارق بين الأرياف والمدن تكاد تكون معدومة في الوقت الحاضر، فقد مرت فترة من الزمن محت معالم المدن، وتحولت طبائعها إلى طبائع القرى.

أُعلن عن تأسيس جيش المهدي، أو إعادة الإعلان حسب الرواية السَّابقة، تحت شعار مقاومة الاحتلال، ومباشرة حصل على تأييد من كل المتضررين من إسقاط النظام السابق، واندفع وجهاء معروفون من أهل السُّنَّة إلى دعم مقتدى وجيشه علناً، وذلك لغرض إرباك الوضع السِّياسي. إلا أن الأمر اختلف، وسرعان ما تبدل موقف المستحسنين لممارساته ضد القوات الأمريكية، وذلك بعد المواجهات

657 حوار مع مجلة المشاهد السِّياسي: 30 تموز (يوليو) 2006.

الحادة بين حاملي السلاح من الطائفتين، التي انطلقت بقوة إثر تفجير القبة العسكرية بسامراء (شباط 2006)، وما بثه تنظيم القاعدة للإسراع بحرب طائفية، وتصاعد عمليات الإرهاب، وقتل الشِّيعة والإفتاء بالقضاء عليهم.

ظهر جيش المهدي في تلك الظروف الحرجة، كحامٍ للشيعة، وبالفعل كان الأمر كذلك، في ظل غياب الدَّولة ومؤسساتها الأمنية والقضائية. فبعد الاعتراف بفتح خط بين مقاتلي الفلوجة من القاعدة وجيش المهدي بالنَّجف، أثناء المعارك ضد الطرفين في ظل وزارة أياد علاوي (2004) أخذ جيش المهدي يُنعت بالإرهاب، وهو يَنعت الذين قاتلوا بالفلوجة بالإرهابيين والتكفيريين.

اعترف الأمريكيون بخطورة جيش المهدي وشغبه، وحاولوا اعتقال مقتدى الصَّدر بجناية قتل عبد المجيد الخوئي[658]. قال بول بريمر حول إحدى الهجمات على الأمريكان: (كان الهجوم من تنفيذ ميليشيا جيش المهدي، التابع لمقتدى الصَّدر، فقد اجتذب تحدي مقتدى للائتلاف بالإضافة إلى توزيع التبرعات القادمة عن طريق مساجد مدينة الصَّدر، أعضاء جدداً إلى جانبه، وقد سمع الرعاع

---

658 قلنا :كلما ظهر خلاف بين أصحاب القرار وجيش المهدي، أو التيار الصَّدري عموماً، تُثار قضية مقتل السَّيد عبد المجيد الخوئي، ويُهدد باعتقال مقتدى الصَّدر، فخلال المعارك بالبصرة، والحملة التي سميت بصولة الفرسان ظهرت قضية الخوئي من جديد، واتصل بآل الخوئي أن يتقدموا بطلب إثارة القضية كي يُعتقل مقتدى.

التابعون له ينادونه باسم المهدي، الإمام الغائب، الذي دخل عالم الغيبة الروحاني)[659].

وقال بول بريمر أيضاً: (حاولنا لجم مقتدى بطريقة غير مباشرة، عبر قناة شيعة معتدلين، لكن الشاب المتطرف لم يستمع إلى مناشداتهم، ولجأ إلى كفن أبيض، بدلاً من عباءة الإمام الداكنة، في رمز إلى أنه يرحب بالاستشهاد. ومن الأنباء المقلقة أيضاً أن مقتدى كان يتعاون مع رجل الدِّين السُنِّي المتطرف أحمد الكبيسي، وينقل بالحافلات المتطرفين السُّنَّة من المثلث السُنِّي إلى الجنوب)[660].

هذا، ولم يُعلم عن الشَّيخ أحمد الكبيسي أنه كان متطرفاً، أو صاحب ميليشيا، فقد سمعنا العكس، بأنه كان يُهدئ الحالة المضطربة في خطبه من على منبر الإمام أبي حنيفة، وفي أول خطبة له تحدث عن الإخاء بين الطائفتين، وأن تكون المواجهة مع الأمريكيين سلمية في بداية الأمر. ولا يُعلم أن له صلات بجيش المهدي سواء كان في معركة الفلوجة أو النَّجف، التي خاضها الجيش الأمريكي ضد القاعدة وميليشيا المهدي، كذلك ليس في حساب الكبيسي قيام دولة دينية،

---

659 بريمر، عام قضيته في العراق، ص 244. استخدام بريمر مفردة الرعاع، وهو ليس بعيداً من الواقع، وما أكثر الرعاع في المجتمع العراقي، لكن، كم مثلهم كان في الجيش الأمريكي، وكم مارس بريمر نفسه الرعونة بما لا يُقاس بالرعاع الذين يقصدهم، حتى قادوا البلاد إلى تلك الفوضى وذلك الدمار والخراب! ولا أدري بماذا يصف المعذبين العراقيين بسجن أبو غريب، والسطو على الأموال، وصفقات إعادة الأعمار الكاذبة، إلى القتل في الشوارع والتحرش بالسكان من قِبل الرعاع العسكر!

660 المصدر نفسه، ص 245.

أو إدخال الدِّين في السياسة، وهذا ما ظهر به الرجل وما نسمعه من خطابه.

لا يبدو تحرك مقتدى الصَّدر مفهوماً، أو ناضجاً، عندما يعلن في تشرين الأول(أكتوبر) 2003، بعد تشكيل جيش المهدي، عن إعلان حكومة تحت إشرافه، ويكون مرشدها، وحدد وكأنه إمام ثورة وقائدها: (إن الوزراء سيؤدون اليمين الدستورية أمامه غداً)[661]، فقد عين نفسه قائداً أو رئيساً، ومن حقه الدستوري تشكيل الوزارة أو حلها! ولا يتعدى الأمر الزهو بآلاف الأنصار والهاتفين باسمه، إلى جانب الإعلام المغري والمشجع على الذهاب أكثر عن ذلك. ناهيك عن الوفود التي تختلف إليه من قادة الأحزاب وكل يريد كسبه.

ليس هناك براءة للجانب الإيراني من اللعب من داخل جيش المهدي، وإن كان بأدوات غير مباشرة، وذلك لإحراج الولايات المتحدة الأمريكية وعرقلة ما تنوي عمله. وبالتزامن مع الإعلان عن الحكومة أخذ جيش المهدي يتحكم في الشارع، وفي العتبات المقدسة، التي ليس فيها من الأنصار ما يؤهل لذلك، ويقيم (حواجز على الطرق بالنَّجف وكربلاء (وقام) أتباعه بالاستيلاء على المساجد في كربلاء من أجل الاحتفال بمولد الإمام المهدي)[662].

---

661 المصدر نفسه.

662 المصدر نفسه. المؤرخ له هو 15 شعبان، العام 255 هـ.

عندما اعتقد الحاكم المدني الأمريكي على العراق (أيار/ مايو -2003 حزيران/يونيو 2004) (أن فشل الائتلاف (القوات الأمريكية وبقية القوات الأجنبية) العلني في التعامل بحسم الأمر مع مقتدى وميليشياه، سيعطي إشارة إلى التمرد البعثي الأفضل تنظيماً، والجهاديين والإرهابيين الدوليين، بأنه يمكن الوقوف في وجه عزيمتنا، وربما إلحاق الهزيمة)[663].

ولا نود الخروج عن موضوعنا (الأحزاب الدِّينية بالعراق)، وإلا هناك ما يُرد به على بول بريمر، وما جناه على العراق في قراري حل الجيش وقانون اجتثاث البعث!، فبحكم هذا القانون تضرر أُناس منهم مَنْ ليس لديهم إمكانية حمل السلاح، ومنهم مَنْ انتمى إلى حزب البعث بالإكراه، أو تقية، أو من أجل العيش، وكم حالة دفعت كبار ضباط ومن منتسبين بشكل من الأشكال إلى هذا الحزب، لحمل السلاح، وتغذية العمليات المسلحة ضد النظام الجديد، وكم من حالة ثأر استغلت هذا القانون![664].

---

663 المصدر نفسه، ص 247.

664 مثال: وردتني رسالة من مجلس بلدية منطقتي بجنوب العراق، يودون إيصالها إلى مجلس الوزراء، تشكو حالة تتعلق بأم اجتثت من وظيفتها، وتوفى زوجها، وظل الراتب مجتثاً على أطفالها، ورد في رسالة المجلس: (يرجى تفضل سيادتكم بالإطلاع على حالة إنسانية كبيرة في قضاء الجبايش. المعلمة هيفاء رشيع عودة أصيبت بسرطان الثدي، ورفعت حينها إلى عضوة قيادة فرقة في الحزب البائد، لتستفيد من المخصصات كون زوجها عاطلاً عن العمل ولديها أطفال، وتحتاج إلى المعالجة في بغداد، وللعلم هي قارئة في المآتم الحسينية للنساء في القضاء، ولم يفدها العلاج وانتقلت إلى رحمة الله تعالى، تاركة ستة أطفال قصر، ولم يصرف لها راتب تقاعدي للسبب أعلاه، ويشاء القدر أن يتوفى زوجها بنفس المرض الخبيث، ويُترك هؤلاء لرحمة القدر والمحسنين إن وجدوا. لقد رأيتهم في جنازة والدهم متشابكين فلا =

من الصعب اعتبار مقتدى الصَّدر، مثلما وصفه بريمر والإعلام عامة، متطرفاً أو مغالياً، وأن التفاف الأتباع حوله كان بهذا السبب أو الدافع. بل إن ظاهرة مقتدى جاءت كتحصيل حاصل، وأنه بعد أن كان سلبياً ميالاً إلى السكوت المطبق، بعد قتل والده وأخويه، لأربع سنوات وهي فترة النظام السابق بعد الحادث، وجد نفسه رمزاً لقضية شائكة.

ووجد نفسه أمام حرية بابها مفتوح على مصراعيه، وأن يقف خلف منبر والده، ويتصدى للسلطة وللحرب مع أمريكا. إلى جانب ذلك حظي بأتباع يسمعونه عبارات التبجيل والتقديس، وحولوا له كل ما كان لصدام حسين نفسه! لذا تلبس وضعاً عصياً، ويعلم ذلك المحيطون به. وبطبيعة الحال، فإن الآلاف من البسطاء من أتباعه ما كانوا يفقهون خطابه. وقد سمعه العالم وهو يقول لهم من على منبر الكوفة، وفي صلاة من صلوات الجمعة، محاولاً كفهم عن الهتاف وجذبهم للإنصات: (أنتم أغبياء! أغبياء! زين أغاتي)[665]!

وفي الوقت الذي قدمت فيه الشَّخصيات الدِّينية السِّياسية الشِّيعية، علانية، تبريرات لوجود جيش المهدي، وعدم ملاحقة مقتدى

=حول لهم ولا قوة إلا بالله... التوقيع مدير إدارة قائمقامية قضاء الجبايش) (رسالة رسمية مؤرخة في 16/12/ 2007).

665 وعبارة زين أغاتي عراقية صرفة، تقال للسخرية مثلما وردت في سياق كلام مقتدى، وتقال للاحترام أيضاً. والأغا مفردة تستخدم لدى الترك والفرس والكُرد أيضاً بمعنى الشَّيخ!

الصَّدر في قتل عبد المجيد الخوئي، تجد لها رأياً آخر أمام الأمريكان. مثال ذلك ما قاله القيادي السابق في حزب الدعوة إبراهيم الجعفري للحاكم المدني الأمريكي في شأن مقتدى: (لماذا لم تتصرفوا قبل ذلك (اعتقاله)، لو تعاملتم معه في ما كان لا يزال في الزاوية، إنه الآن على الطاولة، والأمر أصعب بكثير)[666].

هذا، وسمعنا رئيس الوزراء السَّابق الجعفري يعتبر حمايته لجيش المهدي، الذي أوصله إلى سدة الحكم مقابل عدم إثارة ومحاولة غلق ملف قضية عبد المجيد الخوئي، واحدة من مفاخر وزارته، وأنه أقنعه في الدخول إلى العملية السِّياسية! إلى جانب ذلك، كان لآية الله علي السِّيستاني رأي في مقتدى الصَّدر أبلغه لموفق الربيعي، العضو السابق في حزب الدعوة وعضو البرلمان عن قائمة الائتلاف ومستشار الأمن القومي بتعيين من الأمريكان، بأنه (ألا يبقى مقتدى)[667]! وأن السِّيستاني كان يخشى التهديد الذي يشكله[668].

وبدورها ردت المرجعية على لسان: (منتدى الفكر العراقي) على نقاط كثيرة أوردها بول بريمر، وما يخص مقتدى الصَّدر بأنها كانت مع (تطويق الأزمات وتخفيف التوترات، والمنع من الإقدام على أية خطوة تصعيدية تسبب في المزيد من المعاناة للناس، وأنها رفضت

---

666 بريمر، عام قضيته في العراق، ص 171.

667 المصدر نفسه، ص 254.

668 المصدر نفسه، ص 253.

محاولة اعتقال الصَّدر، بسبب أن قرار إلقاء القبض صادر من محكمة مشكلة في ظل الاحتلال[669].

إلا أنه بعد أن تقدم القوات الأمريكية والعراقية، ولم يبق بينها وبين القضاء على جيش المهدي، واعتقال مقتدى إلا أقل من كيلومتر واحد، جاءت مبادرة المرجعية الدِّينية ممثلة بآية الله السِّيستاني، بعد أن عاد من رحلة علاج لم يكملها بلندن، لحل الأزمة مع جيش المهدي وإنقاذه، بإلحاح كما يبدو من شخصيات وأحزاب دينية. وسلمت عناصر جيش المهدي، بمدينة الثورة، سلاحها مقابل مبلغ من المال، على كل قطعة سلاح، ودخل التيار الصَّدري في الانتخابات كأحد مكونات الائتلاف الشِّيعي، وحاز جماعته على ثلاثين مقعداً من 130 مقعداً هي مجموع مقاعد الائتلاف الشِّيعي، ومن بين مقاعد البرلمان الـ 279 مقعداً.

تدريجياً، غضت وزارة إبراهيم الجعفري(2005) الطَّرف عن نشاط جيش المهدي، فعاد مسلحاً من جديد، من دون اعتراض منها، بعد أن باع عناصره سلاحهم مقابل أموال في ظل حكومة أياد علاوي، وتناقلت الأخبار أن الحكومة قدمت له تسهيلات، وكلما قويت العلاقة بجيش المهدي، التي كانت كما يبدو مصيرية للجعفري،

669 الخفاف، النُّصوص الصَّادرة عن سماحة السَّيد السِّيستاني في المسألة العراقية، ص 437. لكن، ومع رد المرجعية، ولعلَّه صحح على ما أورده بول بريمر، إلا أن مجمل العملية السِّياسية بُني على أساس المحاصصة الطَّائفية، التي لاقت التأييد من قِبلها، وتأسس الائتلاف الشِّيعي بمباركتها، وبهذا ينظر الناس إلى الفشل في إدارة الأزمات جزءاً من مسؤولية المرجعية.

ضعفت من الجانب السُنّي، حيث المغالبة في التهجير والقتل الطائفي كانت تجري بين جيشِ المهدي، في قتل تهجير وقتل السُّنَّة، والقاعدة والميليشيات السُنّية الأُخر، المسؤولة عن تهجير وقتل الشّيعة.

ظهرت داخل جيش المهدي شخصيات خرافية، في قدرتها على القتل والتعذيب والتخفي، تذكر بشقاوات وقتلة العصور الخوالي، ولن تقل رعباً عن شخصية أبي مصعب الزَّرقاوي (قُتل 2006). ويأتي في مقدمتها شخص أبي درع، المقيم بمدينة الثورة، والذي نسجت حوله الحكايات والقصص. كان أبو درع يتردد على إيران، أوان قيامه في عمليات القتل. وقد توثقت من شخص دعاه أصدقاء له لزيارته بقُمَّ، إلا أنه توجس من الدعوة ولم يذهب. أما بعد تجميد جيش المهدي ومحاولات الأمريكان للقبض على أبي درع فانتقل إلى إيران.

كان المعلن في تأسيس جيش المهدي أنه جيش للإمام المهدي المنتظر، وهو الذي يتولى الحرب مع المحتلين، وقد خطب مقتدى قائلاً: (أهم نقطة أن القائد الفعلي للشيعة هو الإمام المهدي، ولنّا حق أن نسمي هذا الجيش، أو هذا التيار باسمه. وهناك روايات أن الإمام منصور بالرعب، وأحد مصاديقه أنه أدخل الرعب في قلوب المحتل والكافر)[670].

وحسب ما ورد في تأسيس جيش المهدي أن آية الله كاظم الحائري، المقيم بإيران، هو الذي أجازه، على اعتبار أنه وكيل الإمام

---

670 الموسوي، صدر العراق الثالث، ص 84.

المهدي صاحب الجيش. قال مقتدى: (أجاز لنا ذلك، ووافق عليه، حتى أن مكتب السَّيد الحائري بالنَّجف يرسل المتطوعين باعتبار أننا مكتب واحد، وإن كان يختلف مكانه، ولكنه معنوياً مكتب واحد)[671].

كانت الغاية المرجوة من تأسيس هذا الجيش، حسب ما أعلنه مقتدى شخصياً بالقول: (لا أفضل أن يكون حزباً، ولا أقول إن منحاه ليس منحىً عسكرياً، إنما كان تأسيسه أولاً بالذات، لكي نقوي قاعدة الإمام المهدي بالعراق، ومن ثم ضبط الأمن والسلام بالعراق، وخدمة جميع الطوائف الموجودة فيه، وجميع القيادات، وجميع المرجعيات والحوزات).

وربما يرتبك المتابع لتأسيس هذا الجيش، والباحث في حيثياته من خطاب قائده، الذي تراه يعود ويقول: (الشائع أن الجيش يكون مسلحاً، إلا أن جيشنا ليس مسلحاً... مسلح، ولكن ليس بالسلاح القاتل والدموي، وإنما بسلاح الإيمان والشجاعة). كذلك قال: (إن السَّيد حسن نصر الله منحاه عسكري! وأنا منحاي شرعي وسياسي، وليس للعسكري دخل به أصلاً)[672]. ويذكِّرنا مقتدى كثيراً بلقاءات صدام حسين الأخيرة بوحدات الجيش العراقي، وكلامه لهم بأن القوة بالإيمان وليس بالسلاح. كذلك ينسى أنه يتحدث للذين يعانون من سلاح هذا الجيش، وتقسيمه إلى وحدات وقيادات، حسب المحافظات وارتباطها بعاصمة الجيش، أي النَّجف.

---

671 المصدر نفسه.

672 المصدر نفسه، ص 88.

عن الممارسات

حسب ما أخبرني به أحد القريبين من هذا الجيش، عن طريق أقربائه المنتسبين إليه، في لقاء معه ببيروت (كانون الثّاني 2008)، وهنا أنقل كلامه نصاً، وقد رفض ذِكر اسمه: أنه بعد سقوط النّظام السابق، ووجود فراغ السُّلطة، أخذ جيش المهدي على عاتقه السيطرة على المناطق التي يقوى فيها، وأصبح يدير الخدمات ويوزع المشتقات النفطية، ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة، حتى أصبح حكومة أو قوة في مواجهة الحكومة، فكل قانون أو أمر لا يعجبهم يصبح مستحيل التنفيذ.

مِن أمثلة ظهورهم العلني بأحياء بغداد

يقفون في الشَّوارع لرصد المارّة، فإن مرّت سافرة (امرأة غير ملتزمة بالحجاب)، أو متبرجة، أو ترتدي ملابس ضيّقة، شتموها وهددوها، وقد قاموا بضرب الكثير منهن.

إذا رأوا شاباً طويل الشَّعر، يقومون بقص شعره من الوسط بعد أن ينال حصّته من الضرب والشتم، فإن عارضهم أو امتنع من فعل ذلك، فإنه يوضع في صندوق (البطة)، وهي سيارة معروفة يستخدمونها في عملياتهم.

إذا مر شاب يحمل هاتف نقّال ويستمع للأغاني، أو وجدوا فيه صوراً أو ما شابه، يضرب ويصادر هاتفه.

إذا علموا أن أحدهم عنده علاقة مع بنت، يتم تهديده، فإن لم يمتنع لاقى عقوبته، ولديهم محكمة (شرعية) تبرر لهم أعمالهم وتعطيهم الحق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبأبشع الوسائل.

ومما اخبرني به نصاً، قال: (ابن خالتي، عضو في جيش المهدي في مدينة الصَّدر (الثورة سابقاً)، ناقشته مرّة عمَّا يقوم به جيشهم من اعتداءات، وهل إنهم يعلمون بوجود عصابات منظمة تعمل باسمهم؟ ولم لا تتم إعادة هيكلة جيش المهدي بإخراج العناصر السيئة والاعتماد على الكفاءات؟ فأجاب قائلاً: نحن نعلم بوجود تلك العناصر، ولكننا لا نريد محاسبتها الآن، لأننا بحاجة لهم، فالحرامي وخريج السجون، ومَنْ لا يأبه بنفسه، عندما تُعطيه سلاح ليضرب المحتل لا يتردد، أما المثقف فهو عديم النَّفع في هذا المجال ويخاف على نفسه وعائلته. وأحمد الله أن قريبي هذا لم يكن متعصباً جداً لكنت الآن في خبر كان).

وما قاله أيضاً: (اعرف شخصاً اسمه (...) سيء السمعة، انضم إلى جيش المهدي ليجد له عملاً يسترزق منه مع قريبه عباس، وكانوا يزرعون العبوات النَّاسفة لضرب الأمريكان، ومن وجد في الطريق، وأصبحت بيوتهم مكاناً لصنع العبوات، وما هي إلا أيام قليلة وأصبح يركب آخر موديلات السيارات. في أحد الأيام خرج (...) مع مجموعة بقيادة شخص (يُعرف بالواوي) في واجب، إذ علموا أن أحد التجار يجلب إلى بيته خماًر ونساء، فوجب قتله. المهم في الأمر

أنهم عندما دخلوا إلى بيت التَّاجر وجدوا معه بنتان جميلتان في وضع حميمي، ومن محاسن الصدف أن إحداهما كانت أخت (...) والأخرى بنت عمته، وقد رآهما بأم عينه، فخيره الواوي، إما أن يقتلهما وعشيقهما ويغسل عاره، أو يترك الأمر لهم، فتحركت الغيرة لديه وقام بقتل الثلاثة وهو يفتخر بذلك. ثم ذهب إلى محل التَّاجر للأجهزة الكهربائية، وقام بسرقتها وحرق المحل، وباع الأجهزة في المنطقة بأسعار رمزية، فمولدة الكهرباء مثلاً سعرها في السوق (200 دولار) باعها بسعر (50 دولار)، هذه الأمور نشاهدها وهم يروونها بفخر).

بعد تفجير القبة العسكرية (شباط 2006) ساءت العلاقة بين جيش المهدي والمقاتلين السُّنَّة، وهنا يتوقف محدثي عند مشاهدة مِن مشاهدته، قال: (يسكن خالي في عمارة مملوكة لشخص سني (عبيدي)، والعمارة تحتوي على ست شقق، بدل إيجار كل منها (85 دولار) تقريباً، وكان خالي يدفع الإيجار إلى وسيط ليرسله إلى المالك، وذات يوم جاءت مجموعة من جيش المهدي، وطلبوا منه (بصيغة الأمر) التوقف عن دفعه للمالك، وإنه سيأتي كل أول شهر ممثل من المكتب (مكتب الصَّدر) لجمعه. وهذا حال المئات من البيوت والمحلات التي تعرضت لعمليات مشابهة. وأعرف تاجراً سنياً لديه محلات لتجارة المواد الغذائية، اتُّهم بتعاونه مع الإرهاب، وتمت مصادرة محلاته بما فيها مِن بضائع، وجمع ما له من ديون في السوق، أما ما عليه من ديون فلا يستطيع أحد مطالبتهم بها، لأنه سيتهم بالتواطؤ والتَّعاون معهم).

وأردف قائلاً: (أنا أعمل في محل لتجارة المواد الغذائية في (علوة ...)، وهي منطقة تجارية واقعة في مدينة الصَّدر، يسطر عليها جيش المهدي من حيث الحراسات، وتنظيم الحركة، ولديهم سيطرات في كل مداخل المدينة، ويراقبون كل من يدخل إليها، وهم يأخذون جباية من كل سيارة داخلة، وإذا ما وجدت سيارة تحمل رقم (الرمادي أو تكريت) أو علموا أن مالكها من تلك المناطق، تتم مصادرتها. وحتى بالنِّسبة للتِّجار الشِّيعة، فيجب أن يدفعوا الأموال – بطرق معلنة أو غير معلنة – لكي يحصلوا على الحماية، ويتجنبوا شرهم. وفي ما يتعلق بالمحل الذي أعمل فيه، فإن أصحابه ليس لهم خيار إلا توطيد العلاقات معهم، وذلك بإغداق الهدايا والعطايا لكبيرهم وصغيرهم. من الأمثلة على ذلك:

1 - هناك ثلاثة منهم ينظمون السَّير في الشَّارع، خصص لهم المحل أسبوعيا مرتباً يتراوح بين (5 – 15 دولار) بسبب أو بدون سبب.

2 – هناك شخص يدعى (الحجي أبو العرفان)، يأتي بين فترة وأخرى ليأخذ حصته من (أموال الإمام) كالحلويات والمواد الأخرى.

3 – هناك شخص يدعى (السَّيد)، يدفع المحل له كل شهر ما يعادل (85 دولار) ليرسله إلى العلوية (والدته).

4 – وهناك أيضا (الشَّيخ) وهو مسؤول أحد مكاتب الصَّدر، يرسل له كل فترة مبالغ وتبرعات للجيش.

5 – كل ذلك بالإضافة إلى التبرعات التي تجمع كل فترة لضحايا الجيش وفعالياته، وهي تدفع لسكب ودهم وتجنب غضبهم.

وهناك شهادة بما حصل لطلبة كلية الهندسة بجامعة البصرة (آذار 2005)، قال: (إن هذه المجموعة قرروا تنظيم سفرة إلى حدائق الأندلس: وهي مكان تجتمع فيه العوائل، فأعدوا عدتهم وأخذوا بعض المسجلات وأشرطة الأغاني، فترصدت لهم مجموعة، مِن جيش المهدي بقيادة الشَّيخ عبد الله، المسؤول عن شؤون الطلبة في مكتب الصَّدر بالبصرة، وقاموا بضربهم وسلب أموالهم وأجهزتهم، واعتقلوا عدداً منهم، وأدى الحادث إلى مقتل إحدى الطالبات وكانت (صابئية)، تبعه فوضى بين الطلاب وتدخلات عشائرية، وأطراف خارجية، وكتبت شعارات، كردة فعل على ماحصل، على جدران الجامعة منها: كلا للإسلام وكلا للقرآن. بعد ذلك انتقل الشَّيخ عبد الله لقيادة مجموعة أخرى، ولي صديق، وابن عمتي، يجتمع في حلقة هذا الشَّيخ، ويروي لي أنه حضر معهم في أحد اللقاءات، واستمع لمحاضرة لهذا الشَّيخ وأثارت دهشته عبارة قالها الشَّيخ، هي: كان النظام الهدامي المقبور يقول لأزلامه: نفّذ ثم ناقش، أما نحن فنقول: نفّذ ولا تناقش)!

إذا تشكل الجيش، حسب مقتدى، ممهداً لظهور الإمام وردع المحتلين فهو يحاول الابتعاد عن تشكيل حزب سياسي، ولا يريد

الاعتراف بجماعته كتنظيم ميليشاوي، وتراه يحول هدف الجيش بين لحظة وأخرى، فهو لطرد المحتلين، وهو للدفاع عن المرجعية الدِّينية، وعن المقدسات، وعن العراق، إضافة إلى أنه (قاعدة الإمام المنتظر). وقال لجريدة (الأهرام): (لا نحمل الأسلحة لاستخدامها لمعاداة الآخرين، وإنما لحماية المراجع الشِّيعية، وهو حقنا شرعاً وقانوناً)[673].

ويفهم من هذا التَّصريح أنه يقصد القاعدة، والتنظيمات الإرهابية، التي تتوعد بقتل الشِّيعة، ومعلوم أن المراجع في مقدمتهم، وليس الأمريكان! وفي مكان آخر ترى مقتدى الصَّدر يجعل الهدف الأمريكي من احتلال العراق، بما يداعب مشاعر البسطاء، ألا وهو: (من أجل السيطرة على عاصمة الإمام المهدي (الكوفة))[674].

ويظهر التناقض الكثير في خطاب مقتدى الصَّدر، بما فُسر بالفطنة وتضليل العدو. فهو من جهة لا يفوته التشبه بالإمام الخميني أو غيره من القادة الدِّينيين. مثلاً نُشر خبر نصه: (أكد السَّيد مقتدى الصَّدر أثناء زيارته للجمهورية الإسلامية بإيران على الوحدة بين البلدين والشَّعبين، وأشار إلى عظمة القيادة الربانية للإمام الخميني (قدس)، وأنه مثال يُحتذى به في مقاومة، وطرد المستعمرين، وقوى الشر في العالم)[675].

673 المصدر نفسه، ص 72.

674 المصدر نفسه، ص 14.

675 المصدر نفسه، ص 15.

بينما تجده في مكان آخر يعود إلى المعقول من الكلام ويرفض التشبه بالثورة الإيرانية. قال: (الطبيعة السّياسية والاجتماعية بالعراق لا تسمح بتكرار التجربة الإيرانية فيه. لذا فإننا مع مزيد من الاحترام لهم لا يمكننا أن نكون نسخة مطابقة لما حدث منذ 1979)[676]. وسرعان ما تجده يعود إلى الخطاب الأول ويعلن أنه امتداد لمرجعية الخميني ووالده الصَّدر في الوقت نفسه. قال: (فإذا كان الخطان متشابهين، وهو حقيقة فعلية، فإن أهدافنا متشابهة، ولا بأس من أن أكون امتداداً للثورة الخمينية)[677].

وإذا اعترف مقتدى، في مكان، أنه ليس مجتهداً[678]! تجده في مكان آخر يعترف بأنه أفتى، مع علمنا أن الفتوى من حق المجتهدين وحسب. قال: (منذ الأسبوع الأول لسقوط النظام أصدرتُ فتوى للتقريب ما بين المذهبين، السُّنَّة والشّيعة، وكان عملها تنسيق صلاة الجمعة والجماعة والمساجد المشتركة)[679]. عموماً، هناك تضارب وتناقض ينم عن عدم وجود برنامج معلوم ورؤية واضحة، وعدم قدرة على ملاحقة الحوادث والمتغيرات.

---

676 المصدر نفسه، ص 63.

677 المصدر نفسه، ص 74.

678 قال: (ولاية الفقيه فتوى من فتاوى المجتهد، وأنا لست مجتهداً، لكي أؤيدها أو أرفضها، وإنما المجتهد يرجع إليها عند ثبوت الأدلة. السَّيد الوالد كان يرى ولاية الفقيه) (الموسوي، الصَّدر الثالث، ص 94).

679 المصدر نفسه، ص 75.

ونجد مَنْ يفسر هذا التناقض، الذي لا بد أن مستشاريه وكبار أعوانه قد شعروا به، بالقول: (علة ذلك بحسب ما يتصور (مقتدى) إرباك العدو، وتضليله، لكي يتخبط، لا يعرف عن الحوزة وعن تيار الصَّدر أوضح الواضحات. ولولا هذا المقصود من قبل السَّيد مقتدى الصَّدر لكان التناقض في تصريحاته ومقولاته وخطاباته ومشاريعه مما يؤاخذ عليه)[680].

وهنا لا بد من أخذ التفسير السالف لأقوال السَّيد مقتدى بنظر الاعتبار كدلالة على العبقرية إذا علمنا أن اسمه أخذ يُسبق بألقاب: (المجاهد)، و(القائد) و(رعاه المولى)، وأُخذ عندما يُقال السَّيد يعنى به مقتدى، داخل التيار الصَّدري وجيش المهدي! ويُطلق عليه بأنه (شخصية عظيمة)! وأن (له مشروعه الحوزوي والجماهيري)، و(سليل الحوزة)، ووصفه بعضهم أنه يتميز بدهاء.

عندما سُئل مقتدى الصَّدر عن تجنيد النساء في جيش المهدي قال: (لأن الجيش في الإسلام مختص بالرجال، لكننا نحتاج إلى النساء في حماية المراقد الدِّينية)[681]. وجاء في هامش المصدر نفسه قوله إن (جهاد النساء حُسن التَّبعل[682]، وما إلى ذلك من

---

680 المصدر نفسه، ص 10.

681 المصدر نفسه، ص 73.

682 سبق أن ذكر الصَّدر الأب ذلك في خطبه المخصصة للفروق الشرعية بين الجنسين (إن جهاد المرأة حُسن التبعل) (الصَّدر، منبر الصَّدر، ص 309). البعل هو الزوج، والمرأة بَعْلة أيضاً، والبِعال: ملاعبة الرجل لأهله (زوجته)، والمرأة تباعل زوجها أي تلاعبه (الجوهري، الصحاح 4 ص1635). والبِعال:=

الصفات والخلال، التي توصل المرأة إلى درجة المجاهدين).

أما مراحل النِّضال لدى مقتدى الصَّدر ضد الأمريكان فهي: الطريق السلمي أولاً، وذلك عبر تحشيد جيش المهدي، والتظاهرات السلمية ضد الاحتلال، وصلاة الجمعة في مسجد (السَّهلة)[683]، في وادي الكوفة، وفي سائر المحافظات. هذا ما هو المعلن، أما الواقع فالمعارك بدأت سريعاً، ومحاولات السيطرة على المدن والأحياء اتسعت.

ويتردد السؤال كثيراً: من أين لجيش المهدي تلك الإمكانيات المالية، لصرفها على التسليح، بصواريخ ومدافع الهاون إضافة إلى البنادق، ومستلزمات المكاتب والسرايا العديدة بأنحاء العراق، والرواتب لعناصر الجيش، الذي لا يضم ثواراً متطوعين قطعاً؟ وهذا ما أقلق الأمريكان وفسروا علاقة جيش المهدي بإيران مباشرة. وتبقى علاقة إيران نفسها مع جيش المهدي، والقوى الأُخر، محيرة؟!

وفي خطاب غير محسوب اعتبر مقتدى الصَّدر نفسه اليد الضاربة بيد حزب الله بلبنان، وبيد حماس الفلسطينية. وعلى حد عبارته: (يوجد في كل بلد قوى ضاربة للكفر والعنجهية الأمريكية

= الجِماع، والمرأة تَبعلت: أطاعت بعلها (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 967). وبالجملة: المراد من استخدام مصطلح التبعل هو الانشغال ببيت الزوجية وخدمة الزوج وراحته ومتعته.

683 ذكره الحموي: السَّهلة مسجد بالكوفة، وأن الإمام جعفر الصادق قال: (لو أن زيداً (ويعني عمَّه زيد ابن علي) أتاه فصلى فيه، واستجار ربَّه من القتل لأجاره) (معجم البلدان 3 ص 290). وقيل هو مسجد سهيل أو سهل، وعُرف بمسجد بني ظفر، ويعبر عنه بمسجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (حرز الدِّين، مراقد المعارف 2 ص 380).

والصهيونية، وهذه القوة التي تمثل الحق هي قاعدة الإمام المهدي عليه السلام، إن شاء الله تعالى)[684].

ومن مسجد الكوفة خاطب مقتدى الصَّدر الشعب الأمريكي، ودعاه إلى السلام والأخوة بالدخول في الإسلام: (أدعوكم إلى الدخول في الإسلام، لكي نكون إخواناً، نعمل من أجل التكامل، ومن أجل الأطروحة العادلة الكاملة المتكاملة، التي بها راغبون وإليها سائرون بعونه تعالى وفضله. فأنا أدعوكم إلى شريعة سمحاء أوصانا بها نبينا عيسى ابن مريم (عليه السلام)، حيث قال: يأتي نبي من بعدي اسمه أحمد، وهو رسول الله). وأردف مناشداً الأمريكيين: (وإتماماً للحجة عليكم أدعوكم للحضور في صلاة الجمعة، وكنت قد دعوتكم في جمعة سابقة) (خطبة 10 شعبان 1424هـ).

لا يخفى أن التيار الصَّدري يحوي كتلة بشرية مختلفة المشارب، ففيه التكنوقراط من المحامين والأطباء والاقتصاديين والكُتاب، والأكاديميين، والمتنورين بشكل عام، من الساعين إلى وحدة العراق، وإطفاء الفتنة الطَّائفية، والمتجنبين لمبدأ المحاصصة، وفيه أيضاً جمهور عريض من البسطاء والجهلة والطائفيين والوصوليين، والعديد من المستفيدين من النظام السابق دخلوا وأصبحوا قادة لتشكيلاته. لذا لا بد من النظر إلى هذا التيار بعين فاحصة، وأنه لا يمكن إبعاده عن الساحة السياسة، بدوافع تدمير قاعدته الشعبية.

---

684 الموسوي، صدر العراق الثالث، ص 14.

وقد تبيَّن من خلال الحملات التي عُرفت بحملات (فرض القانون)، بالبصرة وميسان، ومناطق الوسط والجنوب الأخرى، والمعارك التي دارت بقوة مع الجيش والشرطة، أن هناك محاولة تجاوزت حدود فرض القانون، إلى تقصد التيار بشكل عام، وليس جيش المهدي وحملة السلاح فحسب، ومن شكاوى قادة التيار ضد تلك الحملات من أن ميليشيات كيانات أُخر دخلت إلى الجيش والشرطة، وتقوم بمهمة تصفية التيار.

كذلك، فإن العديد من التجاوزات، التي تقوم بها عصابات ومنظمات لها ارتباطات خارجية، حُسبت على جيش المهدي والتيار الصَّدري عموماً. وقد تغيرت الوجهة كثيراً إثر اندلاع الحرب الطَّائفية بعد تفجيرات سامراء في شباط (فبراير) عام 2006، وكثرت الشبهات حول ممارسات جيش المهدي، وتعددت جهات القرار فيه، وهذا ما يعترف به أحد الناشطين في جيش المهدي. قال الشَّيخ أبو محمد الساعدي: (تعرض جيش المهدي إلى اختراقات كثيرة وكبيرة من الداخل والخارج عملت على استقطاب نفوس ضعيفة، ودعمها مادياً للعمل معها على استغلال اسم جيش المهدي، وفعلاً تورط عدد منهم في القتل الطائفي لصالح أطراف خارج مكتب الصَّدر)[685].

---

685 حوار مع الشَّيخ أبي أحمد الساعدي، جريدة الحياة، تاريخ: 24 نيسان (أبريل) 2009 أجراه: عبد الواحد طعمة.

تشرذم جيش المهدي إلى عدة جماعات، بعد قرار التجميد، الذي اتخذه مقتدى الصَّدر في آب (أغسطس) 2007، فهناك من القيادات سرعان ما وجدت نفسها في حلٍ من البقاء تحت مظلة زعامة التيار، فقد أنشأ مقتدى الصَّدر ما أُطلق عليه بالممهدين لظهور الإمام المهدي المنتظر، وله موقع على الإنترنيت، نشرت فيه كل ما يتعلق بجيش المهدي، وقصائد شعر، ومقالات تبدو مفتوحة للجميع.

وظهرت خارج الممهدين جماعة (فيحاء الصَّدر)، التي تولى أمر انطلاقها أحد معممي التيار الصَّدري بمدينة النَّاصرية، على خلفية أن السَّيد محمد صادق الصَّدر كان يسمي هذه المدينة بالفيحاء[686]. وشكل آخرون (كتائب حزب الله العراق)، وآخرون قاموا بإطلاق جماعة عُرفت بـ (عصائب أهل الحق)، بقيادة أحد معممي التَّيار الصَّدري الشَّيخ قيس الخزعلي، الذَّي قيل إنه يقيم الآن بمدينة قمّ الإيرانية، وعضوية الشَّيخ عبد الهادي الدراجي، على أساس مواصلة القتال ضد المحتل، وقد اشتهرت هذه الجماعة من خلال عملية اختطاف المستشار البريطاني بيتر مور، وآخرين معه مِن البريطانيين في 29 أيار (مايو) 2007 من أمام وزارة المالية وسط بغداد، وتداعياتها[687].

وبعد تشكيل كتلة (الأحرار)، التي دخل عبرها التَّيار الصَّدري إلى البرلمان، في انتخابات 2010 الأخيرة، وحصل على

686 المصدر نفسه.

687 لغز العصائب، تحقيق مجلة الأسبوعية البغدادية: 23 آب (أغسطس) 2009.

تسعة وثلاثين مقعداً، فإن التّيار يحاول تبرئة نفسه ويطوي صفحة العنف التي اجتاحت بغداد وبقية محافظات الجنوب والوسط، وكان لاعباً رئيسياً فيها، عبر جيش المهدي. فنجد زعيمه مقتدى الصّدر تبرأ في بيان(12 كانون الأول 2010) الموافق 6 محرم 1432هـ. له مِن أنصاره المتورطين بالعنف ضد القوات الأمنية في السّنوات السّابقة، ومنهم عصائب أهل الحق، جاء في البيان، المنشور بخط يد الصّدر في موقع مكتب الصّدر الرّسمي:

أولا، (هناك بعض المندسين بين القبور، وهم من أعداء الصّدر(قدس) ومرقده الشّريف، فأهيب بالجهات الأمنية الشّريفة الالتفات إلى ذلك. فحماية شهداء العراق ومراقده أمانة في أعناقهم).

ثانيا: (ما يسمى (حي الرّحمة) الكائن في النّجف الأشرف ليس مني في شيء إلا من ثلة قليلة، وهم لايمتون لي بصلة بل إن بعضهم مِنَ المنشقين الذين ينصبون لنا العداء وأكثر من فيه عبدة للمال، فاسمعوا وعوا).

ثالثا: (إن كل مَنْ يحمي المندسين ممَنْ حكم عليهم بالإعدام (حقاً) كقاتل العراقي، وأوضح مثال لذلك: كقاتل أحد أقاربه أو قاتل مَنْ يرفض تزويجه، أو ممَنْ تمتد يداه لتخطف العراقيين، أو تستهدف المدنيين، وحتى عساكر العراق الأحرار بلا ذنب، فأنا براء منه إلى يوم الدّين، بل ومنْ أصرَّ على ذلك فهو عدوي وعدو آبائي وأجدادي،

وعليكم أيها الإخوة يا أحباب الصَّدر، وأتباعه ومحبيه، التَّحلي بإخلاص القرآن، والتَّخلي عن أخلاق الشَّيطان، وترك روح الاعتداء والانتقام).

وعهد مني سأبقى وفياً للعراق وشهداء العراق، وشهداء المقاومة التي تستهدف المحتل (لا غير)، وسأبقى ساعياً لتحرير العراق ولتخليص الأسرى والمعتقلين الأبرياء بلا مفاوضات، وإخراجهم مِنْ قضبان السُّجون وغياهب الظَّلام، وسنرجع المهاجرين في سبيل الله الى ديارهم ماداموا للعراق وأهله محبين)[688].

ولما بادرت (عصائب أهل الحق)، في فضائيتها، فضائية (العهد) الخاصة بها، إلى القول بوجود مفاوضات بينهم وبين مقتدى الصَّدر، إلا أن الصَّدر ردَّ مكذباً مثل هذه المفوضات، أو ما قيل عن محاولته في إعادة (عصائب أهل الحق) إلى العمل السياسي، بشرط التخلي عن العنف، واتهمهم بمحاولة (تسقيطه) أمام أنصاره. كتب بخط يده: (كأني بهم يريدون أحد أمرين، والله العالم. إما إنهم يريدون تسقيطي أمام المحبين، وأمام المجتمع العراقي الحبيب بهذه الأكاذيب، بعد أن أرادوا شراؤكم بأموال الخارج وسلاح الباطل، فهل أنتم يا ترى تصدقون.! وإما أنهم يريدون الإنخراط بالعملية السّياسية، التي كانوا مايزالوا يعشقونها. وأنا لا أسمح لمن أثاروا الفتنة الطَّائفية وشوهوا

---

688 نص بيان الصَّدر بخط يده، موقع مكتب الصَّدر على الرَّابط:
http://www.pc-sader.com/news.php?action=view&id=1177

سمعة الصَّدريين(قدس)، وقتلوا العراقيين بدم بارد، حتى قتلوا المئات من أجل واحد. لا أسمح لهم بالانخراط بالسِّياسية، ليتسلطوا على رقاب المؤمنين والعراقيين ودمائهم وأموالهم، فقد سرقوا وقتلوا. فهل أنتم أيها الأحبة ممِنْ يرضى بانخراطهم)[689]. وفي هذا البيان ذيل الصَّدر رسالته بلقب (ناصر الحق).

لم تنته الانشقاقات أو بالأحرى العصيانات في التيار الصَّدري، بعد تجميد جيش المهدي، ففي اليوم التَّاسع والعاشر مِنْ شهر محرم(1431 هـ)، الموافق 16 17- كانون الأول (ديسمبر) 2010 حيث الاحتفال بذكرى مقتل الإمام الحسين(61 هـ) استعرضت جماعة بمدينة الثورة (الصَّدر)، شرقي بغداد، تسمت بلواء (اليوم الموعود)، ووصف مقتدى الصَّدر هذا الاستعراض بالعمل الخبيث وأعلن البراءة منه، قائلاً: (جماعة فاقوا المئة من المنتمين إلى تشكيل لواء اليوم الموعود نظموا في العاشر من محرم، واليوم الذي تلاه استعراضاً عسكرياً ... تنظيم الاستعراض يدل على جهل المشاركين فيه بالأمور العسكرية والتنظيمية والإدارية والأمنية جهلاً تاماً)[690].

إجمالاً، على الرَّغم من كل ما حدث، وما عكسه جيش المهدي، وما تفرع عنه من جماعات، ارتكبت إساءة وإيذاء في الشارع العراقي،

---

689 نص كلمة الصَّدر بخط يده، الموقع الرَّسمي لمكتب الصَّدر- الهيأة السِّياسية، على الرَّابط:
http://www.pc-sader.com/news.php?action=view&id=1207

690 جريدة المدى البغدادية، العدد 1992 والمؤرخ في 21 كانون الأول (ديسمبر) 2010.

إلا أن التيار الصَّدري يبدو الأكثر قرباً إلى التيار الليبرالي، والسبب أنه ليس حزباً دينياً بالمعنى الحركي والعقائدي، بل إنه بمثابة تيار يتبيَّن الأطروحة الوطنية العراقية، ويُظهر الدعوة إليها، ويمكن أن يتبلور منه مشروع وطني، ولولا انجراره إلى الفتنة الطَّائفية، ممثلاً بجيش المهدي، لاستطاع اجتياح الساحة.

أما ما يتداوله العراقيون الشِّيعة من أن جيش المهدي وفَّر لهم الحماية من جماعة القاعدة وبقية المتطرفين السُّنَّة، فهي حالة مؤقتة انتهت بانتهاء القتل على أساس الهوية، وسرعان ما عاد المحتمون به إلى الشكوى منه. ومثلما كان الهتاف يعظم التيار وجيش المهدي، تحول إلى الشكوى من قادة فيه: (كلا كلا أعوان الظَّالم، عبد الهادي وحسن السَّالم)[691]. هذا ما هتف به أهالي مدينة الثورة، عقر دار التيار وجيشه ببغداد!

---

691 لغز العصائب، تحقيق مجلة الأسبوعية البغدادية: 23 آب (أغسطس) 2009.

الفصل الثّامن

حزب الفضيلة الإسلامي

لعلَّ ظهور حزب الفضيلة السَّريع، وصعوده إلى البرلمان العراقي بخمسة عشر عضواً، ضمن قائمة الائتلاف الشِّيعي (انتخابات 2005)، وتصدَّره المركز الأول بمحافظة البصرة، يعدُّ حالة لافتة للنَّظر في الوسط الإسلامي العراقي. فالأحزاب والكيانات الإسلامية المعروفة دخلت العراق وهي مؤسسة، وذات تاريخ في المعارضة، وكذلك الحال بالنسبة للمنظمات والجماعات التي انشقت عنها. أما حزب الفضيلة فقد برز بفضل الظاهرة الصَّدرية حتى قبل أن تتشكل ملامح التيار الصَّدري نفسه.

لذا لا يعد الفضيلة منشقاً عن هذا التيار بقدر ما كان موازياً بزعامة منضوية تحت عباءة الصَّدر أيضاً، لكنها تحررت وكونت لها شخصيتها المتميزة، وظل محمد صادق الصَّدر شعاراً فيها، لهذا يمكن اعتبار ظهور حزب الفضيلة، وصعوده القوي، حالة خاصة بين الأحزاب والمنظمات الدِّينية العراقية. ولو قَبل الحزب طلب حزب الدعوة بُعيد (أبريل 2003) التوحد مع حزب الدعوة الإسلامية، حسب ما ورد على

لسان أحد أعضائه الفاعلين الشَّيخ صباح الساعدي[692]، لما وجدت له تميزاً في الساحة الآن، ويبدو أن طلب الدعوة لانضمام جماعة الفضيلة إليه جاء من قلة جماهيره في بداية الأمر، إلا أن الفضيلة أصر أن يبقى مستقلاً بكيانه وباسمه. معتمداً في ماليته، حسب الساعدي أيضاً، الذي نفى بشدة تورط حزبه بالفساد وبتهريب النفط، على اشتراكات أعضائه وهبات المتبرعين له.

كانت البداية بجماعة الفضلاء، ومرجعيتها الدِّينية الشَّيخ محمد اليعقوبي، وهو المهندس المدني النَّجفي، الذي درس الفقه في الحوزة الدِّينية، وكان أحد مريدي محمد الصَّدر، وحسب ما ورد من الأخبار أنه تولى الصَّلاة على جثمانه، بعد اغتياله 1999، وهو لم يكن معروفاً، على المستوى مثلما عليه هو الآن، وسط أجواء العداء والموقف السلبي، داخل النَّجف، بين الصَّدر وكبار مراجع الدِّين، ناهيك من الوضع الأمني الدقيق، وقد يفسر موقف اليعقوبي هذا بالتحدي للمرجعية وللدولة آنذاك على حد سواء.

تأسس حزب الفضيلة بُعيد سقوط النِّظام السابق(أبريل 2003)، وبتوجيه وإرشاد من الشَّيخ اليعقوبي، ولو نظرت إلى موقع الحزب على الإنترنيت لتخيلت صورة الشَّيخ، وهو يطل عبرها بقدسية وروحانية، وكأنه يهبط من بين السحائب، أو في مشهد يوحى له من

---

692 لقاء في قناة السومرية، برنامج: لكم القرار، تقديم نبيل جاسم مساء 28 شباط (فبراير) 2010.

السماء، وقد تجد هذا في العديد من مواقع المرجعيات والأحزاب الدِّينية، يظهر المؤسس أو الملهم الروحي فيها محمولاً على متن سحابة. كذلك ورد في قصة حياته، مثلما جاء في حياة أستاذه محمد الصَّدر، ما يثير العجب والتعجب، ويفضي إلى التقديس.

ومع محاولات فرض تلك السطوة الروحية لشيخ جماعة الفضلاء، وبروزها بهذه السرعة والإمكانية، على الرغم من عدم شيوع مرجعية اليعقوبي من قبل، يجعل رواية تأسيسها، وبالتالي الحزب، بتأييد خارجي، حاضرة في الأذهان. وإن صحت تلك الرواية، لا أجد في هذا الأمر ما يعيب، أو فيه مؤاخذة على الفضيلة، فأي الأحزاب الدِّينية، وسواها من غير الدِّينية، تتأسس وتستمر من دون تأثير خارجي! فالمجلس الأعلى نشأ واستمر في الوجود بدعم إيراني لم تتنكر له قيادته، والذي أوصل قيادة حزب الدعوة الإسلامية، ممثلاً بإبراهيم الجعفري، أول مرة إلى رئاسة الوزراء هي الدَّولة الإيرانية[693].

693 تناقلت الصحف عقب الانتخابات الأولى (2004) خبراً مفاده أن السفير الإيراني ببغداد أخبر أحمد الجلبي أن رئاسة الوزراء لا تكون له إنما لإبراهيم الجعفري، والسبب لأنه علماني، وذلك بعد أن توصل الائتلاف الشيعي، الذي كان الجلبي جزءاً منه، أن يكون رئيساً للوزراء. أكد ذلك الجلبي، في لقاء بلندن (منتصف رمضان 2007)، وكنت أحد الحضور. وأضاف أن مؤيديه أصروا على أن يكون الأمر بالانتخاب، والذي فاز به الجلبي، إلا أن الإصرار الإيراني حال دون ذلك، وخشية من المواجهة تنازل الجلبي ليصبح نائباً لرئيس الوزراء.

ومن قبل كانت ألمانيا وراء نشوء المد القومي بالعراق، ثم القاهرة وسوريا، وكان الاتحاد السوفييتي وراء دعم الأحزاب الشّيوعية، ومنها الحزب الشّيوعي العراقي، وهكذا دواليك. كانت الفائدة، التي تجنيها السياسة البريطانية من دعم تأسيس حزب ديني، هو تحقيق الموازنة السّياسية مع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية- جماعة الحكيم، وأحزاب ومنظمات شيعية أُخر لها ارتباطات بإيران سابقاً. وبالتالي التوازن مع النفوذ الإيراني المتعاظم بالبصرة على وجه الخصوص. وبالفعل تحقق ذلك، فحزب الفضيلة من الأحزاب الدّينية، ربما القليلة، بالبصرة الخارجة عن المشورة الإيرانية.

نقرأ في حياة فقيه، حزب الفضيلة أو مرجعه، الشَّيخ محمد اليعقوبي، أنه تحدر من أُسرة دينية شيعية، غير مشهورة بين رجالات الدّين بالنَّجف، على مستوى الفقه والاجتهاد، بقدر ما اشتهرت على مستوى الأدب والريادة في المنبر الحسيني، فكان جده الشَّيخ محمد علي اليعقوبي (ت 1965)[694] خطيباً مفوهاً، ويُعدُّ مجلسه مدرسة قائمة بذاتها في الخطابة، وشاعراً معروفاً، ووالده الشَّيخ موسى اليعقوبي (ت 1982) كان خطيباً وشاعراً أيضاً، وأصدر مجلة (الإيمان) بالنَّجف (1963).

---

694 قارئ المنبر الحسيني والشاعر والخطيب المشهور في الأوساط العراقية (ت 1965)، شارك في تأسيس جمعية الرابطة العلمية بالنَّجف (1932)، وترأسها حتى وفاته، صدر له كتاب (البابليات) في أربعة أجزاء، تراجم لشعراء الحلة، إضافة إلى ديوانه وكتب أخرى(الغبان، المعارك الأدبية حول تحرير المرأة، ص 94-95، الهامش).

وعلى الرَّغم من مثول الشيب والتجاعيد على محيا مرشد حزب الفضيلة، حتى يبدو وكأنه من ولادات الثلاثينيات، إلا أن الشَّيخ اليعقوبي يُعد سناً من الشباب بين الفقهاء، فهو من مواليد 1960. ترك مسقط رأسه النَّجف إلى بغداد وعمره ثمانية أعوام، وذلك بعد انتقال والده إليها والعمل مع السَّيد محمد مهدي الحكيم (اغتيل 1988) في مؤسسة آل الحكيم الدّينية. وأكمل الدراسة الابتدائية والثانوية فيها، ثم التحق بكلية الهندسة- جامعة بغداد (1978) قسم الهندسة المدنية، وتخرج منها العام 1982.

فسر الشَّيخ محمد اليعقوبي هروبه من الخدمة العسكرية، في ما بعد، طوال سنوات الحرب بين العراق وإيران، بالنضال والتحدي والبطولة، والموقف ضد الحرب على الجمهورية الإسلامية. جاء في أحد البيانات حوله: (تخلف عن الخدمة العسكرية منذ اللحظة الأولى، لأنه كان يرى أن مجرد ارتداء الملابس العسكرية هو تكثير للسواد على جيش الإسلام المتمثل بالقوات الإيرانية في الحرب المفروضة)[695].

نجد في سيرة الرجل الذاتية من التهويل والمبالغة، بما يُراد له من مواءمة مع مركزه الحالي كمرجع وفقيه لحزب وقائد جماهيري، فعندما نقرأ عن حياته في موقعه الألكتروني الشخصي وموقع الحزب الرسمي كأننا نقرأ كتاب (قصص العلماء) للميرزا محمد التنكابني

---

695 موقع الشَّيخ اليعقوبي:www. yaqoobi.com.

(القرن الثَّالث عشر الهجري)، حيث سير الفقهاء الملأى بالكرامات والخوارق. ومعلوم أن ذلك من شأن الأحزاب والجماعات كافة، والمجتمع العراقي، على وجه الخصوص، أدمن على تهويل الزعامة وتقديسها، وما كان يلح عليه فيها عبر الإعلام على مدى ثلاثين عاماً، ومن قبل أيضاً لكن بدرجة أخف.

ومع ذلك قد تكون سيرة الشَّيخ اليعقوبي أقل تهويلاً من سواه، من رجال الدِّين الزعماء! قيل إنه نبغ في الفقه والخطابة منذ نعومة أظفاره، ولنبوغه تجاوز المرحلة الأولى من مراحل الدراسة الحوزوية، حيث استفاد من دروس والده لجماعة من طلاب العلم الدِّيني بمدينة الفضَيلة ببغداد. ويظهر في سيرته أنه تتلمذ على يد الشَّيخ عارف البصري (أُعدم في السبعينيات)، أحد قادة ومؤسسي حزب الدعوة الإسلامية، وكان عمره آنذاك أربعة عشر ربيعاً، وكانت الدراسة على طريقة المشائين اليونانيين القدماء، اتخذوا (التجوال في شوارع الكرادة الشرقية الهادئة فرصة لتناول هذه الأفكار)[696].

كتب في صباه بحثاً فقهياً في الخمر، راجع فيه كتب التفسير والتربية، وسماه (الخمر أمّ الخبائث). ولنبوغه، حسب توصيف مدوِّن سيرة حياته في موقع الحزب، كان يجمع بين الدراسة الرسمية والدراسة الدِّينية. التحق العام 1975 بمدرسة الإعدادية الشرقية

---

696 المصدر نفسه.

بمحلة الكرادة من بغداد، وهناك تعرف على شباب من أتباع محمد باقر الصَّدر، أو الصَّدر الأول، حسب إشارة الجماعات الصَّدرية.

دخل بعدها الجامعة ليتخرج منها مهندساً مدنياً، وأثناء ذلك كان يتابع أحداث الثورة الإيرانية منذ انفجارها وحتى عودة آية الله الخميني إلى إيران. وبهذا يُقدم اليعقوبي كأحد مناضلي الثورة الإسلامية المطاردين داخل العراق. قال: (مرت أيام عصيبة ذقنا الخوف والفزع لأن العيون تتربص، وحاولوا إيقاعنا في الفخوخ لتحصيل تهمة ضدنا، وكان ينجينا الله تبارك وتعالى)[697]. ولا أجد في درجات ذلك الحذر والتواري مبالغة، لِمَنْ يدرك ما معنى ألا تكون راضياً وغير مصافح تحت ظل السُّلطة السَّابقة!

ومثلما يبرر الشَّيخ اليعقوبي أمر تخلفه عن الخدمة العسكرية بمتابعة انتصارات الثورة الإسلامية؛ وأن الحرب على إيران هي الحرب على الإسلام، تراه يبرر ترك الامتحان في الدرس الخاص بحزب البعث (الثقافة القومية والاشتراكية) كتحدٍّ للسلطة. ومحاولة للتأجيل من الخدمة العسكرية. وبعد نجاحه بالدور الثَّاني عُين مهندساً مدنياً على ملاك وزارة الدفاع، وهي وظيفة تحتاج إلى مؤهلات الانتماء لحزب السُّلطة أو التَّعاون معه بشكل من الأشكال، وفي الأقل ألا يكون طالب الوظيفة من أعداء حزب البعث! بينما نجد الشَّيخ، وعلى حد عبارته،

---

697 المصدر نفسه.

كان يخاف من ارتداء اللباس (الخاكي)، وهمه كيفية إنقاذ نفسه من نار جهنم!

لذا فكر بمخرج آخر، وهو محاولة الهروب إلى إيران، ومعلوم أن الحكم بالإعدام كان ينتظر كل هارب من الجيش. بل إن الإعدام لِمَنْ يتستر على هارب! ولو نجح الشَّيخ اليعقوبي في ترك العراق لبطلت الحجة التي رفعها حزبه، في ما بعد، ضد السِّياسيين القادمين من الخارج، بأنهم لم يواكبوا التغيرات التي طرأت على المجتمع العراقي، خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات، من القرن الماضي، لذا لم يتمكنوا من إدراة أزماته بشكل صحيح!

وقد برزت تلك الحجة كثيراً على لسان أمين الحزب العام السابق نديم الجابري[698]، عندما رشحه حزبه لرئاسة الوزراء، عقب الانتخابات الأولى. وموقف الفضيلة هذا تلخصه توجيهات الشَّيخ محمد اليعقوبي، مرشده العام بالقول: (عدم التجاوب مع أي حزب أو سلطة أو اتجاه خارجي لعدم وضوح مناهجهم وأطروحاتهم، ومدى تطابقها مع الحوزة العلمية الشريفة)[699].

وبعد فشل محاولة الهروب بمساعدة عناصر كُردية، لم يجد الشَّيخ اليعقوبي أمامه سوى المكوث بالدار، واستخدام أوراق مزورة

---

698 الأمين العام الحالي للحزب هو هاشم الهاشمي، والأمين العام المساعد للشؤون السياسية، والنائب عن الحزب في البرلمان حسن حليوص حمزة الشُّمري.

699 موقع حزب الفضيلة: http://www.alfadhela.org/

تؤيد أنه مجاز من وحدته العسكرية لخداع نقاط التفتيش. إلا أنه بعد وقف الحرب مع إيران، وحسب سيرة حياته، عاد إلى الحركة ونشأت له صلة بمحمد محمد صادق الصَّدر، حيث زاره الأخير في مقر عمله، وهو محل للكسب، لم يكشف عن طبيعته. وعندها انتسب إلى الحوزة الدِّينية، واعتمر العمامة على يد أبي القاسم الخوئي. وإن الصَّدر عدَّ ذلك الحدث (بشرى حقيقية)! ولنبوغه وتجاوزه الدراسة الفقهية بنجاح (منقطع النظير) شجعه الصَّدر أن يبدأ الدرس (الخارج) مباشرة، وهي المرحلة الثَّالثة من مراحل الدراسة الحوزوية بعد (المقدمات) و(السطوح)[700].

على أية حال، نال الشَّيخ اليعقوبي درجة الاجتهاد بتأييد أرسله إليه مجتهد من مجتهدي مدينة قُمَّ الإيرانية، بعد اطلاعه على (كتبه الاستدلالية بالفقه). وقد ورد ضمن سيرة الشَّيخ، في موقع حزب الفضيلة، الاستشهاد التالي، وهو غريب على ما اعتاد عليه مجتهدو الحوزات الدِّينية في منح الشهادات أو الإجازات العلمية: (إذا علمنا بأن بعض هذه الكتب أُلف عام 1420 هـ، فهذا يعني حصول المَلَكة منذ

---

700 تقسم الدراسة بالحوزة الدِّينية إلى ثلاث مراحل: مرحلة السطوح: وتختص بدراسة اللغة العربية، والبلاغة، وكتاب الدراسة هو الأجرومية. مرحلة الفضلاء: دراسة الفقه وأُصوله، ويتضمن استنباط الأدلة الفقهية، ثم القواعد وأحكام الدِّين في المعاملات والعبادات. ومرحلة الخارج: حضور الطلاب الدروس التي تُلقى في المحاضرات العامة من قبل المجتهدين، وتتناول دراسة الأدلة واستكشافها باختصاص أعلى من المرحلة السَّابقة، وهذه المرحلة لا تخضع أو تحدد بزمن معين، ويمكن أن يستمر فيها الطالب طوال العمر (فاضل الجمالي، جامعة النَّجف الدِّينية، مجلة الموسم، العدد 18 السنة 1994). أو تسمى المراحل: المقدمات، والسطوح، ودرس الخارج (الصَّفير، أساطين المرجعية العليا، ص 97).

ذلك التَّاريخ، وهو ما كان يعتقده الشَّيخ في نفسه، بيد أنه لم يُصرح به لعدم الحاجة إليه بوجود مَنْ يؤدي هذا الواجب الكفائي، أعني لوازم الاجتهاد وآثاره، ومراعاة لبعض القواعد الحوزوية، ولم يعلن ذلك إلا من على منبر صلاة الجمعة في صحن الكاظميين بعد سقوط صدام يوم 22 صفر 1424، لحدوث الحاجة إلى هذا المستند الشرعي للأعمال التي تتطلبها المرحلة الجديدة)[701].

ويبدو أنه استشهاد سياسي أكثر منه فقهياً، والسؤال: هل أن المجتهدين لم ينالوا التأييد والتزكية بوجود غيرهم من الذين يكفونهم؟! وهل من العادة أن يُعلن نبأ درجة الاجتهاد على الجمهور؟! يضاف إلى ذلك أن التأييد جاء من رجل دين مغمور أيضاً، لذا ترى الشَّيخ اليعقوبي عَرف مؤيده أو مانحه مرتبة الاجتهاد بعبارة: (وهو مجاز بالاجتهاد من قبل المرحوم آية الله السَّيد الخوئي).

ومن حوزة قُمَّ حصل اليعقوبي على تأييد أو اعتراف آخر من رجل دين مغمور أيضاً، يُدعى آية الله الشَّيخ محمد علي الكرمي، وعَرفه أيضاً بأنه مجاز (من سماحة آية الله الشَّيخ المنتظري)[702]. ولا أظن أن الشَّيخ اليعقوبي يحتاج إلى مثل هذه الاعترافات، أو أنها كانت الوسيلة إلى الجمهور، بقدر ما هو تحرك الحزب، الذي اختلف، كما أسلفنا، عن الأحزاب التي قضت عقوداً من الزمن خارج العراق،

---

701 موقع الفضيلة: www.alfadhela.org

702 المصدر نفسه.

وهناك جمهور عريض يميل إلى التعامل مع قادة الداخل، إن صح التشخيص.

كذلك ورد في سيرة الشَّيخ اليعقوبي أنه تولى قيادة الحركة الإسلامية بالعراق بعد محمد الصَّدر، وأنه صحح الكثير من الانحرافات والأعراف عبر إلقاء الخطب والمحاضرات والدروس. وورد أيضاً أنه صنف تسعين كتاباً خلال أربع سنوات، مع مئة منشور فقهي تفصيلي، (وقد أرعب هذا النشاط السلطات القمعية). وبطبيعة الحال، من حق الباحث في سيرة الشَّيخ وحزبه، أن يتوقف أمام تلك الإنجازات والمواهب غير العادية، بل وفي ظرف دقيق جداً، كان يُسجن بل ويُعدم على الهمسة وقول الطرفة أو النكتة، فكيف بقيادة الحركة الإسلامية!

تلك باختصار سيرة زعيم وفقيه حزب الفضيلة، الذي قَبل بالدِّيمقراطية والسياسة الانتخابية على مضض، فهو القائل: (حينما نُطالب بالانتخابات لإدارة العملية السِّياسية، فلا بد أن نلتفت إلى هذه الحقيقة المهمة بأن هذه الطريقة ليست هي القاعدة في حكم الأمة المسلمة، وإنما هي الاستثناء الذي نلجأ إليه عند وجود المانع من إجراء القاعدة كأكل الميتة، الذي يحل عند الضرورة، وحليته هذه لا تعني أن حكم الميتة ذلك بالعنوان الأولي، بل بالعنوان الثانوي، وإدراك هذه الحقيقة مهم وضروري لكي لا تختلط علينا الأمور، وتضيع معالم شخصيتنا، وهويتنا الإسلامية العظيمة، التي شيد أركانها أهل البيت

(ع) وننساق وراء الأطروحات البراقة)[703].

عندما نقول إن الشَّيخ اليعقوبي يُعد فقيه الحزب لعلمنا أن حزب الفضيلة يأخذ بولاية الفقيه، لكن حسب تصريحات ولقاءات أعضائه، أنه يأخذ بولاية الفقيه المنبثقة من الأمة، بمعنى أنه يُخالف الشكل الإيراني لتلك الولاية[704]، حيث يُعين ولي الفقيه من قبل مجلس خاص، مثلما حصل بتعيين آية الله علي خامنئي بعد وفاة قائد الثورة آية الله روح الله الخميني السَّنة 1989، إنما هو رفع مستوى الأمة إلى تفهم باختيار تلك الولاية، ويبدو أنها طريقة المرجعية التَّقليدية نفسها، فالمرجع لا ينتخب ولا يُختار ولا يتم ترشيحه بل يتعرف عليه الأتباع من درجة اجتهاده وحضوره الفقهي المتميز.

وأجد الشَّيخ اليعقوبي أصدق سياسي إسلامي في طرحه هذا، سواء كان من الإسلام السِّياسي السُنِّي أو الشِّيعي، ولم يُخاتل الجمهور ليجعل طريق الانتخاب الديمقراطي طريقاً للسلطة حسب. فليس هناك دليل أوضح من الثورة الإيرانية، عندما تمكن رجال الدِّين من أوضاع البلاد عادوا إلى العنوان الأولي والأساسي، بعد حذف العنوان الثانوي بالنسبة لهم، وهو قبول صيغة الدِّيمقراطية والليبرالية.

---

703 المصدر نفسه.

704 الشَّيخ صباح الساعدي، قناة السومرية، برنامج ولكم القرار، تقديم نبيل جاسم 28 شباط (فبراير) 2010.

وهي الحالة نفسها التي فرضها حزب البعث بعد تمكنه بالتحالفات مع أحزاب وقوى أخرى، ولما أمسك الزمام بقوة، تنصل عن كل التزاماته مع القوى والشخصيات التي تكاتفت معه. إنه الاستبداد، الذي دفع العباسيين، من قبل، إلى قتل أبي مسلم الخراساني(137 هـ 754 ميلادية)، القائم بأمر ثورتهم. ومن قبل تخلى معاوية بن أبي سفيان (ت 60 هـ 679 ميلادية) عن التزاماته مع الحسن بن علي بن أبي طالب(ت 50 هـ 670 ميلادية)، بما عُرف بصلح الحسن، أو عام الجماعة(41 هـ 661 ميلادية). هذا، وقصص الاستبداد تطول.

الفضلاء

يرى مؤسسو هذه الجماعة بأنها استجابة لمتطلبات المرحلة، ونقل الحوزة الدِّينية من الفردية إلى الجماعية. بمعنى أنها جماعة تعلن تأسيس مرجعية جديدة مؤسساتية، مرجعها هو الشَّيخ محمد اليعقوبي، وذلك ما كان يطرحه السَّيد محمد باقر الصَّدر (أُعدم 1980) مقابل المرجعية الفردية التي تسند إلى المرجع الأعلى فحسب، على اعتبار أن العمل الجماعي هو (أكثر عطاءً وأقل أخطاءً). وهنا لا بد من الإشارة إلى أن القوى الدِّينية عندما تدخل العمل الحزبي وتمارس الفعل السِّياسي، وتعيش التحولات بمعناها الحزبي، لا تكتفي بالسياسة وإنما تسعى إلى انقلابات في المؤسسة الدِّينية أيضاً، وقد تجرها وتحولها إلى الحزب، ومن بعد إلى انشقاقاته وصراعاته، وما حصل لحزب الدعوة غير خافٍ!

وتعلل جماعة الفضلاء وجودها بالآية: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)[705]. وهذه الجماعة هي مؤسسة دينية اجتماعية تمثل (النخبة المثقفة الواعية الملتزمة التي تقوم بهذه الوظائف). وما حزب الفضيلة إلا ذراعها السِّياسية. وقد يذهب فكر الناظر في أمر هذه الجماعة، ونشاطها بمدينة البصرة بالذات إلى تذكر جماعة (إخوان الصفا وخلان الوفا) (القرن العاشر الميلادي)، التي حاولت التصدي لمعالجة المظالم بالفلسفة والثقافة، ومتابعة خطى أفلاطون في دولة الفلاسفة، فهم الفضلاء، مع أهل الشريعة.

لكن بالتعالي على التعصب وعلى جميع المذاهب، وبطبيعة الحال الأمر مختلف تماماً. بيد أن استشهادنا بأصحاب الرسائل يضعنا أمام تساؤل هام، ألا وهو كيف حدث التراجع عن مقولات ما قبل ألف عام، وعجز أهل زماننا عن الإتيان بمستواها الثقافي والاجتماعي وبالمدينة نفسها البصرة[706].

ظل فكر جماعة الفضلاء محصوراً بتغيير الحوزة الدِّينية، فمنها يتم الانطلاق إلى التأثير في المجتمع، ودعت إلى توحيد الحوزة،

---

705 سورة آل عمران، الآية، 104.

706 طالع تطلعات جماعة إخوان الصفا إلى الليبرالية الفكرية، التي لم تفكر بها أحزاب ومنظمات وجماعات عاشت في القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين، مثلما سيأتي ذكر ذلك (الرسائل، رسالة عِشرة إخوان الصفا 4 ص 124).

وليس توحيد الفتوى، ومحو ما بين المجتهدين من اختلاف الرأي في المسائل الفرعية. ودعت إلى دور في السياسة والمجتمع، بما يعطيها صفة ولاية الفقهاء، مثل مسؤوليتها في كتابة الدستور، وتحديد شكل الحكم، واختيار المؤهلين لإدارة الدَّولة، وتعيين القضاة، بمعنى أنها المشرف على السلطات الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية! كذلك استقطاب وتنظيم المجتمع، في كيان حزبي مثلاً. أما شعار جماعة الفضلاء فهو الآية: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادة فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون)[707].

لجماعة الفضلاء وحزب الفضيلة مؤسسات متفرعة عنها: (جامعة الصَّدر) كمؤسسة تعليمية رئيسية، تهتم بالتَّعليم الفقهي، وحسب ما ورد حولها أنها من مبرات محمد محمد صادق الصَّدر، وكان أسسها العام 1417 هـ(1996). وعن تأسيس الجامعة قال الشَّيخ محمد اليعقوبي: (لكن المشروع بقي في مكانه، ولم يكن بمستوى الطموح، حتى كان يوم الثلاثاء 21 صفر 1419هـ، حيث استدعاني سيدنا الأستاذ الصَّدر (قدس سره)، وقال لي: إن جامعة الصَّدر لن يتقدم بها غيرك. وقد كانت تحوطها قبل الآن الكثير من المشاكل، وقد زالت الآن، فاستجبت لرغبته وتسلمت إدارة الجامعة). توسعت جامعة الصَّدر، حتى فتحت لها عدة فروع بنواحي العراق، واستوعبت أعداداً كبيرة من الطلبة، والفروع عبارة عن حوادث دينية.

---

707 سورة التوبة، الآية: 105.

وبما أن جماعة الفضلاء أو حزب الفضيلة، يقر بالفصل بين الجنسين في المراحل التعليمية تجده أسس للنّساء جامعة خاصة تدعى (جامعة الزهراء)، ولها عدة فروع أيضاً. وهناك تَجمُع خاص بالنِّساء أُطلق عليه اسم (رابطة بنات المصطفى). وتجمع آخر للمهندسين أُطلق عليه اسم (تجمع المهندسين الإسلامي)! وأن رمزه هو الأَسطُرلاب[708]. ومعلوم ما للتجمّع الأخير من صلة بمهنة الشَّيخ اليعقوبي الأصلية، فهو مثلما عرفناه كان مهندساً مدنياً! كذلك جرى تأسيس رابطة السادة العلويين، ولعلَّها تشبه نقابة الطالبيين ذات التَّاريخ العريق ببغداد، وهو خاص بسد حاجة المتحدرين من أصل علوي، وكيان (جامعيون)، ومؤسسة إعلامية تحت اسم: (إذاعة البلاد).

اشترك حزب الفضيلة في العملية السِّياسية (2005)، ضمن تحالفات مع القوى التي كان يسميها بأهل الخارج، وذلك ضمن الائتلاف الشِّيعي، وكانت حصته 15 مقعداً من مجموع مقاعد الائتلاف، البالغة 130 مقعداً. ثم سرعان ما نشأت أزمة حادة بينه وبين الآخرين من حلفائه، قيل على أثر مطالبته برئاسة الوزراء، ثم

708 آلة هندسية تستخدم في الفلك والاستدلال على النجوم، كانت معروفة في العصر العباسي، وهناك مَنْ كان يُلقب بالأَسطرلابي، مثل: هبة الله بن الحسن البديع الأسطُرلابي(ت 539 هـ 1144 ميلادية)، ومن مدحه لبعض الرؤساء باستخدام مصطلحات الفلك (ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة 5 ص 275):

أُهدي لمجلسك الشَّريف وإنما
أُهدي له ما حُزت من نَعمائه
كالبحرِ يُمطره السحابُ وما له
مَنٌّ عليه لأنه من مائه

مطالبته بوزارة النفط. ولحزب الفضيلة كثافته بمحافظة البصرة، وأقل منها له بمحافظات الجنوب الأُخر، وحصل على منصب محافظ البصرة، مثّله فيه محمد مُصّبح الوائلي. كذلك كان للحزب موقف واضح من التدخل الإيراني، على خلاف المجلس الأعلى للثورة الإسلامية. وأخيراً يعمل الحزب داخل البرلمان مع تعليق عضويته في الائتلاف الشّيعي.

وأثناء عمله في البرلمان العراقي(2005 2009-) برز اسم الفضيلة بشخص أحد أعضائه، وهو الشَّيخ صباح الساعدي، وقد أهله موقعه كرئيس للجنة النزاهة داخل البرلمان، فبجديته ونشاطه، وبالتأكيد كان مدعوماً من قبل حزبه وكتلته البرلمانية، كُشف ملف الفساد في وزارة التجارة، عندما جمع الوثائق الدامغة ضد الوزير فلاح السوداني، وأقد أدى ذلك إلى تقديم الوزير استقالته، وكان الأخير مدعوماً من قبل رئاسة الوزراء، وبشخص نوري المالكي، الذي حال على ما يبدو دون تقديم السوداني إلى القضاء، حسب ما صرح به الشَّيخ الساعدي، لتلفزيون (السومرية) برنامج (ولكم القرار)(28 مساء شباط 2010)، وهذا الدعم ليس كون الوزير عضواً في مجلس الوزراء بل لأنه أحد أعضاء حزب الدعوة، وإن كان محسوباً على كتلة حزب الدعوة - تنظيم العراق، إلا أنه يبقى من دائرة الحزب، كذلك لولا عرقلة استجواب وزير النفط لتمكن الساعدي من كشف أموراً تخص الفساد المالي والإداري في الوزارة.

جدول(2) نسبة الفضيلة في المحافظات عدا إقليم كردستان

النِّسبة	إجمالي المقاعد 2009	المحافظة
0	57	الأنبار
0	35	بابل
0	29	بغداد
1	28	البصرة
0	31	ديالى
2	28	الديوانية
2	31	ذي قار
0	28	صلاح الدّين
0	29	كربلاء
0	تأجيل	كركوك
0	26	المثنى
0	27	ميسان
0	28	النَّجف
0	37	نينوى
0	28	واسط

نقرأ في وثائق حزب الفضيلة ما عنوانه (نصيحة إلى المدافعين عن العلمانية بالعراق)، وذلك إثر اجتماع عُقد ببغداد في (18 أيلول/ سبتمبر 2003) لتأسيس لجنة الدفاع عن العلمانية. وقد اعتبر الشَّيخ اليعقوبي مؤسس الاجتماع عصام شكري غريباً عن المجتمع العراقي، معتمداً على تصريح لشكري أدلى به للإذاعة البريطانية بعدم استجابة عدد من المدعوين لحفل التَّأسيس، بل اعتبر فقيه الحزب الشَّيخ اليعقوبي الدعوة إلى العلمانية تغريداً خارج السرب، وذلك أن الشَّيخ والإسلام السِّياسي عامة عدَّ فصل الدِّين عن الدَّولة

من مقدمات (حرية الإلحاد) مثلها مثل حرية الإيمان[709].

ومن خطابات الشَّيخ محمد اليعقوبي، التي سماها بخطابات المرحلة، الوقوف ضد قانون الجنسية الجديد[710]، الذي نُشرت مسودته في جريدة (الصباح) (13 أيلول/سبتمبر 2003)، وعلى وجه الخصوص ضد التجنيس بعد مدة عشر سنوات من الإقامة بالعراق، ويمنح الجنسية مَنْ تزوج بامرأة عراقية الجنسية بعد إقامة ثلاث سنوات. وعذر الشَّيخ اليعقوبي، وبالتالي حزب الفضيلة، في الرفض، هو الخشية على العراق ودينه وأهله ممَنْ نعتهم الخطاب بالشذاذ المفسدين، ومَنْ سماهم بالصهاينة، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن مجلس الحكم الذي كان يقرُّ القوانين لا يمتلك الشرعية في إقرارها[711].

كذلك نشر موقع الحزب عدة خطابات من عناوينها: (كيف نعيد لصلاة الجمعة بريقها)، و(تنظيم مواكب الوعي الحسيني لطلبة الجامعات). ودعا الشَّيخ اليعقوبي في الخطاب رقم (40) إلى تأسيس

---

709 موقع حزب الفضيلة الرسمي: www.alfadhela.org خطاب المرحلة، الرقم 19.

710 قانون الجنسية القديم صدر تحت رقم 42 لسنة 1924، ومن هناك شرع ما عُرف بقانون التبعية، وهو ما اعتُمد عليه في حملات التهجير في ما بعد. وأهم ما فيه هو مادته الثالثة، التي تقول: (كل مَنْ كان في اليوم السادس من آب/أغسطس 1924 من الجنسية العثمانية وساكناً بالعراق عادة تزول عنه الجنسية العثمانية ويُعد حائزاً الجنسية العراقية ابتداء من التَّاريخ المذكور)(جريدة الوقائع العراقية، موقع جامعة الكوفة) http://www.kuiraq.com/waqqae/default1.htm.

711 موقع حزب الفضيلة الرسمي: www.alfadhela.org خطاب المرحلة، الرقم 20.

مواكب الجامعات، وحددها بالأسماء: التكنولوجية، والمستنصرية، والمعاهد الفنية، والمؤسسات العلمية المرتبطة بالوزارات[712]. سعت الأحزاب الدّينية وتنافست في تشكيل مثل تلك المواكب، وقد جاءت على حساب الدراسة والمستوى العلمي والحضاري، وإدخال الدّين والمذهب في شؤون الحياة ومجالاتها كافة.

وبما يشبه الفتوى، أجاب الشّيخ اليعقوبي على استفسار حول الانضمام إلى الأحزاب غير الدّينية (العلمانية حسب ما جاء في الجواب) بعدم جواز الانخراط في تلك الأحزاب. قال: (لا يجوز الانتماء إلى الأحزاب التي لا تلتزم بالشريعة الإسلامية إطاراً لعملها، لأنها ستقع في معصية الله شرعاً)[713]. مشدداً على الارتباط بـ(الحوزة الشريفة).

جدول (1) نسبة الفضيلة في البرلمان العراقي

السّنة	مجموع الأعضاء	نسبة الرّجال	المعممون منهم	نسبة النّساء
2005	14	11	3	3
2010	6	3	3	3

712 المصدر نفسه، خطاب المرحلة، الرقم 40.

713 المصدر نفسه، خطاب المرحلة، الرقم 39.

هذا، مع العلم أن حزب الشَّيخ اليعقوبي يمارس العمل السّياسي بفضل الدّيمقراطية، التي تبدو متعارضة مع مثل تلك الفتوى، أو هذا الخطاب! وإذ خرج عن الائتلاف الموحد (الشّيعي)، الذي دخله في انتخابات (2005)، ثم خرج منه، لدواعٍ تتعلق بنبذ المحاصصة وأداء الائتلاف، حسب تصريحات نوابه، إلا أنه عاد وأتلف في الائتلاف مرة أخرى بعد تغيير اسمه إلى الائتلاف الوطني العراقي، الذي أُعلن عنه يوم الإثنين 24 آب (أغسطس) 2009 ببغداد، لخوض الانتخابات الثَّالثة 2010. إلا أنه لم يستطع الحفاظ على عدد مقاعده السَّابقة، وكان عددها في الدَّورة الانتخابية السَّابقة (2005 - 2009) أربعة عشر معقداً، مِن مجموع (276) مقعداً، حيث تضاءل العدد في الدَّورة الانتخابية (2010 2014-) إلى ستة مقاعد من مجموع (325) مقعداً، وزعت بالمناصفة: ثلاثة للنّساء وثلاثة للرّجال، وقد سمَّى الحزب كتلته النّيابية بـ (عِراق النَّزاهة والتَّنمية).

الفصل التَّاسع

جماعة الخالصي

تنتسب جماعة الخالصي إلى الشَّيخ الأب محمد مهدي الخالصي (ت 1922)، الذي ارتبط اسمه بثورة العشرين (30 حزيران/يونيو 1920)، وكان من علماء الدِّين الأكثر حماسة ضد الإنكليز، ولا يُعلم له موقف محدد إزاء الدَّولة العثمانية من قبل، التي انهارت ولايتها على العراق حال دخول الجيش البريطاني بغداد (11 آذار/مارس 1917)، بعد احتلال البَصْرة والجنوب بسنتين (23 تشرين الثَّاني/نوفمبر 1915). ولقبت الأسرة بالخالصي نسبة إلى انحدارها من مدينة الخالص، التابعة لمحافظة بعقوبا أو ديالى، ولم ينسب اسمها إلى عشيرتها الأصل بني أسد.

شكَّل آل الخالصي، الأب وسميه الابن محمد مهدي الخالصي (ت 1963)، حولهم عصبة من الأتباع، ولم ينشئوا بها حزباً أو منظمة سياسية، وإنما حاولوا المحافظة على إطارهم المرجعي الدِّيني، المتميز، بعض الشيء، عن المرجعية بالنَّجف، أو المرجعيات الشِّيعية الأُخر على العموم. ذلك أنهم مالوا إلى التدخل بالسياسة عبر الزعامة الدِّينية، ومالوا إلى التقارب مع المذاهب السُّنَّية، بما لا يرضي بقية مراجع

المذهب الشّيعي الإمامي، ومنها الدعوة إلى توحيد الأذان، بين السُّنَّة والشّيعة، وإطلاق صلاة الجمعة، وخطبتها، والتقارب الفقهي.

وردت صلاة الجمعة في كتاب القرآن كأحد الفروض[714]، لكن تم تسييسها عبر العصور، وغدا يُتلى فيها الدعاء للخليفة أو السلطان، وعطلها الشّيعة الإمامية لعدم اعترافهم بشرعية مَنْ تولى الخلافة الإسلامية خارج الوصية النبوية، بل قالوا الإلهية، شأنها شأن النَّبوة.

قال الشَّيخ محمد حسين كاشف الغطاء(ت 1954): (إن مرادهم بالإمامة كونها منصباً إلهياً، يختاره الله بسابق علمه لعباده،

---

714 جاء في شأنها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). إنها صلاة سياسية بالدرجة الأولى، ذلك طوال فترة الحكم الأموي والعباسي. ففيها الدعاء لولي الأمر، وتقديم الطاعة له. لا ترى الشّيعة بشكل عام صلاة الجمعة إلا بظهور المهدي المنتظر، لأنها صلاة دولة ويجب أن تكون في ظل حاكم عادل يتولى الإمامة على أساس نظرية الشّيعة فيها. إلا أن الإيرانيين أخذوا يصلون صلاة الجمعة المليونية بعد الثورة الإسلامية، وفي الفترة الصفوية على أساس أن حكامها عدول. وقيل إن محمد مهدي الخالصي كان يصليها بالكاظمية وهو يتلفع بالكفن، كذلك فعل ولده محمد مهدي الخالصي (الحفيد) وتلفع بالكفن بعد أبيه، ويحمل السَّيف مثله، هكذا يظهر في الصورة التي التقطت له وهو يخطب خطبة الجمعة بالمسجد الصفوي عند الحضرة الكاظمية (1964). ربط التقليد الشّيعي صلاة الجمعة بوجود الإمام العادل، فقد أفتى السَّيد محسن الحكيم لمَنْ استفتاه في أمر الجمعة بالآتي: (يشترط في صلاة الجمعة أمور منها وجود السلطان العادل كالنبي (ص) والإمام، مع بسط اليد بأن يكون له سلطان يتولى به الأمور العامة. ومن جملة تلك الأمور العامة نصب إمام الجمعة الذي يصلي بالناس صلاة الجمعة. فإذا لم يكن سلطان ولا من منصوب من قبله للإمامة في صلاة الجمعة فلا تشرع صلاة الجمعة...) (رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق بين المرجعية والحزبية، ص 233، عن الحق يدمغ الباطل، ص 41).

كما يختار النبي...)[715].بعد أن ذهبت لغير الإمام علي بن أبي طالب حال وفاة الرَّسول(11 هـ 632 ميلادية)، وأخذ الدعاء يجري وهو ليس الإلغاء بل التأجيل حتى تتوافر شروطها، وهو وجود حاكم عادل، والعدل مثلما هو معروف أحد أُصول الشّيعة الخمسة: التوحيد، والنبوة، والإمامة[716]، والعدل، والمعاد[717] ولا يتحقق ذلك، حسب رأيهم، إلا بظهور الإمام المهدي المنتظر، الذي غاب منذ 260 هـ، وهو لازال طفلاً.

عُرفت الأسرة الخالصية، الأب والابن والحفيد، حيث سمي الثلاثة بالاسم نفسه محمد مهدي الخالصي، منذ العشرينيات، بمعارضتها للاحتلال البريطاني ثم للأنظمة العراقية المختلفة، ماعدا حقبة عبد السلام محمد عارف(قتل 1966) وأخيه عبد الرحمن محمد عارف(ت 2007). وحسب كتابات الخالصي الابن، فإنه

---

715 كاشف الغطاء، (أصل الشّيعة وأُصولها، ص 68). ويلخص الشّيخ المظفر أيضاً عقيدة الشّيعة في الإمامة أو الأئمة بالقول: (ونعتقد أن الأئمة هم أولو الأمر، الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وأنهم الشهداء على النّاس، وأنهم أبواب الله، والسبيل إليه والأدلاء عليه ... نعتقد أن أمرهم أمر الله، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته ... ولهذا لا نعتقد أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من نمير مائهم، ولا يصح أخذها إلا منهم) (عقائد الإمامية، ص 64 65-).

716 قال كاشف الغطاء: (إن هذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية، وافترقت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهري أصلي، وما عداه من الفروق فرعية عَرضية، كالفروق التي تقع بين أئمة الاجتهاد عندهم، كالحنفي والشافعي وغيرهما) (كاشف الغطاء، أصل الشّيعة وأُصولها، ص 68).

717 المصدر نفسه، ص 64- 79. الشّيخ محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية: عقيدتنا في التوحيد: ص 19، عقيدتنا في العدل: ص 24. عقيدتنا في النبوة: ص 35،عقيدتنا في الإمامة: ص 59، عقيدتنا في البعث والمعاد: ص 145.

عارض شاه إيران أيضاً عند وجوده منفياً هناك حتى السَّنة 1949، وذلك بتعرضه للطائفة البهائية، المتنفذة بإيران آنذاك. وبعد عودته إلى العراق استمر ولكن على غير وفاق مع العهد الملكي، مع أن هذا العهد تأسس بمباركة مؤسس الأسرة، عندما وافق على تولي الأمير فيصل الأول (ت 1933) لعرش العراق، أي أن يكون عربياً، فكان فيصل ملكاً.

وبعد سقوط النظام الملكي (14 تموز/يوليو 1958) استمر الخالصي الابن في معارضة العهد الجمهوري الجديد، وعلى وجه الخصوص الموقف العدائي الشديد من رئيس الوزراء الزعيم عبد الكريم قاسم (قُتل 1963)، بذريعة قربه من الحزب الشّيوعي العراقي، على الرغم من أن الأخير لم يكن ممثلاً في السُّلطة، لكنه كان قوة حقيقية في الشارع العراقي، ولم تستمر هيمنته سوى شهور بعد ثورة تموز.

حصل أن اعتقله الزعيم عبد الكريم قاسم، وأُطلق سراحه بوساطة من الشَّيخ أمجد الزهاوي (ت 1967)، أحد علماء السُّنَّة البارزين بالعراق[718]. وبعد الانقلاب البعثي- القومي ضد عهد عبد

---

718 يبدو هناك تنازع على تحدر الشَّيخ أمجد الزهاوي القومي، فعلى الرغم من اعتراف الشَّيخ يونس السامرائي في (تاريخ علماء بغداد) (ص 102) بأنه يتحدر من منطقة (زهاو) ومن قبيلة كوردية، ينسب قبيلته إلى خالد بن الوليد (ت 21هـ). فهو أمجد بن محمد سعيد أفندي بن محمد فيضي الزهاوي، وأن جده الأعلى هو رستم خسرو بن سليمان باشا أمير البابانية. وقد جاء شعراً في المرجع المذكور مؤنباً عم الشَّيخ الشاعر جميل صدقي الزهاوي(ت 1936) لتأكيد عروبة الشَّيخ أمجد: (لأنه عربي غير ذي عوج..=

الكريم وقف الشَّيخ الخالصي مع العهد الجديد بكل قوة، وكانت له ميليشيا، أو جماعة مسلحة، تجول وتصول بمنطقة الكاظمية، وتحولت المدرسة الخالصية مقراً لها، وقيل كانت سجناً لمعارضيها، وخاضت المعارك إلى جانب ميليشيا الحرس القومي البعثية ضد المقاتلين الشّيوعيين دفاعاً عن حكم عبد الكريم.

ولعلَّ ذروة الخصومة بين الحزب الشّيوعي والجماعة الخالصية كانت مقتل فالح حسن عضو اتحاد الشَّبيبة الدّيمقراطية، وهو تنظيم مهني تابع للحزب، يوم الثلاثاء 23 أيلول (سبتمبر) 1959، ويُذكر أنه قُتل على يد شقيقين هما: محمد علي الشايب، وكاظم علي الشايب[719]. وبشهادة آخر أن الخالصي الحفيد كان يتعاون مع سلطة عبد السَّلام عارف، وله صلة بقائد الانضباط العسكري آنذاك سعيد صليبي، وهي دائرة عسكرية مسؤولة عن أمن بغداد، ولها حظوة وموقع

= يلقى الخطابة فياضاً كسحبان). أما الشَّيخ الكُردي علي باپير في (علماء الإسلام) (ص 198) فيكتفي بالقول: إنه يتحدر من منطقة دارشمانة – بشدر- السليمانية، واعتبره صباح البرزنجي من الشخصيات الممهدة لظهور الحركة الإسلامية الكُردية (الإسلامية الكُردية، كتاب مسبار، ص 169). انتقلت الأسرة إلى زهاو، من دون النسبة إلى أصل عربي. قيل إن الشَّيخ الزهاوي عزف عن تسلم دار الإفتاء ببغداد، وانه رجل دين وصلاح، وقد وردت قصص كثيرة على زهده، وهو الذي حكم لليهودي ضد الوصي عبد الإله عند الخلاف على قطعة أرض (العقيل، من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، ص 325 عن المشايخي، الإمام أمجد بن سعيد الزهاوي فقيه العراقيين والعالم الإسلامي). وأثارت البهائية ضجة دولية، حتى وصلت إلى الأمم المتحدة، بسبب حكمه (1924)، في قضية الكعبة البهائية بمحلة الشَّيخ بشار بالكرخ، عندما كان قاضياً آنذاك، لصالح الشقيقين بالمنزل وهما بيبي وجواد كاب. لم يدخل الشَّيخ الزهاوي في جماعة الإخوان المسلمين، إلا أن معظم تلاميذه وأصحابه كانوا منهم، فهو رجل فقه وعلم لا رجل سياسة وتحزب.

719 جريدة اتحاد الشعب، العدد المؤرخ 22 أيلول (سبتمبر) 1959.

في السُّلطة، أنه ساهم بتحطيم حزب (التَّضامن الوطني) المار الذِّكر، وأن مدير الاستخبارات العسكرية في عهد عبد الكريم قاسم، العقيد محسن الرُّفيعي، وكان محسوباً على القوميين، قد أبلغ الرئيس عبد الرَّحمن عارف شخصياً (عن اعتداءات الشَّيخ الخالصي على النَّاس في الكاظمية، وابتزاز أموالهم بحجة مكافحة الشُّيوعية)[720].

في فصل سابق أتينا على ذِكر الفتاوى، التي استحصل عليها القوميون، ومنها فتوى الشَّيخ محمد مهدي الخالصي الابن، تبيح تطبيق الشريعة الإسلامية بالشِّيوعيين، أي قتلهم كمرتدين[721]. وأُريد للمعتقلين القتل والدفن في قبور جماعية، وكذلك مَنْ يُلقى القبض عليهم من الشِّيوعيين وأصدقائهم ومنظماتهم المهنية، والجميع يعدون بالآلاف، يصل إلى حوالى أحد عشر ألف معتقل ومعتقلة! وعلى الرَّغم من ذكر الفتاوى في ثلاثة مصادر: إضافة إلى مستحصلها عبد الغني الراوي: الشَّيخ طه جابر العلواني، (لا إكراه في الدِّين.. الرِّدَّة والمرتدون) والقيادي في 8 شباط (فبراير) 1963 هاني الفكيكي (أوكار الهزيمة)، وكل الشهادات التي تقدمت في الفصل الخاص بالمرجعية. ومع ذلك لما سأل أحدهم الشَّيخ محمد مهدي الخالصي الحفيد، أنكر الموضوع برمّته، بل روى أنه توسط لدى عبد السَّلام

---

720 الرُّفيعي، أنا والزَّعيم، ص 121.

721 راجع في أمر تلك الفتاوى كتابنا (الأديان والمذاهب بالعراق) الفصل الخامس، فتاوى قتل، كولونيا، منشورات الجمل، الطبعة الثَّانية. وراجع أيضاً: العلواني، لا إكّراه في الدِّين، ص 40 وما بعدها. والفكيكي، أوكار الهزيمة، ص 279.

عارف (قُتل 1966) لإطلاق سراح شيوعيين كان سينفذ فيهم حكم الإعدام[722].

نفى الخالصي الحفيد حقيقة أخرى، يصعب نفيها لوجودها على الأرض آنذاك ولكثرة شهودها، وهي كثافة الانتماء للحزب الشّيوعي العراقي بمناطق الجنوب والوسط، حيث الغالبية الشّيعية، ذلك عندما أجاب على سؤال طُرح عليه بهذا الصدد، قال مرتجلاً غير موثق: (هذا الرأي ليس صحيحاً على إطلاقه، إنما روَّج له الشّيوعيون بأسلوبهم الديماغوجي المعروف، وساندهم في ذلك الإعلام الغربي والصهيوني، الذي يشارك الشّيوعيِّن العداء لعارف، لرفضه الرضوخ لنفوذ أي منهم)[723].

وإذا تفهمنا ترويج الشّيوعيين لكثافة انتماء أبناء الشّيعة لهم، على الرغم من أن العديد من القيادات العليا في الحزب تجدها من النَّجف وكربلاء، لكن لا نفهم الترويج الصهيوني والغربي! وهل يميز هذا الإعلام بين الشّيوعي الشّيعي والسُنَّي في ذلك الظرف؟! لا نظن ذلك.

لكن، كيف يمكن دفع ما يُقال من أن الحزب الشّيوعي حزب شيعي، أو أن حزب البعث حزب سُنَّي. يبحث الشَّيخ طه جابر العلواني

---

722 الصفار، ملامح الخطاب السّياسي عند الإمام الخالصي، ص 125–130، عن حوار أجراه معه علاء الظاهر.

723 المصدر نفسه، ص 168.

في تلك الأقاويل، التي تحاول جعل حزب البعث حزباً سُنّياً والحزب الشّيوعي حزباً شيعياً: (طائفية حزب البعث بشقيه الشّيعي والسُنّي طائفية سياسية نفعية انتهازية، لا علاقة لها بدين ولا مذهب، ولا يلتقيان في مقولة أو رأي. والباحث عن أي نسب لحزب البعث العربي الاشتراكي في أهل السُّنَّة والجماعة أو الشّيعة إنما هو باحث عن سراب... كما أن الباحث عن نسب للحزب الشّيوعي مع الشّيعة خاصة يستحيل أن يجد أي نسب أو صهر أو قرابة بينهما)[724].

ما ورد كان شائعاً بين النَّاس، ليس بدعاية من حزب أو جماعة، إنما جهات الجنوب والوسط والشمال كان فيها التيار اليساري بائن الحضور بكثافة، بينما بالمنطقة الغربية والموصل كان التيار القومي البعثي واضح التأثير.

نعم، قد تؤخذ في هذا التصنيف، سُنّية البعث وشيعية الشّيوعي، كثافة الانتماء على أرض الواقع، لكن ليس معنى هذا أن البعث صار حزباً سُنّياً، فمؤسسه بالعراق، كان وأبرز قادته كانوا من الشّيعة، بينما كم من العانيين السُّنَّة، والكُرد السُّنَّة أيضاً، كانوا قادة في الحزب الشّيوعي العراقي. فمن القيادات البعثية السُنّية: فؤاد الركابي، وعلي صالح السعدي، وهاني الفكيكي، ومحسن الشَّيخ راضي وغيرهم، ومن قادة الحزب الشّيوعي العراقي السُّنَّة: زكي خيري،

---

724 العلواني، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات 2 ص 80-81.

وعامر عبد الله، وثابت حبيب العاني، ومحمد صالح العبلي إضافة إلى قيادات يهودية ومسيحية وكوردية.

ما هي إلا شهور حتى تصدعت الجبهة بين جماعة الخالصي وحكومة الحرس القومي، ولعلَّ الأمر مرتبط بظهور الخراب بين البعثيين وعبد السلام عارف، أو القوميين على العموم من النَّاصريين! فقُبيل وفاة الشَّيخ الخالصي، في تشرين الأول (أكتوبر) 1963 وسقوط سلطة البعث 18 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 1963، أخذ الخالصي يهاجم البعثيين.

وهنا نعيد خطبة الخالصي التي هاجم فيها البعثيين من على منبر الصحن الكاظمي، بعد ذِكرها في كتابنا (الأديان والمذاهب بالعراق) لإيضاح ما آلت إليه العلاقة بين الطرفين: (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق، ومن شر ميشيل عفلق... مصيبة العرب أشد وأشق جاءنا بميشيل عفلق. مَنْ هو ميشيل عفلق، ما هذا الاسم)؟

(ألا يوجد اسم عربي! ألا مرشد عربي! ألا مرشد مسلم! ميشيل عفلق وما عفلق؟ أنقل لكم عبارة القاموس، وأعتذر عن نقلها لترون مدى سخرية الإنكليز والاستعمار بنا، وكيف يصدنا عن ديننا ويهزأ بنا، وأعتذر عن نقلها لأنها بذيئة. ولكن لا بد من نقلها، نبينها لإخواننا كيلا يتبعه أحد، وأرجو منكم أن تكتبوها عن القاموس، وتبثوها بين النَّاس، ليعلم درجة استهزاء المستعمرين بنا. قال في

القاموس: عفلق: الفرج الواسع الرخو، والمرأة السيئة المنطق)[725].

ولعلَّ الجهر في هذا الموقف، وفي هذه اللهجة، كان بالاتفاق مع عبد السلام عارف، ففي تلك الفترة وصل الخلاف البعثي- القومي إلى طلاق لا رجعة فيه، بينما كانت الصلات بين الخالصي الابن وعارف على ما يرام، واستمرت حتى وفاة الأول(1963) وطيدة مع نجله حتى مقتل الثَّاني(1966).

رحل محمد مهدي الخالصي الابن، وبرز بعده محمد مهدي الخالصي الحفيد، لذا نقول: إنها مرجعية ضيقة، وعلى خلاف المرجعيات الأُخر استمرت وراثية، فالأمر لا يتعلق بالفقه والأعلمية بقدر ما يتعلق بالموقف السِّياسي، ووراثة المدرسة والمنبر الكاظمي. وعلى خطى الأب واصل الحفيد الصلات بحكومة عبد السلام عارف، ولم تبد جماعة الخالصي أي مشاكسة ضدها، على خلاف ما كانت عليه في العهود كافة.

ولد الحفيد بهمدان العام 1937، أثناء نفي الجد والأب إلى إيران منذ 1922. وعاد مع والده إلى بغداد 1949، ودرس بكلية الحقوق- جامعة بغداد، وتخرج منها 1961، وخدم بعدها في الجيش برتبة ملازم احتياط، ولا يظهر أنه تقدم في دراسته الدِّينية، إلا بما

---

725 الخالصي، (سبعة وعشرون شهراً في طهران)، ص45. جاء في الصحاح: العَفلَق (الضخم المسترخي، وربما سمِّي الفَرج الواسع بذلك، وكذلك المرأة الخرقاء السيئة المنطق والعمل) (4 ص 1527). لكن لو قُيِّم الناس على معاني الأسماء لتخلى الملايين عن أسمائهم!

سمح له باعتمار العِمامة، ولم يسمح له بالتفرغ الكلي ليكون مجتهداً على خطى المحمدين: جده وأبيه.

طغى على تحرك الخالصيين الفكر القومي، فهم يرون أنفسهم عرباً من بين عشرات المراجع الدِّينية، التي بسطت نفوذها على مرجعية النَّجف، وهي المرجعية الأم بلا منافس. وربما أراد لهم هذا الدور عبد السلام عارف نفسه كمرجعية عربية بديلة، تلامس الشعور القومي، وهذا ما حاوله صدام حسين بتقريبه لمحمد محمد صادق الصَّدر (اغتيل 1999) بديلاً من المراجع الإيرانيين، مع أن الأخيرين لا يشغلهم الهاجس القومي أو البلداني، مثلما يشغلهم الدِّين والمذهب، ويرون فيهما الأممية لا الوطنية أو القومية، وما يزالون.

ربطوا مصائرهم بالنَّجف ومرجعيتها، فهي أقرب إلى العراق من إيران، ونجد الخلاف ملموساً بين المرجعيتين: النَّجف وقُمَّ، وبين مراجع إيرانيين أنفسهم. وعلى العموم، لم توفق الخالصية ولا الصَّدرية في احتلال هذا الموقع، والسبب يتعلق بأُصول تقديم المراجع عبر كثرة المقلدين والبروز بالأعلمية!

لكن، مع ذلك، علينا الأخذ بنظر الاعتبار العدد الكبير من سلسلة المراجع التي ثنيت لها وسادة المرجعية، وزعامة الحوزة بالنَّجف، من غير العرب، والعدد الغالب منهم من إيران، مع وجود أُصول باكستانية وأفغانية! إلا أن هناك حقيقة أخرى، وهي الأصول

العربية العلوية في تلك البلدان، فآل الطباطبائي نسبة إلى العلوي طباطبا[726]، وليس نسبة إلى مدينة إيرانية تعرف بهذا الاسم، وهذا يؤخذ بنظر الاعتبار لدى الشّيعة بشكل عام. وما يتداول هو وجود مقاصد في تولي غير العرب للمرجعية، بينما الأمر كما يبدو لا يخرج من حقيقة أن هؤلاء الأعاجم (غير العرب) يأتون إلى النَّجف ولا يبرحونها إلا بتفوق علمي وباع في الاجتهاد، ومنهم مَنْ يبرز بين أترابه ويشق طريقه إلى المرجعية، ويجعل النَّجف دار هجرته الأبدية.

ولا يغرب عن البال أن الملوك الصفويين، وهم من التُّرك، أشاعوا التشيع بإيران، مع وجوده من قَبل، وأسسوا ملكهم بمراجع دين عرب من جبل عامل، ويأتي في مقدمتهم: الشَّيخ علي عبد العال الكركي (ت941هـ 1534)، الذي ينحدر من بلدة كرك لبنان، استقدمه الشاه طهماسب الأول إلى عاصمة الدَّولة الصفوية أصفهان، وكتب إلى آفاق دولته، وجميع ولاياتها، أن تخضع لأوامر وأحكام الشَّيخ الكركي، فهو أصل السلطنة، ونائب الإمام (المهدي المنتظر))[727].

لكل ما تقدم يبدو مطلب، أو اشتراط القومية في المرجع الدِّيني، لا يتفق لا مع الإسلام ولا مع المذهب، فآل كاشف الغطاء، وهم من العرب العراقيين، احتلوا المرجعية لثلاثة أجيال في القرنين الثامن

726 لعلَّ جد الأسرة وسبب اللقب هو إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت 199هـ)، وقبره يزار بالهاشمية من نواحي الكوفة بالعراق(راجع حرز الدِّين، مراقد المعارف 1، ص 157).

727 التنكابني، قصص العلماء، ص 370.

عشر والتاسع عشر، كذلك برز حفيدهم في القرن العشرين، الإمام محمد حسين كاشف الغطاء (ت 1954) مرجعاً يُحسب حسابه!

وعود على بدء، يبدو أن الغالب على الخطاب الخالصي، المتوارث، هو المعارضة، وهكذا كان الحال مع السلطات أو مع المعارضة التي ينتسبون إليها! وهذا بحد ذاته ليس مثلباً، إذا بُني على أساس صحيح ورؤية واضحة. مع أن البعض فسره بالغرور أو بمبدأ (خالف تعرف)! لكن، الغالب على خطاب الأب والأبناء هو الحدة والإثارة أكثر منه التّوافق والتدرج في المطالب، وأخذ الظروف بنظر الاعتبار.

فالخالصي الابن عندما كان منفياً بإيران نقل معارضته، وبسرعة ومن دون أن يحسب للحدود الوطنية حساباً، وهناك، أخذ بالتحريض ضد الشاه ونظامه، وكأنه الثائر الأممي، وفي عصر الإمبراطوريات لا الأقطار الوطنية، وأخذ يحرض على طرد البهائيين من دوائر الدّولة مع أنهم من أهل البلاد، وهو الغريب اللاجئ بينهم! مثل تحريضه ضد الشّيخية (جماعة الشّيخ الإحسائي وتلميذه كاظم الرشتي) والبهائية بالقول (أيها الإيرانيون! كونوا على حذر من أخطر شراك الشيطان أي الشّرك. لقد وسع الشّيخ أحمد الأحسائي هذا الشّرك وأظهره على شكل مصيدتين: الأول: شّرك الشّيخية، الثّاني: شّرك البهائية... دعوة أولئك (الصعود على المنابر) إثم وحرام قطعاً)[728].

728 الخالصي، علماء الشّيعة والصّراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدّين، ص 444.

بعدها أخذت السُّلطة الإيرانية ملاحقته بالتقارير حول ما يقوم به من تحريض، ليس فقط ضد الفرقتين المذكورتين وحسب، وإنما ضد مظاهر الحياة المنفتحة بإيران آنذاك. وكم يبدو هناك من تساهل مع الشَّيخ الخالصي من قبل السلطات الإيرانية، في ظل الشاه محمد رضا بهلوي(1941- 1979)، حيث صدر كتابه (علماء الشِّيعة والصِّراع مع البدع...) بالفارسية العام 1948 بمدينة يَزد الإيرانية، مع ما فيه من نقد وتحريض ضد النظام الإيراني آنذاك. أخذ الشَّيخ يتصرف بإيران على طريقة كأن إيران والعراق ما تزال تحت تاج واحد، مثلما كان الحال في العهد البويهي أو السلجوقي أو المغولي! وهنا لسنا بصدد تقييم موقف الخالصي، بقدر ما نلفت النظر إلى تشتت الجهد، وعدم اختيار اللحظة المناسبة، وتحويل الخطاب إلى سلسلة من العداوات والمواقف المتصلبة.

لقد استمر آل الخالصي، إن صح ما نُقل ووثق عنهم، بمعارضتهم لسلطة البعث في طورها الثَّاني 17 تموز(يوليو) 1968، فمثلما اختتم الأب حياته ضد دولة البعث بعد مناصرتها في بداية الأمر، نجدهم عارضوا مبكراً وتبنوا فضح حملات التهجير التي طالت ذوي التبعية الإيرانية (منذ 1971)، بل هاجم الخالصي الحفيد المرجعية الدِّينية بالنَّجف، لأنها سكتت عن تلك الحملات، وقد جاء في خطابه في تلك السَّنة: (هذه كلمة نقولها ونلقيها، وإننا نأمل من سائر المراجع الدِّينية الساكتين الآن أن يقولوا كلمتهم، ويخرجوا من صمتهم، وأن

يشعروا السُّلطة بأن هذا العمل لا يمكن أن يُسكت عنه، ولا يصلح أن يكون انتقاماً من الشاه الجبار الطاغية)[729]!

وخطب الشَّيخ الخالصي الحفيد بالمسجد الصفوي داخل الحضرة الكاظمية في خطبة الجمعة من السُّنة نفسها، احتجاجاً على تسفير الإيرانيين، وكانت المناسبة عودة القس الآشوري مار شمعون، الذي نفاه العهد الملكي في الثلاثينيات بعد الحوادث المعروفة ضد قومه (1933). قال: (في الوقت الذي يتسع صدر الثورة (ثورة البعث 17 تموز/يوليو 1968) لأمثال العميل مار شمعون، والآثوريين[730] من أتباعه، الذين عملوا بالعراق ما عملوا، والذين جاؤوا على حراب الإنكليز، وشكلوا جيش الليفي، وحاربوا ثورة العشرين، وكانت هوياتهم واضحة في العمالة للإنكليز. أقول إذا كان صدر الثورة يتسع لأولئك العملاء فلماذا لا يتسع للإيرانيين المساكين)[731].

---

729 الخالصي، الجمعة المجاهدة، ص 56.

730 عن تسمية الآثوري أو الآثوريين، أفاد الأب سهيل قاشا: (إنها مفردة سريانية قديمة، وتعني الوطن، وآثوري تعني المواطن. وحسب اعتقادي أنها كانت موجودة عندما سقطت نينوى (612 قبل الميلاد)، حيث تفرق سكانها أيدي سبأ، وكانوا مطلوبين من سائر الشعوب لأنهم قهروها بالقوة العسكرية، فاختفوا فترة من الزمن، بعدها حنوا إلى ضواحي نينوى فأتوا تحت اسم آثوريين. ومعلوم، أن مفردة آثوري مأخوذة من (أثري)، وتعني الوطن، وأتوا تحت هذه التسمية حتى لا يميزوا عن بقية الشعوب، وبعيداً عن الاسم الرسمي لهم. وهكذا أخذت تسمية آثوري تعني المواطن، بينما تسمية آشوري تعني شيئاً آخر، وهي تسمية دينية أي الذي يتبع الإله آسور أو آشور) (مقابلة، جريدة الشرق الأوسط، 3 أكتوبر/تشرين الأول 2007).

731 الخالصي، الجمعة المجاهدة، ص 51-52.

إن الآثوريين أو الآشوريين، الذين حرض ضدهم الشَّيخ الخالصي، هم من أهل العراق الأوائل، وتعرضوا إلى محنة، ربما لا يجهلها الشَّيخ، وهي قتل المئات، بمذبحة جماعية في منطقة سميل من الموصل، وبينهم الأطفال والنساء، وحدث أن الملك فيصل الأول(ت 1933) امتعض مما فعله ولده غازي ووزراؤه، أثناء غيابه في زيارة إلى بريطانيا.

قال ناجي شوكت(ت 1980)، وهو رئيس وزراء سابق وشاهد على ما حدث، إن الملك أخبره بالقول: (أبقيت ولدَّي غازي وهو شاب لم تصقله التجارب، كما أن الوزراء الذين بقوا ببغداد لم يقدروا الوضع الدولي، فتصرفوا متأثرين بنوازع دينية وقومية، ولم يضبطوا أعصابهم)[732].

عموماً، لم يرتق الخطاب الخالصي إلى مستوى المرجعية، لا الدِّينية ولا السِّياسية، وفات الشَّيخ الحفيد أن والده كان يشير إلى العهد الملكي بالعمالة للإنكليز، والآشوريون، أو الآثوريون، قتلوا بسلاح ذلك العهد! أما السكوت البريطاني عمَّا حدث فكأنه مشاركة في المذبحة! حيث وجود المعسكرات البريطانية والإشراف البريطاني على تسليح وتدريبه الجيش آنذاك!

نزه الخالصيون فترة حكم عبد السلام عارف، ودافعوا عنها، وردوا على مَنْ أشار إليها بالطَّائفية، بذريعة (نقل العمل الإسلامي

---

732 شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عاماً، ص 234-235.

بالعراق إلى طموح سياسي أكبر، وذلك من خلال التحالف مع عبد السلام)[733]. لكنهم لا يفسرون سبب عدائهم لعبد الكريم قاسم، وإن فسروه بوجود الحزب الشّيوعي العراقي، عدوهم الأول! فهذا الحزب ضُرب من قِبله، وتحول إلى حزب سري! وليس من تفسير غير تبنّيهم للمشروع القومي!

كذلك ماذا سيكون الموقف من هذا الشّيوعي لو نجحت قيادة هذا الحزب الشّيوعي، المعروفون بخط (آب) في الدعوة إلى تأييد الاتحاد الاشتراكي النّاصري، الذي أعلن عنه عبد السلام عارف، محاكاة لما حدث بمصر[734]، وهو الاندماج بالاتحاد الاشتراكي القومي؟!

إلا أن هناك أدلة كثيرة أشارت إلى الحس الطائفي لدى عبد السلام عارف، منها ما يرويه هاني الفكيكي، وكان أحد أركان الحكم وعضو مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية في سلطة البعث الأولى (شباط/فبراير 1963). قال: (أذكر أننا، محسن الشّيخ راضي وأنا، وصلنا مرة متأخرين إلى إحدى جلسات مجلس قيادة الثورة، فقال عبد السلام: جاء الروافض، وكان يقصد بذلك بأننا شيعيان، الشيء

733 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 48-49.

734 حدث في آب/أغسطس 1964 أن اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشّيوعي العراقي ببراغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا وأقرت (الأمل في أن يتطور نظام عبد السلام عارف الدكتاتوري العسكري إلى نظام تقدمي سائر نحو الاشتراكية، شأن نظام عبد الناصر في مصر). وقد أقر هذا الخط بأكثرية الأعضاء أي 12 صوتاً من 14 صوتاً(بهاء الدّين نوري، مذكرات، ص 313).

الذي حمل أنور الحديثي على الاحتجاج طالباً إلى عارف الاعتذار عن هذا التعبير)[735].

يلخص الشَّيخ جواد الخالصي، شقيق محمد مهدي الخالصي الحفيد، والذي حلَّ محله في تزعم الجماعة، التي لم يبق منها سوى الرموز، أهداف جماعته بالآتي:

أساسية الفكر الإسلامي في التحرك السِّياسي.

الإيمان بالوحدة الإسلامية.

رفض الطَّائفية والإقليمية.

العمل لإعادة الدَّولة الإسلامية، من خلال بناء الدول الإسلامية الإقليمية.

رفض معطيات الحضارة المادية الرأسمالية، والشِّيوعية.

التأكيد على الاستقرار السِّياسي.

- قيام حكومات إسلامية.

- مدُّ علاقة بين العلماء (الدِّين) والأمراء (السياسة)[736].

ولا غرو مادام أنها جامعة سياسية إسلامية، من حقها المناداة

735 الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص 273.

736 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 398، مقابلة مع الشَّيخ جواد الخالصي.

بنظام إسلامي، فلا تبدو الدّيمقراطية شغلها الشاغل. ولا ندري، كيف تتحقق حكومة إسلامية، وبالعراق على وجه الخصوص، وجود طائفتين، وما بينهما من فارق كبير إن طُرحت مسألة الإمامة. صحيح أن الجماعة قدمت، على لسان الشّيخ جواد الخالصي، هدف رفض الطّائفية والإقليمية، على بقية الأهداف، إذ كان الشّيخ قصد التسلسل بتقديم الأهم على المهم. لكن، ليس من دولة إسلامية تضمن محو الطّائفية إذا ما تحول الدّين إلى دولة وهيمن على مفاصل السياسة! فلا بد أن يكون الفرز على أساس الأُصول[737]. ليس هناك شك بخطورة مسألة الإمامة، وانبعاث الطّائفية، مثلما حدث بالعراق، سواء كان بتحريض من احتلال أمريكي، حسب ما تذهب إلى ذلك الجماعة الخالصية نفسها، أو بدوافع أخر!

هنا نود التذكير بما أورده فيها جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا: (في بيان سبب اختلاف العلماء في الإمامة فنقول: اعلم أن مسألة الإمامة هي أيضاً من إحدى أمهات مسائل الخلاف بين العلماء... كثر فيها القيل والقال، وبدت بين الخائضين العداوات والبغضاء، وجرت بين طالبيها الحروب والقتال، وأبيحت بسببها الأموال والدماء، وهي باقية فيه إلى يومنا هذا، لم تنفصل بل كل يوم يزداد الخائضون

---

737 الأُصول لدى الشّيعة خمسة: التوحيد، النبوة، المعاد، الإمامة، العدل. بينما لدى السُّنّة: الثلاثة الأولى فقط. بمعنى أن الإمام أصل من الأُصول لدى الشّيعة، وذلك بالوصية لعلي بن أبي طالب وأولاده لا غيرا فكيف تحل الخالصية هذا الإشكال، وتتجاوز الطّائفية وما يصاحبها من عنف إذا لم تكن الدّولة مدنية لا دينية!

المختلفون فيها خلافاً على خلاف، وتتشعب لهم فيها ومنها آراء أو مذاهب، حتى لا يكاد يحصي عددها إلا الله...)[738].

ومن بعد إخوان الصفا بمئتي عام قال فيها محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548هـ)، وهو شافعي الفقه وأشعري العقيدة: (وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلّ على الإمامة في كل زمان)[739].

وما هو واضح أن تجاوز محنة الاختلاف حول الإمامة، القديم الجديد، مثلما تقدم من مقالة لإخوان الصفا والشهرستاني، لا يتم إلا بنظام يستوعب الطائفتين: السُّنَّة والشِّيعة، وبقية المذاهب والأديان. وتجدها محل خلاف كبير ومرير منذ القرون الأولى على المستوى الاجتماعي ناهيك من السِّياسي، فهذا الشاعر الشِّيعي أبو عبد الله الحسين بن الحجَّاج (ت 391 هـ 1000 ميلادية) يقول، وكأنه يرى لا فائدة من هذا الخلاف، مفتشاً عمَّا ينفعه، وإن كان يظهر في القصيدة التالية تكسب الشاعر، إلا أن ما يعنينا من الاستشهاد هو تأكيد مثول الحالة آنذاك مثلوها اليوم[740]:

---

738 إخوان الصفا، الرسائل، الرِّسالة الأولى من القسم الرابع، في الآراء و الديانات 4، ص 65.

739 الشهرستاني، الملل والنحل 1 ص 24.

740 الأسطُرلابي، درَّة التاج من شعر بن الحجاج، ص 346.

مرَّ بَي يومَ جمعةٍ شيخان

علوي[741] وآخر عثماني

قال هذا: بعد النَّبي عليٌّ

ودعا مُنصفاً إلى البُرهان

قال هذا: بعدَ النَّبي أبو بك

ر وجاءا إليَّ يستفتياني

قلتُ: خيرُ العبادِ بعد رسول الـ

لَّه في مذهبي أبو الرَّيانِ

خَيرهم مَنْ رأى لباسي قد

رثَّ وبان اختلاله فكساني

خِلعٌ جاءني عليكما بها الخا

زنُ تَفديه أنفس الخزانِ

هكذا مذهبي وهذا اعتقادي

وبهذا المديح يجري لساني

فهو عندي وحقّ مَنْ خلق الخلـ

قَ وعيسى بن مريمَ سيّانِ

---

741 حسب مخطوط كوبنهاكن وردت: رافضيّ، وحسب مخطوط تيمور وردت: علوي، وأرى أن الأخيرة هي الصحيحة، لسببين: العثماني يقابله العلوي، في كل معطيات التّاريخ، وثانياً: أن ابن الحجاج كان شيعياً، ولا أحسبه يستخدم مفردة الرافضي لأنها غير مقبولة لدى الشّيعة عامةً. ويغلب على الظن أن الشاعر البصري المعاصر كاظم الحِجاج لم يطلع على أبيات سلفه ابن الحجاج، وما استشعره من الطّائفية، عندما قال بعد ألف عام ويزيد: (لكن للعلم .. أبي كان يزور العباس مع النّاس! لكن في السرّ يحب الخلفاء: الأول والثّاني والثالث والرابع طبعا) (من قصيدة: الأبناء يشبهون آبائهم، مجلة الأسبوعية 24 أيار/ مايو 2009). ففي هذه القضية بالذات يبدو الزمن توقف عن الجريان!

وبما أن جماعة الخالصي طرحت نفسها ضد الطّائفية والإقليمية، فنجدها تنسف ما بشرت به وسعت إليه بدعوتها إلى دولة أو حكومة دينية. لذا كم تكون المهمة صعبة في محاولاتها تسوية الخلاف بين الطائفتين، وهو مشروع وطني وطموح على مستوى العراق في الأقل، لكن الطموح شيء والواقع شيء آخر، ولعلَّ أهم ما يُذكر من جرأة لآل الخالصي، لصالح العراق والعراقيين، هو محاولة للتخفيف من الخلاف والتوتر الطائفي، بين السُّنَّة والشّيعة، هي توحيد الأذان[742].

وذلك خارج السياسة، بمبادرة إلى تنازل الطائفتين عمَّا فيه

742 الأذان لدى الشّيعة الإمامية: التكبير أربع مرات، والشهادتان مرتين، وحي على الصلاة مرتين، وحي على الفلاح مرتين وحي على خير العمل مرتين، والله أكبر مرتين، ولا إله إلا الله مرتين (الطوسي، الخلاف، ص278). ولا يوجد ضمنه الشهادة الثالثة: (أشهد أن علياً ولي الله). وهذا متفق عليه عند فقهاء المذهب من المتقدمين والمتأخرين. أما (حي على خير العمل)، فيُقال كانت على عهد النبي محمد، ثم ألغاها الخليفة عمر بن الخطاب، وثبت مكانها (الصلاة خير من النوم) في أذان الفجر (القزويني، الشّيعة في عقائدهم وأحكامهم، ص 124). لكن، هناك من علماء الدّين الشّيعة، قبل العهد الصفوي، مَنْ حرم الاعتقاد بالشهادة الثالثة، واعتبرها من البدع، وأكثر من هذا أبطل القول بالرجعة، على أنها خرافة، وحرموا سب الشّيخين(الرواسب الصفوية ومحاولات التحديث في التشيع، كتاب مسبار، العدد الثالث والعشرون، تشرين الثّاني/نوفمبر 2008، ص 164 عن الشّيخ عبد الجليل الرازي، كتاب النقض). ويبدو أن الشهادة الثالثة ثبتت في الأذان منذ العهد الصفوي. وهناك رواية لعلَّها أشارت إلى تثبيت الأذان بالشهادة الثالثة في ذلك العهد، أوردها محمد باقر المجلسي (ت 1699)، وهو يتحدث عن الجزيرة الخضراء، وذلك عندما زار أحدهم قرية بغية الوصول إلى تلك الجزيرة، وأنه قدمَ مذهبه لهم بالشهادتين فقالوا له: (لم تنفعك هاتان الشهادتان إلا لحقن دمك في دار الدنيا، لم لا تقول: الشهادة الأخرى لتدخل الجنَّة بغير حساب...) (المجلسي، بحار الأنوار 52 ص 163 – 164)، والمعروف أن المجلسي كان أبرز فقهاء العهد الصفوي. أما الإشارة إلى الولاية، خارج موضوع الأذان والصلاة، فكانت قديمة، ويذكر ابن بطوطة: كان زوار لمرقد علي بن أبي طالب، من طالبي الشفاعة المقعدين، ينتظرون حضور ليلة كانت تُعرف بليلة المحيا، التي تصادف السابع والعشرين من رجب، من كل عام، وعندها (يقوم الجميع أصحاء من غير سوء، وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله) (الرحلة، ص 177). لكنها لم ترفع في الأذان!

من خلاف، وهو خلوّ أذان السُّنَّة من (الحيعلة) (حي على خير العمل)، والشَّهادة الثَّالثة الشَّهادة بالولاية أو الإمامة بعد النبوة: (أشهد أن علياً ولي الله). فقالت جماعة الخالصي: (أن حي على خير العمل يجب أن تعود لصلاة السُّنَّة، ويُرفع ذكر علي (ع) عند الشّيعة، ليقترب الطرفان من بعضهما)[743].

قال طالب شبيب، وزير الخارجية عُقب 8 شباط (فبراير) 1963 مستعرضاً المشاكل بين السُّلطة آنذاك والمرجعية الدّينية: (حتى محاولة جماعة الشَّيخ محمد الخالصي تغيير صيغة مقدمة الأذان في الصحن الكاظمي الشريف، تدخَّلنا بسرعة وأوقفناها)[744].

وحول ما حدث، قال شاهد عيَّان من القيادة البعثية: إنه (بعد سبعة أيام شاقة تلت 8 شباط قضيناها في الحراسات والمتابعة، عدنا نحن بعثيي الكاظمية إلى بيوتنا لنرتاح، ففوجئنا بغضب آبائنا بسبب إلغاء الشَّهادة الثَّالثة من مقدمة الأذان، فأخبرنا قيادة الحزب بخطورة ذلك، فأرسلت إلينا فوراً الرئيس عبد السلام عارف، وبعد استماعه لحيثيات الموضوع. قال: شغلتمونا بموضوع ليس بذي قيمة! وقفل راجعاً. أعلمنا القيادة ثانية فأرسلت رئيس الوزراء أحمد حسن البكر، الذي اعتبر الأمر خطيراً)[745].

---

743 سعيد، من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، مراجعات في ذاكرة طالب شبيب، لقاء مع الشَّيخ الخالصي الحفيد، ص 311 الهامش.

744 المصدر نفسه، ص 310.

745 المصدر نفسه، ص 310-311 ، الهامش.

ويبدو أن البكر (ت 1982) وجد من الأوفق إناطة المهمة بشخص شيعي من قيادة البعث، لذا نصح باللجوء إلى علي صالح السعدي (ت 1977)، وكان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، فلما قَدم الأخير تدارك الموقف، وجرد جماعة الخالصي الموجودين داخل الصحن الكاظمي من أسلحتهم، (وتصرف كزائر وليس كمسؤول، ولم يغادر المكان إلا بعد أن استمع للأذان فجراً واطمأن إلى عودته إلى ما كان عليه)[746].

لم يخطئ آل الخالصي في البحث عن نقاط اشتراك بين الطائفتين، وعلى الخصوص عبر الخلاف المعلن والتّاريخي، وحل قضية لم تعد من الواجبات الدّينية بقدر ما هي من المستحبات، سوى كان الأذان ككل أو الشّهادة الثّالثة نفسها. وهناك تجارب تاريخية من الزمن العباسي أذن فيها السُّنَّة بـ (حيَّ على خير العمل)، على الرغم من نزيف الدماء من تحت المآذن حول صيغة الأذان، لخلاف بين محلتين، أو بين أتباع الأمراء[747].

---

746 المصدر نفسه.

747 ذكر المؤرخ الشافعي يوسف بن تغرى بردى (ت 874هـ 1469) أنه في العام 442 هـ: (كان من العجائب أنه وقع الصلح بين أهل السُّنَّة والرافضة، وصارت كلمتهم واحدة. وسبب ذلك أن أبا محمد النَّسوي وُلّي شرطة بغداد وكان فتاكاً، فاتفقوا على أنه متى رَحل إليهم قتلوه، واجتمعوا وتحالفوا، وأُذن بباب البصرة (منطقة سُنّية) بحيَّ على خير العمل، وقُرئ في الكرخ (منطقة شيعية) فضائل الصحابة، ومضى أهل السُّنَّة والشّيعة إلى مقابر قريش. فعدّ ذلك من العجائب، فإن الفتنة كانت قائمة والدماء تُسكب، والملوك والخلفاء يعجزون عن ردهم، حتى وُلّي هذا الشرطة، فتصالحوا على هذا الأمر اليسير) (النجوم الزاهرة 5 ص 49). ويعلق المؤرخ على الحدث متعجباً بالقول: (فللّه الأمر من قبلُ ومن بعدُ)!

لكن، الأمر يحتاج له تحضير بتوعية، وبتقارب بين فقهاء الدِّين من المذهب الواحد ثم التحرك بشكل جماعي، لا يُعلن الأذان مفاجأة من على المآذن، أو أن تُدفع الدَّولة لترك الأذان كلية، والاكتفاء بعبارة: (قد حان وقت الصَّلاة)، وكفى العراقيين شرَّ الخلاف، وليؤذن كل مِنْ مأذنته بآذانه، لكن، الأهم أن تَجنب الدَّولة الصفة المذهبية عبر رفع الأذان.

حالياً، عاد الخلاف المُعلن، وعلى وجه الخصوص بعد رفع الأذان بصيغتين منذ 2003 عبر الفضائيات والإذاعات، وهو أن يكون: الفجر والظهر والمغرب صيغة شيعية، والعصر والعشاء بصيغة سُنَّية! مما يُعمق الفِرقة بين المجتمع العراقي المسلم، لذا الأسلم: أن يُكتفى بالتنبيه لوقت الصَّلاة. ذلك إذا علمنا أن ترك الأذان، وهو ليس من أساسيات الصَّلاة، أقل فساداً من رفعه وهو يعمَّق الفِرقة ويوقظ الفتنة.

وهنا دعونا نتعرف على أصل رفع الأذان جملة، فهو حسب كبار المؤرخين وقدمائهم كان مناماً لأحد الصحابة، بعد أن رأى تبادل الرأي مع النَّبي حول ضرورة الاتفاق على نداء إلى الصَّلاة، هل يكون باستخدام البوق اليهودي أو الناقوس المسيحي.

جاء في الرواية: (فبينما هو على ذلك، إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثَعلبة بن عبد ربه، أخو بلحارث بن الخزرج، النداءَ، فأتى رسول

الله (ص) فقال له: يا رسول الله، إنه طاف بيَّ هذه الليلة طائف: مرَّ بي رجل عليه ثَوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: ما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصَّلاة؟ قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر...)[748]. فلما سمع النبي ما قاله عبد الله بن زيد قال: (إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقُم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها)[749].

وبرواية لا تختلف عن السَّابقة، لكن يراد أن يكون الفضل في ابتكار صيغة الأذان وحياً، وهو ليس كذلك: (ائتمر النبي (ص) وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يُريد أن يشتري خشبتين للناقوس، إذ رأى في المنام: لا تجعلوا الناقوس، بل أذنوا للصلاة، فذهب عمر إلى النبي (ص) ليخبره بالذي يرى، وقد جاء النبي (ص) الوحي بذلك، فما راع عمر إلا بلال يؤذن، فقال رسول الله (ص) حين أخبره بذلك: قد سبقك بذلك الوحي)[750].

إلا أن القصة واضحة وهي أن صاحب الرؤيا أو الفكرة هو الصحابي وأحد شهود (بدر الكبرى)، وبقية المعارك والغزوات، عبد

---

748 ابن هشام، السيرة النبوية 2 ص 115. المسعودي، مروج الذهب 3 ص 28. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب 3 ص 912.

749 ابن هشام، المصدر نفسه.

750 المصدر نفسه.

الله بن زيد بن ثعلبة (ت 33هـ 653 ميلادية) لا غيره، مثلما ذهب إلى ذلك معظم مؤرخي الحدث. وإلا إذا كان الأمر بنزول وحي، ما كان هناك من حاجة لطرح اسم ابن ثعلبة!

على العموم، كانت دعوة آل الخالصي إلى توحيد الأذان جديرة بالاهتمام، وخصوصاً أن الأذان نفسه ورد عبر قصة ليس هو من الأُصول ولا من الفروع، وأنه من مستحبات الصَّلاة لا واجباتها، فعلام التعصب فيه، فلولا تنبيه ابن ثعلبة لكان الناقوس أو البوق مثلما لدى اليهود، فلا تستحق المسألة الدماء والقتال، وتحويل رفع الأذان إلى سياسة لا عبادة، فالله يسمع ما في القلوب لا ما تظهره الحناجر.

ساهمت جماعة الخالصي، بقلم شيخها محمد مهدي الخالصي الابن، انتقاد الاعتقادات خارج الثوابت الشِّيعية، وله كتاب في هذا الخصوص أشرنا له في الحواشي، وقائمة المصادر والمراجع، إلا أنه صب جام غضبه على فرقة الشَّيخية والبهائية[751].

غير أن فكرة الشَّيخ الخالصي لم تتمكن من التوغل بين الشِّيعة، وذلك لمحدودية عدد مقلدي مرجعيته، هذا من جهة، وهناك من جهة أخرى، الخلاف الشديد مع بقية مراجع المذهب، ومَنْ ينتفع مِنْ ترك التوتر يتصاعد بين المذهبين، ويضاف إلى ذلك تشجنج آل الخالصي في طرح التقارب بين المذهبين، كحالة ثورية يشوبها الاستفزاز، مع

751 سبقت الإشارة إليها في هامش فصل سابق.

فضيلة نيتها، والنقطة الأخيرة كانت وراء الإطاحة بالمشروع سريعاً، بينما نمت محاولات علماء آخرين في مجال التقريب.

مثل محاولات الإمام محمد حسين كاشف الغطاء(ت 1954)، ومشاركته في تأسيس مؤتمرات التقريب بين المذاهب، حتى أنه عند حضور المؤتمر الإسلامي بالقدس (1931) (ائتم في الصَّلاة جميع أعضاء المؤتمر البالغ عددهم (150) عضواً من شتى الفرق الإسلامية)[752]. وهذا ليس باليسير، وفي ذلك الزمن، وهو أن يؤم المصلين، من مختلف المذاهب، إمام شيعي يعدُّ بمثابة اعتراف على رؤوس الأشهاد. كذلك ما أسفرت عنه جهود المرجع السَّيد حسين البروجوردي(ت 1961) وإمام الأزهر الشَّيخ محمود شلتوت(ت 1963) من فتوى الأخير بالاعتراف بالمذهب الشِّيعي الإمامي[753].

نجد الخالصي الحفيد، الذي خرج من العراق وانضم إلى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وقبل أن يصبح خالصاً تحت قيادة آل الحكيم، أخذ يتهم صراحة، وعلى خلفية الصِّراع القديم، آية الله محسن الحكيم بالعمل تحت إمرة شاه إيران، وذلك عندما سُئل حول فتوى الأخير ضد الحزب الشِّيوعي العراقي، وهي فتوى التكفير، التي

---

752 كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في الطَّبقات الجعفرية، ص 12. الصَّفير، أساطين المرجعية العليا، ص 200 201-.

753 راجع: كتاب (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب)، عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب.

صدرت أيام الزعيم عبد الكريم قاسم، غير فتوى القتل التي صدرت مع فتوى الخالصي الابن في تموز (يوليو) 1963، بطلب من السُّلطة القومية – البعثية.

قال: (جاء الضوء الأخضر من الشاه للمرجع، الذي كان ينتمي إليه، فأصدر بعد أشهر فتواه المعروفة، بأن الشّيوعية كفر وإلحاد. بينما كان هذا المرجع يمتنع عن التعرض للشيوعيين بأدنى كلمة... لأن سيده الشاه، ومِنْ ورائه الغرب، لم يكونوا قد انتهوا بعد من لعبة استخدام الشّيوعيين لا بعاد الخطر النَّاصري)[754].

وقد أشارت العبارة الأخيرة بوضوح إلى طابع الجماعة السّياسي، بموقفها مع المد القومي، المتمثل بالنَّاصرية، واستمرارها عليه، لكنها لم تقترب أو تعلن تعاملها مع القوى القومية في داخل المعارضة العراقية، أو تعمل على تشكيل تكتل بهذا المعنى. وبطبيعة الحال، خرج الخالصي الحفيد بهذا الهجوم العنيف عما هو متعارف عليه بين علماء ومراجع الدِّين. أقول: ومَنْ له حق تحديد العمالة أو الوطنية؟!

كان من أشد خلافات آل الخالصي، في المعارضة العراقية الإسلامية، مع كيانها الرئيس آنذاك، وهو المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وليس معنى ذلك أنها دأبت على الخلاف

754 الصفار، ملامح الخطاب السّياسي عند الإمام الخالصي، ص 107.

والتعارض، إنما أكثر القوى التي ساهمت في تشكيل المجلس خرجت منه على خلاف مع قيادته المتمثلة بآل الحكيم.

أفاد الخالصي الحفيد معتبراً المجلس من صناعته وتفكيره، ومنتقداً ما آلت إليه أحواله: (كانت فكرة المجلس الأعلى أولاً، وقبل كل شيء، من أفكارنا! ولكن فوجئنا بأنه عوضاً من أن يكون المجلس التشريعي مبنياً على أساس من انتخاب المعارضة العراقية أصبح تعييناً، وتعيين غير مفيد للقضية العراقية. لهذا امتنعنا عن المشاركة فيه، وليس لنا خلاف مع أصل الفكرة)[755].

وجه الخالصي انتقاداته ضد قيادات المعارضة العراقية، والإسلامية بالتحديد، عندما تحدث عن انتفاضة آذار (مارس) 1991: (أما في الخارج فإن المعارضة كلها كانت دون المستوى، وظهرت في كثير من الحالات لاهثة وراء الانتفاضة في محاولات ساذجة من البعض، لركوب الموجة وقطف الثمار، ومعركة الإمداد بالتصاوير، كانت من بعض الأمثلة على التخلف عن الواقع. وفي وقت كانت الانتفاضة بأمسّ الحاجة إلى الرأي السديد والسلاح والغذاء والدواء)[756]. وهي إشارة واضحة لانتقاد المجلس والسَّيد محمد باقر الحكيم (قُتل 2003)، عندما أعلن نفسه، أوان الانتفاضة، فقيه الأمة، بمعنى الولي الفقيه.

---

755 المصدر نفسه، ص 78-79.

756 المصدر نفسه، ص 28.

وعلى العموم، وصل الحال بين جماعة الخالصي وقوى المعارضة الإسلامية الأخرى إلى القطيعة، وهذا ما يتضح من خطاب الشَّيخ الخالصي الحفيد ضد مؤتمر صلاح الدِّين (1992) بأربيل. قال: (إن المشاركة في هذه الاجتماعات تقع تحت طائلة المسؤولية الشرعية والوطنية والقومية، وغني عن البيان أن جميع ما يصدر عنها باطل جملة وتفصيلاً، ولا يعبر إلا عن إرادة الدوائر المعادية، سواء ما يتعلق بالتوجهات العنصرية الانفصالية أو ما يتعلق بالسيادة الوطنية، والشؤون الدستورية)[757].

كانت جماعة الخالصي قد شكلت، العام 1978، حركة تحت عنوان (الحركة الإسلامية بالعراق)، والمعروفة باسم (الخالصيون)[758].، وساهمت في نشاطات المعارضة العراقية، الإسلامية على وجه الخصوص، وظلت تحت إشراف محمد مهدي الخالصي الحفيد، وأخيه جواد الخالصي، إلا أنها لم تخرج من نطاق الأفراد إلى النَّاس حتى بعد العودة إلى العراق. وكانت قد اشتركت في أعمال المعارضة العراقية، مثل: لجنة العمل المشترك (1989)، ومؤتمر بيروت (1991)، ومؤتمر فيينا (1992)، وقاطعت مؤتمر صلاح الدِّين (1992) بأربيل، وما بعدها من مؤتمرات المعارضة[759].

757 المصدر نفسه، ص 45.

758 الشمراني، صراع الأضداد، ص 160.

759 العجلي، الخريطة السِّياسية للمعارضة العراقية، ص 196.

إن جماعة الخالصي، التي وقفت ضد الغزو الأمريكي للعراق، أو المساعدة الأمريكية أو الأجنبية لإسقاط النظام، نجد شيخها الخالصي الحفيد، من قَبل، ناقماً على الأمريكان لأنهم لم يجعلوا إسقاط النظام هدفاً من أهداف ضربهم للعراق من قَبل، وها هو السقوط قد حصل، لكن بما لا يرضي الجماعة الخالصية.

قال: (إن التجارب الميدانية، والسلوك العملي للنظام الإمبريالي الجديد، الذي دُشن عهده بتدمير العراق شعباً ووطناً، وأبقى على النظام. بل منع الانتفاضة من إسقاطه، تثبت أن ليس من أهدافه، ولا نيته أصلاً، تخليص العراق وشعبه، وأنه لم يكن عاجزاً عن ذلك لو أراد فعله، فإن الذين يتوقعون خيراً من الانصياع للمخططات المشبوهة واهمون)[760]!

ولا أدري، إذا ما كان هذا الخطاب، بعد سقوط النظام وبأيدٍ أمريكية، براءة للذين اتفقوا معه وتعاونوا ودخلوا مع الجيوش الغازية، من المعارضة العراقية السَّابقة، والتي تشير إليها جماعة الخالصي، الآن، بالعمالة، وتنتقدها أشد الانتقاد!

كذلك يكشف لك هذا الخطاب بساطة العقل السِّياسي. فالشَّيخ الخالصي كان ضد الأمريكان وضد نظام البعث في الوقت نفسه، وبالدرجة نفسها، وتراه ينتقد الأمريكان لعدم جديتهم

---

760 المصدر نفسه، ص 38.

بإسقاطه، والوهم هنا: هل تزحف الجيوش الأمريكية والبريطانية وتسقط -خدمةً للمعارضة العراقية - نظام صدام حسين، وتبقى بنظر الشَّيخ إمبريالية وقوى استكبار؟! أم أن النتائج لا تكون بأقل مما حدث وسيحدث من هيمنة ومشاركة إن لم يكن انفراداً أمريكياً بالقرار!

يتضح من الكلمة التي كتبها أحد الأعوان، مشيداً بالخالصي: (إلى أسد العراق الهصور الإمام الرَّاحل الشَّيخ محمد الخالصي، قُدس سره، الذي علمنا كيف نموت ليحيا الإسلام الأصيل)، إن الهتاف هو الغالب على الجماعة أو الحركة، وكأن الأنصار والأعوان ما يزالون يحيطون بالمنبر في صحن الحضرة الكاظمية! وهذا ما تشترك فيه القوى العراقية، بل والعربية، عامة في تهويل الزعامات. وكان بيت الشعر لتعظيم الخالصي يملأ واجهة مدرسته:

محمد تفديك الزَّعامات كلها

فأنت لها رغم الأنوف زعيم!

تلك المدرسة التي كثر حولها القيل والقال، وما لعبه الأتباع فيها من دور الشرطة السرية! ويُذكر أن الرئيس عبد السَّلام عارف قد زار محمد مهدي الخالص (الحفيد) بالكاظمية في 7 كانون الثَّاني (يناير) 1965 وتبرع لتلك المديرية بمبلغ مقداره عشرون ألف دينار عراقي[761]، ما قيمته آنذاك أكثر مِنْ ستين ألف دولار أمريكي.

---

761 العقيلي، بريطانيا ولعبة السُلطة في العِراق، ص 349.

لقد استفادت القوى الإسلامية بالعراق، عموماً، من فرصة سقوط النِّظام السابق، وبهذه الطريقة، فلو كُتب أن يحدث السقوط بانقلاب عسكري، مثلما كانت تخطط دول الجوار العربي، لما وصلت الحركة الإسلامية إلى السُّلطة، وهيمنت على مفاصل البلاد، وفرضت الانتخابات على طريقتها، وحرية الخطاب الذي أوصلها إلى السُّلطة.

لكن خطابها وممارستها تبدلت، حتى دفعت عدداً كبيراً من العراقيين، عند المفاضلة بين قسوة النظام السابق وفوضى النظام الحالي، منهم مَنْ تمنى الأول، وكأن العدو واحد والسارق واحد، ويضمن حياته مَنْ لا يشاكس النظام! كذلك اتضح أن القوى الإسلامية، التي قضت في المعارضة عقوداً من الزمن، لم تمتلك برنامجاً ولم تبد حرصاً ما.

ومع العائدين إلى العراق، عاد جماعة الخالصي إلى مقرهم وحصنهم القديم مدينة الكاظمية، وأخذت دورها التحريضي ضد الاحتلال من داخل بغداد وخارجها، محذرة من فتنة طائفية، ومن تقسيم العراق إلى أقاليم. ولها الحرية بحشد الأتباع والمناصرين، وكان في تصورها استعادة جمهورها وقوتها، لكن الدنيا، كما يبدو، تبدلت، ولكل عصر ترتيبه، مثلما يُقال، وظهرت جماعات أخرى، وشخصيات ومراجع دين منافسون.

فالتيار الصَّدري من جهة يخطب من على منبر الصحن الكاظمي، بل تولى خطبة الجمعة، التي كانت محتكرة للخالصيين،

وكذلك ظهرت مرجعية تواقة بخطابها إلى السلم الاجتماعي، ومحاولة الاستفادة من سقوط النظام ووجود الأمريكان، وفهمت واقع الحال بأن للسقوط ثمناً، وأن للأمريكان مصالحَ، ولا بد من الموازنة، والتعامل معهم على قياس تبادل المصالح.

ويلعب جناح آخر من آل الصَّدر ممثلاً بعميد الأسرة حسين إسماعيل الصَّدر دوره من مدينة الكاظمية أيضاً، لكن بخطاب خارج السياسة وداخل مصالح وحدة العراق والعراقيين، والكاظمية دار مرجعيتهم التَّاريخية، مثلما هي مرجعية آل الخالصي، السَّيد منذ حسن الصَّدر (ت 1935)، ونجله رئيس الوزراء محمد الصَّدر (ت 1956)[762]. وهذا ما لم تسع وتتمكن منه جماعة الخالصي، فظلوا يطلّون من على شاشات الفضائيات بشخص الشَّيخ جواد الخالصي بين حين وآخر، لكن بلا فعل سياسي مؤثر!

762 قال أمين الريحاني بعد أن زار السَّيد حسن الصَّدر بالكاظمية: (قد زرت السَّيد حسن صدر الدِّين في بيته بالكاظمية، فألفيته رجلاً عظيم الخَلق والخُلق، ذا جبين رفيع وضّاح، ولحيته كثة بيضاء، وكلمة نبوية. له عينان هما جمرتان فوق خدين هما وردتان. عريض الكتف، طويل القامة، مفتول الساعد، وهم يعتمّ بعمّه سوداء كبيرة يلبس قميصاً مكشوف الصَّدر رحب الأردان، فيظهر ساعده عند الإشارة في الحديث. ما رأيت في رحلتي العربية كلها مَنْ أعاد إليَّ ذكر الأنبياء كما يصورهم التَّاريخ، ويمثلهم الشعراء والفنانون مثل هذا الرجل الشِّيعي العاملي الكبير، وما أجمل ما يعيش فيه من البساطة والتقشف... وعندما رأيته جالساً على حصير في غرفة ليس فيها غير الحصير، وبضعة مساند، وقد كنت علمت لفتواه أكثر من مليوني مطيع، وأن ملايين من الروبيّات تجيئه من المؤمنين في الهند وإيران ليصرفها في سبيل البرّ والإحسان، وأنه مع ذلك يعيش زاهداً متقشفا، أكبرت الرجل أيما إكبارٍ) (بصري، أعلام الأدب بالعراق الحديث، 2 ص 325-326، عن الريحاني، ملوك العرب)! وكتب مير بصري في نجله محمد الصَّدر (ت 1956) رئيس الوزراء، ومفتتح أول برلمان (1925): (موضع ثقل في السياسة، وعنصر اعتدال وتهدئة ورزانة، يُرجع إليه في إبان الأزمات والانقلابات التي عصفت بالدَّولة الناشئة (انقلاب 1941) تعهدّ بالمحافظة على حياة الملك الطفل فيصل الثَّاني) (بصري، أعلام السياسة بالعراق الحديث، ص 110-111).

يؤكد لنا مشهد مدينة الكاظمية، دار آل الخالصي القديمة، الواقعة على الضفة اليمنى من نهر دجلة، وتقابلها على اليسرى منه مدينة الأعظمية، حيث مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان، أنها مدينة موازية لبقية مدن المرجعيات الدِّينية. وترى الخلافات في داخلها ليست أقل من بقية المدن الدِّينية الأُخر، ومما يذكره شهود عيان، من أهل الكاظمية والمترددين عليها، وما يثبته السَّيد محمد مهدي الحكيم في مذكراته[763]، أن الأمر تفاقم بين آل الصَّدر وآل الخالصي، في صيف 1965، فترة التحضير لامتحانات البكالوريا من ذلك العام، وحدث، في حياة السَّيد إسماعيل الصَّدر والشَّيخ الخالصي الحفيد، بين أتباع الطرفين صِدام عنيف، وكان هجوم قاده جماعة الخالصي على المسجد الذي يُصلي فيه إسماعيل الصَّدر (الأخ الأكبر لمحمد باقر الصَّدر)، وكتبوا عليه أنه (مسجد ضرار)[764]، فلجأ الصَّدر إلى النَّجف.

ولما حلت مناسبة عاشوراء من ذلك العام جاء مهدي الحكيم ومرتضى العسكري وعارف البصري لافتتاح المسجد، وهو مسجد

---

763 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 68.

764 وردت في شأن هذا المسجد الآية التالية وآيات أُخر تبعتها: (وَالَّذينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (سورة التوبة، الآية: 107).وروي أن جماعة أتوا الرَّسول، وهو يتجهز إلى غزوة تبوك، ببلدة تدعى أوان، فطلبوا منه الصلاة بمسجدهم، فهم شيدوه (لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية). وكان الرَّسول قد أملهم في الصلاة بعد إيابه من السفر، لكن ورده خبر آخر، ليس فيه صالح، وأن هؤلاء الجماعة أرادوا الشقاق، فأمر بحرقه وإزالته، فنزلت فيهم الآيات(الطبري، تاريخ الأمم والملوك 2 ص 574).

الهاشمي خارج الصحن، لكن جماعة هاجمت موكب العزاء، الذي فيه الشَّيخ البصري داخل الصحن، وحصلت معركة[765].

أخبرني شهود عيان من سكنة الكاظمية: علا صوت الرصاص في محيط الحضرة الكاظمية، بعد صلاة الجمعة، وأُعلن حَظر التجوال بالمدينة من قِبل الدَّولة، وأتباع الخالصية المسلحون حاضرون بالكاظمية، وقد استنجد آل الصَّدر بجماعات من العشائر المحيطة، من آل تميم، وهم على ما يبدو من القريبين من آل الصَّدر نسباً، ومن المقلِّدين لمرجعية السَّيد محسن الحكيم، حتى أخذ رجال آل تميم وهم منقبون مواقعهم خلف الأعمدة بأسلحتهم.

ومن جانبه يقص السَّيد عامر الحلو الحدث، في سياق سرده لذكرياته مع السَّيد إسماعيل الصَّدر، مشيراً إلى ما حصل بين آل الصَّدر وآل الخالصي، وأن السَّيد إسماعيل ابتعد عن الكاظمية ومسجده الهاشمي، وأقام بالنَّجف قسراً لا رغبةً، وأن وفود عشائرية أخذت تتقاطر عليه تأييداً له واستنكاراً لمضايقته بالكاظمية[766].

غير أن تفاصيل أكثر أتت من شاهد عيان وهو حازم السهيل، عند تعقيبه على إشارة الحلو، أنه في محرم 1966، رغبت إحدى الجماعات الدِّينية في السيطرة على الكاظمية كمنطقة نفوذ لها

---

765 الحكيم، من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم، ص 69.

766 السيد عامر الحلو، ذكرياتي مع آية الله السَّيد إسماعيل الصَّدر، جريدة المنبر، العدد 51 والمؤرخ: نيسان 1999.

وحدها، وأن إسماعيل الصَّدر كان منافساً في هذا النفوذ، بما له من صلات طيبة مع النَّاس، وبما خلفه من قوة قبائلية ممثلة بقبيلة بني تميم، ورئيسها آنذاك الشَّيخ محمد باقر السهيل، ولما حاولت الجماعة الدِّينية المذكورة السيطرة التَّامة على الكاظمية، إثرها بعث الشَّيخ السهيل ولده وابن أخيه إلى المسجد الهاشمي لحمايته، خوفاً من الاعتداء عليه أو اقتحام المسجد من قبل جماعة الشَّيخ الخالصي.

كان ذلك في بداية عهد عبد الرحمن عارف، وليس في عهد أخيه عبد السلام، وبينما كان بنو تميم وأهالي من الكاظمية، جالسين في المسجد الهاشمي حول المجلس الحسيني، ورد الخبر أن جماعة الشَّيخ الخالصي قادمة، فترك جماعة الصَّدر المسجد وهبوا لملاقاتهم، وحصلت المواجهة المسلحة بالكاظمية بين ساحة الزهراء وساحة باب القبلة، ويومها غادر الصَّدر إلى النَّجف، بعداً من الفتنة، على حد قول المعقب، وكانت حصيلة المواجهة مقتل ثلاثة من جماعة الخالصي وجرح آخرين، من دون أي إصابة في الجانب الآخر، وبعدها تدخلت السلطات وأحيل الشَّيخ خميس السهيل وابن عمه الشَّيخ أحمد السهيل إلى المحكمة وحُكم عليهما بالسجن المؤبد[767].

كل الروايات لم تلفت إلى دور محافظ (متصرف) بغداد السَّيد تقي القزويني، الذي وصل إلى الكاظمية وطوق الحادث مع

767 حازم السهيل، تعقيب على مقالة الحلو، جريدة المنبر، العدد 51 المؤرخ: أيار 1999.

قوة من الشرطة قادها بنفسه، فحجز بين الطرفين، ورد أصحاب الخالصي المسلحين وأنهى القضية، التي كادت تتوسع، حيث أعلن حينها بيان منع التجول بالكاظمية[768]. والسَّيد القزويني شخصية شيعية وطنية معتدلة، وظل محافظاً لبغداد حتى انقلاب 17 تموز 1968، بعد أن تولى منصبه العام 1964 بأمر من رئيس الجمهورية عبد السلام عارف[769]. وكذلك تم تعيين، بأمر مِنْ عبد السَّلام نفسه، أربعة متصرفين (محافظين) مِنْ الشّيعة، وهم: العميد عبد الرَّزاق الأسود بالحلة، والعميد عبد المجيد سعيد بالدّيوانية، وسلطان أمين بالنَّاصرية، وكاظم الرَّواف بكربلاء[770]. وهي إشارة إلى أن هناك مبالغة في طائفية عبد السلام نفسه، فربما لديه هذا الحس ولكن ليس بالحد الذي شاع عنه. ومعلوم أن منصب محافظ بغداد منصب خطير في الدَّولة العراقية، وكيف إذا أضفنا إلى أن مرافق عبد السَّلام، عبد الله مجيد[771]، قتل معه في حادث الطائرة (نيسان 1966) كان شيعياً أيضاً.

إلا أنه كالعادة لم تُعلن مثل هذه الأمور على الجمهور، ولا بد أن الأمر أثارته توجهات الجماعة الخالصية في اختلافها عن بقية المرجعيات في أمر صلاة الجمعة، أو محاولة الخروج مما يعتقده

---

768 المصدر نفسه.

769 لقاء مع نجله المحامي السَّيد عدي القزويني، دبي 30 تشرين الأول (أكتوبر) 2010.

770 العقيلي، بريطانيا ولعبة السُلطة في العراق، ص 317.

771 الحكيم، من مذكرات محمد مهدي الحكيم، ص 67.

الآخرون أنه من ثوابت التَّشيع. ومعلوم أنه في تلك الفترة كان التقارب على أشده بين المرجعية الخالصية والسُّلطة برئاسة عبد السلام عارف، بينما كان الموقف مع الشِّيعة بشكل عام متأزماً إلى حد ما.

الفصل العاشر

جماعة البَغدادي

جماعة البغدادي نسبة إلى السَّيد أحمد الحسني البغدادي.

ويذُكر أن آل البغدادي ساهموا في المعارك ضد الإنكليز عند احتلال البصرة (1914)، فحسب ما لاحظته في الموقع الرَّسمي[772] لحفيد الأسرة السَّيد أحمد، وكتاب حميد المطبعي (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين)، مِنْ أن جده السَّيد صادق الحسني البغدادي(ت 1918) كان في جبهة (الشَّعيبة) مجاهداً، كقائد قطاع، ثم ذُكر أن والده السَّيد محمد الحسني البغدادي (ت 1973) (حارب الإنكليز في البصرة سنة 1914)[773]. جاء في سيرة الجد محمد البغدادي في مصدر آخر: (فقيه أُصولي، ومِنْ مراجع التَّقليد والفتيا، وتخرج في النَّجف وتصدى للتدريس وإقامة الجماعة في الصَّحن الحيدري،

---

772 أنظر: جهاد البغدادي http://www.alsaed-albaghdadi.com/. والمطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين 2 ص 111. ولعل معلومات المطبعي وردت مِنْ السيد البغدادي نفسه، ليس مِنْ مصدر آخر.

773 أنظر: المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين 3 ص 220. لكن، على حد إطلاعي على الكتب التي أرخت للجهاد بالبصرة، ثم ثورة العشرين(حزيران 1920) لم تذكر شيئاً عن دور هذه الأُسرة في تلك المعارك والمواجهات، مثل علي الوردي(ت 1995) لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، وقد غطى تفاصيل ذلك الجهاد، وعبد الله فياض الثورة العراقية الكبرى 1920، وحسن الأسدي، ثورة النَّجف، وغيرها مِنْ تواريخ ومذكرات.

وتوفى سنة 1394 هـ، وكانت لديه مكتبة بالمخطوطات، وضعت عنها دراسة مفصلة، طُبعت عام 1383 هـ)[774].

لهذا نقول: لعلَّ أول شخص برز كمرجع ديني من أسرة البغدادي هو والد السَّيد أحمد محمد الحسني البغدادي، وقد تردد اسمه ضمن مَنْ أصدروا فتاوى ضد (المد الشّيوعي)[775]، حسب تسمية القوى الدّينية والقومية لقوى اليَّسار آنذاك، وكان بأثر فتوى آية الله السَّيد محسن الحكيم(ت 1970). جاء فيها: (الشّيوعية صريحة الإلحاد في كتبهم المنشورة، وسائر كلماتهم الشائعة، التي لا يمكن تأويلها، ويكفي ذلك هجر اسم الجلالة، وتعَقيب مَنْ نطق به بأنواع من الأذى، حتى أنهم بهذا المبدأ قد قضوا على عباد الله في أديانهم، بل حجزوا عليهم جميع ما يعود إليهم، وللقضاء عليهم خدائع كثيرة، قد أشرنا إلى جملة منها...)[776].

---

774 الغروي، مع علماء النَّجف الأشرف 2 ص 351.

775 رؤوف، العمل الإسلامي بالعراق، ص 35 عن مجلة صوت المبلغين العدد: 1382 عن كتاب جهاد البغدادي، قسم الملاحق.

776 كنت مِن قبل ذكرت واهماً أن مدرسة البغدادي بالنَّجف، والتي أنشأها الثري العراقي عبد العزيز البغدادي(ت 1964) لها صلة بأسرة آل البغدادية النَّجفية الدّينية، وقد نبهني مشكوراً، إلى ذلك الخطأ، غير المقصود، الأديب محمد رضا القاموسي النَّجفي. وكنت ذكرت أن تلك المدرسة ارتبطت بحدث له أهمية في الوقف الشّيعي لا بأس مِن ذكره، وهي التي افتتحت بحفلة حضرها السَّيد محسن الحكيم (ت 1970)، كما حضرتها وفود من أنحاء العراق (الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النَّجف 2 ص 166). وقد ذكر مسؤول التشريفات الملكية ووزير المالية في العهد الملكي عبد الكريم الأُزري(ت 2010) أن تلك المدرسة كانت سبباً في تعديل قانون ضريبة التركات والمواريث (157 لسنة 1959) بالتعديل (رقم 130 لسنة 1964) وما سببه التعديل من حيف كان ضد تحركات الحوزة الدّينية بالنَّجف(الأزري، مشكلة الحكم بالعراق، ص 34).

كانت فتوى البغدادي عبارة عن نص طويل فيه دعوة للمسلمين والحكومات أن يقاوموا الشّيوعية، ليست فتوى تكفير فحسب، وإنما هي فتوى جهاد وبيان حماسي يلهب المشاعر، ويحرض على المعارك الدامية بين الأحزاب السياسة، أو بين فئات المجتمع العراقي! مما لاشك فيه أن المراجع الدّينية ليست على احتكاك مباشر بالنَّاس، بل من تقاليدها العزلة والاتصال عبر الحُجاب، وهم عادة من الأبناء والوكلاء، وتسمع من المقربين، وهؤلاء بطبيعة الحال لهم ميولهم وأغراضهم السّياسية أو الاجتماعية ونوازعهم الشَّخصية، وأمزجتهم ضد هذا، ومع ذاك. وهنا نتوقف عند عبارة (هجر اسم الجلالة)، الذي اعتبره البغدادي كفراً، ومفردة الهجر تعني في البيانات والكتب والرسائل أو العبادة بمعناها العام ما يستوجب الكفر.

من المبالغة حقاً، وما لا يليق بمرجع ديني، أن يأتي في فتواه ما هو غير صحيح أو دقيق، فتعقيب مَنْ نطق باسم الجلالة لم يحصل وبهذا المعنى، حتى تكفر عليه فئة سياسية بكاملها. بل إن هناك رجال دين تعاملوا مع الحزب الشّيوعي العراقي، من السُّنَّة والشّيعة، من آل الأعظمي وآل كاشف الغطاء، وآل الماشطة[777]، وغيرهم من الأُسر الدّينية، وكانوا يستهلون رسائلهم وخطاباتهم بالبسملة عادةً.

---

777 من شيوخ الدّين الذين أثاروا الجدل حولهم، حيث أيد اليسار، ودخل عضواً في مجلس السلم العالمي، ونال أرفع أوسمته، واقترن اسمه بحركة السلم العراقية، حتى أتهم بأنه عضو في الحزب الشّيوعي العراقي (راجع الناجي، الشّيخ عبد الكريم الماشطة أحد رواد التنوير بالعراق، الحلة 2006)!

ولا يُقال عن تلك الفتوى، أو فتوى القتل التي أصدرها رجال الدِّين ضد الشّيوعيين وأنصارهم في تموز(يوليو) 1963، أكثر من أنها فتاوى سياسية! حسب وصف الشَّيخ طه جابر العلواني لها[778]، مبنية على الخلاف الحزبي المرحلي بين التيار القومي والتيار اليساري. بينما المفروض أن المرجعية تمثل الثوابت الدِّينية، وتتعالى لمهماتها المقدسة على مثل تلك الصغائر. ومثل هؤلاء، بالنسبة لثوابتها وعقيدتها وتمثيلها للضمير الجماعي، مثل (الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)[779]، وما حدث بين الأحزاب آنذاك كان بالنسبة لما تمثله المرجعية الدِّينية من الثوابت هو اللغو بعينه.

تلك مجرد خلفية مختصرة عن آل البغدادي، أما الحفيد أحمد الحسني البغدادي فهو ما زال يتحرك في ظل تلك الشهرة، ومجد ثورة العشرين، وشأنه في هذا الأمر، كما يبدو، شأن آل الخالصي من الشِّيعة وآل الضاري من أهل السُّنَّة. وإذا حسبنا تحرك الأولاد أو الأحفاد، من تلك الأُسر، فلا نراه يتعدى ميراثاً أُسرياً، والاستمرارية على المواقف نفسها، في ما يتعلق بثورة العشرين في الأقل! وكأن الزمن توقف عند ذلك الحدث!

بدأ البغدادي الحفيد نشاطه السِّياسي والفكري، حسب روايته عبر لقاء متلفز، في الإطلاع على أدبيات الإخوان المسلمين،

---

778 العلواني، لا إكراه في الدِّين، ص 21.

779 سورة الفرقان، الآية: 72.

وحزب التحرير، وانخرط في (حركة الشباب المسلم) الشِّيعية، المار ذكرها، وبالتحديد العام 1963، تلك التي أسسها الشَّيخ عزَّ الدِّين الجزائري (ت 2005)، متأثراً بدعوتها إلى تحقيق مجتمع إسلامي، وقيام دولة إسلامية، وظل لفترة تحت الاختبار والتوجيه قبل أن يصبح عضواً عاملاً فيها.

حينها اقترح على الحركة تبنِّى (نشاطات رياضية وسفرات ترفيهية، ولكن بحدودها الدِّينية، وأن يكون الاتصال مع الشخص الجديد الانتماء مجرد صداقة لمدة عام[780]. وكانت تربطه صلة أُسرية بمؤسس الحركة الجزائري حيث كان متزوجاً من حفيدة الشَّيخ عبد الكريم الجزائري، وابنة أخت الشَّيخ عزَّ الدِّين.

اعتمر البغدادي الحفيد العِمامة العام 1965، وختم كتابيَّ: (المكاسب) للشيخ مرتضى بن محمد الديزفولي الأنصاري (ت 1864)، و(الكفاية) للشيخ محمد كاظم الخراساني (ت 1911). أما ثقافته فتراها متعددة، وربما خالف فيها موقف جده البغدادي وفتواه، ضد اليسار إلى قراءة الفكر الماركسي، مثل: (البيان الشِّيوعي) نفسه، فمؤلفات لينين، ومؤلفات ماوتسي تونغ ذات الثورية الصارخة.

قال البغدادي مبرراً القصد من قراءة التراث الماركسي: (حتى أني عندما أناقش اليساريين، الذين ينظرون إلى عالم الدِّين

---

780 البغدادي، السُّلطة والمؤسسة الدِّينية الشِّيعية بالعراق، ص 6-7.

بأنه رجعي ومتخلف، حول الاستضعاف والاستكبار والاستحمار (هكذا وردت)، وخطورة الطواغيت الاقتصاديين، والإقطاعيين، والجواسيس المحليين والعالميين، وأدافع عن مكتسبات العمال والفلاحين، وفي أثناء حديثي أستشهد بمقولات هؤلاء القادة والمفكرين، فأرى البعض من المقدسين مَنْ لا يستسيغ مني هذه الاستشهادات، أو هذه المصطلحات من أفكارهم بوصفي عالم دين)[781].

ويبدو أن قراءة الكتب الماركسية، وهي حالة تراها نادرة بين علماء الدِّين حيث أفتوا بقتل وتكفير الأحزاب الشُّيوعية، ولعلهم لم يقرأوا حرفاً من كتبهم، نقلت البغدادي، مع البقاء على الالتزام الدِّيني، باطناً وظاهراً، إلى قراءة ما هو أخطر منها ضد الدِّين، وبما لا يقل عن لزوميات أبي العلاء المعري (ت 449هـ 1057) تمرداً وإثارة، ألا وهي مؤلفات الكاتب السعودي الضرير عبد الله القصيمي (ت 1997) مثل كتابه: (العالم ليس عقلاً)! وكذلك قرأ كتاب (الأمير) لمكيافيلي (ت 1527) وغيرها.

أكثر من هذا أراه كان متأثراً كثيراً بالفكر والتنظيم الماركسيين، من دون تبنيه عقيدةً، حتى يبدو وكأنه سبق أن أنضم إلى تنظيمات يسارية، أو أنه سمع وقرأ كثيراً حولها، وخَبرَ طرق أدائها وتحركها، فراقه السير على نهجها، ولكن إسلامياً لا ماركسياً. فإضافة

---

781 القرشي، هكذا تكلم البغدادي، ص 244، عن لقاء متلفز في 15 حزيران (يونيو) 2003.

إلى اقتراحه في أن يمر الشخص المنتمي حديثاً لحركة الشباب المسلم بطور صداقة لمدة عام، وهذا ما لدى التنظيمات اليسارية تماماً، وعلى خطى الماركسية أن المجتمع المثالي لديه هو (المجتمع اللاطبقي)[782]. واستخدام عبارات ثورية يسارية بامتياز مثل (الكادر الثوري الملتزم) وغيرها من العبارات.

وفي المجال السياسي، حسب ذاكرته، أسس البغدادي، وهو داخل العراق في التسعينيات من القرن المنصرم، تنظيماً سماه (حركة الإسلاميين الأحرار). قال: (قد أسست حركة إسلامية ثورية وحديثة بواقعها الجديد، وتسميتها الجديدة. تأسست مباشرة بعد إجهاض الانتفاضة الشعبانية العام 1991، وأعلنت عن نفسها في ليلة الخامس عشر من شعبان العام 1994... وهجم رجال الأمن على منزلي ومكتبي لإلقاء القبض عليَّ بسبب إيوائي مقاتلي الأهوار، والتنسيق مع مجاميع أفواج الرفض، والمقاومة لحركة الإسلاميين الأحرار)[783].

ومن المعلوم، أن يوم 15 شعبان هو ذكرى مولد الإمام المهدي المنتظر (255 هـ 868 ميلادية)، وواحدة من مناسبات الزيارة الكبرى إلى كربلاء، حيث ضريح الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد شاع اسمها بالزيارة الشعبانية، حتى كأنها توحي بأنها خطوة لظهور المهدي، حيث مناسبة ولادته، وبمثابة تحشيد، في كل عام، لمبايعته.

---

782 البغدادي، السُّلطة والمؤسسة الدِّينية الشِّيعية بالعراق، ص 15.

783 المصدر نفسه، ص 44 عن مجلة (فيض الكوثر) 1-15 تموز (يوليو) 2003.

جعل البغدادي نفسه المرشد الروحي للحركة، وأنها هي التي فجرت مخازن الحلة العسكرية بنجاح، وحدد البغدادي الحدث في (10 آذار/مارس 1998)[784]. وقبلها حصل تفجيران قريباً من الحلة، حيث يوجد معسكر خاص بصناعة المتفجرات، وحينها اتهمت السُّلطة العراقية حزب الدعوة الإسلامية، إلا أن الأمر حسب ما أخبرني به أحد العاملين هناك من ضباط الاحتياط، التقيته ببيروت (شباط/ فبراير 2008) بأن ما حصل في الأولى كان لأسباب فنية، وله علاقة بما كان يأمر به حسين كامل (قُتل 1996)، وزير التصنيع العسكري، وصهر صدام حسين، من أوامر بلا دراية وخبرة.

ولا يفوت البغدادي أن يذكر مطالبته من قِبل آخرين التصدي للمرجعية بعد وفاة أبي القاسم الخوئي(ت 1992) (إلا أنه رفض ذلك أسوة بالسلف الصالح)! وأنه خرج من العراق سيراً على الأقدام عبر الأهوار، والتقى بمرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي. لكنه لم ينسجم مع المعارضة الإسلامية العراقية. وأفاد، بعد عودته إلى العراق، إثر الغزو الأمريكي، أنه دافع، وهو بإيران، عن محمد محمد صادق الصَّدر، وغمز من قناة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وآل الحكيم، حيث تجدد خلافهم مع آل الصَّدر بعد سقوط النظام.

قال: (صرحت في المهجر، وبخاصة عندما كنت في قُمَّ المقدسة، وبحضور مجاهدي الأهوار: كل مَنْ ظلم السَّيد الصَّدر: إما

---

784 البغدادي، السُّلطة والمؤسسة الدِّينية الشِّيعية بالعراق، ص 14.

جاهلاً وإما ظالماً وإما جاسوساً للمخابرات المحلية والعالمية. وعندما نشرت هذه المقولة في الصحافة العربية والإسلامية استنكرها بعض رموز المعارضة ... وألقى محاضرة أتهم فيها السَّيد الشهيد بأنه حكومي)[785]. وتعني مفردة الحكومي أنه متعامل مع السُّلطة السَّابقة!

وبعد ما قاله حول هروبه بسبب تأسيسه لـ (حركة الإسلاميين الأحرار)، وإثر عملية تفجير مخازن الحلة العسكرية، عاد يتهم المرجعية الدِّينية بالنَّجف ببثها معلومة خطيرة حوله، مفادها بأنه ألف كتاباً ضد النظام السابق تحت عنوان (الطاغوت يحكم)، إلا أنه هرب قبل أن يصل الأمن الخاص للقبض عليه[786]. وتراه، في لقاءاته الصحفية بعد سقوط النظام، يقف ضد المرجعية بالنَّجف وضد المعارضة، القادمة من خارج العراق. نعت الأولى بالدكتاتورية الحوزوية الانهزامية، وأشار إلى الثَّانية بأنها تاجرت بالشعب العراقي، بالداخل والخارج، وأنها نسقت مع الدول الإقليمية الرجعية منها والتقدمية، على حد عبارته، وكسب أحزابها الملايين (من الدولارات الصفراء)[787]، على حد عبارته أيضاً.

وتراه يشبه في خصوماته السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر مع المرجعية الدِّينية بالنَّجف، وينادى بلقب القائد أيضاً مثلما يُعامل

---

785 القرشي، هكذا تكلم البغدادي، ص 48 عن لقاء معه في مجلة (عالم المعرفة).

786 المصدر نفسه.

787 المصدر نفسه، ص 49.

الصَّدر وولده مقتدى مِنْ قِبل الأتباع. ويرجع خلافه مع مرجعية أبي القاسم الخوئي إلى سنوات مبكرة، أي إلى بداية الثمانينيات، من القرن الماضي. قال: (كنا نواجه عتاباً هادئاً عندما قُتل الشهيد الخالد محمد باقر الصَّدر، فإن المرجع في ذلك الوقت التعيس لم يدافع عنه بسبب الأخذ بالتقية اللاشرعية[788]. لذا أقول: إن الأخذ بالتَّقية، التي تُفضي إلى نسف معالم أُصول الدِّين من أكبر المحرمات الشرعية. هذه مسألة بديهية لا تحتاج إلى تفسير أو دليل، فلا يخدعكم رجل دين دجال أو حزبي ضيق)[789]. وواضح أنه ليس على وئام مع مرجعية السَّيد علي السِّيستاني، فكيفي النَّظر في ندوة أقامها النَّاطق الرَّسمي باسمه، سيأتي ذكرها، علماً بذلك الخلاف أو تلك العداوة.

لكن الدفاع علانية، من قِبل أوساط المرجعية الدِّينية، عن السَّيد محمد باقر الصَّدر، أو غيره من الذين صرحوا بمواجهة النِّظام السابق لا يعني سوى الهلاك للمرجعية ومَنْ يناصرها، فهو نظام كاسر، منفلت العقال بقسوته، ولا تبدو التقية واجبة إلا في تلك الأيام. وإذا صح ما أدلى به السَّيد البغدادي، وما كان يعلنه ويمارسه

---

788 وردت عدة أحاديث، عن الإمام جعفر الصادق (ت 148هـ 765 ميلادية)، تؤكد مبدأ التقية لدى الشِّيعة، وفي كتب الأُصول، مثل الأصول من الكافي: (إن التقية جُنة المؤمن) (الكليني، الأصول من الكافي 2، ص 220، باب التقية، وفيه 23 حديثاً). و(إن تسعة أعشار الدِّين في التقية، ولا دين لمَنْ لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في التنبيذ والمسح على الخفين) (المصدر نفسه 2 ص217). وأهم من هذا الحديث يُنقل عن الإمام الصادق أيضاً: (التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمَنْ لا تقية له) (المصدر نفسه 2 ص 222).

789 القرشي، هكذا تكلم البغدادي، ص 178.

ضد السُّلطة وضد المرجعية في آن واحد، ومنذ ذلك التَّاريخ، فكيف كان له الاستمرار في العيش داخل العراق بعد قتل محمد باقر الصَّدر، ولسنوات طويلة! وهل ترك العمل بالتقية، وأعلن صراحة موقفه من السُّلطة؟!

يحدد البغدادي التقية بفروع الدِّين لا بأُصوله: (أن نُصلي بصلاة أهل السُّنَّة والجماعة، وأن نحجّ بحجهم، ونجاهد بجهادهم ضد الهجمات الخارجية، هذا إذا كانت هناك ضغوط طاغوتية ضدنا... أما الأخذ في التقية في أُصول الدِّين فلا يسوغ ذلك إطلاقاً عند كافة المذاهب الإسلامية المختلفة إذا كان الدِّين في خطر)[790]. وحسب هذا المنطق فلا بد أن يعذر البغدادي مَنْ حارب إيران إلى جانب الجيش العراقي كونه عدواناً خارجياً!

استفاد البغدادي من الوضع الجديد بعد التاسع من نيسان(أبريل) 2003، مثل غيره من السائرين في العملية السِّياسية أو المعارضين لها، ومن أعداء أمريكا وأصدقائها على حد سواء، وأخذ يخطب من على منابر مدينة الثورة، ويسميها (مدينة الصَّدر المنورة) بالتنسيق مع التيار الصَّدري، من دون إغفال أو نسيان ما قرأه أو تأثر به من قراءاته الأولى في الماركسية.

790 المصدر نفسه، ص 177.

قال: (هذه المدينة مستهدفة من قِبل الرتل الخامس، والقوى الرجعية المضادة بوصفها مدينة العمال والفلاحين والمحرومين). ومما لاشك فيه أن الهتاف بروح طبقية هو شأن ماركسي بامتياز! لكن، ليس من الحق احتكاره، ولربما استعاض عنه الإسلاميون بالمظلومين أو الضعفاء والمحرومين. وبالمقابل وظفت حركات ثورية عديدة الآية التالية لصالحها، مثلما ظهر ذلك بين الحركات الثورية الماركسية باليمن الشمالي مثلاً: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[791].

وكبقية رجال الدِّين المسيسين يرى البغدادي، وهو يخطب من مدينة الثورة، حيث معقل الصَّدريين أن (السياسة هي الدِّين والدِّين هو السياسة. كل مَنْ يزعم أن الدِّين ليس له علاقة بالسياسة هو فاسق بإجماع الأئمة، علماء الإسلام سُنَّة وشيعة سواء بسواء). وهي إشارة واضحة إلى المراجع الدِّينية، يرون هذا الفصل بين الدِّين والسياسة. وعلى طريقة ما كان توصف به خطابات القادة، ومنهم صدام حسين، أخذ أتباع البغدادي، وهم قلة، يصفون خطابه بالتَّاريخي.

دعا البغدادي إلى جبهة وطنية عريضة، غير أنه يضعها تحت تسمية إسلامية، مع أنها تحوي في داخلها كفاراً وملحدين وفسَّاقاً، حسب وصفه للقوى التي ترى الفصل بين الدِّين والسياسة. قال: (يجب

791 سورة القصص، الآية: 5.

أن نتعاون مع أي جهة، مع أي فئة، ومع أي حزب، حتى لو كان فاسقاً، بل حتى لو كان كافراً، بل حتى لو كان ملحداً، بمجرد أن يحاول هذا الحزب أو تلك الفئة التّنسيق والتّعاون معنا، يجب علينا أن نقيم الجبهة الوطنية الإسلامية)[792]. أجد في هذه الدعوة المفتوحة والآتية شيئاً من استلهام دعوة إخوان الصفا وخلان الوفا إلى الليبرالية مبكراً، إن كان قد أطلع على مضمون رسالتهم في (العِشرة)[793]، لكن في إطار سياسي لا فكري.

والسؤال: كيف يمكن تكوين جبهة مع مَنْ وصفهم بتلك الأوصاف، التي تخرج أصحابها من الإسلام والدّين عامة، وهو يريدها جبهة ثم دولة إسلامية؟! إلا أن لتلك القوى، التي يدعوها البغدادي لمشاركته الجبهة الوطنية، تجربتها مع آية الله الخميني، وقد أتى به مثالاً في خطابه عندما تعاون في بداية الثورة مع الحزب الشّيوعي الإيراني والقوى الليبرالية واليسارية، ثم أنقلب عليها، وقسا ضدها، وتنكر لفعلها البالغ في قيام الثورة، بل ظهر عليها مستبداً! هل هو هذا النموذج الذي يدعو إليه البغدادي! أم دعوة إلى الشراكة في القرار بعيداً من الإصرار على تحقيق الأهداف، تحت مبرر الغاية تبرر الوسيلة! والسَّيد البغدادي حسب ما تقدم في سيرته أنه قرأ كتاب مكيافيلي (الأمير)!

---

792 القرشي، هكذا تكلم البغدادي، ص 202.

793 إخوان الصفا، عِشرة إخوان الصفا، الرسائل 4، ص 124. سبق وتم الاستشهاد بقولهم في محله من الكتاب.

بعد (حركة الإسلاميين الأحرار)، التي ليس لها ذلك الفعل المؤثر، وإن وجدت فلا تتعدى الأفراد في زمن المعارضة العراقية ضد النِّظام السَّابق، أخذ البغدادي، في ما بعد، المشاركة مع الجهات التي وقفت ضد سقوط النظام، وأعلنت نفسها على أنها مقاومة. حيث شارك في (المؤتمر التَّأسيسي العراقي الوطني) المنعقد ببيروت إلى جانب (هيأة علماء المسلمين)، وأخذ يستشهد ببطولات ثورة العشرين، وهزيمة الجيوش الجرارة، على حد عبارته، من دون تمحيص للوقائع.

ثم الإعلان عن (حركة الإسلاميين المرابطين بالعراق)! وكم يوحي هذا العنوان بالاعتراف بالمقاتلين العرب والأجانب، وأن العراق ثغر من ثغور الدَّولة الإسلامية، يرابط على أرضه المقاتلون أو حماة الثغور. ولا عيب في استلهام الماضي والفخر بما فعله الأجداد، على طريقة البغدادي والخالصي والضاري، لكن، الزمن مختلف، والمواقف قد تبدلت، والعواطف التي كانت مع ثورة العشرين ليست نفسها الآن.

وعلى المستوى السِّياسي- الدِّيني، وجعل نفسه مرشداً لحركة الإسلاميين الأحرار، يؤمن البغدادي بأطروحة (ولاية الفقيه)، فهو القائل: (أنا أعتقد من وجهة نظر فقهية بولاية الفقيه المنطلقة بوصفها أطروحة سياسية لقيادة العالم، مع مراعاة ثلاثة أوجه: مَنْ هو الفقيه؟! أن يتقدم الفقيه في الجهاد، أن لا تصادر ولاية الفقيه رأي الأمة وإلغاء حقوقها).

وهنا يثور السؤال أيضاً: كيف يكون الفقيه نائباً للإمام المنتظر، ومطلق الولاية ولا يصادر رأي الأمة ويلغي حقوقها الانتخابية؟! وحكم نائب الإمام، الولي، ورأيه من رأي الإمام المعصوم! وما زالت التجربة الإيرانية ماثلة، وولاية الخميني المطلقة، وما أسفرت عنه من إلغاء الأحزاب، وكل ما هو غير إسلامي، بل كل ما هو معارض للنظام من رجال الدِّين أنفسهم.

ولا يغيب عن البال ما حصل للشَّيخ آية الله حسين منتظري (ت 2009)، وهو الشَّخصية الفعالة في الثورة، ومن أبرز مفجريها، حتى خُص بمنصب نائب الخميني وخليفته المفترض، وهو صاحب موسوعة (ولاية الفقيه) المكرسة لنظرية ما بعد الثورة، حتى بدا كأنه صاحبها، ثم تخلى عنها بعد اصطدامها بالواقع، وثبوت عدم جدواها، ومن حياة الخميني ومازال تحت الإقامة الجبرية.

كما عُزل السَّيد آية الله محمد كاظم الشريعتمداري (ت 1985)، وكان الأخير من الفاعلين في مؤسسات الإرشاد والتبليغ داخل إيران وخارجها، ومن المراجع الكبار، الذين يُشار إليهم بالبنان داخل الطَّائفة، إلا أنه، بعد الثورة، ظل قيد الإقامة الإجبارية حتى يوم وفاته[794]!

794 الغروي، مع علماء النَّجف 2 ص 571.

فإذا كان علماء الدِّين لا يعتقون من عذاب تلك الثورة فكيف بأصحاب الرأي المخالف من سواد النَّاس! والحال تنطبق على بني صدر، أول رئيس جمهورية، وجماعة مجاهدي خلق، الذين اختلفوا مع الثورة، وهم إحدى قواها الفعالة، فأخذوا طريق الحرب عليها بعد أن كاد رئيسها رجوي أن يكون رئيساً للجمهورية، وبعدم ممانعة من آية الله الخميني نفسه.

عندما سُئل السَّيد البغدادي عن المقاومة، وما حدث من إرهاب ضد عناصر الشرطة العراقية، بعد سقوط النظام، أجاب بما كان يُجيب به أبو مصعب الزَّرقاوي وقادة القاعدة: (من الناحية الشرعية يجوز قتلهم من جهة، ولا يجوز قتلهم من جهة أخرى)! يقتلون إذا تعاونوا مع الأمريكان، وبصراحة لا يمكن التمييز إذا كانت الحكومة العراقية بكاملها تنسق سياسياً وعسكرياً مع الأمريكان، كواقع حال!

وتراه، وبتعالٍ على الواقع والابتعاد عن الخطاب الهادئ البنَّاء، والسِّياسي الناقد، يصف مجلس الحكم، في مقابلة مع جريدة التيار الصَّدري (الحوزة الناطقة)، التي أغلقها بول بريمر لتشجيعها على العنف، بالقول: (مخبأ يندس وراءه اللصوص والقتلة وكل الملوثين والمخادعين والمتسللين)[795].

---

795 القرشي، هكذا تكلم البغدادي، ص 71 عن جريدة الحوزة.

ويأتي البغدادي بمثال الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ت 94هـ 712 ميلادية) ودعائه لأهل الثغور[796]، المعروف في الصحيفة السجادية، وما تمناه للجيش الأموي من حفظ وانتصار، على الرغم من أن هذا الجيش قتل أباه وعمومته وحارب جده علي بن أبي طالب من قبل، وأخذ يُسب ويشتم من على المنابر بظله، حتى أتى عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ 719 ميلادية) فألغى تلك السُّنَّة.

وما يريده البغدادي في هذا المثال هو شرعنة التَّعاون مع البعثيين السابقين، إذا اندفعوا ضد الأمريكان، وأتى أيضاً بأحاديث الرِّباط، التي رويت عن الإمام جعفر الصادق، وبقية الأئمة الداعين فيها إلى القتال مع جيش (الذين عزلوا الإمام علي عن قيادة البشرية). وربما لهذا الانفتاح قال صدام حسين، من زنزانته، وحسب ما أورد محاميه: (أما الإمام البغدادي فقد قلت لرفاقي إن البعثيين سينضمون إليه، لأنه كان لا يفرق بين فئات الشعب)[797].

يعرض البغدادي فكرته أو عقيدته في المهدي المنتظر في سياق إجابته على سؤال حول قول مقتدى الصَّدر: بأن أمريكا جاءت لوأد

---

796 نُذكر مرة أخرى بدعاء الإمام زين العابدين لأهل الثغور، وهم أفراد الجيش الأموي: (اللهم صلّ على محمد وآله، وحصن ثغور المسلمين بعزَّتك، وأيدّ حُماتها بقوتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك، اللهم صلي على محمد وآله، وكثر عدتهم، وأشحذ أسلحتهم، وأحرس حومتهم، وأمنع حومتهم، وألف جمعهم، ودبر أمرهم، وواتر بين ميرهم، وتوحد بكفاية مؤنهم، وأعضدهم بالنَّصر، وأعنهم بالصبر، وألطف لهم في المكرِ) (الصحيفة السجادية، الأدعية المروية، ص 244-264).

797 الدليمي، صدام حسين من الزنزانة الأمريكية، ص 304.

قضية الإمام المهدي! قال: (على كل فرد شيعي أن يفكر بالظُّهور، حتى لو كانت المساجد قائمة، والصلوات اليومية قائمة، وأداء فريضة الحج قائمة). فالمنقول في الروايات أن الإمام المهدي لا يظهر إلا بعد خلو الأرض من تلك الفرائض.

وقال أيضاً: (إن مصيبة الإمام المهدي أعظم من مصيبة الرَّسول الأعظم (ص)، لأنه يأخذ بالظاهر الإسلامي! فمَنْ قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله حقن ماله ودمه وعرضه. أما الإمام المنتظر(ع) فإنه يُحاسب النَّاس حساباً واقعياً. مثلاً: تأتي إليه العشائر، ويرفعون شعار: (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)[798]! فيقول الإمام: اقتلوا رئيس العشيرة بوصفه منافقاً، عندها تجد النَّاس يشتمون الإمام المنتظر، ويقولون: كيف هذا؟ ابن رسول الله يقتل أبناءنا وييتم أطفالنا)!

وهناك رواية تقول: (إن الإمام عندما يوجد على ظهر الكوفة، ويستقبله أربع مائة عالم دين يقولون له: يا ابن رسول الله ارجع من حيث أتيت فإن القرآن يكفينا! فيغضب الإمام فيقول: حاجج العرب جدي بالحجارة، هؤلاء يحاجوني بالقرآن! فيضع السَّيف على أعناقهم، ويقتلهم عن بكرة أبيهم، فيبدو أن هناك – وقت ظهوره الميمون- ظاهراً إسلامياً ومراجع وحوزات وأحزاباً إسلامية، ولكنها

---

798 سورة الإسراء، آية: 81.

على ما يبدو تؤمن بالإسلام الأمريكي)[799]. عبرت تلك الروايات عن وجهة نظر السَّيد البغدادي في معارضة أو مقاومة من نوع آخر، بينما عبر آخرون فيها عن وجهة نظرهم، بما سماه البغدادي بالإسلام الأمريكي، لبناء الوطن وإنقاذ الشعب مما هو فيه.

يعود البغدادي ويصف نفسه بالإسلامي التقدمي، ربما لانفتاحه المتقدم، أو مخالفته للمرجعية التَّقليدية، ولعلَّ في كتبه جوانب لا تنكر من التقدمية قياساً بآخرين. ومن كتبه: (السُّلطة والمؤسسة الدِّينية الشِّيعية في العراق)، و(الخطاب الآخر)، و(جهاد السَّيد البغدادي) جده، و(منشأ اختلاف الأمة). وقيل إنه نال درجة الاجتهاد بتأييد من جده محمد الحسني البغدادي (ت 1973)، والشَّيخ علي الغروي (قُتل 1998).

ويصفه البعض بأنه: (صعب الانقياد، فلا تستطيع حركة إسلامية أن تستقيم معه، ولا حوزة دينية أن تخالطه، إلا أن تؤمن برأيه وتدين بعقيدته)[800]. ولا ندري هل كان هذا الوصف معه أم ضده، لكن قد يعتبره إطراء لشخصه! وكم يتعارض هذا مع دعوته إلى (جبهة وطنية) تجمع الاتجاهات المتنافرة! وحسب بيان تضامني واستنكاري لهيأة علماء المسلمين أن منزل السَّيد البغدادي دوهم مِنْ

---

799 القرشي، هكذا تكلم البغدادي، ص 88.

800 المصدر نفسه، ص 42، عن مجلة (فيض الكوثر) 1 تشرين الأول (أكتوبر) 2003.

قبل قوات حكومية بالنَّجف، فالواضح أنه ليس على وئام مع الوضع الحالي[801].

وذكر أن المداهمة تكررت في 24 تشرين الأول (أكتوبر) 2008 حسب بيان وقعه عبد السَّلام السيد فيصل الحسيني، الذَّي وقع بصفة أمين عام تجمع أهالي بغداد[802]. ولعلَّ هناك مَن يربط بين هذه المداهمة ومحاضرة أقامها النَّاطع الرَّسمي باسم السَّيد أحمد البغدادي بضواحي دمشق، في 10 تشرين الأول (أكتوبر) 2008، تحت عنوان (مراجع وأموال) فصل فيها عن صرف المرجعية الدِّينية بالنَّجف الأموال خارج العراق، على أن بيان الامداهمة أشار إلى دور المرجعية والمجلس الأعلى الإسلامي فيه[803].

انصب الكلام على البغدادي الشَّخص لا البغدادي التَّنظيم، لأن حقيقة الأمر هو تحرك شخص أكثر منه تحرك تنظيم أو حزب، فلو رفعت اسم البغدادي من الحركة لم يبق لها حضور، وهي مشابهة للعديد من الحركات الدِّينية أو القومية، وحتى اليسارية، تلك التي لا تتجاوز شخص مؤسسها أو متزعمها.

إلى وقت قريب لا زال البغدادي صوتاً معارضاً، لكن ليس بالوزن المؤثر، الذي يتمكن به عن طريق العملية الانتخابية من كسب

---

801 الموقع الرَّسمي لهيأة علماء المسلمين، البيان رقم: 202 والمؤرخ في 28 كانون الأول (ديسمبر) 2005.

802 أنظر موقع البصرة المعروف بتوجهه ضد الوضع الحالي، على الرابط: http://www.albasrah.net/ar_articles_2008/1008/bagdadi_241008.htm..

803 أنظر النَّدوة على الموقع الرَّسمي للسيد البغدادي، على الرَّابط: http://www.alsaed-albaghdadi.com/all%20page/marajwaamual.html.

جمهور، كذلك لا يمتلك، ولا غيره، تلك القدرة التي تعيد أمجاد ثورة العشرين إلى العراق، وبهذا لا يعدو نشاطه أكثر من النشاط الإعلامي، والذي أخذ بالخفوت تدريجياً.

ختاماً، وحسب جماعة السَّيد البغدادي أن لهم ذراعاً عسكرية تحت عنوان (ألوية الشَّريعة الخاتمة)[804] المرتبطة بما عبروا عنه بـ (تيار المرجعية الإسلامية)، يرمز لها بـ (أُمة)، والمرجع بطبيعة الحال السَّيد أحمد البغدادي، الذَّي يصفه إعلامه بـ(صوت المستضعفين في العراق). وصدر باسم الألوية عدة بيانات تشير إلى عملياتها ضد الأمريكان، لكن ليس هناك في الإعلام الأمريكي أو العراقي ما يشير إلى تلك العمليات، أو إلى تلك الجماعة المسلحة، أصدرت عدة بيانات، نشرت على موقع الجماعة الالكتروني، ولها أيضاً جريدة تحت عنوان (براءة)، ومعلوم أن عنوانها مأخوذ من اسم السور القرآنية، التي نزلت بالقتال، وعُدت آية السَّيف منها، وقيل عُبر عنها في نصوص أُخر: (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)[805].

---

804 أنظر الموقع الرَّسمي للسيد البغدادي:
.http://www.alsaed-albaghdadi.com/index.html

805 سورة التوبة، آية: 5.

الفصل الحادي عشر

المَهديُّون

نشطت الجماعات التي يمكن حصرها تحت عنوان (المهدوية) أو (المهديين)؛ عبر تاريخ الدَّولة الإسلامية، وعلى وجه الخصوص الدَّولة العباسية. فبين فترة وأخرى تظهر جماعة تدّعي قرب ظهور المهدي، وأنها طليعة جيشه، والداعية لأتباعه، حتى غدا العراق وكأنه يعيش فترات عباسية قديمة، تندلع الثورات باسم المهدي المنتظر، هنا يخرج المبرقع وهناك يخرج المقنع وهلَّم جرا.

من تلك الجماعات، التي ظهرت بعد التَّاسع مِن نيسان (أبريل) 2003، كانت جماعة (جند السَّماء)، وهو مصطلح ذاع صيته عندما خرجت جماعة من أهل الحلة، تقع وسط العراق، وكانت شيدت على أرضها أفخم حضارة من حضارات البشرية ألا وهي الحضارة البابلية. ثم أولدت، في العصر الحديث، كبار رجال الثقافة العراقية، فتأمل المفارقة.

خرجت تلك الجماعة بين الحلة والكوفة، تحمل السلاح، معتقدة أنه قد حان أوان ظهور المهدي المنتظر، وكانت المعركة الفاصلة ضدهم بمنطقة الزركة (اسم مكان)، من أطراف الكوفة، وسط

العراق، التي تبعد عن النَّجف عشرة كيلومترات. وجماعة أخرى اسمها (أنصار الإمام المهدي) ظهرت بالبصرة والنَّاصرية، من جنوب العراق، وكلا الجماعتين شهرتا السلاح وقاتلتا قتال المستميتين!

وقبل الحديث عن هاتين الجماعتين، واضطراب الرِّواية حولهما: هل هما حركتا احتجاج سياسي - اجتماعي على الأوضاع الرديئة، أم مجرد حركتي شغب ونتاج للانحطاط الثقافي مثلما وصفتهما أوساط السُّلطة، أو أن هناك وراءهما دوافع خارجية. فقبل هذا أرى من المناسب تسليط الضوء على فكرة المهدي نفسها، وكيف أخذ النَّاس ينتظرونه ويعلنون خروجه بين فترة وأخرى، وفي كل أزمات العصور لا يجدون عزاءً سوى انتظاره، والتعجيل بظهوره، لأنه سيملأ الأرض عدلاً وقِسطاً مثلما ملئت ظلماً وجوراً!

لاشك، أن فكرة الخلاص على يد إمام عادل فكرة قديمة، يكاد لا يخلو منها دين أو مذهب، أو شعب من الشعوب. فمثلما كان لدى قدماء العراقيين دموزي (تموز/يوليو) السومري، الذي يموت في الشتاء ويحيا في الربيع، والإله مردوخ البابلي والملاك هيبل زيوا الصابئي (بمثابة جبرائيل لدى الديانة الصابئية المندائية) مبيداً الشرور والظلمة، تأنسنت الفكرة في ما بعد، فأصبح المنتظر إنساناً ما زال ينتظره اليهود وهو المسيح المخلص. وكم شخص خرج متسربلاً قميصه حتى هلك، أو نجح بتأسيس فرقة جديدة، قاتلت تحت رايته وتلبست الأمل به، وأسست دولة وأقامت نظاماً. وكذلك ينتظر

المسيحيون رجوع المسيح نفسه ليعيد العدالة والصلاح المفقودين من العالم، وكل ما تقدم يبدو هو الإرث الذي نشأت، وتأسست عليه فكرة مهدي المسلمين.

لا يتم هذا الإنقاذ إلا بعد الهدم والخراب لمحو أثر الفساد والظلم. وتجد الأحاديث الكثيرة التي تتخيل ظهور المهدي، وقيامه بالهدم لمحو آثار المعصية ثم البناء من جديد، بما فيها الكعبة. جاء في هدم البيت الحرام: (ينقضه فلا يدع منه إلا القواعد، التي هي أوَّل بيت وضع للناس بمكَّة في عهد آدم، عليه السلام، والذي رفعه إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، منها، وأن الذي بنى بعدهما لم يبنه نبي ولا وصيٌّ، ثم يبنيه كما يشاء، وليعفينَّ آثار الظالمين بمكَّة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم، وليهدمنَّ مسجد الكوفة، وليبنينه على بنيانه الأول، وليهدمنَّ القصر العتيق، ملعون ملعون مَنْ بناه)[806].

ففي كتب السُّنَّة، ما لم يرد في صحيحي البخاري ومسلم بصريح عبارة، برواية التِّرمذي: (لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي)[807]. وبرواية أبي داود: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ اتَّفَقُوا حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ

---

806 المجلسي، بحار الأنوار 53 ص 11.

807 الكتب السِّتة، جامع التِّرمذي، أبواب الفتن، ص 1876 حديث رقم: 2230.

ظُلْمًا وَجَوْرًا وَقَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي)[808]. وقد جمعت الأحاديث المبشرة بالمهدي في مجلدات عديدة، منها ما جمعه عبد العليم عبد العظيم البستوي في موسوعة المهدي بمجلدين، أفرد الأول للأحاديث الصحيحة، والثَّاني للأحاديث الضعيفة والموضوعة[809].

أما الأحاديث عند الشِّيعة فهي كثيرة، وأفرد لها صاحب (بحار الأنوار) محمد باقر المجلسي (ت 1699) أكثر من مجلد، وقبله صنف في المهدي والأدلة على وجوده شيخ الطَّائفة الطُّوسي كتاب (الغيبة). وورد في الرِّوايات أن المهدي المنتظر (دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله، ومقسم غنائم المسلمين مسجد السَّهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين)[810]. وعند ظهور المهدي يجتمع المؤمنون كافة بالكوفة، حيث تصبح عاصمة العالم: (والله لا يبقى مؤمن إلا كان بها أو حواليها)[811].

ما ورد من خراب الكوفة، بظهور الإمام المهدي، نجده ورد من قبل في كتاب (التوراة) حول تخريب الرَّب لبابل. ونأتي بهذا الاقتران لعلمنا بما بين بابل والكوفة من قرب في المسافة، ومدى

808 المصدر نفسه، سُنَن أبي داود، كتاب المهدي، ص 1534 حديث رقم: 4282.

809 راجع: البستوي، موسوعة المهدي المنتظر، مكة: المكتبة المكية، بيروت: دار ابن حزم 1999.

810 المجلسي، بحار الأنوار 53 ص 11.

811 المصدر نفسه.

اقترانها بها، مع تبدل الأسماء واختلاف الأزمنة. قال الرَّب: (هكذا أُخاصم لخصومتك وأنتقم انتقامك، وأجفف بحرها وأُنضب ينبوعها، وتصير بابل كومة حجارة. ومأوى لبنات آوى، ودهشاً وصفيراً لا ساكن فيها)[812]. وجاء أيضاً: (لأن أفكار الرَّب تَتم على بابل، لتجعل أَرض بابل مُقفرة لا ساكن فيها)[813].

وجاء أيضاً في قتل وإبادة زعماء بابل وأهلها، مثلما ورد في خراب الكوفة ووضع السَّيف في أهلها بأمر الله: (عند احتدامهم أعدَّ لهم شراباً وأسكرهم لكي يمرحوا، ثم يناموا نوماً أبدياً فلا يستيقظوا، يقول الرَّب. وأنزلهم كالحملان للذبح، وكالكباش مع التيوس)[814].

تحدثت تواريخ الملل والنحل الإسلامية بأن أول متقمص لفكرة المهدي هم الجماعة التي عُرفت بالكيسانية، وهم أتباع المختار بن عبيد الله الثقفي(قتل 67هـ)، التي قيل إنها آمنت بمحمد بن الحنفية (ابن علي بن أبي طالب وقد عُرف بأمه) مهدياً. ونجد في ديوان السَّيد الحميري (ت 173هـ 789 ميلادية)، وهو من شعراء العقيدة عند الشِّيعة، ما يعبر عن مَلله وضجره من الانتظار، وربما تلهفه، فقال فيه:

---

812 الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إرميا: 36/51.

813 المصدر نفسه: 29/51.

814 المصدر نفسه 39/51-40.

يا شعب رضوى ما لِمَنْ بك لا يُرى

وبنا إليك من الصبابة أولق

حتى متى وإلى متى وكم المدى

يا ابن الرَّسول وأنت حيٌ تُرزق [815]

وبعد ما شاع حول مهدوية ابن الحنفية(ت 81هـ 700 ميلادية)، ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، المعروف بالنفس الزكية (قتل 145هـ 762 ميلادية) مهدياً في حربه ضد الأمويين ثم العباسيين، ويقال له مهدي العلويين، أو مهدي آل محمد[816]، أو (مهدي هذه الأمة)[817]. ويذكر أن أبا جعفر المنصور أيده في هذه الدعوة قبل خلافته[818].

بعدها خُص العباسيون بمهديهم أيضاً، ووضعت الأحاديث للتبشير به، فلعلَّه محمد بن عبد الله بن المنصور، وفي هذا الاسم مطابقة مع الحديث النبوي حول المهدي: اسمه على اسمي! وربما كان من مختلقات أو موضوعات الفترة العباسية الكثيرة! ولُقب بالمهدي،

---

815 المسعودي، مروج الذهب 3 ص 278.

يا شعب رضوى ما لِمَنْ بك لا يُرى وبنا إليك من الصبابة أولق (جنون)

حتى متى وإلى متى وكم المدى يا ابن الوصي وأنت حيٌّ ترزق

(ديوان السَّيد الحميري، ص292).

816 النوبختي، فرق الشّيعة، ص62.

817 المسعودي، مروج الذهب 4 ص 98.

818 الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 188.

ليكون مقابل المهديين: العلوي المتمثل بالنفس الزكية، والسفياني الأموي.

وقيل كانت فكرة الأخير من إبداع خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت 85 هـ 704 ميلادية)، مع نفي صاحب كتاب (الأغاني) أبو فرج الأصفهاني لهذه الرواية، وينسب الخبر إلى الإمام محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب (ت 117هـ 735 ميلادية). قال: (وهذا وهمٌ من مصعب، فإن السفياني قد رواه غير واحد، وتتابعت في رواية الخاصة والعامة، وذكر خبر أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، وغيره من أهل البيت)[819].

بيد أن الحديث التالي (عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)[820] جعل بعض المحدثين يشيرون إلى عمر بن عبد العزيز من جملة هؤلاء المهديين، وليس من الذين سيخرجون في آخر الزمان، ولربما ينطبق ذلك بالنسبة إلى مهدوية محمد بن المنصور العباسي ولقبه المهدي.

ثم كان للإسماعيليين مهديهم، قالت جماعة: (إن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض، يقوم بأمر النَّاس، وأنه القائم)[821]. وقد ظهر عدة مهديين من بعده، أقاموا دولاً بالمغرب ومصر. وتحايل مهدي

819 المصدر نفسه 17 ص 245.

820 ابن قيم الجوزية، المنار المنيف، ص 138.

821 النوبختي، فرق الشّيعة، ص 67.

قرامطة البحرين أبو سعيد الجنابي(اغتيل 301 هـ 913 ميلادية) على المتربصين بسلطان أولاده، وطلب منهم امتحانه بعد رجعته من الموت مهدياً: (حين أعود ولا تعرفونني اضربوا عنقي بسيفي، فإذا كنت أنا حييت في الحال)[822]! وحتى تبقى الفكرة حاضرة في أذهان الأتباع أمر بترك فرسه بعد وفاته بباب القصر، مهيأً لامتطائه من بعد الظُّهور. لكن، مَنْ له التجريب بقطع رأسه!

ومَنْ ينظر في كتاب (فرقة الشِّيعة) للحسن النوبختي (أوائل القرن الثَّالث الهجري) سيجد أنه ما مِنْ جماعة التفت حول إمام، أو شخص ما، وقتل أو مات، إلا وجعلته مهدياً. قالت فِرقة: (إن جعفر بن محمد حيٌّ لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر النَّاس، وأنه هو المهدي)[823]. وإن كان المهدي من خارج الأئمة الاثني عشر، مثل عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب، وأبي هاشم بن محمد ابن الحنفية. ومن خارج البيت العلوي، وخارج قريش والعرب مثل أبي مسلم الخراساني(قتل 136 هـ 753 ميلادية)، فبعد قتله بالمدائن، جنوب بغداد، على يد أبي جعفر المنصور، أدعى جماعته أنه ما زال حياً وسيعود، والأمر ربما تعلق بضخامة هذا الرجل، الذي قاد الرايات السُّود من خراسان ليقيم الدَّولة العباسية.

هذا، وهناك أمثلة عديدة في التَّاريخ أن يستخدم القائد

822 خسرو، سفرنامه، ص 144.

823 النوبختي، فرق الشِّيعة، ص67.

العسكري، ضد العدو، ثم يُقتل أو يبعد إذا لانَ معه الخليفة أو السلطان، خشية من فخاره بالانتصار، وبالتالي جرأته على سيده، ألم يخطف قادة الجيوش التيجان من ملوكهم: نادر شاه (اغتيل 1747) خطفه من ملوك الصفوية! ورضا عباس قلي خان (ت 1944) من الملوك القاجارية ويُلقب نفسه بالبهلوي، أي صاحب الجلالة، ثم مصطفى كمال أتاتُرك(ت 1938) من سلاطين آل عثمان!

ظهر مهديون كثيرون، لكن منهم مَنْ تمكن من تجييش الجيوش والنجاح في جذب العامة، وإقامة دولة بظل تلك الفكرة، ذلك مثل مؤسس دولة الموحدين بالمغرب محمد بن عبد الله المعروف بابن تومرت (ت 524هـ 1129 ميلادية)، (مهدي المغاربة)[824]. ولا ندري، هل طابق اسم ابن تومرت مصادفة إحدى صيغ الأحاديث الخاصة بالمهدي، أم جاء مقصوداً: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِه: لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ اتَّفَقُوا - حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي)[825]، أم أنه جُعل في ما بعد من أجل تصديق مهدويته؟ مع أن مهدي الشّيعة الإمامية كان اسمه محمد بن الحسن العسكري، أي لا يتطابق اسمه مع ما جاء في الحديث إلا في الاسم الأول!

نجح بعضها بتأسيس دولة مثل الدَّولة العبيدية بالمغرب،

---

824 ابن قيم الجوزية، المنار المنيف، ص141.

825 الكتب الستة، سُنَن أبي داود، باب المهدي، ص 1535 حديث رقم: 4282.

والفاطمية بمصر(358-567هـ 969-1172ميلادية)، لكنها بعد النجاح لم تبق على المقالة نفسها، وإنما اكتفت باستغلال الفكرة لدعم ثورتها، من أجل الوصول إلى السُّلطة، وهي فكرة جذابة للبسطاء، ويمكن في ظروف الانحدار الفكري والثقافي تجييش الجيوش باسمها.

ومن أسرة المشعشعين ظهر أكثر من مهدي، وأحدهم المحسن ابن محمد بن فلاح المشعشع، الذي ظهر في عهد سيطرة الدَّولة التركمانية البارانية، وهي (قراقوينلو) دولة الخروف الأسود (814 هـ 1411 ميلادية- 874 هـ 1470 ميلادية) على العراق والمنطقة المحيطة، ظهر بالأهواز من إيران حالياً، منتصف القرن التاسع الهجري. فضاق علماء النَّجف من هيمنته وأتباعه المشعشعين على الحضرة العلوية (ضريح علي بن أبي طالب)، الذين نهبوا نفائس الهدايا منها: تيجان ملوك الدَّولة الإيرانية والسيوف الذهبية. كذلك ضاقت حوزة النَّجف من عبارته المخالفة لرأي الإمامية في المهدي (سأظهر، أنا المهدي الموعود)! ولما ألقي القبض عليه قال: (أنا سنّي صوفي، وهؤلاء الشّيعة أعدائي، يتطلبون قتلي)[826]!

وبعد زمن طويل نجحت باسم المهدي الحركة الحركة المهدوية، وقامت بتأسيس دولة بالسُّودان، بعد الانتصار على العثمانيين (أغسطس1881) تبناها محمد أحمد المهدي العام 1844، متأثراً بالصُّوفية، وتحقيق فكرة العدل، وبالروايات التي تضمنتها كتب

826 العزاوي، العراق بين احتلالين 3 ص 111.

الحديث في شأن المهدي، وقاتلت الحركة إثيوبيا والإنكليز، وتوجهت إلى إرتيريا، وحاولت غزو مصر للتَّوسع، وبعد وفاة المهدي (1885) تولاها خلفاؤه، وكان يطلق عليهم لقب الخليفة، لكنها انتهت كدولة على يد الإنكليز باستكمال اجتياح السُّودان السَّنة 1898، لكنها ظلت كحركة لها أتباع بالسُّودان[827]). وتأثراً بالسُّودان ظهرت حركة مهدوية بالصُّومال، العام 1899 حيث أعلن محمد بن عبد الله مهدويته، وحاول قيادة القبائل الصُّومالية في جهاد ديني ضد الإنكليز[828].

كذلك من آثار المهدوية المتأخرة، والمخالفة للإمامية ظهور ما عُرف بالبابية في منتصف القرن التاسع عشر، وبأثرها ظهرت الديانة البهائية، في منتصف القرن التاسع عشر، عندما أعلن محمد علي الشِّيرازي (أُعدم 1850) نفسه باباً أو نائباً للمهدي. كان ظهور البابية، على ما يبدو، من جماعة الركنية، القائلون بالبحث عن نائب للإمام المهدي، ويسمونه بالركن الرابع، ومثلما مرَّ بنا، في فصل سابق، نسب هذا القول إلى محمد كريم خان الكرماني (ت 1871)، وملخصه، حسب الشَّيخ الحائري أحد المختلفين معهم، بأن جسد الإمام المهدي عُرضة للتلف في فترة غيابه، وحكمه حكم الميت، وأن هناك مَنْ ينطق عنه (وأن هذا الرجل الناطق هو إمام الزمان... وركن الإيمان لذا سموا بالركنية)[829].

---

827 راجع: الصاوي وجادين، الثَّورة المهدية، ص 23 وما بعدها.

828 المصدر نفسه، ص 62.

829 الحائري، عقيدة الشِّيعة ص 36.

وينقل من كتبهم قولهم: (أن هذا الركن من الإيمان كان مخفياً حتى أظهره الشَّيخ أحمد (الإحسائي) ثم السَّيد كاظم (الرشتي)، ثم كريم خان)[830]. والجدير بالذكر، أن الركنية تعد من فرق الشَّيخية، التي هي الجماعة الإحسائية نفسها، نسبة إلى الشَّيخ أحمد الإحسائي (ت 1826)، إحدى فرق الشّيعة المعاصرة، وهناك خلاف بين الشَّيخية الأصل والركنية لا مجال للتفصيل فيه.

ما نلاحظه أنه بعد غياب الإمام الثَّاني عشر المهدي المنتظر في القرن الثَّالث الهجري، ومن ألقابه صاحب الزَّمان، والحجة، وصاحب الأمر، والإمام الغائب، وبقية الله، لم يظهر بين الشّيعة مَنْ يّدعي أنه المهدي، بل كثر الادعاء بالنيابة أو البابية (أي باب المهدي) أو الوكالة، لأنه شخص معروف النسب حسب الرّواية الشّيعية.

الاستعداد للظهور

اختلفت مذاهب الأتباع في الاستعداد للظُّهور الكبير وتقمص الأدوار، فقد صرح مرشد الجمهورية الإيرانية آية الله علي خامنئي أن ثورته الإسلامية خطوة نحو ظهور الإمام، وتجد رئيس الجمهورية أحمدي نجاد يُذكر، من على منبر الأمم المتحدة، بقدوم المهدي، قائلاً: (إن المهمة الرئيسية لثورتنا هي تمهيد الطريق لظهور الإمام المهدي الثَّاني عشر. لذلك يجب أن تكون إيران مجتمعاً قوياً متطوراً

830 آل الطالقاني، الشَّيخية، ص 307.

ونموذجا إسلامياً)[831]. في خطاب ألقاه في أيلول (سبتمبر) 2005، أي عقب انتخابه رئيساً للجمهورية بقليل.

ومن قبل رأينا ذلك شعاراً خُط على لافتة كبيرة، عُلقت على جدار حسينية بحي الست زينب من ضواحي دمشق: (اللهم أحفظ لنا الخميني حتى ظهور المهدي)! وقال مقتدى الصَّدر: إنه لن يحل جيش المهدي لأنه جيش الإمام، ولا أمر لديه من الإمام بحله، ومع عدم معقولية المقولة إلا أن الأتباع المحيطين به أعلنوا رضاهم!

وقبل ذلك ظهر من بين المعارضة العراقية، ومن أحضان حزب الدعوة الإسلامية الشِّيعي جماعة عُرفت بجند الإمام، التي حصرت مهمتها (تهيئة المناخ والظروف السِّياسية لظهور الإمام المهدي (ع) من خلال إيجاد مناصرين للإمام، وإيجاد مؤسسات، وأطر ينجز من خلالها الإمام مهمته)! ومن بين هؤلاء أستاذ جامعي، وخريج كلية طب، تعرضنا لذكرهما في سياق الحديث عن حزب الدعوة الإسلامية!

هذا، ولم ينقطع الجدل حول شكل دولة المهدي الموعودة بين المتدينين، من الذين وجدوا ببلدان أوروبا ملاذاً آمناً، ووضعاً حياتياً مريحاً، وهناك مَنْ يظن في ما تقدمه الدول الأوروبية من مساعدات وضمان للحياة أنه ضرب من ضروب دولة المهدي. وقد صرح البعض أنها دولة المهدي تماماً ، حيث مساعدة المعاقين السخية، وصرفت

831 جريدة الشرق الأوسط، العدد: 9853 المؤرخ: 19 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 2005.

له بطاقة نقل (مواصلات) مجانية، صالحة المفعول داخل بريطانيا بالكامل، باصات وقطارات لهم، فلماذا لا تكون هذه الدَّولة بمواصفات دولة المهدي!

فإذا وجد النَّاس في دولة المهدي مثل هذه العناية فلا أظن أن أحداً من المسلمين سيتأخر عن تأييدها! بمعنى آخر هناك تصور كامل حول شكل مدينة المهدي الفاضلة، بل هناك جزر منعزلة وردت في كتب مؤرخين شيعة جادت مخيلتهم في مقارنتها بنعيم الجنَّة، على طريقة تصور أفلاطون لجمهوريته، وأبي نصر الفارابي (ت 339هـ 950 ميلادية) لمدينته الفاضلة، وما تصوره ابن سينا (ت 428هـ 1036 ميلادية) في رسالة (حي بن يقظان) والمدينة من المدن السبع، التي: (أهلها غالون في العفة والعدالة والحكمة والتقوى وتجهيز جهاز الخير إلى كل قطر، واعتقاد الشفقة على كل مَنْ دنا)[832].

وما كتبه ابن سينا غير الذي كتبه ابن طفيل (ت 581هـ 1185 ميلادية) في ما بعد[833]، قصة (حي بن يقظان) الفلسفية، وهي كيفية قدرة الإنسان على الوصول إلى المعرفة من غير اجتماع. كذلك تجد علي الوردي (ت 1995) الباحث الاجتماعي العراقي المعروف، شبه فكرة بناء دولة الشُّيوعية[834]، الخالية من الظلم الطبقي والتمايز

---

832 ابن سينا، رسائل في أسرار الحكمة، رسالة حَي بن يقظان، ص 11.

833 الزركلي، الأعلام 2، ص 261.

834 الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 2/5 ص 306.

الاجتماعي حسب الفكر الماركسي، هي مهدي الأحزاب الشّيوعية المنتظر! وهو أسلوب غير مباشر للكشف عن تخيل الفكرة، وخصوصاً إذا كانت لتعميم الخير، وتصبير وتخديره أو تثويره واقع الحال!

قال الوردي: (يحلو لي في هذه المناسبة أن أقارن بين ما كتبه الماركسيون في وصف مرحلة الشّيوعية، وما ورد في بعض الكتب الإسلامية عن وصف الحياة الاجتماعية عند ظهور المهدي). وينقل الوردي عن كتاب (خريدة العجائب) النص التالي: (تذهب البغضاء والشحناء والتحاسد، وتعود الأرض إلى هيئتها وبركاتها على عهد آدم...)[835]. ومرحلة الشّيوعية الموعودة، من المتخيل أنها خالية من الصّراع الطبقي، وبالتالي يعم النَّاس السلام والخير التَّام، ويحل المبدأ: كلٌّ حسب حاجته!

إلا أن النص الذي أورده علي الوردي (ت 1995) بشأن دولة المهدي هو مطابق تماماً للمخيال السومري حول العالم الآخر، أي الجنَّة السومرية، إن صحت العبارة، مثلما تقدم في الحديث حول تدمير الكوفة بظهور المهدي، وما كان في الفكر التوراتي من تدمير الرَّب لبابلَ! جاء في النص السومري حول الجنَّة أو العالم المثالي: (في تلك الأيام لم يكن هناك حيَّة ولا عقرب ولا ضبع، لم يكن هناك أسد ولا كلب شرس ولا ذئب، لم يكن هناك خوف ولا رعب، لم يكن للإنسان

---

835 المصدر نفسه.

منافس... أرض دلمون مكان طاهر، أرض دلمون مكان نظيف، أرض دلمون مكان مضيء، في أرض دلمون لا تنعق الغربان)[836].

ومَنْ يطالع كتاب المؤرخ العراقي جواد علي (المهدي المنتظر عند الشِّيعة الإمامية)[837] يتمكن من تحديد الاهتمام بظهوره، وانتظاره بين سنة وأخرى، بأكثر تفصيل ودقة وببغداد والكوفة لا غيرهما من المدن والأمصار. كذلك أورد أبو محمد الحسن النوبختي(نحو 310ه 922 ميلادية)، وأبو الفرج الأصفهاني (ت 356ه ـ966 ميلادية): أن من الأئمة المعصومين الاثني عشر، عدوا مهدويين لدى عدد من أتباعهم[838]. وهناك جماعة عُرفت بالواقفة (لوقوفهم على موسى بن جعفر أنه الإمام القائم)[839]، وأخرى سبقت إليها الإشارة اعتبرت والده الإمام جعفر الصادق (ت 148 هـ 765 ميلادية) مهدياً.

---

836 السَّواح، مغامرة العقل الأولى، ص 238 عن كريمر، الأساطير السومرية. للاستزادة حول عالم الجنَّة في الأديان راجع بحثنا في الثقافة الجديدة (الجنَّة كمقولة دينية) العدد: 261، 1995.

837 قدم المؤرخ العراقي جواد علي (ت 1987) رسالته، (المهدي المنتظر عند الشِّيعة الاثني عشرية)، لنيل شهادة الدكتوراه بهامبورغ العام 1939 باللغة الألمانية. ظلت هذه الرِّسالة النفيسة في الفكر والتَّاريخ الإسلاميين مطوية في أرشيف جامعة هامبروغ، حتى ترجمت إلى العربية العام 2005. وأشتهر جواد علي بسِفره (المُفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) (عشرة مجلدات)، وهو عمل تاريخي فريد من نوعه، هو جهد العمر، وبالحق أن يُعرف مصنفه بصاحب المُفصل. وللمؤرخ جواد علي أعمال أُخر مثل: (صورة الأرض)، (أصنام العرب)، (معجم ألفاظ الجاهليين)، (تاريخ الصلاة في الإسلام)، ومشروع لم يتم هو (تاريخ العرب بعد الإسلام).

838 النوبختي، فرق الشِّيعة، ص 80.

839 المصدر نفسه، ص 81.

وذكر الأصفهاني في أمر دعوة البعض إلى مهدوية الكاظم (ت 183 هـ 799 ميلادية) بالقول: إنه لما مات بالسجن (أُخرج فوضع على الجسر ببغداد، فنودي هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه، فجعل النَّاس يتفرسون في وجهه وهو ميت). وأردف الأصفهاني قائلاً: (حدثني رجل من أصحابنا عن بعض الطالبيين: أنه نودي عليه: هذا موسى بن جعفر، الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت، فانظروا إليه، فنظروا)[840]. وليس بعيداً أن الطقس الذي يمارس في مناسبة وفاة الإمام الكاظم، وعبور نعشه من فوق الجسر، إلى ضريحه، حيث مقابر قريش قديماً، له صلة بذلك الحدث أو الرواية.

وهذا أبو جعفر الطُّوسي(ت 460هـ .1067 ميلادية) يكشف عن استغلال فكرة المهدي مِن أجل المال وسلب الجواري، حيث جماعة مِن وكلائه أدعوا أنه لم يمت كي يحتفظ بما لديهم له مِن أموال. قال: (وأما عثمان بن عيسى فإنه كتب إليه (الإمام علي الرِّضا): إن أباك صلوات الله عليه لم يمت، وهو حيٌّ قائم، ومن ذكر أنه مات فهو مبطل، واعمل على أنه قد مضى كما تقول: فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأما الجواري فقد اعتقهنَّ، وتزوجتُ بهنَّ)[841].

إن أفضل السُّبل في الاستحواذ على الأموال المستحصلة للأئمة المتوفين، مِن قِبل الوكلاء، هو الإعلان عن مهدويتهم، وبذلك تسقط

---

840 الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 417.

841 الطوسي، كتاب الغيبة(طبعة: مؤسسة المعارف الإسلامية)، ص 65.

حجة الخلف أو الوريث في المطالبة بها، ومثلما في العصر الحاضر يوجد أتباع مصدقين لمثل هذا الادعاء الخرافي، تفيد الروايات بمحاولة وكلاء موسى بن جعفر مع نجله الإمام علي الرضا(ت 203 هـ818 ميلادية)، حسب رواية شيخ الطّائفة أبي الحسن الطوسي، نقلها جواد علي بتصرف: (لم يستجب لطلبه الوكيل زياد بن مروان بمبلغ (70000) دينار، وكذلك علي بن حمزة بمبلغ (30000)، وعثمان بن عيسى الرّواسي بنفس المبلغ، وإنما نازعوا في شرعية الرضا بدعوى أن الإمام السابق لم يمت، وإنما اختفى من العالم، ولذلك فهم يحتفظون بالأموال باسم الإمام موسى بن جعفر)[842].

لكن سلوك هذه الجماعات قد يخص التّكتلات الصّغيرة والموسمية، ولا يلغي بأي شكل وجود فِرق لها بُعدها الفكري، تطورت، في ما بعد، إلى تيارات شيعية كبرى، موازية لحضور الشّيعة الاثني عشرية، ما زال لها حضورها حتى يومنا هذا. كذلك حياة سفراء المهدي الأربعة خلال الغيبة الصغرى (-260 329هـ)، وقد انتهت بوفاة سفير الإمام الرابع، تكشف عن الصّراعات بين الأتباع، وتصادم المصالح، وكم وظفت فكرة الغياب سلاحاً في العديد من تلك الصّراعات.

ما أكثر عادات أهل العراق ومعتقداتهم بانتظار ظهور المهدي، فهناك مَنْ يترك حفنة من الشعير، ليالي الجُمع، طعاماً لفرسه على

---

842 علي، المهدي المنتظر عند الشّيعة الاثني عشرية، ص 16 عن الطوسي، كتاب الغيبة، ص 46.

شواطئ الأنهار، تحسباً لخروجه. وفي أمر ظهور الإمام، كان خطباء المنبر الحسيني يبشرون، من على المنابر، بظهور الإمام، بدلالة مناسبة معينة، وتجده تحذيراً تربوياً للكف عن فعل الموبقات، والتزام التدين والبقاء على الإيمان بالمهدي نفسه، لكنهم في الوقت نفسه يهيئون العقول إلى قبول اللامعقولات.

ولا يقتصر أمر الانتظار على عامة النَّاس من غير المتعلمين، إنما هناك من المتعلمين مَنْ فعل ما هو أكثر من ذلك، من المهندسين والأكاديميين والأطباء. وإن معظم الذي أعلنوا عن اتصالهم بالمهدي المنتظر كانوا من المهندسين. وربما تواروا عن الأنظار للإيهام بأنهم على اتصال بالغائب، وما يحققه الاختفاء من انشغال الجمهور بالمختفي أو المستور، وكيف تكبر صورته ويتعاظم أمره.

فأنصار المهدي هم جماعة أحمد الحسن اليماني، المهندس المدني، وقد أعلن نفسه أنه وصي الإمام ورسوله! وأكد الأخير لقاءه بالإمام، وتقدم بطلب، منشور في موقع (المهديون) الإلكتروني لمناظرة آية الله علي السِّيستاني، وأنه سيقدم للأخير سؤالاً واحداً، يجمع فيه علوم المتقدمين والمتأخرين! وسيأتي تفصيل ذلك.

وتجد صاحب (جند السماء) ضياء عبد الزهرة الكرعاوي كان فناناً تشكيلياً، وقُتل بمصادمات مع الجيش العراقي. وأن مدعي المهدوية، أو المنظر لفكرة ظهوره سبيط النيلي (نسبة إلى قرى النيل

بالحلة)، في الفترة السَّابقة، كان مهندس إلكترونيات، ومتخرجاً من روسيا، وقد عاد إلى العراق وظل يبث فكرة خروج المهدي المنتظر، وصنف كتاباً تحت عنوان (الطور المهدوي)، واطلعت على نسخة منه. كذلك فشا بين جماعة جند السماء كتاب (قاضي السماء) لمؤلفه زعيمها الكرعاوي!

وقَبل هؤلاء جميعاً فتحت الثورة الإسلامية (1979) بإيران عصراً ينادي: (مهدي بيا)، أي: يا مهدي تعال! ومن المفارقة، أن تهتف الجموع بهذا الهتاف بينما يسخر المحققون الإيرانيون من الأسرى العراقيين والمعتقلين منهم ويردون على استفساراتهم عن إطلاق سراحهم بعبارة: (حتى يزهر (يظهر) المهدي)! ويقصدون زرع اليأس في نفوسهم عندما يطول الانتظار لوعد مجهول! لكن عندما يهتف إمام الجمعة الإيراني بظهور المهدي يوحي بظهوره الساعة!

وكانت عقيدة حركة (جند الإمام) السَّالفة الذكر، هي التهيئة لظهور الإمام. قال أحد كوادرها سعد جواد، وهو أكاديمي وعضو في البرلمان العراقي عن الائتلاف الموحد الشّيعي(2004): (اسم حركة جند الإمام تستند إلى فكرة جعل الاعتقاد بالإمام المهدي، عجل الله فرجه، مرتكزاً أساسياً للعمل الإسلامي، ومن هذا المنطلق تأسست الحركة لملء فراغ لمثل هذه الحاجة)[843]. قالها آنذاك وكأنه يقدم

843 جريدة المؤتمر، العدد 91 لسنة 1995، الصفحة العاشرة.

مشروعاً يتماشى مع العقل السائد في تلك المرحلة وما بعدها!

وجدنا مِن المفيد الحديث باختصار عن الجماعات المهدوية غير العراقية، لمعرفة مدى تأثير الفكرة إسلامياً وتوظيفها سياسياً في أكثر مِن بلد وعلى مختلف المذاهب، فهي بالسعودية عُرفوا بجماعة جهيمان، وبالبحرين جماعة السَّفارة، وباليمن الحوثية.

جماعة جهيمان

كانت مدينة مكة فجر 12 تشرين الثَّاني(نوفمبر)1979 المصادف 1 محرم 1400 هـ، مع حادث تاريخي، وهو اقتحامها مِنْ قِبل الجماعة السَّلفية المحتسبة، والتي عُرفت بـ(جماعة جهيمان)، وهو جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي (أُعدم 1980). يعود تأسيس هذه الجماعة إلى العام 1966. فقبل عام قامت جماعة مِن الشَّباب بالهجوم على استوديوهات التَّصوير، والمحلات التِّجارية بالمدينة، لأنها وفق شرعهم عمل منكر، ومِن مهامهم هو الحسبة في الأماكن العامة والمساجد.

بدأ تأسيس هذه الجماعة بستة أفراد في مقدمتهم جهيمان، وكانت شبه رسمية حيث وافق على وجودها مفتي المملكة العربية السُّعودية عبد العزيز بن باز(ت 1999)، وأعطاها هذا الاسم، على أن تقوم بالتذكير بالدِّين، ورويداً رويداً اختلف معها علماء الدِّين بالسعودية، حيث تخطت الحدود في تعصبها، حتى جعلت المحراب

بدعة لم يصل فيه الرَّسول، وكذلك توجهها السِّياسي الجهادي. وبعد أن تطور وجودها، وكثرة أتباعها، جاءت فكرة تعيين المهدي المنتظر، وتحديد يوم ظهوره، وفق ما كانوا يقرأونه في كتب الحديث الخاصة بالظُّهور، وكتب جهيمان رسالة تحت عنوان (الفتن وأخبار المهدي والدَّجال ونزول عيسى عليه السَّلام واشرط الساعة).

كان المهدي هو محمد بن عبد الله القحطاني (قتل 1979)، وفي البداية لم يكن القحطاني مؤمناً بمهدويته، حتى استخار وانشرح صدره لها، ولما اقتحموا المسجد الحرام في أول محرم 1400 وهيمنوا على صحنه، وكانت حيلة دخول الأسلحة عن طريق الجنائز، التي يُطاف بها عادة حول الحرم ويُصلى عليها، على أنها جنائز نساء، لأنها تكون مقببة عادة، فلا يبان ما تحتها، وأدخلوا مؤنة مِن التَّمر والماء.

ألقى جهيمان خطبته، التي مهد فيها بالأحاديث النَّبوية لظهور المهدي وأشار فيها إلى ما يؤكد أن القحطاني هو المهدي، فهو مِن عترة الرَّسول، وعلامته أجلى الجبهة أقنى الأنف، وقد أخبر عدد مِن أتباع جهيمان أنهم رأوا في المنام، مِن دون أن يتعرفوا على شخص القحطاني بأنه هو صاحب هذه الأوصاف. وقد نشرت جريدة الرَّياض نص تسجيل خطبة جهيمان، وظهرت فيها أسماء الذَّين ينادي عليهم، خلال الخطبة، لتولي مهام حراسة أو متابعة شأن مِن الشؤون، وأظهرت صورة جهيمان، وهي على ما يُقال الصُّورة الوحيدة له، كذلك أظهرت جثة محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي)[844].

844 وثائق بالتسجيل الصُّوتي، جريدة الرِّياض، العدد 4398 والمؤرخ في 17 محرم 1400 المصادف 7

وقف المهدي للمبايعة، بين الرُّكن والمقام(مقام إبراهيم الخليل)، وبايعه الجماعة شخصاً بعد آخر، وأول المبايعين كان جهيمان ذاته، أما المرابطون للحراسة والمواجهة، إذا ما حصل اقتحام مِن قبل القوات الحكومية، فمر عليهم المهدي وأخذ بيعتهم له. لكن مِن خلال التَّسجيل لم يظهر المهدي هو صاحب الأمر إنما جهيمان هو الداعي، وهذا خلاف أدعياء المهدي الآخرين، وخلاف الرِّوايات التي تظهر المهدي هو صاحب القرار، وهو الدَّاعي.

وخلال مرور المهدي المفترض على المرابطين أصيب بطلق ناري وقُتل، ولما أُبلغ قائد الجماعة جهيمان غضب لمثل هذا الأمر، فالمهدي لا يُقتل حتى يبلغ رسالته ويحقق مهمته. وكانت الجماعة تنتظر الخسف بالجيش القادم مِن منطقة تبوك لمجاربة المعتصمين بالحرم وبينهم المهدي، حسب ما يرد بأخبار ظهور المنتظر، وأشيع بين الجماعة أن الأمر حدث وخُسف بالجيش، برواية أحدهم أنه سمع الخبر مِن الإذاعة، فكبّر المعتصمون إعلاناً للنصر، وتحقق الرواية. استمر اقتحام المسجد 22 يوماً، أي من 21 تشرين الثَّاني وحتى 14 ديسمبر 1979، فاعتقل جهيمان بعد قتل المهدي المنتظر، وأُعدم في التاسع مِن يناير 1980[845].

ديسمبر (كانون الأول 1979.

845 راجع: ناصر الحزيمي، ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام، كتاب (مسبار) الثالث والأربعون، يوليو (تموز) 2010.

كل ما تقدم مِن حركة مهدوية القحطاني صاحب جهيمان، وما سنعرضه مِن مهدويين آخرين، باختصار، اعتمد على الرَّوايات والأخبار والمنامات، وخطورة تلك الروايات والأخبار والحكايات، إن صح التعبير، فهي لم تبق متداولة كقصص عنترة بن شداد أو أبي زيد الهلالي، إنما تحولت إلى أفكار وتخطيطات قادت إلى الهجوم على الحرم المكي، واحتجاز المصلين فيه، ومبايعة إمام جديد، وهو المعيَّن مِن قِبل الله. لكن، ما من حركة فكرت ماذا يفعل مهديها بعد أن تتم له البيعة، ويحالفه الانتصار. هنا يتحول شكل الدَّولة إلى كيان غامض، أمره عند الله، لكن في حالة جهيمان هو العودة إلى السَّلف، ومحو أي وجه حضاري، فإذا كانت بداية الحركة تكسير الصُّور والتَّماثيل فماذا يكون الحال عند الانتصار!

(السَّفارة) البحرينية

كذلك في أجواء شبيهة بالعراق، إلى حد كبير، ظهرت جماعة بدولة البحرين، حوالى العام 1988، عُرفت من قِبل خصومها بجماعة (السفارة)، وهي جماعة (الأمر)، والمقصود بالسفارة صلة الارتباط بين الإمام المهدي المنتظر والأتباع، بادعاء أنها تأسست بأمر من الإمام المهدي نفسه، وأخذت تبشر بظهوره، وتجمع الأتباع المناصرين، وتبلور منهم ما يشبه التنظيم، على اعتقاد أن الزمن يحتاج إلى تغيير، ولا يأتي هذا التغيير إلا عن طريق الإمام، الذي له النيابة الشاملة على

الأمة، وهي جماعة شيعية بطبيعة الحال، وحصل تبدل بأفكار عدد مِنْ أعضائها[846]. وصدر كتاب من قبل إحدى المنتميات السابقات إلى جماعة (السفارة)، البحرينية نرجس طريف، عن دار الإبداع (2007) تحت عنوان (الخديعة الكبرى)، كتبت ضد الجماعة على أساس أن ما حصل هو تنظيم سري مخادع[847].

تحول عدد منهم إلى تأسيس كيان أُطلق عليه اسم (جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية)، وقد زارني شخصان من أعضاء هذه الجمعية بفندق (الدبلومات) بالبحرين (نوفمبر 2005)، وكان أحدهما، وهو نائب رئيس الجمعية رضا أحمد رجب، على مستوىً من الثقافة والاطلاع، ولم يشر لا من بعيد ولا من قريب إلى قضية السفارة أو أي أمر يخص المهدي المنتظر، وزودني بمجموعة من إصدارات الجمعية، وهي سلسلة تحت عنوان (عندما نطق السراة)، وعناوينها (ثمانية كتب) مثيرة للجدل، تناولت الأزمنة التَّاريخية القديمة، والديانات السَّابقة، وعقيدة التوحيد منذ آدم أبي البشر، وأن هناك سرقة لتراث الأمة، والهدف هو تصحيح التَّاريخ المزور.

وصدر ضد هذه الجماعة كتاب تحت عنوان (انتحالات الأدعياء، جمعية التجديد الثقافية أنموذجاً)، لمؤلفه العراقي فرقان الوائلي، صدر عن دار المحجة البيضاء ببيروت 2007. ويدعي مؤلف

---

846 موقع ملتقى البحرين: www.bahrainonline.org/showthread.php.

847 www.bahrain.maktoobblog.com

الكتاب أن كل ما نشرته جمعية التجديد عبارة عن سرقات أدبية وفكرية[848].

هل الحوثية مهدوية!

ظهرت حركة (الشباب المؤمن) العام 1990، و وشاع اسمها وعُرفت بالحوثية، نسبة إلى حسين بن بدر الدِّين الحوثي، بصعدة بأقصى شمال اليمن، والمنطقة تاريخياً على المذهب الزَّيدي، وهي حاضنته منذ حل بها الإمام الزَّيدي يحيى بن الحسين الهادي، في العام 247 هـ، ومِن هناك برزت الإمامة الزَّيدية باليمن، واستمرت لأكثر مِن ألف عام[849].

وبشكل عام لا يشخص الزَّيدي اسم المهدي، ولا يقولون فيه، لكن يُجمع قولهم في الإمامة ومِن يتولاها بالقول: (أول مَن جمع صفات الإمامة، واستوفى شرائطها، وقرن الدَّعوة إليهما بعد الحسن والحسين عليهما السَّلام، هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين عليه السَّلام، ثم ابنه يحيى بن زيد عليه السَّلام، ثم مِن سلك طريقتهما وسار سيرتهما وأقام الدَّعوة، ونهض بالأمر، وتجرد للأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ومباينة الظالمين، مع اجتماع أوصاف فيه مِن ولد الحسن والحسين عليهم السَّلام)[850].

---

848 شبكة عابرون الثقافية: www.abroon.net/forums/showthread.php

849 راجع: موسى النَّمراني، جذور التَّيار الحوثي باليمن، كتاب مسبار: الحوثيون سلاح الطَّائفة وولاءات السياسة، ص 13 وما بعدها.

850 ابن عباد، الزَّيدية، ص 160.

لكن يبدو أنه السَّلفية، باليمن الشّمالي، أخذت تنتشر على حساب المذهب الزَّيدي[851]، على يد العديد مِن رجال الدّين اليمنيين، الذَّين تحولوا إلى السَّلفية الوهابية وبشدة، مثل الشَّيخ عبد المجيد الزَّنداني، وكان مِن قبل زيدياً إمامياً[852]. ففي التسعينيات كان يقود المتشددين، ويخطب بالمعسكرات الخاصة بجنوب اليمن، بعد الوحدة اليمنية (أيار 1990)، وقضية تجنيد الشَّابة لينا مصطفى

---

851 موسى النَّمراني، جذور التَّيار الحوثي باليمن، الحوثيون سلاح الطَّائفة وولاءات السياسة، كتاب (مسبار)، ص 25.

852 كان الزنداني، في شبابه مع اليمن الملكي، على ما يبدو، أي زيدياً إمامياً، فيوم أسقط الإمام أحمد بن يحيى حميد الدّين العاصمة صنعاء، ودحر ثورة 1948، التي قام بها الإخوان المسلمين آنذاك، بتنسيق مع الجزائري الفضيل الورتلاني(ت 1959)، وكان الضابط العراقي جمال جميل، مرافق بكر صدقي السابق، والذي ساهم في انقلابه، أحد الضباط الثائرين، حيث تخلف باليمن وانتسب إلى الجيش اليمني، وتزوج مِن امرأة يمنية، ثم انتدب، من قبل الحكومة العراقية، إلى اليمن لتدريب الجيش اليمني على المدفعية، والذي كان على صلة مع الإخوان والوتلاني بالذات (مقابلة مع ابنة جمال جميل على موقع شركة البيضاء برس الإخبارية، على الرابط:
http://www.albidapress.net/news.php?action=view&id=5926. وهذا ما أفصح عنه أحمد بن محمد الشامي (ت 2005)، أحد المشاركين في أحداث الثورة، في كتابه (رياح التَّغيير في اليمن) بأن الورتلاني هو الذي أقنع الضابط العراقي جمال جميل وشكل جبهة مِن ضباط الجيش لتأييد الدُّستور، وهو الَّذي أقنع الضباط والأدباء وغيرهم لتأييد مبايعة عبد الله الوزير)إماماً ثورياً دستورياً)، وهو الذي حصل بثورة 1948 الفاشلة(العقيل، مِنّ أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، ص 166 عن كتاب الشَّامي). أصبح الزنداني في ما بعد أحد أبرز رموز الإسلام السّياسي باليمن، قال قصيدة حيا بها الإمام، وكانت المعارضة اليمنية الجنوبية قد نشرتها إثر احتفال النظام بالشمال وموقف الزَّنداني، وبقية رجال الدّين السَّلفيين معه ضد الجنوب، قال مناشداً الإمام أحمد(جريدة الوثيقة اليمنية، مكتب القاهرة 15 30 يوليو (تموز) 1995) نقلاً عن جريدة سبأ، العدد 14 الصادر في 5 جمادي الثَّانية 1372 هـ:

زهت الكائنات في يوم عيد النَّصـ ... ـر يـوم القريض والتغريدِ
هو يوم انتصار خير مليك ... في الــوراء غير مبدئ ومعيــدِ
ملك الشَّعب بالسماحة والبر ... وبالعدلِ والتقوى وعظم الجودِ
فأنعم اليوم وأهنأ بمليكٍ ... أنت تحت لوائه بعيش رغيــدِ

عبد الخالق (قتلت 1992) [853]، ابنة وزير العدل بجمهورية اليمن الدِّيمقراطية سابقاً ومسؤول تنظيم صنعاء للحزب الاشتراكي اليمني في ما بعد الوحدة، في التنظيم الأُصولي، واختفت عن أهلها لشهور، ولبست النقاب الإسلامي، ثم تم العثور عليها مقتولة على مقربة مِن دار الزِّنداني، وبمسدس ابنة الزِّنداني نفسه، أثارت تساؤلات كثيرة عن صلة الرَّجل بتنظيمات الإرهاب، التي أدت إلى تصفية 154 كادراً مِن كوادر الحزب الاشتراكي اليمني(1991-1992) [854].

قامت حركة الشَّباب المؤمن، والتي أيدها النِّظام اليمني، في بداية الأمر، مِن فتح المعاهد الدِّينية بصعدة، مع القرب مِن الشِّيعة الإمامية، في التمسك بولاية الإمام علي بن أبي طالب، وأدخلت مؤخراً عليها طقوس عاشوراء، وجرت حرب مع حكومة صنعاء عنيفة بين 2004 و 2008، واتهمت إيران بمساعدتها، ودخلت المملكة العربية السُّعودية طرفاً، لدخول جماعة الحوثيين إلى الأراضي السُّعودية.

ولا ندري هل مِن مؤثر في قضية المهدي المنتظر، وهو مقالة جديدة في الفكر الزَّيدي، بتعيين شخص لهذه المهمة، إنما كان المعروف أن يتولى الأمر مَن قام به مِن سلالة الحسن والحسين، أي فاطمي،

853 كانت طالبة في ثانوية الجلاء بعدن، حيث كنت أدرس هناك ولي معرفة بعائلتها، لم تكن محجبة، وليس لها في الأصولية، أو التدين على طريقتها بشكل عام.

854 تفاصيل مثيرة عن المعسكرات، وقضية قتل الشابة لينا مصطفى عبد الخالق، وردت في جريدة صوت العمال اليمنية، الصَّادرة بعدن، العدد: 1045 والمؤرخ في 30 يناير (كانون الثَّاني) 1992.

غير محدد. في هذا الأمر نقرأ عن الشَّيخ علي كوراني العاملي في أمر اليماني، الذي يمهد عادة لظهور المهدي المنتظر. فينقل عن الإمام جعفر الصَّادق(ت 148 هـ)، في ما ورد بـ(بحار الأنوار) ما نصه: (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسُّفياني، والصَّيحة، وقتل النَّفس الزَّكية، والخسف بالبيداء)[855]. ثم ينقل عن البحار أيضاً: (يخرج مِن اليمن مِن قرية يقال لها كرعة)[856].

ويضيف الكوراني شارحاً ما تقدم: (وكرعة قرية في منطقة بني خولان باليمن قرب صعدة، وإن صحت الرِّواية فلا بد أن يكون المقصود فيها أن اليماني يبدأ أمره مِن هذه القرية)[857]. ويكون الكوراني قاصداً ما حصل بصعدة، عندما ينقل عن كتاب (بشارة الإسلام): (ثم يخرج ملك مِن صنعاء اسمه حسين أو حسن، فيذهب بخروجه غمر الفتن، يظهر مباركاً زكياً، فيكشف بنوره الظَّلماء، ويظهر به الحق بعد الخفاء)[858]. إن كتاب الشَّيخ الكوراني ليس ببعيد عن وجود الحوثية، فهو صدر (2004)، وهي بدأت ونشط في 1990، ولعلها إشارة منه إلى تشيعها الإمامي، وأهم الأركان فيه هو المهدي المنتظر.

---

855 الكوراني، عصر الظُّهور، ص 113.

856 المصدر نفسه، ص 115.

857 المصدر نفسه.

858 المصدر نفسه.

الجماعات العِراقية:

جماعة الصَّرْخي

هناك في وادي الفرات الأوسط، الحلة وكربلاء، ظهرت جماعة تنادي بما نودي به، من قبل، في غزوات إسلامية وثورات عباسية: (يا منصور.. أمت أمت). تدعو هذه الجماعة إلى رجل دين يُدعى آية الله محمود الحسني الصَّرْخي. كان مشهدهم، وهم يستعرضون قوتهم في طرقات الحلة، مثيراً للانتباه والتساؤل: يرتدون الأزياء الرياضية، ونقشت على قمصانهم صورة قائدهم الصَّرْخي. لهم جريدة تصدر بعنوان (الفتح المبين)، وموقع إلكتروني، يظهر فيه الصَّرْخي وكأنه نزل تواً من السماء، سابحاً بين الغيوم، ليعطي تصوراً قدسياً وزخماً بالأمل القادم من السماء. وقد أشرنا سلفاً إلى أن أغلب المواقع الإلكترونية الدِّينية تُقدم زعماءها بهذه الطريقة المثيرة!

وقيل إن الصَّرْخي تحدَّر من صُرْخ الإيرانية، مع أن الحموي في (معجم البلدان) يراها اسم جبل بالشام، وأن ما بإيران هي صُرْخِيان، وعليه يكون الصُرْخياني لا الصَّرْخي. هذا ما دفع وكيله بكربلاء الشَّيخ أبو باقر الخاقاني لتكذيب رواية إيرانية مرجعه، ويقول: إنه عراقي، ومن أولاد الحسن بن علي، والاسم نسبة إلى لقب جده الأعلى الصَّرْخَة. ووجدت من معاني المفردة الأذان، فلعلَّ جده هذا كان مؤذناً.

ونقرأ بقلم أحد طلاب حوزته في نسبه بما يرقى إلى الإمام موسى الكاظم، وان مولده في يوم مقدس هو ليلة البعثة النبوية، هو: (محمود بن عبد الرضا بن محمد بن لفتة بن بلول بن حاوي بن حسن بن محمد بن غزال بن جنديل بن خليفة بن سلطان النجدي بن غالب بن رشيد بن خلف بن حسين بن جاسم بن أسود بن سلهب بن مشيرف بن درع بن مغصوب بن قتادة بن إدريس بن علي (قاضي المدينة) بن (صرخة) بن إدريس حتى يصل إلى الإمام الحسن بن علي(ع))[859]. وترى مستخرج نسب الصَّرْخي، الذي أخذ يُلقب بالمرجع الأعلى وآية الله العظمى، أسند النسب بحزمة من المصادر والرسائل.

إن انتقاء (يا منصور..) من الماضي السحيق، شعاراً يمثل فكرة الجذب والتأثير بما يناسب حال العراق الآنية الخُرافية، وهيمنة الشعارات الدِّينية والمذهبية، وتمرير ما يراد تمريره عبرها. كان (يا منصور..) شعاراً للمسلمين ببدر[860]، وبعدد آخر من الغزوات والمعارك، وبعدها أصبح شعاراً للحركات الشِّيعية بالكوفة، نادى به مسلم بن عقيل (قتل ذو الحجة 60هـ 680 ميلادية)[861]، والمختار ابن عبيد الله الثقفي (قتل 67هـ 686 ميلادية)[862]، ومن بعد نادى

---

859 موقع الصرخي الرسمي: http://www.alhasany.net/a1.htm

860 ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 2 ص 216 (عَقد رسول الله (ص) الألوية... وقيل كان شعار الكل: يا منصور أمت).

861 الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 103.

862 ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ 4 ص 218. وإلى جانب (يا منصور أمت) كان شعار المختار: (يا لثارات الحسين) (المصدر نفسه).

به زيد بن علي (قتل 122هـ 739 ميلادية)، بعد أن نادى به جيش الأمويين الذي قاتله[863]. ونادى العباسيون بالشعار نفسه في المعركة الفاصلة (132هـ749 ميلادية) مع الأمويين[864]، والتي دارت رحاها على ضفاف نهر الزاب من شمال العراق. ويغلب على الظن أنه نادراً ما خلت من هذا الشعار، ثورة أو معركة في التَّاريخ الإسلامي.

أشارت هذه الخلفية إلى عناية انتقاء الشعارات في حاضر العراق، ومواءمتها للروح الخاوية من فكرة المستقبل، وحصر العقول بالعودة إلى الوراء. ولا يعني ظهور مثل تسمية (الأمويين الجدد)، و(الصفويين الجدد)، إلا التشديد على تراجعات الماضي، لا تقدمياته العديدة. ويبدو أن الأمر محمول على الغلو في توظيف الشعار الدِّيني خلال الحرب العراقية الإيرانية، التي أصبح فيها العراقيون، ولمدة ثماني سنوات، كفاراً، حسب الإعلام الإيراني، بينما أمسى الإيرانيون مجوساً، حسب الإعلام العراقي. وما نقشت عبارة (الله أكبر) على العلم العراقي إلا لأسلمة غزوات السُّلطة! وما يرافق تلك الممارسات والشعارات من جهل وتجهيل وإلغاء للعقول!

---

863 المصدر نفسه 5 ص 243. والأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 133. قال: (ونادوا بشعارهم شعار رسول الله).

864 ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ 5 ص 419.

وتبدو مجاراة مزاج العامة، عبر شعاراتها، هي الحالة العراقية الأبرز، واستخدامها من قِبل الأحزاب الإسلامية المهيمنة، ومن هنا يجري استلابها. فلا تفكير في مصالحها وحقوقها لدى الكيانات التي تسعى إلى تخديرها بالتكثير من مناسبات الحزن والتواطؤ مع مخلفات الماضي ضدها: الإكثار من الخطاب الدِّيني، ومن الأذان بتفاصيل أكثر من استحباب الأذان نفسه، كإضافة الشَّهادة الثَّالثة وإلحاقها بعبارة (علي وأولاده المعصومين حجج الله)، والاحتفال بوفيات وولادات مقدسة، إذا ما أخذت كعطل رسمية ستصبح أكثر من أيام العمل على مدار السَّنة.

أي أن استحضار المشهد الدِّيني والمذهبي على مدار فصول السَّنة لا يترك للعراقي فرصة الصحوة من شجون الزمن الغابر، وفرض الانقياد للرموز الدِّينية، التي حلت محل رمز الأمة والقائد الضرورة. هذا من دون حساب تحويل الأمل إلى واقع مرير إلى حد اليأس، ومنه محاولات إسقاط فكرة العدالة كأمل، بما فيها تشويه انتظار البسطاء لظهور المهدي المنتظر كعقيدة. لهذا لم تعد جماعة الصَّرْخي في توظيف (يا منصور..) استثناءً ونشازاً.

في كل الأحوال، ليس للمرجعية الدِّينية النجاة من تأثيرات زلزال التاسع من نيسان (أبريل) 2003. أعني إشاعة تعدد المؤسسات والآراء والعقائد. وقبل ذلك ما كان أحد يجرؤ على الانفلاق المرجعي إلا بتسهيل من السُّلطة، أو قوة مقتدرة، وعلى خلفية معاكسة المرجعية

الفارسية بمرجعية عربية، منها تسلم المرجع المرشح من قِبلها لتأشيرات إقامة علماء وطلبة الحوزة الدِّينية الأجانب بالنَّجف، والتمكن من دفع رواتب وإعانات، وقبول مرشحيها لاعتمار العمائم. وكان من مظاهر الرضا الحكومي غضَّ الطرف عن التجمع الكبير في صلاة الجمعة، وهي الصَّلاة التي يرى كبار علماء الشِّيعة عدم جوازها إلا في ظل إمام عادل. بيد أن صدام لم يصبر على رؤية جماهير تلتف حول غيره سواء كان رجل دين أو مغنياً.

وبلا ريب، ليس من السهولة تخلي العامة عن فكرة الرمز والفتى الأول، بعد أن ضخت في أدمغتهم لعقود من الزمن. لذا تجدهم بغمضة عين استبدلوا صور صدام بأكثر من صورة، وفي الأمكنة نفسها، مقابل الخراب تحت تلك الجداريات الشاخصة بجبروت عند مداخل وبوابات المدن والقرى. وتجد محمود الصَّرْخي وسواه من رافعي شعار الدِّين والمهدي يحاولون انتهاز الفرصة.

في ظل هذه المرحلة الخرافية، من تاريخ العراق، تقدم السَّيد محمود الصَّرْخي بمرجعيته الدِّينية، متجاوزاً الحدود لمنافسة المرجعية التَّقليدية، وكأحد البدلاء الكثيرين للرمزية التي اكتشفت حقيقتها في الحفرة أمام أنظار العالم. ومن دواعيه: نيابة الإمام الغائب بالأعلمية. وربما يفهم من تأسيسه لحوزة باسم الإمام جعفر الصادق، وهو أساس الرواية والفقه الشِّيعيين وتأسيس حزب باسم (الولاء)، تأكيداً لتلك المرجعية والنيابة. وبالتالي اللعب على فكرة ولاية فقيه عراقية،

ومعاداة أمريكا وإيران على حد سواء، ومخالفة الدعوة إلى الفيدرالية. وبهذا تضع الصَّرْخية، إن صحت التسمية، بمرجعيتها المبتكرة نفسها دينياً في مواجهة مرجعية آية الله علي السِّيستاني، وبقية المراجع الكبار، وتجدها تواجه سياسياً فرقاء الائتلاف الشِّيعي عامةً.

كانت مهاجمة القناصل الإيرانية بالبصرة أول ظهور إعلامي واسع للصَّرْخية، على خلفية تصريحات الشَّيخ اللبناني علي الكوراني عبر قناة (الكوثر) الإيرانية ضد مرجعهم بأنه غير مؤهل، ويدعي ملاقاة المهدي.. الخ! أما المعارك بكربلاء، وإن قيل إنها ضد الزوار الإيرانيين على ذمَّة قناة (الكوثر) التي بثت كلمات الشَّيخ الكوراني. لكن، هناك مَنْ أشار إلى حقيقة، أو سبب آخر، هو الخلاف حول أموال نذور الحضرة الحسينية، وهي أموال طائلة، لو علمنا كثرة النذور في وقتنا الحاضر.

وإثر المواجهات الدامية، على النذر لا الوطن، يحاول الصَّرْخيون إضفاء مسحة مباركة على اختفاء صاحبهم، وهي الغياب لدفع المضرة واقتناص الزمن (المبارك) للظهور، وهي محاولة للتماثل مع غياب المهدي. قال شيخ الطَّائفة الطوسي (ت 460هـ 1067 ميلادية): (لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل)[865]. وقد تمثل بهذا الغياب، من قبل، المدعي بنيابة المهدي

865 الطوسي، كتاب الغيبة، ص 119.

الباب علي محمد الشيرازي (أُعدم 1850) في استتاره وظهوره. ومَنْ يدقق في هيئتي الشيرازي والصَّرْخي، عبر صورتيهما، يجد التقارب واضحاً في الإيهام ببشارة مؤملة.

عموماً، يأتي ظهور جماعة الصَّرْخي، والشعار (منصور أمت..) واحد من مظاهر تعبر عن حالة اضطراب عراقية قصوى، واستصغار للعقل السِّياسي العقلاني. بل إنها محاولة للتعالي على وجود العقل، والتحاسد والتسابق على إشغال العراقي المحمل بخلفية ثقافة الرمز والوَهم، باحتكار الشرعية! أما المواطن فأصبح مشروعاً للتضليل. وإلا بأي منطق، سياسي أو اقتصادي معاصر، تسوغ المعارك من أجل نيابة الغائب! وكيف يُراد لعقيدة دينية أن تتحول إلى علم يَحل معضلات العراق؟!

لقد غاب الصَّرْخي، وانسحب أتباعه من الواجهة، ولم يعلم حول مصير مرجعيته، خلا جريدته (الفتح المبين) تصدر متقطعة، وموقع إلكتروني. ولعلَّ فتواه في البعد عن السياسة تفسر ذلك الغياب من واجهة الأحداث، وتوجه للمرجعية فقط، متخذاً منحى المراجع المعروفين ببعدهم عن السياسة، فتراه يفتي بالآتي:

(المعنى المتداول والمعروف في السياسة وبين السِّياسيين هو عدم الأخلاق في السياسة، وشعارهم وفعلهم الكذب والنفاق والكذب، من أجل تحقيق المصالح والمنافع الشَّخصية أو العصبية أو الطَّائفية

أو القومية أو غيرها، وعلى حساب الإساءة للآخرين وظلمهم، ومثل هذه الأجواء الملوثة الفاسدة فكرياً وروحياً وأخلاقياً يجب على المجتهد الفقيه الابتعاد كل البعد عن ذلك ، وكلكم يدرك ويحس وجداناً الصورة المشوهة القبيحة التي لازمت العديد من العناوين والرموز الدِّينية، التي حارت في العملية السِّياسية وتدخلت فيها)[866].

مع التأكيد على الهوية العراقية، فإن القليل من فقهاء الدِّين أو رجاله، يتحدثون عن الآثار، ما قبل الإسلام بهذه الروحية، وهذا الانفتاح، ولم يعدها من الإرث الوثني. يظهر السَّيد الصَّرْخي في الصورة محتضناً النص تحت عنوان (آثارنا تربطنا بأرضنا)، ويعلوه مجسم مسلَّة حامورابي، والثور المجنَّح، إلا أن مفردات مثل: العمالة، والدكتاتورية، والتصريح بالاتهام ذات منشأ سياسي، وليس مرجعياً.

قال: (فالآثار القديمة يجب صيانتها والحفاظ عليها، لأنها تربطنا وتشدنا لأرضنا وعراقنا الحبيب وشعبه العزيز، والمفروض أنها توحِّدنا لوحدتنا القديمة الأزلية على أرض الرافدين التي تكشفها وتعبِّر عنها الآثار القديمة. فهي فخرنا وعزُّنا لأنها تضيف عنصر وأساس قوة لنا ولأرضنا، فيصح أن نقول، بل الواقع يثبت أن العراق أصل ومنبع الحضارات، وأرض الأنبياء، وشعب الأوصياء والأولياء الصالحين الأخيار. نعم، عراقنا عراق الحضارة والنبوة والإمامة

---

866 موقع الصَّرخي الرسمي: http://www.alhasany.net/a1.htm

والولاية الصالحة العادلة، ولولا الاحتلال وقبله الدكتاتورية، ولولا الفساد والمفسدين، ولولا العملاء والمنتفعين لاستثمرت الآثار والمناطق الأثرية على أفضل وأنجح استثمار، ولأصبحت ثروة وطنية كبرى كالنفط والزراعة. لكن، أين النفط وأين الزراعة بل أين الإنسان العراقي، وبالتأكيد نقول أيضاً أين الآثار والسياحة والتراث الدِّيني والوطني والقومي وغيرها أين هي؟!)[867].

يغلب على الظن أن السَّيد الصَّرْخي بدأ بمشروع سياسي، مثلما هو الشَّيخ محمد اليعقوبي، فقيه أو ولي حزب الفضيلة، وهما المهندسان المدنيَّان والتلميذان لمرجعية محمد محمد صادق الصَّدر، حسبهما سيرتهما، ومن جيل التسعينيات في الدراسة الدِّينية. إلا أن الصَّرخي حاولها عن طريق المهدوية، فهي الطريق الأسرع والأمضى لدى البسطاء، لكنه تراجع وعكف على الشأن المرجعي، ليعلن نفسه الأعلم، والمرجع الأعلى، وآية الله العظمى، وحصل على مؤيدين، ولا يهم الأمر إذا كثروا أو قلوا.

جند السماء

يبدو أنه كان لجند السماء تاريخ أبعد من التأثيرات الإيرانية، في المرحلة الصفوية وما بعدها، يخبرنا ابن بطوطة (ت 779هـ1377 ميلادية)، أنه زار الحلة في زمن السلطان المغولي أبي سعيد بهادرخان

867 المصدر نفسه.

(716-736هـ 1316-1335 ميلادية)، وهي مركز الفرات الأوسط، وشاهد آنذاك جماعة حالها حال جُند السماء، التي ظهرت العام 2006 وحيث الموقع نفسه، إذا علمنا أن أغلب الجماعة الأخيرة انحدر من الحلة نفسها.

قال: (من عاداتهم أن يخرج في كلّ ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح، وبأيديهم سيوف مشهورة، فيأتون أمير المدينة، بعد صلاة العصر، يأخذون منه فرساً مُسرجاً مُلجماً أو بغلة كذلك، ويضربون الطبول والأنفار والبوقات أمام تلك الدابَّة، ويتقدمها خمسون منهم، ويتبعها مثلهم، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ... ويقولون: باسم الله يا صاحب الزمان! باسم الله اخرج، قد ظهر الفساد وكثر الظلم، وهذا أوان خروجك)[868].

هذه مجرد خلفية للمنطقة، وصِلتها بالتراث المهدوي على مر القرون، وقد صُوّر ظهور المهدي للناس عبر روايات أكثَرَ منها أخباريو الشّيعة، وكذلك السُّنَّة مع الاختلاف في شخصية المهدي. وبطبيعة الحال، ما تعنيه فكرة الظُّهور من أمل في الخلاص من واقع مرير، وفقر مدقع. وحتى 28 كانون الثَّاني (يناير) 2007، وفي أوان الزيارة الأربعينية لمرقد الإمام الحسين بكربلاء (يعتقد الشّيعة أنه في هذا اليوم وأعني به العشرين من صفر من كل عام أن رأس الحسين ورؤوس أهل

---

868 ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 220 - 221.

بيته وأتباعه المخلصين عادت ودفنت مع أجسادهم)، فظهر جماعة بين بساتين الحلة والنَّجف، يدخرون الأسلحة، ولهم نظام خاص في معيشتهم، وهناك مَنْ نقل عنهم أنهم كانوا يمارسون الموبقات، يشربون الكحول، ويتبادلون الزوجات، وقيل هي أكاذيب خصومهم، من الذين في السُّلطة، بما سيأتي لاحقاً شرحه لدى السلوكيين! يعتقدون بظهور المهدي المنتظر يقودهم ضياء عبد الزهرة الكرعاوي، الثلاثيني العمر، المتخرج، مثلما ورد في سيرته، من أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد.

وحسب الإعلام الرسمي، قيل إن لديهم مخططاً باغتيال المراجع الدِّينية بالنَّجف، ومحاولة السيطرة على الضريح العلوي، أي قبر علي بن أبي طالب، وقد جهزت الحكومة العراقية، وبمساعدة الميليشيات كما يبدو، حملة شعواء ضدهم، رافقها اتهامهم بالانحراف واللاأخلاقية، وقد أسفرت الحملة عن قتل وجرح واعتقال أكثر من 600 شخص منهم، وبينهم أطفال، وقيل أكثر بكثير، والغريب أنه أُسدل الستار على القضية، ولم يُعلن التحقيق الذي وعدت به رئاسة الوزراء في أكثر من مناسبة.

ومن جانب آخر يُعتقد أنهم كانوا ضد إيران، وأن القضاء عليهم جرى لصالح إيران. وقد وعدت الحكومة العراقية حينها بالكشف عن ملابسات القضية، وعدد القتلى، والمسببات، لكن بدلاً من كشف القضية أخذت الكتل الحاكمة تستغل الحادث ضد خصومها السِّياسيين، فقد اتهمت رئيس الوزراء الأسبق أياد علاوي وكتلته

بالتواطؤ وشخصيات أخرى، لكن بلا أدلة. والجدير بالذكر أن هيأة علماء المسلمين، برئاسة الشَّيخ حارث الضاري، بل والكتلة السُنَّية في البرلمان عامةً، طالبت الحكومة بالكشف عن مسببات الحادث، وأن الذين قتلوا هم من العشائر الثائرة ضد الأوضاع الجارية!

بينما جاء في بيان الحكومة العراقية، على لسان الناطق الرسمي: (جند السماء جماعة عقائدية دينية مسلحة أرادت الهجوم على الروضة الحيدرية (نسبة إلى لقب علي بن أبي طالب: حيدر) بالنَّجف. وما يزال التحقيق جارياً حول ارتباط هذه الجماعة داخلياً وخارجياً، ومن الواضح أن قدرات هذه الجماعة ليست ذاتية بل إن هناك تداخلاً بين الأهداف الدِّينية والأهداف الإرهابية تستعمل العنف المسلح).

وقال المتحدث الرسمي باسم مجلس الوزراء حول عددهم وعدتهم: (هناك من خمسين إلى ستين منزلاً متوزعة على عشرة مزارع، أقاموا فيها سواتر عسكرية وخنادق تحيط بهم، ولديهم أجهزة اتصالات ودراجات نارية لمراقبة الطريق، كما كان لديهم أكثر من ثمانين سيارة، ويتملكون أجهزة خفيفة ومتوسطة... وهناك ساحة تدريب وبطاقات خاصة لدخول المعسكر، ومخازن ومطبعة صغيرة لطبع المنشورات والمولدات الكهربائية في الموقع، حيث عُثر على سجل يضم أسماء أفراد المجموعة) (عن وكالات الأنباء في حينه).

وذُكر أن المرجع الدِّيني آية الله علي السِّيستاني أفتى بدفن قتلى جماعة جند السماء، وقد دفنوا في أرض خصصت لهذا الشأن، بعد ترقيم الجثث لتسليمها إلى المطالبين بها من ذويهم. وكان أكثر القتلى من منطقة الهاشمية التابعة لمحافظة بابل، أما المعركة فجرت بمنطقة الزركة (الكاف الفارسية) قريباً من الكوفة.

وفي ما يتعلق بجند السماء فإن الحليين، أهل الحلة، يتداولون كتاباً عنوانه (قاضي السماء)، لم أقرأه، ولكني قرأت كتاباً مشابهاً له صدر من مدعٍ آخر للمهدوية وهو، حسب ما ورد على غلافه: (الطور المَهَدوي) تأليف العالم سبيط النيلي. وقيل: كان النيلي مهندس الكترونيات، وأكمل دراسته بالاتحاد السوفيتي، ومتوفى السَّنة 2001. واشتهر مثله كتاب (قاضي السماء) لضياء عبد الزهرة الكرعاوي زعيم جند السماء. والكتابان يحتويان على مبررات مدعمة بالروايات والتأويلات، على أنها تأكيدات للاستخلاف التَّاريخي للمهدي المنتظر، وحتمية ظهوره. ولا ندري، هل هناك مَنْ أطلق على هؤلاء تسمية (جند السماء) أم أتت التسمية من لدنهم! وقد ثبت أن لا صلة لهذه الجماعة بما حدث مؤخراً بالبصرة والنَّاصرية، في كانون الثَّاني (يناير) 2008، إنما هذا من شأن نائب آخر للمهدي المنتظر!

ولعلَّ للتسمية، سواء كانت من لدن أصحابها أو من المناوئين، لها صلة بما ورد في التَّاريخ الإسلامي، حول نزول الملائكة، وهم (جند السماء)، لا سواهم، لنصر المسلمين في المعارك والغزوات، وأول ذلك

كان في معركة بدر الكبرى (2هـ 624 ميلادية). روى ابن هشام (ت 213هـ 828 ميلادية): حدثنا أهل العلم: (أن علي بن أبي طالب قال: العمائم تيجان العرب. وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرخوها على ظهورهم إلا جبرائيل فإنه كانت عليه عمامة صفراء)[869]. وأكثر من هذا أورد ابن هشام: (كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حُنين عمائم حُمراً)[870].

و كيف لا تذهب المخيلة بعيداً بالحلة أو سواها من البلاد، من إبداع اسم مثل (جند السماء)، وقد ورد ذلك في الكتاب: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)[871]. وأسباب نزول الآية مثلما نقلها الطبري (ت 310هـ 922 ميلادية) أنها نزلت في يوم بدر بعد مناجاة الرَّسول: (اللهمَّ إني أسألك عهدك ووعدك، اللهمَّ إن شئت لم تُعبَدْ بعد اليوم)[872]. قال الطبري: (كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حُنين عمائم حُمراً، ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر)[873].

---

869 ابن هشام، السيرة النبوية 2 ص207.

870 المصدر نفسه.

871 سورة الأنفال، الآية: 9.

872 الطبري، تاريخ الأمم والملوك 2، ص 326-327.

873 المصدر نفسه 2 ص 331.

وبعد حين يوظف ذلك الموقف، في المعارك التي خاضها المختار ابن أبي عبيد الله (قُتل 67هـ 686 ميلادية)، ورد في الرواية أن أحد أتباعه (يحلف بالله أنه رأى الملائكة تُقاتل على الخيول البُلق (سواد وبياض) بين السماء والأرض)! فقال له المختار (اصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين). ولما نزل من المنبر قال له المختار: (إني أعلم أنك لم ترَ الملائكة)[874]!

وفي المعنى نفسه يُنقل عن عبد الله بن الزبير بن العوام(قتل 73 هـ 692 ميلادية)، أنه قال عندما حوصر بالبيت الحرام، فرجى الله أن يعينه بجنود من الملائكة[875]:

يا ربُّ إن جنود الشام قد كثروا

وهتكوا من حجاب البيت أستارا

يا ربُّ إني ضعيف الركن مضطهد

فابعث إليَّ جنوداً منك أنصارا

هذا من ناحية أُصول أو مؤثرات التسمية بجند السماء، أما من ناحية رؤية الإمام المهدي المنتظر، واتصاله بعلماء المذهب، بعد أن غاب الغيبة الصغرى في القرن الثَّالث الهجري، وانقطع أثره بموت آخر السفراء في القرن الرابع الهجري، فتنقل روايات عديدة، وظلت تُشاع

---

874 المصدر نفسه 5 ص 173.

875 المسعودي، مروج الذهب 4 ص 108.

بين النَّاس أنه رُئيَ من قبل العديد من العلماء، كضرب من ضروب الكرامات. ولا تروى كمنامات إنما كوقائع.

روى شخص يدعى الملا زين العابدين: أن السَّيد محمد مهدي بحر العلوم البروجردي (المولود 1742)، رأى الإمام أثناء صلاته تحت قبة المرقد العسكري بسامراء، وقد لاحظ الذين يصلون خلفه توقف بحر العلوم عند التسليم الأول من الصَّلاة، ولما سُئل قال: (توقف لساني ومن الدهشة وهيبة الإمام لم أستطع أن أتكلم ... حتى انتهى الإمام (ع) من زيارة جده وأبيه ورجع)[876].

كذلك ينقل شخص يُدعى السَّيد جواد حادثة أخرى اتصل فيها بحر العلوم بالإمام صاحب الزمان. قال: (رأيت في بعض الليالي أستاذي بحر العلوم يخرج من النَّجف، فتعقبته حتى دخلنا مسجد الكوفة، فرأيته يذهب نحو مقام صاحب الأمر (ع)، وقد تحدث مع الإمام. فسأله عن مسألة فقال له (ع) أنتم مكلفون في الأحكام الشرعية بالأدلة الظاهرة، وما تستفيدونه من الأدلة، ولستم مأمورين بالأحكام الواقعية)[877].

ومثل ذلك ما نقله الشَّيخ علي صاحب كتاب (الدر المنثور) كرامةً للشيخ محمد ابن الشَّيخ حسن بن زين الدِّين الشهيد الثَّاني (ت

---

876 التنكابني، قصص العلماء، ص 188.

877 المصدر نفسه، ص 189. ولعلَّ العبارة المنسوبة إلى الإمام المهدي المنتظر: (ولستم مأمورين بالأحكام الواقعية) جاءت نفياً لولاية الفقيه، المتجذرة سماتها منذ العهد الصفوي!

1030 هـ 1620 ميلادية) في القصة الآتية: (اشتهر أن جنابه كان يطوف مرة، فجاءه رجل وأعطاه باقة ورد، من الورود المختلفة، التي لا وجود لها في مكة وأطرافها، سيما أن الفصل لم يكن فصل ورود. فقال الشَّيخ لذلك الرجل من أين هذا الورد؟ فقال: هذا من الخراب. فأراد الشَّيخ أن يراه بعد ذلك السؤال والجواب فلم يجده مهما فتش عنه)! ويعلق صاحب كتاب قصص العلماء قائلاً: (إلى هنا كلام الشَّيخ علي. ومن العلوم طبعاً أن هذا الشخص هو صاحب الأمر (ع))[878].

هناك الكثير مثل تلك الروايات، التي لا يقرها العديد من العلماء، لكنها تظهر وتسري عادة عند الأزمات، وتراجع المعقول أمام اللامعقول، وهل أكثر من عقيدة غياب وظهور المهدي المنتظر حضوراً في تلك الظروف، و استخداماً لإغواء العامة! فبعد جماعة جند الإمام، المار ذكرها، وجيش المهدي، وجماعة الصَّرْخي، وجند السماء، خرجت بالبصرة جماعة تحت اسم (أنصار الإمام المهدي). وهي تُخالف رسالة المهدي المنتظر، المنشورة في الكُتب التي غرف منها المشاهدون للمهدي والمدعون من نوابه، وهي التي أعلن فيها غيبته الكبرى لسفيره الرابع ويخبره بموته:

قال: (يا علي بن محمد السيمري- عظم الله أجر إخوانك فيك. فإنك ميت، ما بينك وبين الموت ستة أيام. فاجمع أمرك ولا توص

878 المصدر نفسه، ص 320.

إلى أحد يقوم مقامك. فقد وقعت الغيبة التَّامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره. وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي من شيعتي مَنْ يدعي المشاهدة. ألا فمَنْ ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[879].

لذا حرص المهدويون الجدد، إن صحت العبارة، على إعلان الصيحة وتطبيق الروايات بخصوص السفياني واليماني! فيروى عن جعفر الصادق أنه قال: (خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني)[880]. وآخر صيحة كانت صيحة جماعة (أنصار الإمام المهدي) بالبصرة. وعندما نقول الجدد فهناك مئات المهديين خرجوا من قبل وقتلوا، والظاهرة مثلها مثل ظاهرة النبوة حيث خرج المئات من المتنبئين في التَّاريخ العباسي، تزامناً مع خروج المهديين! وكثيراً ما اختلط الأمر، وما زال المؤرخون يميزون بين أصحاب الدعوات بالفعل، وبين المتهمين بها من قبل السلطات.

---

879 علي، المهدي المنتظر عند الشّيعة الاثني عشرية، ص 240 – 241. الحائري، عقيدة الشّيعة، ص 41.

880 المجلسي، بحار الأنوار 52 ص 304.

أنصار الإمام المهدي[881]

انفجرت في 18 كانون الثّاني (يناير) 2008 أحداث دامية بالبصرة والنّاصرية، جنوب العراق، وجرى قتال بين القوات العراقية من جهة وجماعة أنصار المهدي، أو أصحاب اليماني، من جهة أخرى، وهم ليسوا من جماعة جند السماء، مثلما ظهر في الإعلام. انتظموا تحت إمرة شخص يدعى أحمد الحسن اليماني، واسمه الحقيقي: أحمد إسماعيل كاطع، وقد لقب نفسه بالركن[882]. وحسب بيانات جماعته أنه كان مقيماً بالنّجف، وربما ليعطوه زخماً دينياً، كونها مدينة الحوزة الدّينية، وتحتضن ضريح علي بن أبي طالب. ودعى هذا الشخص بأنه اليماني، الذي يسبق ظهور المهدي المنتظر، مثلما جاء في الروايات الخاصة بالظّهور، وهو رسول المهدي ونائبه، والمهيئ لأمره.

ونقرأ في سيرته أنه من مواليد الزبير من أطراف البصرة، وقيل من عشيرة السيامر، وهي عشيرة تقطن بمنطقة المديّنة (تصغير المدينة) من شمال البصرة، وبالتالي فهو ليس من نسل السادة، نسل النّبي، لكن هذا ليس دليلاً، فالعديد من المدّعين نسل النّبي محمد

---

881 أغلب المعلومات المتعلقة بأنصار المهدي ومناظراتهم وسيرة اليماني مستقاة من موقع الجماعة الرسمي، ومن بيانات ورقية حصلنا عليها: http://ar.almahdyoon.org/

882 لا يعني هذا أن اليماني من فرقة الشّيخية، التي بالبصرة، وما نُقل عن عقيدتها في المهدي المنتظر، وهو مثلما سلفت الإشارة: (وجود رجل من الرعية واحد ناطق عن الإمام، بدل عنه كلّ من كلٍ، حاك عنه ومراتٌ له، متصرف في الكون والشرع، وإن هذا الرجل الناطق هو إمام الزمان وسلمان الأوان وركن الإيمان، فلذا سموا بالركنية) (الحائري، عقيدة الشّيعة، ص36). راجع أيضاً: (آل الطالقاني، الشّيخية، ص 306).

ينتمون إلى عشائر العراق. كان كاطع قد تخرَّج من كلية الهندسة، قسم الهندسة المدنية، ودرس العلوم الحوزوية الدِّينية بالنَّجف.

أعلن بعدها تكليفه من قِبل الإمام المهدي المنتظر، في أيام صدام حسين، (لإصلاح شؤون الحوزة العلمية (الدِّينية)). ثم أعلن نيابته للمهدي آنذاك، وانتقد علماء النَّجف لأنهم سكتوا عن فضيحة صدام، وفي تلك الأيام، عندما كتب القرآن بدمه، ولهذا السبب تنبأ بسقوطه، وغيرها من النبوءات والكرامات! هذا، ويعتقد أحمد الحسن اليماني أن عدد المهديين اثني عشر مهدياً، وهو أحدهم، أي على عدد الأئمة المعصومين!

بدأت دعوة أحمد إسماعيل كاطع اليماني، حسب ما أفاد بيانه، من رؤيا في المنام، مفادها أن الإمام المهدي طلبه للقاء به، وتكررت الرؤيا أكثر من مرة في الليلة نفسها، وتحديداً كانت ليلة الثلاثين من شعبان 1420هـ، أي قبل سقوط نظام صدام حسين. وهذا دليل آخر على أن تلك الدعوات، مثلما جرى الحديث عن جيش المهدي، أنها لم تحدث بعد السقوط، بل بدأت أوان النظام السابق. بعدها تكررت دعوة الإمام المنتظر لليماني بطلب اللقاء به، وفي ضريح السَّيد محمد ابن الإمام علي الهادي(ت 252 هـ 866 ميلادية)[883]، الكائن بمنطقة

---

883 أبو جعفر السَّيد محمد البعاج ابن الإمام علي الهادي، ضريحه معروف بضواحي مدينة بلد، قريباً من الدُّجيل وسامراء، شُيد الضريح حديثاً على يد المرجع الميرزا محمد حسن الشيرازي، العام (1893) صاحب فتوى التنباك، عندما كان مقيماً بسامراء على ما يبدو(حرز الدِّين، مراقد المعارف 2 ص 262 - 265).

بلد، التابعة لقضاء سامراء، وهو عمٌّ الإمام المهدي المنتظر.

قام اليماني إثر ذلك بزيارة سامراء، حيث وجود المرقد العسكري، الذي يضم رفات الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، وفيه مكان السرداب، الذي غاب فيه المهدي، وشيدت فوقه قبة تُزار كبقية الأضرحة. وقام أيضاً بزيارة الأضرحة الأخرى، موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد ببغداد، ثم كربلاء، حيث مرقد الإمام الحسين بن علي. وهناك حدث اللقاء بالمهدي المنتظر، وكلف اليماني بإعلان ظهوره، إلا أنه لم يشهر دعوته إلا في جمادي الأولى 1423هـ.

وحسب سرد قصته، فقد اتُّهم بالسحر والشعوذة والعمل مع الجِنّ، وهو نوع من التشبه بالأنبياء، والدعوات الفاصلة في التَّاريخ، وما عاناه الأنبياء من أقوامهم عند إعلان دعواتهم، مثلما جاء في القرآن: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)[884]. فعُدَّ ذلك الاتهام من قبل جماعة اليماني بالكرامة لجهل النَّاس بصاحبهم.

وبالمقابل آمن به جماعة وقرروا إخراجه من داره وإشهار دعوته، مثلما حصل بمكة مع النبي محمد، وذلك في رمضان 1424هـ. وأشاع أنه في هذا التَّاريخ أمره الإمام بإظهار أمره لأهل الأرض كافة،

884 سورة ص، الآية: 4.

ليس البصرة أو النَّجف وحسب.

كان وما زال واقع الحال بالعراق يتقبل مثل تلك الدعوات، ولا يشك بحصولها على مؤيدين، ومحاورين! لذا جرت مناظرات بينه وبين آخرين لهم النوازع نفسها، وكأن الأمر بين أنبياء وأنبياء كذابين أو متنبئين! حسب تصور كل من الفئتين. قال مكذبو اليماني أحمد إسماعيل كاطع: ليس هناك ما يشير ويؤيد انتهاء زمن الغيبة الكبرى (326هـ 937 ميلادية وحتى الآن)، وأن شروط الظُّهور معروفة لدى علماء الشِّيعة، ولا وجود لها في ما طرحه اليماني. بينما أخذ اليماني يختم رسائله بعبارة: رسول الإمام المهدي للناس أجمعين، والمؤيد بجبرائيل والمسدد بميكائيل، المنصور بإسرافيل! وهو إثبات أن الوحي لم ينته وينقطع عند وفاة النبي محمد، بل ظل متواصلاً مع الأئمة ونوابهم!

اصطدمت جماعة اليماني (أنصار الإمام المهدي) بجماعة السَّيد محمود الصَّرْخي ، السالفة الذكر، حيث أصدر الأخير بياناً، أو فتوى، كذب فيها دعوة أحمد الحسن اليماني، واتهمه بالانحراف عن خط آل البيت: (وتمسَكه بعلم ظني من إنتاج عقول ناقصة غير معصومة)!

انبرى جماعة اليماني بالرد على تلك الفتوى، ومنهم شخص يُدعى الشَّيخ ناظم العقيلي (العكيلي)، حيث ألف كتاباً تحت عنوان (الإفحام لمكذب رسول المهدي)! وحسب بيان جماعة اليماني أن

حدثت مناظرة بمحافظة ميسان (العمارة) جنوبي العراق بين قادة الجماعتين، وصدر إثرها كتاب تحت عنوان (الرد على منكري أصحاب الأئمة)، ويعتقد مؤلف الكتاب أن أحمد الحسن هو اليماني صاحب الإمام المهدي المنتظر!

وصنف آخر من أتباع اليماني، وهو ضياء الزَّيدي، كتاباً تحت عنوان (المهدي والمهديون) أثبت فيه وصاية المهدي لأحمد الحسن. وعقب تلك المناظرات والمعارك التي جرت عبر الفتاوى والكتب، أعلن (أنصار المهدي) انتصارهم على مكذبي صاحبهم، عبر بيانات استخدموا لنشرها خدمات الإنترنيت. وهي بطبيعة الحال بائسة التأليف ليس فيها غير الروايات التي وردت في الكتب القديمة، وفي مقدمتها تأتي موسوعة (بحار الأنوار)، المعروفة بحشوها للغث والسمين على حد سواء، والتي دونت في الفترة الصفوية، ونشرت بمائة وعشرة أجزاء، وكذلك ما صُنف في ظل الصِّراعات بين جماعات متشابهة في العهد العباسي وما بعده.

أخذ اليماني يلحُّ بدعوة كبار علماء المذهب الشِّيعي إلى المناظرة، ومنهم آية الله علي السِّيستاني، وقد جاء في دعوته، المؤرخة في 24 ربيع الثَّاني 1425هـ، ما نصه: (يحق للسيد السِّيستاني أن يستعين بمَنْ شاء من العلماء، وطلبة الحوزة العلمية، ويحق له جلب ما شاء من المصادر العلمية. وأما السَّيد أحمد (اليماني) فلا يجلب معه غير القرآن الكريم. (و) إذا كان السَّيد السِّيستاني لا يريد إطالة المناظرة

فالسَّيد أحمد يكتفي بأن يسأل السَّيد السِّيستاني سؤالاً واحداً لا غير).

وأما السَّيد السِّيستاني فله أن يسأل السَّيد أحمد الحسن بالقرآن من الباء إلى السين بدون استثناء. وتكون المناظرة علنية على رؤوس الأشهاد، ويحق لأي أحد تصويرها) (رسالة عن أنصار المهدي مكن الله له في الأرض، ومختوم بختم الجماعة، اسمها، يعلوه سيف ذو الفقار). ولدى جماعة أنصار المهدي (اليماني) حسينية ومدرسة بالنَّجف، وقد طوقتها الشرطة في 20 كانون الثَّاني(يناير) 2007، كذلك لصاحبهم مكتب قرب الضريح العلوي وسط النَّجف.

أعلن جماعة (أنصار المهدي) انتصارهم على أحد خصومهم والمنافسين لهم في نيابة الإمام المهدي المنتظر، ولقبوه بالقحطاني، وهو حسب الروايات التَّاريخية من أتباع الدجال الذي يعترض نائب الإمام، وذلك عبر البيان المؤرخ في 10 رمضان 1427هـ، ويستهله بآية(13) من سورة (الصف):

(بسم الله الرحمن الرحيم: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ). إلى أنصار الإمام المهدي ومحبيه(ع). إلى محبي الإمام المهدي والمنتظرين قدومه! اليوم ظهر أمر الله، وأظهر الله حق السَّيد المظلوم أحمد الحسن فقد أهلك الله أول الدجالين حيدر مشتت (القحطاني) صاحب جريدة (القائم) بعد أن قسم (قسم البراءة) بأن السَّيد أحمد الحسن ليس اليماني الموعود، في

جريدة (جريدته) العدد 47 بتاريخ 9 رجب 1427هـ. قال الله تعالى: (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) (الفرقان 39).

(أي وكل دمرنا تدميراً! وقد ادعى مدعيات كثيرة منها اليماني، ومنها المهدي الحسني. وقد ورد عن الصادق (ع) قال: إن هذا الأمر لا يدعيه غير صاحبه إلا تبر الله عمره! (معجم أحاديث الإمام المهدي للكوراني، ج 3 ص 428). فعسى أن يكون هذا باب هداية لتعريف النَّاس طريق الإمام المهدي فتطيعه من حيث هو يريد لا من حيث يريد النَّاس) التوقيع: (أنصار المهدي مكن الله له في الأرض).

إلا أن أنصار المهدي، ونائب الإمام المفترض، يأخذون روايات بشأن ظهور المهدي ويتركون روايات أُخر، قد تحبط ظهورهم على النَّاس، وبالتالي تفسد التحرك بكامله، رواية تستثني البَصْرة من بين البلدان التي يخرج أهلها لنصرة الإمام. جاء في باب خروج المهدي، من كتاب (بحار الأنوار)، الذي فصل قضية المهدي بثلاثة مجلدات: (ما من بلدة إلا ويخرج معه منهم طائفة إلا البَصْرة فلا يخرج معه منها أحد)[885]. فكيف يكون اليماني ينتظر المهدي بالبصرة، وهي المروي عنها أنها لا تنصره! نقول هذا عندما يهوي العقل إلى هذا الحد، وليس من المفيد، في الأحوال القائمة، مواجهة اللامنطق بالمنطق!

مَنْ يقرأ كتاب محمد باقر المجلسي (ت 1699) المذكور

---

885 المجلسي، بحار الأنوار 52 ص 307.

سيجد هناك أضابير من الروايات التي تهوي بالعقل حتى ضد فكرة المهدي نفسها، فهي العقيدة التي يصعب مناقشتها بعلم أو منطق، وإذا كانت هي فكرة إيمانية فللإيمان حدود أيضاً! من تلك الروايات المغرية للإيمان بحدوثها تأتي قصة (الجزيرة الخضراء)، والتي يكتشفها أحدهم، ويسافر للتأكد من وجودها، فوجدها في عرض البحر الأبيض المتوسط، يحيطها ماء أبيض مذاقه كالفرات، وتغرق فيه سفن الأعداء، وهناك المياه الجارية، والبساتين الكثيفة من العنب والرمَّان والكمثري)[886].

قلنا طوقت الشرطة جماعة اليماني بالنَّجف في يناير 2007، لكنهم في الشهر نفسه من العام التالي 18 كانون الثَّاني(يناير) 2008 ثاروا بالبصرة والنَّاصرية، وحدثت معارك قُتل فيها منهم حوالى الستين شخصاً، وما زالوا يظهرون هنا وهناك. وقد نعتهم المسؤولون في السُّلطة من الأحزاب الشِّيعية بالمنحرفين، ومعنى ذلك الانحراف عن توقعات ظهور المهدي، والاعتقاد بثوابت الشِّيعة الأُخر. بل ودعتهم بجند السماء، كامتداد للحركة التي ظهرت بالحلة والنَّجف في العام الماضي. إلا أن الأحداث تؤكد أنهم جماعة أخرى، لا صلة لها بجند السماء، مع ما تحمله من الأفكار المتشابهة، وهم (أنصار الإمام المهدي) مثلما تقدم، وأن قائد جند السماء اعتقد بنفسه أنه المهدي، وهو قاضي السماء، حسب كتابه المذكور، أما اليماني فهو نائب الإمام،

---

886 المصدر نفسه 52 ص 167 168-.

وقيل اعتقد أنه ولده ووصيه.

ولا يفوتنا ذكر ما إذا كان للمهدي المنتظر أولاد، فكل ما ورد من الروايات أخذ الأتباع يتعاملون معه كروايات ممكنة الوقوع، ذلك ما ورد حول (الجزيرة الخضراء)، بأنها (من جزائر أولاد الإمام صاحب الأمر)[887]. وعلى مستوى البحث والتدقيق المعاصرين كتب أحد الأدباء والصحفيين العراقيين مفترضاً ومؤكداً أن أبا الطيب المتنبي (قُتل 354هـ 965 ميلادية) هو ابن المهدي المنتظر.

نشر عبد الغني الملاح (ت 2001)، كتابه تحت عنوان (المتنبي يسترد أباه)، في أواسط السبعينيات، من القرن المنصرم، وقد أغراه نسب المتنبي المجهول، وبحث الباحثين عن والده. كذلك شجع الباحث، ومن قبله بحثها آخرون[888]، على المضي في بحثه عن شعره الذي يوحي أنه من نسب كريم، قد يكون أباه الإمام الثّاني عشر بالفعل. فهو القائل:

سَيَعْلمُ الجَمعُ ممَنْ ضَمَّ مَجلسُنا

بأنَّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ[889]

---

887 المصدر نفسه 52 ص 164.

888 مثل: الباحث المصري محمود محمد شاكر في مجلة (المقتطف)، لسنة 1936، والأديب البحريني إبراهم العرَّيض في فن المتنبي بعد ألف عام (الملاح، المتنبي يسترد أباه).

889 المتنبي، الديوان 2 ص 120. الميمية ومطلعها:

وا حرَّ قَلباهُ ممَنْ قلبُه شَبِمُ

وَمنْ بجِسمي وحَالي عِندهِ سَقَمُ

وقوله مخاطباً جدته:

ولَوْ لمْ تَكُوني بِنْتَ أكْرَمِ والد
لَكانَ أَباكِ الضَّخْمَ كونُكِ لي أُمَّا[890]

ولو كان الملاح شيعياً لأخرجه هذا الرأي من المذهب، مع وجود الرواية السَّابقة في شأن ذرية المهدي، ولعلَّ مَنْ ينكر ذلك سيقول على المجاز لا على الحقيقة، إلا أنه كان من أهل السُّنَّة، ومن الموصل. فتراه تجاوز إلى القول بالإمام الثَّالث عشر، وجعل للمنتظر وريثاً وأمراً دنيوياً خالياً من الخوارق!

لكنه من جانب، وهو السُّنّي، اعترف بوجود اثني عشر إماماً، أنكرها السُّنَّة بمختلف مذاهبهم، ولا ندري هل اطلع اليماني على الكتاب المذكور وتلبّس الفكرة في أن يكون ولداً للمهدي المنتظر[891]

ومنها البيت المشهور:

الخَيْلُ والليْلُ والبَيْداء تَعرفني
والسَّيف والرُّمحُ والقرْطاسُ والقَلم

890 المصدر نفسه 1 ص 346. الميمية أيضاً، وهي من أروع وجدانيات أبي الطيب المتنبي، لأنها جاءت صادقة وتعبر عن حالته النفسية، وقصتها: أن رسالة وردته من جدته تريد رؤيته، ووصل إلى بغداد وكتب إليها أن تأتيه، فلما وصلها خطابه غلب عليها الفرح فقتلها، ومطلعها:

ألا لا أُري الأحداث مَدحاً ولا ذمَّا
فَما بَطشُها جَهلاً ولا كفُّها حِلمَا

891 راجع كتاب الملاح، المتنبي يسترد أباه، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1989، وكانت طبعة الكتاب الأولى صدرت ببغداد 1974.

أم اكتفى برواية شيخ الإسلام في زمانه محمد باقر المجلسي؟! عندما قال: (من جزائر أولاد الإمام صاحب الأمر)[892]!

كذلك ورد في بعض التقارير محاولة استخدام تهمة العمالة لإسرائيل ضد جماعة اليماني البصرية، فقد ورد أن شعارهم عبارة عن نجمة سداسية ذات رؤوس ستة، وأنها نجمة داوود الإسرائيلية، وذلك للإيهام بصلتهم بتلك الدَّولة، وما يعني ذلك داخل العراق، حسب إرث النظام السابق، ومعلوم أن تلك التهمة كانت تقود إلى الإعدام! إلا أن الرائي لشعارهم سيجد نجمتهم ذات خمسة رؤوس لا ستة. نجمة خماسية في وسطها رسم سيف ذي الفقار (سيف علي بن أبي طالب الشهير)، وكُتبت حولها عبارة: (أنصار الإمام المهدي مكن الله له في الأرض)، ولعلَّ النجمة السداسية نموذج آخر للشعار، ففي مثل فوضى شعارات وممارسات هذه الجماعة، وما ظهر على شاكلتها، قد لا تضبط عدد رؤوس نجمتها بين صورة وأخرى.

هناك مَنْ يعتقد أن حركة جماعة اليماني الأخيرة هدفها السيطرة على البصرة والنَّاصرية، وقد قُتل قائد الحركة بمدينة البصرة المدعو أبو مصطفى الأنصاري، واعتقل قياديون آخرون، وكنيتهما: أبو عبد الله، وأبو مريم. وأن لهذه الجماعة مسجداً وسط البصرة، مسمى على اسم الجماعة، مسجد أنصار المهدي، وإمامه

892 المجلسي، بحار الأنوار 52 ص 164.

شخص يدعى عبد الإمام عبد الجبار.

وينقل أحد العارفين بأمر الجماعة، عبر تحقيق نشرته مجلة (الأسبوعية) البغدادية قولاً لإمام المسجد المذكور: (إنهم يعدون العدة للسيطرة على المدينة)[893]. ولها أيضاً حسينية تُعرف بحسينية الزهراء. وورد في التحقيق أن ظهور حركة (جند السماء) بالنَّجف و(أنصار المهدي) بالبصرة موقتتان إثر تسليم الملف الأمني بالنَّجف كانون الثَّاني (ديسمبر) 2006، وبالبصرة في كانون الثَّاني (ديسمبر) 2007، وإن حدثت الأولى أوان زيارة الأربعين فإن الثَّانية انفجرت أوان عاشوراء (التاسع من محرم) من العام (2008)، أي استغلال أكبر مناسبتين وأكثرها ازدحاما.

اتهمت أوساط حكومية، وبالتحديد من وزارة الداخلية العراقية، جهات خارجية بدعم تلك الحركة، وتشير أصابع الاتهام إلى دول أجنبية وعربية من غير ذكر أسمائها، كعادة الإعلام الحكومي العراقي عند الإشارة إلى أشخاص أو أحزاب أو دول يظهر ملغزاً. وجاء في البيان الحكومي: أن حركة اليماني حركة مهدوية حاولت تضليل البسطاء من النَّاس، واستغلال الأزمات، من قلة فرص العمل، وتعثر الخدمات. كذلك استغلت أجواء الحرية حرية الفكر والعقيدة. وإن الحكومة اعترضت على جماعة اليماني، وقامت بقمعها لأنها

893 أنصار الإمام بعد جند السماء، مجلة الأسبوعية البغدادية، العدد الثامن 3-9 شباط (فبراير) 2008.

استخدمت السلاح في تحركها.

عموماً، تبدو فكرة ظهور المهدي فكرة مغرية، لما فيها من خلاص، ومع قِدمها واحتضانها من قِبل عدد كبير من الجماعات، إلا أنها ظلت لا تميز بين الأزمان، فتجد معتقديها يتصرفون عبر الإنترنيت مثلما كان الأجداد يمتطون ظهور الجمال ويشهرون السيوف. فلشدة البساطة والتقهقر الحضاري صدقوا صاحبهم أحمد الحسن اليماني، أو أحمد إسماعيل كاطع، عندما أمرهم بالخروج في ذلك اليوم، وأمرهم بالصمود لربع ساعة وبعدها سيظهر المهدي، وينتهي كل شيء لصالحهم!

ويبدو أن فكرة ظهور المهدي لا تختلف بحال عن عقيدة نهاية العالم، فكيف حال العراق، وما مرَّ عليه من أزمات قاتلة. وقد مارست هذه العقيدة جماعات عديدة، منها جماعة أمريكية، قامت بالانتحار الجماعي معلنة قُرب نهاية العالم. وأن اليهود من قبل قاموا بعدة انتفاضات تؤذن بظهور المسيح المخلص، ومنهم جماعة الدونمة اليهودية بتركيا العثمانية[894].

السلوكيون أو السلوكية

أخذت الجماعات المهدوية تتمرد، وتفرخ جماعات، ولم يعد

---

894 حول هذه الفرقة راجع: هادي جعفر حسن، فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام، ص 33 ومابعدها.

أمرها محكوماً. وقد حدث بمحافظة العمارة، جنوب العراق، أنه لما أصدر مقتدى الصَّدر أمراً لجيش المهدي بوقف القتال ضد الشرطة، شاعت هناك الأهزوجة التالية، والدالة على التمرد: (السَّيد (مقتدى) جندي بجيش المهدي وسرحناه)! أي سُرِّح من الخدمة ولم يعد قائداً لهم! ويفيدنا ذلك أن تمرداً يسفر عن تمردات ولم يتمكن القادة من ضبط جماعاتهم، بل تفرع جيش المهدي، مثلما تفرعت الجماعات الأُخر.

ومن غرائب تلك الجماعات أن ظهر بينها ما يعرف بالسلوكية، وهي ممارسة الموبقات لدعوتين: أولاهما استعجال المهدي بالخروج، ولا يتحقق ذلك حسب الروايات إلا بكثرة الفساد، والثَّانية هي أن العبادة تنتهي حال الوصول إلى الإيمان اليقيني! بدلالة الآية: (وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ)[895].

وقيل إن الغاية من الفساد ليست لاستعجال الظُّهور وحسب، بل لمعاندة النفس، أي مخالفة المعاصي. والحديث مشهور في أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس. ورد في الحديث: (قدمتم خير مَقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه)[896]. لذا أُخذ الأمر على أن ما تحبه نفس المؤمن هو الصلاح والتقوى وفعل الخير! ولا بد من جهادها وعنادها بالفعل المعكوس أي فعل الشر،

---

895 سورة الحجر، الآية: 99.

896 الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال 4 ص 430، الحديث رقم: 11260.

وممارسة الموبقات.

وبهذا تبرر ممارسة اللواط والزنا بالمحارم، وتبادل الزوجات ككابح ومعاندة لشهوة النفس في العفة. ويُذكر من بين هؤلاء شخص يدعى الشَّيخ محمد الكربلائي، وهو الذي اتُّهم بقتل رجل الدِّين مرتضى البروجردي (1998). وقد ذُكر عن محمد محمد صادق الصَّدر(اُغتيل 1999) أنه قال بـ (فسقهم ووجوب توبتهم)[897].

تأتي أهمية طرق أو فتح ملف الجماعات السلوكية لسرعة تفشِّيها بين البسطاء، عبر الوجود بينهم، أو عبر وسائل الإعلام التي تضاهي وسائل الدَّولة، والأحزاب السِّياسية، وأبواب الحرية المفتوحة. فقد حصلت معركة بالذخيرة الحيَّة بين جماعة، وُصفت بالسلوكية، وبين عناصر جيش المهدي بمدينة الشطرة- النَّاصرية، وربما كانت الحقيقة غير ذلك، وليس أكثر من جماعات من جيش المهدي، أو محسوبة عليه، تحرشاً وتعدياً.

لكن، هذه المعركة، وبعدها معركة جند السماء، وحضور الوصف، في هاتين المعركتين بالذات، الخصم بالانحراف السلوكي، حقاً أو باطلاً، تعطيك أن هناك شبحاً يجوب قرى ومدن العراق اسمه السلوكية أو السلوكيون، وخطورته أنه يخضع الأتباع بالمقدس، وهي فكرة المهدي المنتظر، ولا يستبعد الدعم الخارجي، لنخر ما تبقى من

---

897 المياحي، السفير الخامس، ص 191.

بقية عقل في المجتمع العراقي.

وحتى لا يختلط الأمر على القراء، نشير إلى أن تسمية السلوكيين وردت في نظريات السلوك، وعلم النفس، وأنها من حيث المعنى لها صلة بمنهج تربوي وفكري، ومنها أن يشترط على الفرد التصرف بما يملأ عليه عبر الممارسة الشرطية، وبالتحديد هي لا تخرج عن كونها نظرية أو فكرة أخلاقية.

وأكثر من هذا، أن بعض كُتاب السياسة أشاروا إليها نسبة إلى سلوقيا، حاضرة اليونان بالعراق، والتي نشأت على جانب دجلة الغربي، على يد سلوقس أحد أبرز قادة الإسكندر المقدوني، وقيل: شيدها العام (312 قبل الميلاد)[898]، مقابل طيسفون أو المدائن جنوبي بغداد، وجزافاً وجهلاً رُبط بين سلوقيا المدائن، والجماعة التي نحن بصددها. وهي بالحقيقة لا صلة لها بالنظريات الغربية ولا بسلوقيا الإسكندرية.

باختصار شديد، يُنسب إلى الجماعات السلوكية الانحراف بتفسير الآية، المشار إليها سلفاً[899]. بمعنى أن الغاية من العبادة هي الوصول إلى لحظة اليقين بوجود الله، ففيها يتحقق الهدف ويحصل المبتغى، وهي فكرة لا تخرج كثيراً عن ضرب من الصوفية

---

898 مكاي، مُدن العراق القديمة، ص 29.

899 سورة الحجر، الآية 99.

أو الكشف[900]، وللشيعة بطبيعة الحال صوفيتهم. كذلك إرغام نفس المؤمن على ما تكره، على أنه الجهاد الأكبر، فالنفس التقية تكره ارتكاب المعاصي، ولا بد من إيذائها ومخالفتها بارتكابها رغماً عنها.

يشبه هؤلاء جماعة حاربها، في منتصف الثمانينيات، آية الله روح الله الخميني(ت 1989) وهي الحجَّتية بإيران، نسبة إلى الإمام المهدي المنتظر، فمن ألقابه الحجة، وقيل كانت قد ظهرت العام 1953 واستخدمها الشاه للحدِّ من سطوة البهائية[901]. ولها مدرسة، أيام الشاه، باسم مدرسة (الحجَّتية)، ويبدو أن مجلس آية الله والمرجع المعروف السَّيد محمد كاظم شريعتمداري(ت 1985)، كان فيها آنذاك[902]. وقيل كانوا يدَّعون إلى إشاعة الفوضى والفساد، وأن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المعاصي سيؤخر ظهور الإمام المهدي، لذا لا بد من استفزازه بكثرة المعاصي ليظهر سريعاً.

وقد حدثني شاهد عيان، من تركمان العراق الشِّيعة، أثناء وجوده بإيران بأنهم يدخلون الحسينية ويطفئون النور، ويضربون وجوههم بالأحذية كي يراهم المهدي ويسرع بخروجه!

---

900 نقرأ مثلاً للشيخ حسن القاضي (1868)، وهو من سادات البرزنجية الصوفية بالسليمانية، كتاباً بعنوان: (كتاب سراج السالكين في كيفية أداء الأوراد والأذكار). وفيه شرح للطريقة القادرية وفروعها، والنقشبندية، والجشتية، وأقطابها وأورادها، وكل ما يتعلق بمضمونها الصوفي والسلوكي، بمعنى سلوك الطريقة.

901 جريدة الشرق الأوسط، العدد: 9853 المؤرخ: 19 تشرين الثَّاني (نوفمبر) 2005.

902 رفسنجاني، حياتي، ص 69.

هذا وكانت الحجَّتية عبارة عن جمعية سرية، أسسها شخص يدعى محمود الحلبي (ت 1997)، وقيل جاء إلى الخميني عند انتصار الثورة، وعرض عليه ما يمكن أن تقوم به جمعيته من دعم للثورة، وقد اشترط عليه الخميني حل جمعيته، ثم منعت عن النشاط السَّنة 1984، وحاولت العودة إلى النشاط من جديد[903].

عموماً، اشتدت ظاهرة السلوكيين حول السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر (اغتيل 1999)، فهو القائل: (إذا كانوا يعتقدون برأيي كما يزعمون، ويأخذون بقولي كما يدعون)[904]. إلا أنه رفضها، وخصص خطبة لنقدها. قال في الخطبة الثَّانية من الجمعة السادسة عشرة: (أود أن أذكر وأتعرض إلى ما يسمى بالسلوكيين، الذين أصبح أمرهم مشهوراً. وعلينا لكي أُحذر المسلمين منهم... أنا أخاطب المجتمع المؤمن ذوي العقول الصافية والنفوس البريئة أن يقاطعوا هؤلاء، ويتبرأوا منهم، ويبتعدوا عنهم بُعد السليم من الأجرب)[905].

وترى مقتدى الصَّدر كرر رأي والده ضدهم. جاء في جوابه على مستفتٍ في أمرهم(29 ربيع الثَّاني 1427): (إنهم مجموعة من الجهلة الذين لا يتَّبعونَ إلا شهواتهم وميولاتهم وأهوائهم الشَّخصية، ومن هنا أدعو أفراد جيش الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) الابتعاد عنهم كابتعاد الحطب عن النَّار، فسيجعلونكم حطباً فاتقوا

903 موقع منتديات الحقائق:http://www.alhagaeg.com/vb/archive/index

904 الصَّدر، منبر الصَّدر، ص 182.

905 المصدر نفسه، ص 181 و183.

اللّه، ولا تنخرطوا معهم على الإطلاق، فهم ضالّون مُضِلّون ملعونون لا دينَ لهم ولا ورع)[906].

ومن السلوكيين مَنْ اعتقد أن الصَّدر الثَّاني هو المهدي المنتظر. وآخر منهم اعتبره محمد النفس الزكية، وهو أحد المهديين، كما هو معروف في الرواية، وكما فصّلنا سابقاً. وكان شخص يدعى ... النوري يقف أمام صورة الصَّدر ويخاطبه بالقول: (متى تُقتل ونرتاح بخروج الإمام)[907].

ومن بين المعظمين للسيد الصَّدر كان شخصاً يدعى... القزويني[908] كان إمام جمعة، فعزل عنها. (وكان منهم يدرس في مدرسة البغدادي، والآخوند، واللبنانية، والخفاجي قدم محاضرات في حلول أرواح الأئمة)[909]. والأخير من أهالي قلعة سكر، التابعة لمحافظة ذي قار[910]. كذلك ظهر آخرون إبان النظام السابق، واعُتقل عدد منهم، وأُطلق سراحهم، وهم يتخذون من الرذيلة والفساد طريقاً لاستعجال ظهور المهدي.

يشرح المياحي ظاهرة السلوكية التي نشأت حول السَّيد الصَّدر،

---

906 موقع المهدون: www.mumehhidon.com/p-resmim

907 المياحي، السفير الخامس، ص 190.

908 المصدر نفسه، ص 192.

909 المصدر نفسه، ص 191.

910 المصدر نفسه، ص 189.

والهدف منها قائلاً: (إن الإنسان حينما يرتكب المحرم يحصل عنده ندم، وهذا الندم عبارة عن الإحساس بالإثم، عندها يكون قريباً من الله، وكذلك فإن تمكين الآخرين من أنفسهم كاللواط فإن ذلك إذلال للنفس، التي جبلت وبالفطرة على كراهة هذه العملية، وإذا حصل الإذلال فهو قمع للنفس الأمارة. وعندهم أيضاً تبادل الزوجات، وذلك أن الزوجة تعتبر ملكية خاصة لفرد من بين البشر، والسلوك يقتضي عدم امتلاك شيء في هذه الدنيا، فعندما يمكن الآخر من زوجته فهو يقضي على حب الدنيا، والتملك في نفسه الأمارة)[911]. وقيل كان من بين هؤلاء شخص يدعى (...) الكربلائي اتُّهم بمقتل مرتضى البروجردي نيسان (أبريل)[912] 1998.

ليس غريباً أن تجد مثل هذه الجماعات والدعوات جماهير تلتف حولها، فما حصل بالعراق من قبل، وما يحصل اليوم، خلق مناخاً مناسباً لتبنّيها، تلك التي لم تكن معروفة في المجتمع العراقي، وبهذا الحضور، وربما وجدت هنا وهناك تحت تأثير قدسية طبقة السادة، أو في العصور الغابرة مثلما حدث أوان العصر العباسي من لجوء النّاس إلى الجِنّ في تفسير الأوبئة والموت المفاجئ[913].

---

911 المصدر نفسه، ص 193.

912 المصدر نفسه.

913 كتب ابن الأثير، وما أوردناه في كتابنا المباح واللامباح (فصل: إبليس والمجانين): أنه في السنة 456هـ (ظهر بالعراق وخوزستان، وكثير من البلاد جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون، فرأوا في البرِّية خيماً سوداً، وسمعوا منها لطماً شديداً وعويلاً كثيراً، وقائلاً يقول: قد مات سيدوك ملك الجن، وأي بلد=

فمن طبائع العامة الانقياد لما يسمعونه في خطب المسؤولين وتصريحاتهم وممارساتهم، وإن كان المقصود به مجاملة السَّواد، إلا أنه يصبح تلقائياً واقعاً وقناعات لا تهتز بسهولة، وأخطر ما فيها أنها تُدس في السياسة، ويتحكم مسربوها بمصائر البلاد والعباد.

عموماً، لا نجد غرابة من أن السُّلطة السِّياسية تصبح في مقدمة أهداف تلك الحركات المهدوية؛ عبر الفكرة التي طالما ثارت الجماعات بها وتمكنت، هذا ما يظهر من إعلان الصيحة بظهور المهدي. أما التهمة الموجهة لها من قِبل الأحزاب المتنفذة فهي افتعال الاضطرابات، والهيمنة على المال العام، والانحراف بالنَّاس البسطاء عن المذهب والدِّين.

=لم يلطم أهله عليه، ويعملوا له العزاء قُلع أصله، وأهلك أهله. فخرج كثير من النساء في البلاد إلى المقابر يلطمنَ وينحنَ، وينشرنَ شعورهنَّ) (الكامل في التَّاريخ 10ص 41-42). أما أم عنقود فطالبت العراقيين بالنواح والبكاء على ولدها عنقود. وكتب ابن الأثير كشهاد عيَّان، أنه في السنة 600 هـ (قد جرى في أيامنا بالموصل، وما والاها من البلاد إلى العراق، وغيرها نحو هذا). وبعد مئتي سنة ظهرت أخبار أم عنقود السنة 646هـ في عقد احتضار بغداد العباسية، يوم أنتشر مرض عضال، وأصاب الحلوق والخوانيق، ولم يبق للبغداديين غير اختلاق شخصية أم عنقود، التي تسببت بالكارثة. كذلك ورد في (الحوادث الجامعة) السنة 646هـ (ص 225): أن امرأة دعت أنها رأت في المنام امرأة من الجن تُكنى أم عنقود. قالت لها: إن ابني مات في هذه البئر، (ولم يعزِّني فيه أحد، فلهذا أخنقكم، فشاع ذلك بين الناس، فقصد البئر المذكورة جماعة من العوام والنساء والصبيان، ونصبوا عند البئر خيمة، وأقاموا هناك العزاء). وكان النساء ينحنَ ويقلن بلغة العامة، المزدهرة في الثقافة المكتوبة عصر ذاك: (أي أم عنقود اعذرينا... مات عنقود وما درينا.. لما درينا كلنا قد جينا.. لا تحردين (تغضبين) منا فتخنقينا). لم تنته قصة أم عنقود في تلك السنة، فقال أبو الفداء صاحب (المختصر في تاريخ البشر) (2 ص 185): (إنما أوردنا هذا لأن رعاع الناس إلى يومنا هذا، وهو سنة سبعمائة وخمسة عشر، يقولون بأم عنقود وحديثها، ليعلم تاريخ هذا الهذيان متى كان). وخلافاً لما قاله ابن الأثير، وأبو الفداء فالقصة ليست ضحكة وهذياناً، بل كانت حدثاً متواتراً بالخفاء، كان تعبيراً عن بلية عظيمة، إلا أنه: شرّ البلية ما يضحك.

لكن هناك ما لا يُشار إليه، لربما اجتهدت تلك الجماعات في محاولة تحقيقه هو المطالبة بحقوق ضائعة، فأحوال الجنوب العراقي السيئة للغاية تتقبل ذلك الافتراض، في أن رفع شعار الدعوة إلى الاستعجال بظهور المهدي هو وسيلة من وسائل الثورة ضد الواقع المرير!

لا أظن أن هناك تربة أكثر خصوبة من ظاهرة لبس الأكفان، وإشاعة الدِّين الشعبي عبر المناحات بهذه الغزارة وكثرة ظهور المعممين على الشاشات، وهم يدلون بمعلومات وآراء مشوهة للعقل، والحياة المدنية عموماً، وتضرب الألفة المرجوة الآن بين العراقيين عرض الحائط، فماذا تريد من معمم مملوء بفكرة التكفير يتحدث عن أعياد الميلاد المسيحية عبر الفضائيات، أو يظهر معمم آخر مرتدياً للكفن، وكأن أهل العراق لا ينقصهم إلا الانتحار الجماعي!

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(خ)

فهرس البلدان والأماكن والمواضع

(أ)

(ب)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأمم والقبائل والطوائف والفرق والجماعات

الخطأ والصواب (1- الشُيعة)

الصفحة	الفقرة	السُطر	الخطأ	الصَواب
15	1	6	طبع سُنُي	طابع سُنُي
16	1	1	الذيكان	الذي كان
17	3	1	فليس هناك من تعيين تاريخ	فليس هناك تاريخ
19	2	8	الإسلامية لغيرها	الإسلامي لا غيرها
19	3	3	فبراير- 1979	فبراير 1979
27	2	7	الحسين ابن علي	الحسين بن علي
32	1	1	حيث تم اللجوء	فتم اللجوء
48	2	7	(مقاتل الطالبيين: 41544)	(مقاتل الطالبيين: 44- 45)
49	الهامش		فرق الشيعة95.	فرق الشُيعة، ص 95
65	الهامش 66		2 مالنا غنى كذا-عن ذلك	مالنا غنى عن ذلك
66	2	2	في تلك الحوادث	في تلك الحوادث اضطراراً
66	2	2	فكاشف الغطاء كا أشرف	فكاشف الغطاء أشرف
68	2	8	أنهما تركتا	أنها تركت
84	1	1	وربما كان واحدة	وربما كانت واحدة
101	1	1	(تتصل بالفقرة التي قبلها لأن النص واحد)	
105	2	9	وقد حدثني	وقد ابلغني
107	2	6	الضباط	الضابط
108	1	6	إنما سمعها بوجودها	إنما قرأها عليهم
114	2	6	صادر	صادرة
115	3	8	الحرة، ومِن أهم	الحرة مادة لها
126	2	6	ذكر لي أكثر	ذكر لي أن أكثَر
147	2	4	عراقية أخرى	عراقية أخر
163	3	1	أنه مؤسسي	أن مؤسسي
164	2	8	حيث المد اليساري	فالمد اليساري

الصفحة	الفقرة	السّطر	الخطأ	الصّواب
166	2	6	منسبي	منتسبي
167	1	2	من البعثيين	مِن قبل البعثيين
167	3	1	عقب المؤتمر	حذف
168	2	7	ونفى مِن	ونفى
171	الهامش 263		10 مبتقى	ملتقى
186	2	3	للتاريخ؟!	للتاريخ»؟!
186	2	7	مَن يطيعني	مَن يطيعني»
189	2	7	ولد له	ولده
190	1	1	(ت 1919 ميلادية)	(1919 ميلادية)
192	3	3	) وأمرهم	وأمرهم
102	3	4	بينهم(	بينهم
195	2	1	إلى صدر	إلى الصُدر
195	2	3	إلى الحزب،	إلى قيادته،
195	2	9	عبد القاسم	عبد الكريم قاسم
195	2	10	سقوط عبد الكريم قاسم	سقوط قاسم
199	2	3	بيتها	بيتها
199	2	5	التنظيم الحزب	التنظيم الحزبي
200	1	1	لذا أن طبعة	فيغلب على الظن أن طبعة
205	1	1	الشُعبية الشَعبية	
212	3	1	(تتصل الفقرة بالتي قبلها)	
212	3	2	(بداية فقرة)	وربما يزداد
221	2	2	أفتى السيد الصدر	أفتى
221	2	8	فلأفت	فأفتى
233	الهامش		اظر	أنظر
234	3	3	أخر	أُخر
234	3	6	(تكويني))	(تكويني)

الصفحة	الفقرة	السطر	الخطأ	الصواب
235	1	3	أن العمليتين الأوليتين نفذتا	أن من العمليات نُفذت
239	الهامش		ص 214208	ص 208 - 214
252	1	1	(1416- كانون الأول	14-16 كانون الأول
252	1	3	(فبراير) 2002	(فبراير) 2003
255	1	6	كل ذلك	حذف
255	3	2	في - 2119	في 19- 21
262	3	8	بل أن	بل إن
263	3	8	الجريدة العائدة إلى (العدالة)	جريدة العدالة، العائدة للنائب
266	2	11	ولك العام	وذلك العام
268	1	3	قد تجد مَن يؤيدها	قد لا تجدها
274	2	1	المنظمة	للمنظمة
302	1	4	إليه بها	إليه بهذا
304	2	10	مثلما سيأتي	مثلما سبق
306	2	8	لا يعملوا	لا يعملون
309	1	1	(التقيت	(حذف القوس)
314	3	1	بلادهم (499)	بلادهم (499).(وضع نقطة)
325	الهامش	2	الأوسطن	الأوسط،
354	1	2	علي صادق	على صادق
372	1	1	تلحق الفقرة بالتي سبقتها	
380	4	1	تلحق الفقرة بالتي سبقتها	
415	1		تلحق الفقرة بالتي سبقتها (من صفح 404)	
418	1	7	(تضاف العبارة التالية)	
وهناك مَن يقول: إن البدري كان عالم دين متزن، وما هذه إلا أقاويل ضده.				
426			من أمثلة ظهورهم العلني أحياء بغداد	(خط عادي الحجم)
430	3	7	خمار	خمراً
431	1	1	بنتان جميلتان	فتاتين جميلتين

الصفحة	الفقرة	السّطر	الخطأ	الصّواب
431	2	2	عند مشاهدة مِن مشاهداته	عند حدث يخصه
431	2	11	أما عليه	أما ما عليهم
431	2	12	والتعاون معهم	والتعاون مع الإرهابيين
433	3	1	إذا تشكل الجيش	تشكل الجيش
441	2	1	أولاً،	أولاً:
442	3	2	الخاصة بها	(حذف)
461	2	1	20092005	2009 - 2005
538	1	2	المحسن ابن محمد	المحسن بن محمد
538	3	1	الحركة الحركة	الحركة (حذف واحدة)
539	1	3	، لكنها انتهت كدولة	، وانتهت كدولة
555	1	1	يبدو أنه	يبدو أن
557	2	8	بدأت ونشط	بدأت ونشطت

يصدر عن مركز المسبار



السرورية.

الأحباش.

القاعدة في جزيرة العرب.

الحركة الإسلامية في المغرب.

حزب الله.

الإسلامية اليمنية.

حركة حماس.

جماعة التبليغ.

الإخوان المسلمون 1 - التأسيس.

الإخوان المسلمون 2 - التحديات.

القاعدة 1- التشكل.

الجماعة الإسلامية في مصر.

القاعدة 2- التمدد.

حركة الجها د في فلسطين.

الإسلامية الأردنية.

مراجعات الإسلاميين (الجزء الأول).

مراجعات الإسلاميين (الجزء الثاني).

الجامية.

التعليم الديني 2 - التحليل.

الإخوان المسلمون في العراق.

الإسلاميون في الصومال.

القاعدة في اليمن.

أهل السنّة في إيران.

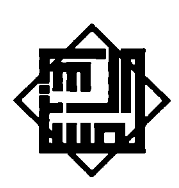
النسوية الإسلامية الجهاد من أجل العدالة.

الإسلاميون في السودان.

السلفيون في دول المغرب العربي.

المسلمون في جنوب أفريقيا.

المسلمون في أمريكا.



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

المراسلات البريدية:

ص.ب. 333577

دبي، الإمارات العربية المتحدة

للاشتراك:

هاتـــف: 77 151 36 4 971+

فاكس: 78 151 36 4 971+

info@almesbar.net

رصد لظاهرة الإسلام العراقي بلونيه الشِّيعي والسُّني، حاول فيه المؤلف الإلمام بأهم وأبرز الأحزاب والمنظمات والجماعات والأحزاب، مِن تدخل مرجع مِن مراجع الدين في شأن سياسي إلى تشكيل منظمة سياسية باسم الدين.

ولا يخلو الكتاب، على عادة مؤلفه، من رفده بأثر تاريخي وشاهد تراثي. وهو بجزئيه جاء مانعاً جامعاً موثقاً لتفاصيل قرن مِن تاريخ وحاضر العراق، مع عدم رغبته في هذا التقسيم الطائفي، لكن واقع الحال فرض أن يكون للشيعة جزء وللسُّنة جزء آخر.

ISBN 978-9948-443-57-5







www.almesbar.net